

منشورات اتحاد



القاهرة

مجلة المؤرخ العربي

يصدرها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

العدد الثاني عشر - المجلد الأول

مارس ٢٠٠٤ م

تم الجمع والإخراج الداخلى والخارجى فى :

دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية
ه شارع ترعة المريوطية - عمارات شركة الخليج
تليفون وفاكس / ٣٨٧١٦٩٣

* علمية تاريخية بحثية ، تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة
* تستهدف الحقيقة التاريخية صافية نقية ، بعيدة عن أى تيارات سياسية أو
عقائدية .

* البحوث التى تنشر فيها محكمة ، تعبر عن وجهة نظر أصحابها ، وهيئة التحرير
غير مسئولة عما يرد فيها من آراء علمية .

* تصدر مؤقتاً سنوياً فى مارس من كل عام ؛ على أن تصلها البحوث المقدمة
للنشر فى كل عدد فى موعد غايته نهاية شهر نوفمبر من العام السابق .

* لايزيد حجم البحث المقدم للنشر عن أربعين صفحة ، منسوخ على الآلة الكاتبة أو
الكمبيوتر ؛ ويكون البحث من نسختين أصل وصورة .

* تخصص أقسام فى المجلة - حسب الإمكانيات - لعرض الكتب والمراجعات
العلمية وتقارير عن المؤتمرات التاريخية والندوات .

* البحوث والأعمال المقدمة للنشر لا ترد لأصحابها فى حالة عدم إجازتها للنشر
بالمجلة .

* يأتى ترتيب البحوث المنشورة وفق أسبقية ورودها وإجازتها للنشر مع مراعاة
الترتيب الزمنى بقدر الإمكان ، مراعاة للحاسة التاريخية . ولا علاقة إطلاقاً بين
هذا الترتيب ومكانة الباحث أو درجته العلمية .

* جميع المراسلات تكون باسم السيد الأستاذ الدكتور رئيس هيئة التحرير .

العنوان : ١٠ شارع فؤاد بدوانى - الحى الثامن - مدينة نصر - القاهرة .

تليفون / ٢٨٧٠٠٩٠ - فاكس ٢٨٧٠٠٩١

المحتويات

صفحة

- أ.د. عبد المنعم عبد الحليم سيد
الدوافع الحقيقية لغزو الأحباش لليمن في القرن
السادس الميلادي في ضوء النقوش اليمنية القديمة ٩
- د. أحمد أمين جمعه الشربتلى
اليمن ودورها في النشاط الحضارى ٢٩
- د. أحمد بن عمر الديلى
بنو الزيلى العقيليون (أصحاب اللحية)
وانتشارهم فى تهامة وجنوب غرب المملكة ٥٥
- د. أحمد محمد إسماعيل الجمال
طرق التجارة الخارجية للمغرب والأندلس خلال
القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ٨١
- د. كرم كمال الدين الصاوى
الوكالات التجارية حلقة وصل بين مجتمعات البحر الأحمر ومدغشقر
وجزء القمر فى الفترة من ٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م ١١٩
- د. كرم حلمى فرحات
الكتابة التاريخية والنقد التاريخى فى مخطوط ١٥٩
- د. خليفة عبد الرحمن المسعود
قراءة تاريخية فى نظرة ودعم خادم الحرمين الشريفين ٢١٧
- د./ يسرى أحمد زيدان
نور الهنود فى الحياة الثقافية بالحرمين
الشريفين زمن سلاطين المماليك ٢٤٣
- د. محمد بهاء الدين محمد متولى
المعاهد السعودية البريطانية جدة ١٩٢٧ ٢٦٧

كلمة الافتتاح

فى إطار اهتمامات مجلة المؤرخ العربى - كأحد إصدارات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة - وتنفيذاً لرسالتها التى أنشئت من أجلها باعتبارها نافذة علمية وثقافية متاحة ، تقدم الجديد دائماً فى الدراسات التاريخية للمؤرخ والباحث والمفكر والمثقف ، من خلال بحوث علمية ، ودراسات جادة منتقاة ، فى ثوب قشيب ومعالجة رصينة ، واستقرارات مستجدة .

يصدر العدد الثانى عشر من مجلة المؤرخ العربى (مارس ٢٠٠٤) متضمناً مجموعة من البحوث التاريخية تحمل عناوين لموضوعات متعددة ومتميزة فى علم التاريخ كتبها باحثون أكاديميون من الجامعات العربية .

وألقت البحوث المنشورة الأضواء على موضوعات جديدة فى تاريخ بلاد اليمن بصفة خاصة ، والجزيرة العربية بصفة عامة ، فضلاً عن موضوعات هامة عن طريق التجارة الخارجية لبلاد المغرب والأندلس ، وعن الوكالات التجارية ، وعن دور الهنود فى الحياة الثقافية فى مكة المكرمة والمدينة المنورة زمن سلاطين المماليك ، والمعاهدة السعودية البريطانية التى عقدت فى عام ١٩٢٧م ، وغير ذلك من الموضوعات .

ولعل هذه البحوث ، وما اشتملت عليه من آراء وأفكار تكون إضافة علمية للمكتبة التاريخية العربية ، ووعناً للباحثين والمهتمين بالدراسات التاريخية للوطن العربى .

والله من وراء القصد إنه نعم المولى ونعم النصير

أ.د/ سعيد عبد الفتاح عاشور

الدوافع الحقيقية لغزو الأحباش لليمن في القرن السادس الميلادي في ضوء النقوش اليمنية القديمة

إن الشائع في المراجع القديمة من مسيحية وإسلامية أن الغزو الحبشي لليمن والذي حدث في القرن السادس الميلادي (وبالتحديد في الربع الأول منه)، إنما كان نتيجة دوافع دينية وبالتحديد نتيجة صراع بين أتباع الديانتين اليهودية والمسيحية وتعرض مسيحيي نجران للموت حرقاً على يد ملك حمير اليهودي.

فبالنسبة للمراجع المسيحية فإن أهم وأشمل مرجع في هذا الموضوع هو ما يسمى "كتاب الحميريين" وقد ألفه بالسريانية قسيس مجهول حوالى عام ٥٣٥ ميلادية ووردت فيه حادثة الحرق هذه في فصل بعنوان حرق البيعة دياكليروس نجران وأبنائها وسماثر الذين أحرقوا هناك (. 68, p. 1924, moberg).

وبالنسبة للمراجع الإسلامية فكلها تعتمد على ما ورد في الآيات ٤ - ٧ من سورة البروج ﴿ قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُعُودٌ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥٦٠ ١٥٦١ ١٥٦٢ ١٥٦٣ ١٥٦٤ ١٥٦٥ ١٥٦٦ ١٥٦٧ ١٥٦٨ ١٥٦٩ ١٥

غير أننا إذا تأملنا في طبيعة الصراع بين اليمنيين والأحباش ورجعنا إلى الوراء في التاريخ لنتبع أخبار هذا الصراع منذ بدايته في النقوش اليمنية القديمة، نجد أنه بعيد عن الدوافع الدينية وإنما هو في الأساس نتيجة دوافع اقتصادية، وربما كانت أحداث الحرق المشار إليها في كل من كتاب الشهداء الحميريين والقرآن الكريم مجرد أسباب وقتية مباشرة لتبرير إحدى حملات الأحباش على اليمن في القرن السادس الميلادي .

وأول دليل على انتفاء الدوافع الدينية للصراع بين اليمنيين والأحباش أنه بدأ في العصور الوثنية أي في وقت لم تكن المسيحية أو اليهودية قد دخلت اليمن، بل وكان اليمنيون والأحباش يعبدون إلهاً رئيسياً واحداً هو إله القمر وينفس الاسم الذي أطلقه عليه السبئيون وهو.. إيل مقه " إلى جانب الآلهة اليمنية الثانوية الأخرى وهي الشمس " ذات حميم " والزهرة " عثتر " (اليونسكو ١٩٨٥ ص ٢٥٧).

وقد يبدو هذا التشابه بين آلهة اليمن وآلهة الحبشة مستغرباً، ولكن هذا الاستغراب يزول إذا علمنا أن الحضارة الحبشية ترجع في أصلها إلى الحضارة اليمنية عندما هاجر اليمنيون السبئيون، أي في عصر دولة سبأ، إلى اليمن في القرن السابع قبل الميلاد (أو بين القرنين السابع والخامس قبل الميلاد) ونقلوا معهم مظاهر حضارتهم من ديانة وعمارة ونحت ولغة وكتابة (عبد المنعم عبد الحليم ٢٠٠٣ ص ٢٩-٥٨)، ثم تمكنوا من تأسيس دولة اتخذت من مدينة " أكسوم " (الواقعة على بعد ٩٥٠ كيلو متراً إلى الجنوب الغربي من ميناء مصروع) عاصمة لها (الخريطة رقم ١) وقد ازدهر هذه الدولة وبدأ اسمها يتردد في النقوش في القرن الثالث الميلادي (اليونسكو ١٩٨٥، ص ٣٦٩) ولكن بمرور الزمن ذابت هذه الحضارة في الخضم الحبشي ولم يتبق منها سوى الكتابة أو بالتحديد الخط المسند الذي مازال الخط الحبشي يشبهه حتى اليوم وكان هذا التشابه من العوامل التي ساعدت علماء النقوش السامية على حل رموز الخط المسند وقراء النصوص اليمنية القديمة (عبد المنعم عبد الحليم ٢٠٠١، ص ١١٦-١١٢).

الأدلة على عبادة إله القمر في اليمن من نقوش الملوك اليمنيين الذين حاربوا الأحباش، وفي الحبشة من بلاد الحبشة نفسها:

أول ملك يمني تصدى للأحباش هو الملك السبئي " شاعر أوتر " (٢٠٥-٢٣٠ ميلادية) وقد نون أخبار حروب هذا الملك ضد الأحباش قائد عمل تحت إمرته يدعى أبكرب- أحرس وجاء في النقش الذي نونه (ويعرف في علم النقوش اليمنية برقم (Ja 635) ما يلي :

୧୫୪୩ - ୧୫୪୩ । ୧୫୪୩ - ୧୫୪୩ । ୧୫୪୩ - ୧୫୪୩ । ୧୫୪୩ - ୧୫୪୩ ।

أب ك رب / أ ح رس / ه ق ن ي / أ ل م ق ه / ص ل م ن /

أبكر ب أحرس قد قربانا (للإله) أيل- مقه تمثالا

14 АЧНН

ذ ذ ه ب ن / لأنه أعاد سيده شاعر أوتر سبأاً من الحرب.....

..... » » » » » » » من البروتز المذهب

439441970

(سطر ۲) علی / احب شن

ضد الاحباش (Jamme 1962, pp. 136 - 137)

وفى عهد الملك ايلشرح يحضب (٢٤٠ - ٢٦٠ ميلادية) فى النقش رقم Ja 577 إشارة

إلى مساعدة الإله أيل-مه " للملك في حربه ضد الأحباش في نجران كما يلي:

(سقطر ۸)

10. በጥቅም ላይ የሚውል የጥጥር ዕቃዎች ለመግለጽ የሚያገለግል ሲሆን፡

روح م دم / ب ذت / هـ وش ع هـ م و / أ ل م ق هـ / ب وض ع /

وشكروا لأن سيدهم أيل- مقه (ساعد في) إخضاع

43月44, 4月0月, 4474, 4月03

ش ع ب ن / ن ج د ن / ب ع ب ر / أ ح ب ش ن

شعب نجران المتحالف مع الأحباش (Jamme 1962, pp. 76-78)

أما الأدلة على عبادة إله القمر السبئي.. أيل- مقه" فى الحبشة، فهو وجود نصوص تشير لهذه العبادة فى منطقة ملازو " الواقعة إلى الجنوب من "أكسوم" (الخريطة رقم ١) والعثور على محراب وموائد قرابين مكرسة له فى منطقة "عدى- قلامو" الواقعة إلى الشرق من أكسوم (الخريطة رقم ١) (اليونسكو ٩٨٥ ام، ص ٣٥٧).

وبالإضافة لذلك عثر فى الحبشة على آثار كثيرة عليها الرمز الى "لوف لإله القمر اليمنى وهو القرص والهلال مثل محارق البخور وموائد القرايين كما صور هذا الرمز على قمم المسلات التى ترجع للقرن الثالث الميلادى (وهو عصر غزو الأحباش لليمن كما ذكرنا) مثل مسلات مدينة " مطرا " الواقعة على بعد ٥٠٠ كيلومترا إلى الشمال الشرق من مدينة أكسوم (عبد المنعم عبد الحليم ٢٠٠٣، ص ٤٠ والأشكال ١١، ١٢، ١٨ والخريطة رقم ٢).

وقد ظلت الآلهة اليمنية تعبد فى الحبشة حتى منتصف القرن الرابع الميلادى. ديان كان قد حدث بعض التغيير فى أسمائها عندما اعتنق الملك الحبشى الاكسومى عيزانا (٣٢٥ - ٣٦٠ ميلادية) الديانة المسيحية (موسكاتى ١٩٥٧، ص ١٥٢).

من كل هذا يتبين أن تضرع اليمنيين إلى آلهة وثنية لنصرتهم فى حربهم ضد الأحباش وأنها نفس الآلهة التى عبدها الأحباش، ينفى أن تكون الأسباب الدينية- كما حدث ظاهريا فى القرن السادس الميلادى- هى الدوافع لغزو الأحباش لليمن، ديانما تكمن هذه الدوافع وراء الأهداف الاقتصادية .

فما هى الأهداف الاقتصادية؟

يمكننا أن نتعرف على هذه الأهداف إذا علمنا أن المناطق الرئيسة التى دارت فيها الحروب بين اليمنيين والأحباش تقع عند مداخل وعلى مسارات ومخارج الطرق التجارية، التى كانت تخترق الجزيرة العربية من جنوبها إلى شمالها، فالمداخل هى موانئ الجنوب مثل ميناء المخا ومنطقة باب المندب، ومسار الطريق التجارى القادم من هذه المناطق بالإضافة إلى أن ميناء عدن يمر بأهم مركز تجارى وهو مدينة " ظفار " (بفتح الظاء) أما مخرج الطريق فهو يقع عند مدينة نجران (الخريطة رقم ٢). وسوف نلاحظ من تتبع الصراع بين الأحباش واليمنيين فى النقوش اليمنية طوال العصور ابتداء من عصر الملك شاعر أوتر فى أوائل القرن الثالث الميلادى حتى آخر غزو حبشى لليمن فى عام ٥٢٥ ميلادية، أن الحملات الحبشية استهدفت هذه المناطق. فعبر هذا الطريق وهو الفرع الغربى للطريق التجارى العظيم (الذى يطلق عليه

من هنا كان تطلع الأحباش للسيطرة على مداخل هذه السلع القريبة منهم في جنوب غرب اليمن ثم على مخرجها من اليمن في مدينة تجران.

وقد عكست النقوش اليمنية أخبار حملات الأحباش للسيطرة على هذه المناطق ابتداء من أوائل القرن الثالث الميلادي وحتى أوائل القرن السادس.

فمن عصر الملك شاعر أوتر (٢٠٥ - ٢٣٠ ميلادية) جاعى النقش ٤ ٦٣ على إشارة إلى حرب شنها هذا الملك لطرد الأحباش من مدينة ظفار كما يلي:-

209 | 4 14 | 46 | 43745 | 0.107 X 0

(سطر ۳۵) وفات اولو / أحب بن / بن / خلف / ظفر

فانسحب الأحباش من منطقة ظفار

(Jamme 1962, p. 132-133)

وفى النقش رقم Ja 35 من عصر الملك شاعر أوتر أيضا إشارة إلى محاربة هذا الملك
للأحباش فى مدينة نجران كما يلى:

(سطر ٢٣ - ٢٤)

ḫ3n4 ḫiXḫnθi910n14)74[4]74/ḫ14

خ ل ف / ه ج ن / ن ج ن / ب ع ل ي / ض ب أ ت / أ ح ب ش ن

(فى) منطقة مدينة نجران ضد محاربى الأحباش

(Jamme 1962, p. 136-137)

ويبدو أن حملات شاعر أوتر ضد الأحباش فى مدينة ظفار أدت إلى طردهم منها نهائيا
فإن النقوش خلت من الإشارة إلى حروب ضدهم فى هذه المدينة فى عهد الملك أيل- شرح
يحضب أحد الخلفاء المباشرين للملك شاعر أوتوو هو أنشط هؤلاء الخلفاء فى شن الحرب ضد
الأحباش، ومما يؤيد ذلك أن الملك أيل- شرح يحضب تتبع الأحباش فيما وراء منطقة ظفار
إلى الساحل حيث حاصروهم فى وادى سررد الذى يصب فى البحر الأحمر شمال ميناء
الحديدة بأربعين كيلومترا ويبدو أن الأحباش تقهقروا أمام حملات أيل- شرح يحضب
وتمركزوا فى وادى "سهام" الواقع جنوب ميناء الحديدة بعشرة كيلومترات (الخريطة رقم ٢)
ويسجل النقش Ja 574 هذه الأحداث كما يلى:

ḫ3n4 nX4 ḫi910n14)ḫ14)ḫn

(سطر ٥ - ٦) ب س ن / س ر د / ب ع ل ي / أ ح ز ب / ح ب ش ت /

فى وادى سررد ضد فرق المحاربين الأحباش

ḫ4ḫḫi4)ḫn/ḫ4)ḫn/ḫn4

(سطر ٤) ح ر ب / ب ق ر ه م و / ب س ن / نس ه م

حارب مستوطناتهم فى وادى سهام

(Jamme 1962, p. 60-61)

وبعد حروب الملك أيل- شرح يحضب اختفت أخبار الحروب ضد الأحباش من النقوش اليمنية ويبدو أن هذا الملك طردهم نهائياً من مستوطناتهم الساحلية في وادي سهام كما جاء في السطر ٤ من النقش الأخير فانتهى بذلك وجودهم في اليمن حتى عادوا للظهور في القرن السادس الميلادي.

وقبل أن نتناول ما ورد في النقوش اليمنية عن غزو الأحباش لليمن في القرن السادس الميلادي نلخص ما عرضناه في النقاط التالية:-

أولاً: أن غزوات الأحباش قبل القرن السادس الميلادي أي في المرحلة الوثنية كانت تستهدف أساساً المراكز التجارية الرئيسية في الجنوب الغربي لليمن (أي المناطق المواجهة لبلادهم على الجانب الشرقي للبحر الأحمر) وأهم هذه المراكز مدينة ظفار، ثم مخرج التجارة من اليمن في مدينة نجران وما حولها.

ثانياً: لم يكن الدافع لهذه الغزوات دينياً فقد كان الأحباش في القرن الثالث الميلادي يعبدون نفس الآلهة التي تعبدوها اليمنيون الذين يحاربونهم وفي مقدمتها الإله " إيل- مقه إله القمر.

ثالثاً: بناء على ذلك فإن دوافع غزو الأحباش لليمن في القرن الثالث الميلادي كانت اقتصادية.

أدلة استمرار الدوافع الاقتصادية لغزو الأحباش لليمن في القرن السادس الميلادي:

تتمثل هذه الأدلة في ثلاثة نقوش سجلها قائد يدعى " شرح- أيل- يقبل" عمل تحت إمرة الملك الحميري الذي تصدى للأحباش المسمى في هذه النقوش " يسف أسار " أو يوسف أسار يثأر".

والاسم الأول " يوسف " يطابق الاسم الأول الذي أطلقه عليه الكتاب المسلمون وهو " يوسف بن نواس " .

والنقوش الثلاثة مؤرخة بسنة واحدة هي سنة ٦٣٣ حميرية التي تعادل سنة ٥١٨ ميلادية وهي محفورة على الصخر في منطقتين إحداها تدعى " جبال الكوكب " (ويعرف هذا النقش في علم النقوش اليمنية برقم Ry 508) الواقعة على بعد ١٥٠ كيلومتراً شمال مدينة نجران

وهكذا يتكرر التلازم في الحرب في منطقة المخا وباب المندب حيث يقع مدخل الأحباش إلى اليمن وفي منطقة ظفار المركز التجارى الفنى وفي نجران مخرج التجارة الثمينة من اليمن.

ونفس الأمر يتكرر في النقش الثانى فى منطقة بئر حما (رقم Ja 1028) وهو كما قلنا مؤرخ بشهر " مذرأن " (يولية) أيضاً سنة ٦٢٢ حميرية (١٨ هـ ميلادية) مثل نقش بئر حما الأول (Ry 507) ودونه نفس القائد شرح- إيل- يقبل كاتب النقشين Ry 508 و Ry 507 وقد ورد فيه اسم الملك الحميرى مطابقاً لاسمه في نقش بئر حما الأول وهو " يوسف أسار يثار " .

ويدل تدرج أماكن هذه النقوش من الشمال (منطقة جبال الكوكب ١٥٠ كيلومتراً شمال نجران) إلى الجنوب (منطقة بئر حما ٩٠ كيلومتراً شمال نجران) على تحصن الحميريين بقيادة " شرح- إيل- يقبل " فى المناطق الجبلية البعيدة عن متناول الأحباش المتمركزين فى نجران، ثم تحركهم نحو الجنوب فى اتجاه نجران كلما حققوا انتصاراً على الأحباش، وينفرد نقش بئر حما الثانى (Ja 1028) عن النقشين السابقين بما يرويه من معلومة جديدة فبعد أن يكرر انتصار الملك الحميرى " يوسف أسار يثار " على الأحباش فى كل من ظفار والمخا وتحصين منطقة باب المندب وانتصار القائد " شرح - إيل - يقبل " فى نجران (الأسطر ٢ و ٦ و ٧)، يذكر المعلومة التالية:

(سطر ٨-٩)

٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥

ካነጋሃክ/ጦሃጦቶክጦ/ጋነጋሃ

حمى دم / وأقوله هو / أحمرين

حمير وأمرأته الحميريين

(المقصود بعبارة "أرض الحبشة" في النقش، المنطقة من اليمن التي احتلها الأحباش وهي كما تبين من هذه الدراسة أنها الجزء الممتد من نجران شمالاً إلى المراكز التجارية في وسط اليمن وجنوبه).

وينتهي النقش بتاريخ تسجيله كما يلي:

(سطر ۱۰)

ጸሐፊ፣ ጸሐፊ፣ ያህን ጽሑፍ ለማንኛውም ማህበራዊ፣ ማንኛውም ማህበራዊ፣ ማንኛውም

ورخ هـ / ذح ج ت ن / ذل ارب ع ی / وس ث / م ا ت م / خ وف ت م

تاريخه	نوالحجة	لأربعين	وست	مانه	سنة
--------	---------	---------	-----	------	-----

(وسنة ٦٤٠ حميرية المذكورة في هذا السطر تعادل سنة ٥١٨ ميلادية كما ذكرنا سابقا)

وما يهمنا من هذا النقش أنه يبرز حقيقة هامة وهى موقع ميناء. "قنا" كمكان للجوء الحميريين هرباً من الأحباش فالواضح أنه ليس بسبب بعده فقط عن منطقة الاحتلال الحبشى ولكنه وهو الأهم يقع عند مدخل الفرع الشرقى للطريق التجارى الرئيسى الذى يتحكم فى تجارة الترف القادمة من الهند وفى سلعة البخور التى تتجمع فى هذا الميناء (بعد نقلها من منطقة "ظفار" الواقعة إلى الغرب من هذا الميناء) ويبدو أن اختيار سميغ أشوع ورفاقه لهذا الموقع كان من بين أهدافه حرمان الأحباش المحتلين لليمن من مصدر الثروة التى تتدفق من هذا الميناء بالإضافة إلى ضمان مورد اقتصادى له ولرفاقه أثناء هروبهم من وجه الأحباش .

وهكذا حتى في وقت الهزائم والمحن كان للتجارة الثمينة دور في توجيه الأحداث التاريخية فالدوافع الاقتصادية هي غالباً - إن لم يكن دائماً - هي أقوى الدوافع .

من كل ما عرضنا من نقوش يتبين أن غزوات الأحباش لليمن في المرحلة الوثنية في القرن الثالث الميلادي عندما كان الأحباش واليمنيون يعبدون نفس الالهة، كانت أهدافاً اقتصادية تستهدف المراكز التجارية الرئيسة وهي ظفار في الجنوب الغربي لليمن ونجران في شماله التي لم تكن في تلك المرحلة مركزاً دينياً رئيساً تحمل اسم " كعبة نجران " كما سميت فيما بعد في المرحلة المسيحية. ونفس هذه الأهداف الاقتصادية كانت الدوافع لغزو الأحباش لليمن في المرحلة المسيحية في القرن السادس الميلادي، فقد تركزت غزواتهم في نفس المراكز التجارية في القرن الثالث الميلادي، ولم تكن الأسباب الدينية إلا مظهرًا يغلف الأهداف الاقتصادية الحقيقية.

المراجع ومصادر النقوش

- اليونسكو , ١٩٨٥
- اليونسكو، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الثاني، حضارات إفريقيا القديمة، إشراف جمال الدين مختار.
- عبد المنعم عبد الحليم سيد ٢٠٠١
- عبد المنعم عبد الحليم سيد، الآثار الباقية في الجزيرة العربية من عصور ما قبل الإسلام، الإسكندرية.
- عبد المنعم عبد الحليم سيد ٢٠٠٣
- عبد المنعم عبد الحليم سيد، "تطور الصلات بين اليمن والأحباش وأثرها في حضارة الأحباش" بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي، إصدار اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، العدد الحادي عشر لسنة ٢٠٠٣ ، ص ٢٩ - ٥٨.
- موسكاتى ١٩٨٥
- موسكاتى، سبنيثو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر، مراجعة محمد القصاص، القاهرة، ١٩٨٥ م.

Jamme 1962

= Jamme, A; Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib), Baltimore .

- Jamme 1966

= Jamme, A; Sabaean and Hasaen Inscriptions from Saudi Arabia, Rome.

- Kitchen, K. A; Documentation for Ancient Arabia, Part I, Liverpool, 1994 .

- اعتمدنا على هذا المرجع فى كتابة تواريخ حكم ملوك اليمن.

- Moberg 1922

= Moberg, A. The Book of the Himyarites, Lund.

- RÉS

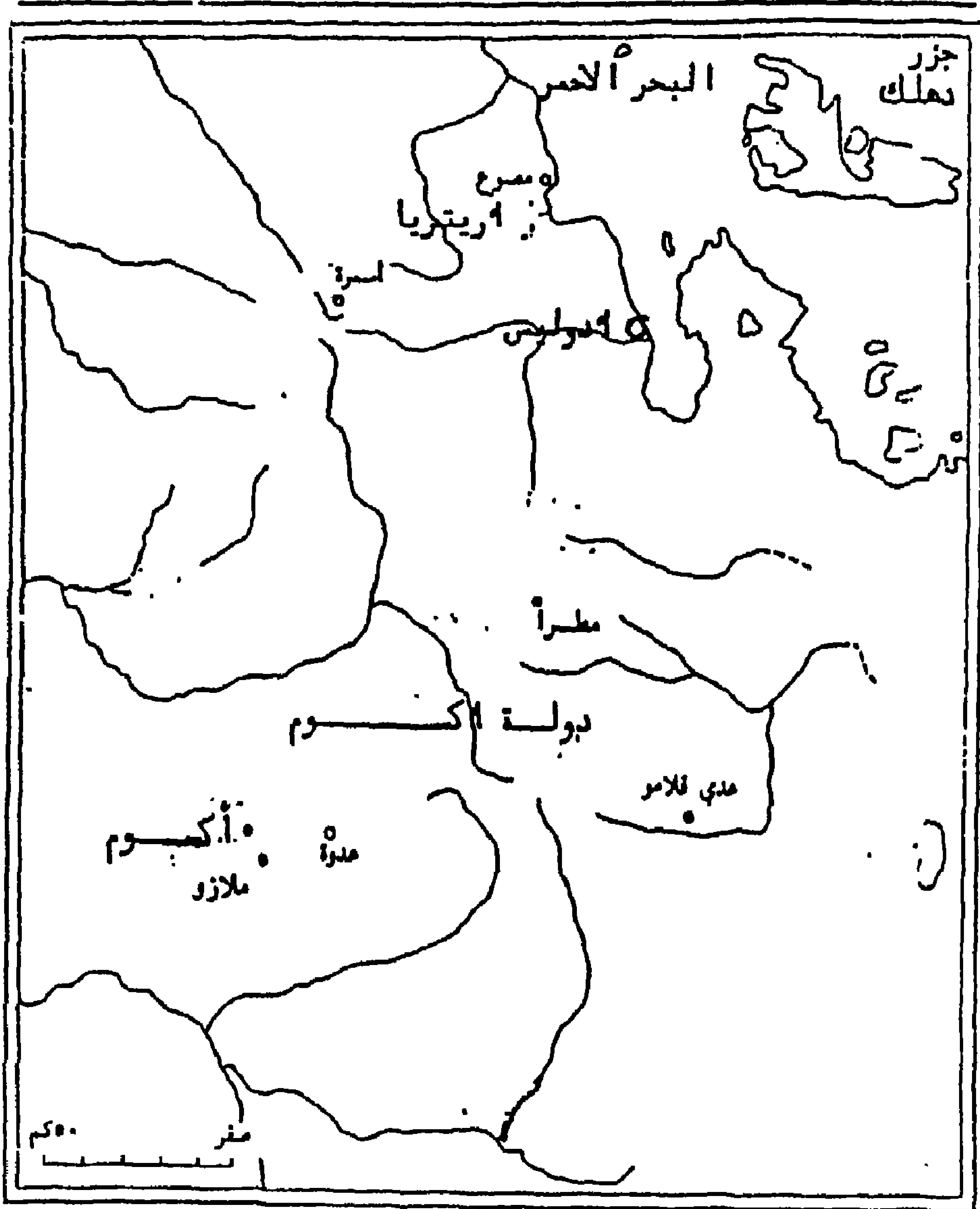
= Répertoire d'Épigraphie Sémitique, Paris.

- Ryckmans 1953 a

= Ryckmans, G., "Inscriptions Sud-Arabes", Le Muséon, 66, p. 295 f

- Ryckmans 1953 b

= Ryckmans, G., "Inscriptions Sud-Arabes", Le Muséon, 66, p. 280 f



خريطة رقم (١)

بيان مراكز عبادة إله القمر السبئي - مكة

في دولة أكسوم بالحشة في القرن الثالث الميلادي



(خريطة رقم (٣))

بيان مواقع جبال الكوكب وبئر حما بالنسبة لموقع مدينة نجران حيث نون القائد
 " أيل - شرح يقبل " النقوش الثلاثة التي تروى أخبار الصراع ضد الأحباش

اليمن ودورها في النشاط الحضاري

١ - البحر الأحمر وأهميته والدول المطلة عليه :

تعريف البحر الأحمر :

يرجع تسمية البحر الأحمر بهذا الاسم أنه قد اشتق من التغيرات اللونية في مياهه ، فعادة يكون لون البحر أزرق مائل إلى الخضرة ولكن البحر الأحمر نتيجة لوجود نسبة كبيرة من الطحالب التي يميل لونها إلى الأحمر بسبب عملية التمثيل الضوئي النشطة - بفضل المادة المكونة لأنسجتها - وهذه الطحالب عادة تكون قريبة من سطح البحر فينعكس لونها على مياهه فتظهر مائلة إلى الإحمرار (١).

وقد عرف البحر الأحمر منذ القدم (ببحر القلزم) ويبلغ طوله من السويس شمالاً حتى مضيق باب المندب حوالي ١٢٠٠ ميل (٢١٠٠ كيلو متر) ويبلغ متوسط عرضه حوالي ١٩٠ ميلاً بحرياً (٢) ، ويصل أقصى عرض له حوالي مائتين وثلاثين ميلاً . أما مساحته فتبلغ حوالي ١٦٩,٠٠٠ ميلاً مربعاً ، وتحيط به من الجانبين سلاسل من الجبال (٣).

* - دكتوراه في الحضارات الآسيوية (فنون وعمارة وآثار إسلامية) معهد الدراسات والبحوث

الآسيوية- جامعة الزقازيق .

وإذا استعرضنا تاريخ البحر الأحمر فإن أهميته في العصور القديمة والوسطى ليست بأقل من أهميته العظمى في عالم اليوم . فقد كان هذا البحر يمثل طريقاً من أهم طرق التجارة العالمية في تلك العصور ، ولم يكن يضعف من أهميته هذه وجود الطرق البرية المحيطة به والتي كانت تصل بين الشرق والغرب وإنما كانت تبرز هذه الأهمية تماماً حينما تتدهور تلك الطرق بينما يظل البحر الأحمر يزدهر بالحركة والنشاط على مر السنين .

الأهمية الجغرافية للبحر الأحمر :

لقد اكتسب البحر الأحمر أهمية استراتيجية واقتصادية كبرى للعالم كله حيث يمثل طريقاً بحرياً هاماً منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا ، والبحر الأحمر بما فيه من جزر منذ القرنين الخامس عشر والسادس عشر كان بحراً عربياً إسلامياً لكونه ضمن دار الإسلام التي شملت جميع شواطئ البحر الأحمر .

ومن هذا المنطلق فإن البحر الأحمر كان ولا يزال عاملاً للتنافس والتدخل الخارجى والصراعات المختلفة على مر العصور . كما إن خصائصه الاستراتيجية أغرت كثيراً من الدول القوية بمحاولة السيطرة عليه مما جعله موقعاً للتنافس والصراعات الدولية والإقليمية قديماً وحديثاً (٤).

ويتميز البحر الأحمر بين بحار العالم بموقعه الفريد لأنه من أهم البحار التي تربط بين العديد من البحار والقارات والأقاليم ، بل هو أهم أجزاء السلسلة الفقرية في الاستراتيجية البحرية التي تمتد من المحيط الهندي ثم الخليج العربي ثم البحر الأحمر فالبحر الأبيض المتوسط ثم المحيط الأطلسي (٥).

كما يتميز البحر الأحمر بأهميته العالمية وموقعه الفريد إذ إنه يقع عند ملتقى قارات العالم الثلاث آسيا وإفريقيا وأوروبا ، كما أنه يشكل حلقة الاتصال بين البحار الشرقية والبحار الغربية وقد ظل هذا البحر على مدى العصور المتعاقبة عاملاً فعالاً لربط البلاد المحيطة به بعضها ببعض ، إذ كان طريقاً للملاحة بينها ووسيلة لتسهيل التبادل التجارى والحضارى بين شعوب العالم (٦).

وقد نظر العلماء إلى حوض البحر الأحمر المتوسط باعتباره نقطة البدء لعبور الأجناس ، والالتقاء الأول فيما بينها على الصعيد الديمغرافى والحضارى وذلك بعد رحلة طويلة دامت آلاف السنين قبل أن تتشكل خارطة الأمم التي نراها اليوم . وقد ظلت شواطئ البحر الأحمر

رغم ذلك ، وفيّة لبداً التكافل بين البشر الذى سار عليه أجدادهم الأوائل فى عصور ما قبل التاريخ وتمسكوا من جانبهم بشرف الحفاظ على دور الوساطة بين حضارة الأمم وتأمين سلامة سريان التجارة العالمى وتبادل الإنتاج الفكرى والحضارى^(٧).

ملامح البحر الأحمر :

والواقع أن التحديد الجغرافى للبحر الأحمر من السويس إلى باب المندب هو تحديد مرتبط بالظاهرة الجغرافية البارزة الموجودة فى جنوبه وهو مضيق باب المندب ، أما البحر الأحمر تاريخياً فلا يمكن فصله عن خليج عدن وميناء عدن والساحل الصومالى ، كما لا يمكن فصله عن قناة السويس شمالاً ، فإذا ما نظرنا إلى خريطة البحر الأحمر بصورة عامة نجد أن أهم الملامح البارزة فيه هى قناة السويس ومضيق باب المندب وخليج عدن ، بينما تبرز عدة جزر متناثرة على طول البحر الأحمر تختلف درجة أهميتها من مجموعة لأخرى ، وهناك عدد من الموانئ الهامة على طول سواحل هذا البحر بالإضافة إلى ميناء عدن^(٨).

ويعتبر البحر الأحمر بمثابة حوض ضيق مستطيل من المياه يميل محوره فى اتجاه شمال شمال غرب إلى جنوب جنوب شرق ، حيث يفصل هذا البحر سواحل شبه الجزيرة العربية عن السواحل الإفريقية ، ويتفرع فى الشمال إلى خليج السويس والعقبة ، وتفصلهما شبه جزيرة سيناء ، كما يتصل البحر الأحمر بالبحر المتوسط عن طريق قناة السويس التى تمر بممر البحيرات المرة وبحيرة التمساح ويتصل بخليج عدن والمحيط الهندى فى الجنوب عن طريق مضيق باب المندب^(٩).

وقد ظل البحر الأحمر عاملاً فعالاً لربط البلاد المحيطة به ببعضها البعض وبغيرها من دول العالم فكان بذلك وسيلة تسهل عملية الاتصال والتبادل الحضارى والتجارى بين الدول المحيطة به ، كما أنه فى نفس الوقت يمثل المخرج الوحيد لبعض دوله الساحلية ، وبجانب الاستفادة من العمليات التجارية والملاحية فى البحر الأحمر كان أيضاً مصدراً للإثراء عن طريق فرض الرسوم الجمركية^(١٠) منذ القدم .

ومن المعروف أن البحر الأحمر من حيث طريقة تكوينه الجيولوجى الفريد قد تكون على طول خط عميق انفلقت فيه القشرة الأرضية وانفصل شرقها من غربها فإذا به بحرأ أخذودياً عميقاً له جرف قارى بالمعنى العلمى ، كما إن البحر الأحمر هو أكثر أجزاء الأخدود الإفريقى اتساعاً وأكبرها عمقاً ، وتحدد سواحله خطوط الصدوع من الجانبين كما تمتد الجبال والتي

تمثل جوانب الأخدود المرتفعة على كلا جانبي البحر من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب تاركة بينها وبين خط الساحل سهولاً ساحلية ضيقة تتركز بها مؤثرات البحر الأحمر المناخية من حيث ارتفاع درجات الحرارة وارتفاع معدلات الرطوبة النسبية (١١). وقد نشأت الصخور الهشة لليمن وشرق إفريقيا نتيجة للانبعاثات البركانية (١٢).

مناخ البحر الأحمر :

يعتبر مناخ البحر الأحمر من أكثر بحار العالم ارتفاعاً في درجات الحرارة والملوحة ، أما المنطقة الشمالية منه فمعتدلة نسبياً . وتزداد حرارة سطح البحر باتجاه الجنوب والغرب وتقل الملوحة والحرارة من الشمال إلى الجنوب . أما الرياح فهي موسمية غير مستقرة وتختلف حركة التيارات البحرية بين الشتاء والصيف (١٣). ونتج عن هذه الظروف المتمثلة في ارتفاع درجة الحرارة وارتفاع ملوحتها وصفائها - بسبب عدم وجود أنهار تصب في البحر - توفر الظروف الملائمة لنمو حيوان المرجان ، وتنتشر الحواجز والحلقات المرجانية في كل أنحاء هذا البحر من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، كذلك الحواجز المرجانية على طول السواحل وموازية لها .

أهم الدول المطلة على البحر الأحمر :

تطل على البحر الأحمر الجزيرة العربية وبلاد الشام ومصر والسودان وساحل الدناكل وساحل الصومال من الغرب ، والبحر الأحمر حوض شريطي الشكل يفصل بين كتلتين من القشرة الأرضية هما شبه الجزيرة العربية وكتلة شمال إفريقيا وهو يتصل من الشمال بالبحر الأبيض المتوسط عبر قناة السويس ومن الجنوب بالمحيط الهندي عبر مضيق باب المندب (١٤). ويتفرع البحر الأحمر إلى ذراعين الشمالي الشرقي هو خليج العقبة (١٥).

ويوجد عند التقاء خليج العقبة والبحر الأحمر مضيق تيران الغربي وهو الممر المائي الوحيد الصالح للملاحة وهو موازى لساحل سيناء شمال شرم الشيخ ، أما مضيق تيران الشرقي فتكاد تسد مجراه الصخور والحواجز المرجانية ولا يتجاوز عرضه ٨٠٠ متر . أما خليج السويس فيبلغ طوله من مدينة السويس حوالى ١٧٥ ميلاً ويتراوح اتساعه ما بين ١٠ - ١٢ ميلاً (١٦). وتوجد في قمته العديد من الجزر والتلوات الصخرية التي تجعل الملاحة فيه صعبة إلى حد كبير وتفصل بين خليج العقبة والسويس شبه جزيرة سيناء .

ونظراً لشكل البحر الأحمر المستطيل وشبه المقفل فإن له مداً وجزراً خاصان به يسيران غالباً في اتجاه عقرب الساعة ولكن ميعاد المد والجزر يختلف باختلاف الأماكن بل وقد لا يرتفع الماء أو ينخفض في بعض المناطق (١٧).

أهم جزر البحر الأحمر :

توجد في البحر الأحمر مئات الجزر التي تقع بالقرب من ساحليه الشرقي والغربي والقليل منها تقع بعيداً عن السواحل ، ومعظم هذه الجزر ضيق المساحة ، ونظراً لطبيعة البحر الأحمر الأخدودية وما صاحبها من نشاط نارى فإن بعض هذه الجزر من الصخور مما يدل على هذا النشاط النارى وخاصة الصخور البركانية في عدد من جزر البحر الأحمر . ويوجد حوالى ٣٧٩ جزيرة على البحر الأحمر معظمها جزر صغيرة جداً بمعدل ١ ، ٢ جزيرة كل ميل مربع من السطح المائى (١٨). ومعظمها يقع في الجزء الجنوبي من البحر . وأهم هذه الجزر هي بريم ومويلة الواقعتان داخل مضيق باب المندب وتتلوهما جزيرتا تيران وصنافير الواقعتان عند مدخل خليج تيران المفضى إلى خليج العقبة ، وتقع جزر جوبال عند مدخل السويس وأكبر جزيرة عند خليج السويس هي جزيرة شدوان .

وهناك جزيرة حالب أيضاً تقع في خليج عصب عند الطرف الجنوبي من الساحل الإريتري وهي تلى جزيرة بريم وفي شمال جزيرة حالب جزيرة فاطمة ويقع أرخبيل حنيش شمال حالب وأكبر جزر هذا الأرخبيل هي جزيرة حنيش الكبرى وجزيرة رقر التي تتميز بقيمة استراتيجية عالية بفضل ارتفاعها الذي يتيح إمكانية مراقبة ورصد الأنشطة البحرية التي تجرى في المياه المحيطة بها .

ويعد حوض البحر الأحمر وجزره المرجانية الرائعة وشواطئه الرملية الجميلة ومدنه الحاملة نقلة حضارية هامة بالنسبة لعلماء الأجناس وطبقات الأرض ، وقد نظر العلماء إلى حوض البحر الأحمر باعتباره نقطة بداية لعبور الأجناس المختلفة من شتى بقاع العالم .

ويجدر الإشارة هنا إلى أن طريق الخليج العربى لم تنجح في منافسة طريق البحر الأحمر وهذا يعود إلى أن طريق البحر الأحمر أقصر مسافة من طريق الخليج العربى إضافة إلى صعوبة طريق الخليج المتمثلة في المرحلة البرية القاسية التي كانت تقطعها قوافل التجارة في أعالي دجلة والفرات إلى حلب وفيها إلى موانئ البحر المتوسط ، كما أن الملاحة في الخليج كانت تتعرض لأخطار القرصنة (١٩).

ويمكن تصنيف أهمية البحر الأحمر واليمن فى الآتى :

١ - الأهمية التاريخية السياسية من حيث أن البحر الأحمر كان همزة الوصل بين إقليم اليمن وبين العالم المحيط به وبالأخص الأقطار العربية والإفريقية ، والعالم الخارجى فى الشرق والغرب .

٢ - الأهمية الاستراتيجية من حيث أن اليمن يسيطر على المنفذ الجنوبي للبحر الأحمر المعروف بباب المنب والذى يقع بين الزاوية الجنوبية الغربية لشبه جزيرة العرب وبين إفريقيا ويربط البحر الأحمر بخليج عدن والمحيط الهندى . وتشطر جزيرة ميون اليمنية هذا المجرى المائى إلى قناتين ، قناة شرقية عرضها حوالى ميلين وعمقها أقل من مائة قدم ، وقناة غربية عرضها تسعة أميال وربع وعمقها يقارب ألف قدم . وتجرى الملاحة عملياً عبر القناة الغربية على طريق يبعد مسافة ميلين عن جزيرة ميون وسبعة أميال عن الساحل الإفريقى .

٣ - الأهمية الاقتصادية : فقد كان للبحر الأحمر الأثر الكبير فى الحركة التجارية النشطة لليمنيين عبر العصور التاريخية المختلفة . كذلك الدور الكبير الذى لعبوه فى التبادل التجارى بين الشرق والغرب كما أن وجود الثروة السمكية فى هذا البحر قد أدى إلى انتشار القرى الصغيرة على الساحل والتى يعمل سكانها فى صيد الأسماك (٢٠).

٢ - اليمن جغرافياً وأهمية موقعها عند المدخل الجنوبى :

الشخصية الجغرافية لليمن :

لكل دولة من دول العالم شخصيتها الجغرافية التى تميزها عن غيرها من سائر الدول والتى تتج عنها تفاعل دؤب على مر العصور بين الإنسان والبيئة . واليمنيون كشعب دؤب فى كفاحه استطاعوا أن يستثمروا البيئة التى عاشوا فيها فوق أرض اليمن إلى درجة أثارت الإعجاب وأن بينوا لهم فيها حضارة من أعرق الحضارات وأقدمها وأن يحملوا هذه الحضارة إلى شعوب أخرى كانت تعيش خارج حدودهم فكانوا بحق رسل حضارة وثقافة لهم شخصيتهم الجغرافية البارزة .

أهمية الموقع الجغرافى لليمن :

تتميز اليمن بموقع جغرافى على جانب عظيم من الأهمية فوقوعها فى الطرف الجنوبى من الجزيرة العربية عند نقطة تقترب فيها القارة الآسيوية من قارة إفريقيا ولا يفصل بينها إلا

شقة بحرية ضيقة هي بوغاز باب المندب جعلها حلقة اتصال بين القارتين ومعبراً تجتازه الجماعات البشرية على مر العصور ابتداء من عصر ما قبل التاريخ حتى اليوم فعن هذا الطريق عبرت الجماعات الإفريقية إلى جنوب الجزيرة العربية ومنه تسربت على طول السواحل الجنوبية لقارة آسيا (٢١).

وتطل اليمن على بحرين هامين هما البحر العربي وخليج عدن اللذان يجاورانها من ناحية الجنوب والبحر الأحمر الذي يجاورها من ناحية الغرب . وكان هذان البحران ولا يزالان طريقاً للملاحة الدولية تمر به التجارة بين الشرق والغرب وهو طريق رئيسى من الدرجة الأولى وطالما تنافست على التحكم فيه الدول العظمى من أيام البطلمة إلى وقتنا الحاضر .

أما البحر الأحمر فيربطها بالعربية السعودية والحبشة كما يربطها بمصر وبلاد الشام وارتباطها بالسعودية ارتباط قديم وكانت الصلات دائمة بين موانئ موزع والمخا والحديدة وبين ميناء جدة ، فكثير من الغلات الزراعية كانت تنقل من اليمن إلى السعودية عن طريق البحر وكذلك وفود الحجاج التى تأتى إليها كل عام .

تقع اليمن بين خطى عرض ١٢ ، ١٩ شمالاً وبين خطى طول ٤٢ ، ٥٣ شرقاً . أما الموقع الجغرافى لليمن فقد أعطاها استراتيجية كبيرة ، فهي تطل على جهتين هما : البحر الأحمر فى الغرب وخليج عدن والبحر العربى والمحيط الهندى فى الجنوب ، وكذلك فإن اليمن تحتل نقطة التقاء جغرافى هامة بين قارتى آسيا وإفريقيا (٢٢) .

وقد جعل هذا الموقع الجغرافى لليمن وضعاً يؤهلها للتحكم فى الملاحة البحرية من وإلى البحر الأحمر ، مما هبأ لها أن تلعب دوراً فى تاريخ التجارة الدولية القديمة ، فمن مظاهر استغلال اليمنيين لموقع بلادهم هو إرساء العديد من الصلات البشرية والاقتصادية مع العالم الخارجى مثل مصر وسواحل شرق إفريقيا وجنوب شرق آسيا .

والواقع أن ارتباط اليمن بمصر كان ارتباطاً وثيقاً منذ العهدين المعينى والسبأى ، فكانت تجارة البخور والمر رائجة فى مصر والتى كانت تحملها القوافل اليمنية قديماً وكانت تجد طريقها إلى مصر بمد مياه البحر الأحمر وكانت تتلقاها الموانئ المصرية العديدة التى قامت على سواحل البحر الأحمر منذ الأزمان القديمة .

أما ارتباط اليمن بالحبشة فيتمثل بصورة واضحة فى خضوع الحبشة يوماً لحكم اليمن وخضوع اليمن لحكم الأحباش وهو ارتباط وثيق يدل عليه الأعداد الكبيرة من اليمنيين الذين يعيشون الآن فى الحبشة ، ومن الأحباش الذين يعيشون الآن فى اليمن .

الأهمية الاستراتيجية لليمن :

الواقع أن أهمية موقع اليمن الجغرافى أعطاهما إمكانية التحكم فى بوغاز باب المندب هذا المضيق الذى يفصل بين اليمن والحبشة ، وقديماً أعطى هذا المضيق نوعاً من الارتباط بين اليمن والحبشة ، كما أن باب المندب كان بمثابة المعبر الذى ظلت تجتازه الجماعات البشرية على مر العصور ، والموقع الجغرافى اليوم لا يقل أهمية عنه بالأمس حيث ازدادت أهميته بعد افتتاح قناة السويس ثم اكتشاف البترول فى منطقة الخليج العربى وأخيراً فى اليمن . كل هذا ساعد على الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية لليمن (٢٣).

وبعد البحر الأحمر جزءاً من المحيط الهندى الذى يربط القارتين الآسيوية والإفريقية وفى جنوب آسيا ربط المحيط الهندى بين اليمن والحضارة وبين بلاد الهند وسيلان وأندونيسيا بل ربطهم ببلاد الصين . وعن هذا الطريق كانت تحمل التجارة بينها ومن زمن قديم وعنه انتشر الإسلام فى البلاد الآسيوية على يد العناصر اليمنية والحضرية .

أما فى إفريقيا ربط المحيط الهندى بين اليمن والعمانيين وبين الإفريقيين على طول الساحل الشرقى ابتداء من الرأس الإفريقى فى الصومال عبر زنجبار حتى موزمبيق ومدغشقر، ومما يزيد من أهمية الموقع البحرى لليمن أنها تتحكم فى بوغاز باب المندب الذى تمر به كافة السفن العالمية التى تمر بقناة السويس . والواقع أن هذه السفن جميعاً تمر فى المياه الإقليمية لدولة اليمن (٢٤).

والواقع أن اليمنيين نجحوا نجاحاً عظيماً فى استغلال موقعهم الجغرافى سواء فى تلك الجبهة البحرية التى جعلت منهم بحارة مهرة ، والجبهة البرية التى جعلت منهم حملة لتجارة القوافل وحماة لها . وهكذا تحكموا فى التجارة البحرية والبرية وجنوا منها أرباحاً طائلة كانت الرخاء الذى نعم به اليمنيون زماناً طويلاً ثم علاقاتهم الواسعة بمواطن الحضارات القديمة ومهبط الديانات السماوية جعل اليمنيين يحتضنون الديانات السماوية التى ظهرت فى شمال الجزيرة العربية .

وقد احتكر التجار اليمنيون التجارة لفترة طويلة تقدر بـ ١٥ قرناً من الزمان ، وكان المحيط الهندى مجالاً واسعاً للتجارة حيث امتد نشاط التجار اليمنيين إلى جزر الهند الشرقية (أندونيسيا) وماليزيا ، حيث أسسوا مراكز تجارية عظيمة لا سيما فى جزيرة جاوة .

واستفاد الملاحون اليمنيون من حركة الرياح الموسمية الشمالية الشرقية شتاءً والرياح الموسمية الجنوبية صيفاً ، فقد كان لهم رحلتان سنوياً ، رحلة الصيف إلى جنوب آسيا ورحلة الشتاء وهي رحلة العودة إلى اليمن .

لماذا سمي اليمن بهذا الاسم :

لقد اختلف الإخباريون في تفسير مدلول اسم اليمن : فإن الكلبي يعلل تسميتها بهذا الاسم بأن أقطن بن عابر(*) نزل في موضع اليمن فقال العرب تيمن بنور يقطن . وذكر ابن عباس أن اليمن سميت يمتاً لأنها تقع على يمين الكعبة وهو اليمن بخلاف الشام الذي سمي شاماً لوقوعه على شمال الكعبة . وقيل أيضاً أن اليمن سمي يمتاً ليمنه والشام شاماً لشؤمه . ويرد ياقوت على ذلك : " يتامن الناس فسموا اليمن ، لأن الكعبة مربعة ، فلا يمن لها ولا يسار ، فإذا كانت اليمن عن يمين قوم كانت عن يسار آخرين ، وكذلك الجهات الأربع إلا أن يريد بذلك من يستقبل الركن اليماني فإنه أجلبها ، فإذا يصح (٢٥) .

والواقع أن بلاد اليمن لم تكن تعرف بهذا الاسم ، ولا بهذا المعنى أو بذاك فقد ورد اسم اليمن في نصوص سبأ القديمة باسم يمنات ويمنيت ، ومن البديهي أن اسم اليمن اشتق من يمنات . ولعل يمنات تعني اليمن والخير ، فلقد كانت بلاد اليمن في أقدم عصورها التاريخية بلاداً كثيرة الأشجار والثمار والزرع حتى أنها عرفت لذلك السبب باليمن الخضراء (٢٦).

٣ - اليمن عبر العصور التاريخية :

أ - الدور الإسلامي :

عندما جاءت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وقام بتبليغها ، كان الأوس والخزرج وهما من القبائل اليمنية التي استوطنت المدينة في أرض الحجاز أول من آمن به وتعهده في نشر

(*) قال قوم : سمي باليمن بن أقطن بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح النبي عليه السلام ، وهو قطر المبارك عظيم البركة جاءت فيه الآثار النبوية على الناطق بها أفضل الرضوان منها : " الإيمان يمان والكعبة يمانية لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن " وقوله صلى الله عليه وسلم : " جاكم وفد اليمن أرق قلوباً وألين أفئدة " . وفائدة هذا الحديث أن من رق قلبه ولان فوائده كان أسرع قبولاً للإيمان ، ولذلك إنهم آمنوا بوصول معاذ بن جبل ، وشاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم . (ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مجلد ٥ ، ص ٤٤٧) .

الإسلام وعندما دأى النبي صلى الله عليه وسلم إلى الجهاد وقام بغزواته المعروفة بل وعندما دعا حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم من بعده إلى القيام بالفتوحات الإسلامية المختلفة كان اليمنيون هم أول من لبى نداء الجهاد وأبلوا في سبيله بلاء حسناً (٢٧).

والواقع أن انتشار الإسلام في ربوع الجزيرة العربية ومن بعد ذلك في البلاد الإسلامية الواسعة يدين بالكثير إلى جهود القبائل اليمنية التي تحمست له وبادرت إلى رفع راتبه في كل مكان . وليس ذلك غريباً على المجتمع اليمني ، فتلك هي طبيعته لأنه شعب متدين منذ القدم ، فلقد احتضن الديانات السماوية جميعاً وتحمس لها كما احتضن من قبل عبادة الكواكب والنجوم . ففي عهد الحضارات اليمنية القديمة عبد اليمنيون الشمس والقمر وأقاموا لها المعابد ، ثم بعد ذلك عبدوا الأصنام وأقاموا لآلهتها النصب والتماثيل (٢٨).

واعتنق اليمنيون اليهودية والمسيحية كذلك ، إلى أن ظهرت دعوة الإسلام لبى النداء اليمنيون من كان يقيم منهم في اليمن نفسها أو خارجها . وكان سبيلهم في ذلك إما الجهاد أو التجارة ، ففي سبيل الجهاد أسهم اليمنيون ، وهم شعب محارب بطبيعته ، في فتح الشام تحت قيادة خالد بن الوليد ، وفي فتح العراق تحت قيادة سعد بن أبي وقاص ، وفي فتح مصر تحت قيادة عمرو بن العاص ، وفي فتح شمال إفريقية وبلاد المغرب وأسبانيا تحت قيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد ، وفي هذه الفتوح جميعاً كان للمعنيين دورهم الهام .

ومن القبائل اليمنية الرئيسية التي أسهمت إسهاماً فعالاً في الفتوح الإسلامية قبائل حمير وهمدان وفدج والأزد والأشاعر وزبيد ومراد .

ومنذ مئات السنين قبل ظهور الإسلام لم تكن تعرف في شبه جزيرة العرب دولة أو مجموعة من الدول باسم اليمن . كانت الأسماء السائدة في المراجع القديمة القبائل الحاكمة أو ذات السلطان العريض ، فعرفت دولة معين ودولة سبأ ودولة حمير في جنوب شبه جزيرة العرب وعرفت دولة الأنباط في غربي شبه الجزيرة إلى الشمال والكلدانيون أو بنى خالد في شرقي شبه الجزيرة العربية (٢٩).

والدراسة الأركيولوجية الحديثة لإقليم مأرب تبين أن ملوك دولة سبأ في القرن الرابع قبل الميلاد كان من بين ألقابهم (ملك سبأ ونو ريدان وحضرموت واليمانان أى اليمن) ولكن موقع اليمن والمنطقة التي أطلق عليها هذا الاسم كانت غير معروفة (٣٠).

اليمن المهد الأول للحضارة :

كانت اليمن الحقل الصالح لولادة الإنسان الأول، ولنا أن نتخيل تحت أضواء نواميس التكوين أن اليمن شهدت تطورات هذا الإنسان بخطى منظمة نحو مدنية العالم القديم التي تركت لنا الكتب المقدسة ، منها قصة آدم ونوح عليهما السلام والطوفان والسفينة وما حملته من كل زوج اثنين وأن قوم نوح اتخذوا آلهة ودا وسواعاً ويغوث ويعوق ، وغمرة الماضي بطوفان النسيان ، ماعدا ما حفظته الكتب المقدسة المسجلة لعروبة ذلك العهد بأسمائه وتقاليده وحضارته (٣١).

وقد عرفت بلاد اليمن قديماً بتجارة العطور والبخور والطيوب والمر والصمغ والكافور ، وكان لمنتجات اليمن سوق رائجة في مصر الفرعونية ، إذ كان المصريون يستخدمون اللبان اليمنى والصومالي مع البخور في المعابد ، كما كانوا يستخدمونه في تحنيط جثث الموتى ، وبالإضافة إلى قيام أهل اليمن بتصريف منتجاتهم الوطنية فقد كانوا يعملون وسطاء للتجارة بين الهند وبلاد العراق والشام ومصر ، فعن طريق اليمن كانت لآلئ الخليج الفارسي ، والتوابل والسيوف الهندية والحريز الصيني والعاج والذهب الأثيوبي تصل إلى مصر والشام والعراق (٣٢).

وكانت لمواسم التجارة ارتباطاً وثيقاً باليمن لتمييزها بموقعها التجاري الهام بأسواق موسمية معروفة مكاناً وزماناً داخل اليمن أو خارجها ، بالإضافة إلى الأسواق المحلية ، وكانت طرق القوافل التجارية تخترق اليمن شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ومن ثم كانت لقريش رحلتا الشتاء والصيف النورية التي لم تختلف عنها إلا بعد أن نشب الصراع بين الإسلام وبين قريش ممثلة للجاهلية العربية ، بالإضافة إلى شخصيات قرشية تجارية هامة كانت ذات علاقة وطيدة بشخصيات تجارية يمانية (٣٣).

والواقع أن الأسواق التجارية ليست للبيع والشراء فحسب بل كانت منتديات عامة تجرى فيها كل شئون القبائل التجارية والسياسية والإدارية والأدبية والاجتماعية .

والعلماء في وصف اليمن وما فيه من آثار ومصنفات جمّة ، ليس هذا موضع إيرادها . ومدينة اليمن صنعاء ، لأنها كانت في الصدر الأول والعصر المتقدم كرسى ملك التبابعة ، فكل من ملك حضرموت إلى حجة ، وما وراء ذلك سمي تبعاً ، ووقع اصطلاح أهل ذلك العصر أن

كل من ولي مصر سمي فرعون ، وكل من ولي فارس سمي كسرى ، وكل من ولي الروم سمي قيصرًا ، وكل من ولي اليمن سمي تبعًا ، وكل من ولي الحبشة سمي النجاشي (٣٤).

وتنظرًا لاختلاف التضاريس في اليمن ، فإن هناك تباينًا كبيرًا في الأحوال المناخية فعلى الهضبة تنخفض درجات الحرارة شتاءً إلى أقل من ٥ مئوية حيث يتكون الصقيع أما في الصيف فتكون درجات الحرارة مرتفعة وذلك بسبب قربها من خط الاستواء .

وتصل كمية الأمطار التي تسقط سنويًا على هضبة اليمن إلى ما يزيد على ٢٠ بوصة ولكنها قد تصل إلى ٤٠ بوصة في القمم العليا حيث تسقط الأمطار بغزارة وتتميز المنطقة الزراعية في اليمن بمحصولين رئيسيين هما البن والذي تزرع أشجاره على مرتفعات تصل إلى ١٦٠٠ متر - والقات التي أصبحت شجرته منافسًا خطيرًا للبن، والقات *Gatha adulis* شجرة تشبه شجرة الشاي إلى حد كبير والذي يصل طولها إلى ٣ أمتار وتمضغ أوراق هذا النبات التي تحتوى على سائل شديد التخدير مثل الكحول ، وينتشر مضغ القات في اليمن بين كل فئات الشعب ، ولذلك تنتشر زراعته في مساحات واسعة في البلاد ، وقد وجد طريقه كسلعة تصدير إلى الخارج ، ومن هنا بدأ كمنافس شديد لشجرة البن (٣٥). وخاصة أن زراعته لا تحتاج إلى مجهود كبير بعكس البن ، ورغم زراعته في كل مناطق اليمن إلا أنها تتركز حول منطقة تعز في الجنوب الغربي .

الملاحة والتجارة البحرية في اليمن :

المصريون هم أول من شق عباب البحر الأحمر طلبًا للبان والمر وطلع أخرى وتعد أقدم تلك الرحلات حين أرسلت الملكة حتشبسوت بعثتها الشهيرة إلى بلاد بونت وهي البعثة التي خلقتها نقوش دير البحري في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد .

والواقع أن الرحلات البحرية في ذلك الوقت كانت تغلب عليها صفة الاستطلاع وتحف بها مخاطر جمة ، ولم تصبح بديلاً للتجارة البحرية التي أحكم اليمنيون قبضتهم عليها ، كانت محاولات الإبحار القديمة في البحر الأحمر تهدف ، فيها يبدو إلى اختصار الطريق البري بين مصر وبعض أجزاء من إفريقيا الشرقية لاستجلاب بضائعها المرغوبة ، ومن هنا جاءت مشاريع ربط النيل بالبحر الأحمر . أما السلع العربية والشرقية فكانت تأتي بحرًا إلى مينائي قنا وعدن ثم تحمل على الجمال برًا إلى سواحل فلسطين (٣٦).

ومن ثم فإن أى نشاط بحرى لليمنيين فى ذلك الوقت لابد وأنه كان محصوراً بالضرورة فى الأجزاء الجنوبية من البحر الأحمر وفى البحر العربى والخليج العربى لجلب البضائع الإفريقية والشرقية إلى موانئهم ثم نقلها إلى الشمال على قوافلهم ، وهكذا فلم تؤثر محاولات استخدام البحر الأحمر من قبل الشعوب الأخرى على تلك التجارة ومن بينها ماولة داريوس (٥٨٥ - ٤٢١ ق.م) إعادة شق القناة التى تربط النيل بالبحر الأحمر إبان احتلال الفرس لمصر (٣٧).

لقد ظلت اليمن خلال القرون الأربعة الأخيرة على الأقل تشكل قلعة حصينة أرضاً وشعباً وتراثاً ، امتنعت على كل المحاولات التى بذلك للسيطرة أو التأثير فيها ، سواء من جانب قوى إسلامية أو عربية أو حتى أوروبية غربية . ووقفت بذلك موقفاً فريداً ربما اقتصر عليها دون غيرها من بلدان العالم العربى الحديث من مشرقه إلى مغربه (٣٨).

ب - الدور الحضارى :

اليمن مركز من مراكز الحضارات القديمة فى العالم :

فى الألف الثانى قبل الميلاد قامت حضارة راقية فى أرض اليمن ، كانت تركز على التجارة فى المقام الأول ثم على الزراعة ، أما عن المراحل التى سبقت ذلك والتى تدرجت فيها هذه الحضارة العريقة وتطورت حتى بلغت أوجها ، فقد وصلت الحضارة اليمنية إلى أوج عظمتها فى بداية الألف الأول قبل الميلاد فى عهد الملكة بلقيس عندما تم لقاءها مع نبي الله سليمان ، وكانت هذه الحضارات معاصرة للحضارات القديمة التى قامت فى مصر والعراق والحضارتين الإغريقية والرومانية فقامت بينهم جميعاً صلات تجارية وثيقة كان اليمنيون هم حملتها .

وأولى الحضارات اليمنية ازدهرت فى عهد المعينيين فيما بين عامى ١٤٠٠ و ٨٥٠ ق.م. وكان قيامها على مشارف الصحراء فى الطريق الشرقى فى أرض اليمن فيما يعرف حالياً بوادى الجوف حيث يمتد طريق القوافل التى كانت تحمل التجارة من جنوب الجزيرة إلى مراكز الحضارات القديمة فى الشمال (٣٩).

وبعد المعينيين حمل السبأيون شعلة الحضارة اليمنية فيما بين عامى ٨٦٥ ، ٥٤٠ ق.م. وكانوا كالمعينيين حملة التجارة وحماة لها ، فازدهرت فى عهدهم ازدهاراً عظيماً ونهضت فى ظلها حركة الإنشاء والتعمير كما نهضت الزراعة التى كانت تعتمد على قنوات الري وإقامة السدود التى يعتبر سد مأرب العظيم أهمها (٤).

وبعد السبائين تعهد الحميريين الحضارة القديمة فيما بين عامى ١١٥ ق.م. و ٥٢٥ م فتتأبعت ازدهارها ولكنها فى أواخر أيامها أصابها الوهن والاضمحلال ، وفقدت التجارة أهميتها بعد أن هجرت طريق القوافل الذى كان يمتد عبر الأرض اليمنية وتحولت إلى طريق البحر الأحمر على يد البطالمة والرومان كما تدهورت الزراعة بعد انهيار سد مأرب العظيم ، وهكذا تعرضت بلاد اليمن للغزو الخارجى على يد الأحباش تارة والفرس تارة أخرى (٤١).

دولة معين :

تعتبر دولة معين من أقدم الممالك اليمنية وأكثرها جهالة عند المؤرخين الإسلاميين لعدم ورود ذكرها فى القرآن الكريم ، أما المؤرخين اليونانيون فلم يعرف مما سجلوه عنها إلا القليل ، وقد بقى تاريخ هذه الدولة مجهولاً حتى عام ١١٤٧ هـ / ١٧٦١ م ، حينما بدأ المستشرقون يتعاقبون على اليمن سعياً وراء البحث ودراسة الآثار اليمنية القديمة وفى مقدمتها كارسطن ينبور الدنماركية ، والدكتور ستيرن الإنجليزى ، ثم الضابط الإنجليزى جميز ويليد وغيرهم .

وقد عثر هؤلاء المستشرقون على نقوش معينة مكنتهم من معرفة بدء قيام هذه الدولة واستمرار بقاها ، وتاريخ انقراضها وأبانت دراستهم من النصوص التى عثروا عليها فى خرائب الجوف وكخربة (معين) و (براقش) و (كمن) و (نشق) و (ناعط) و (هران) وأن مدينة قرناو كانت العاصمة الأولى لدولة معين وأن مدينة (معين) كانت العاصمة الثانية ، وتقعان فى المنطقة الشرقية مما يلى الجوف (٤٢).

وقد أشار هاليفى الذى عثر على أكثر من ثمانين نقشاً معينياً إلى أن هذه المنطقة هى أغنى بقعة فى الجزيرة العربية بالآثار ، وذهب المستشرق فيلبى إلى أن عدد ملوك معين ٢٢ ملكاً ويتكون من خمس سلالات وأن الحكم فيها كان وراثياً .

وكانت دولة معين أقرب الدول الجنوبية اتصالاً بالمناطق الشمالية فى شبه الجزيرة العربية ، ونشأت فى الجوف الجنوبى فيما يمتد بين حدود حضرموت وبين نجران ، وانتفعت معين بسهل متسع يمدّه بالخصوبة ومياه الرى وادى الخارد وفروعه .

واتخذت الدولة المعينية عاصمتها فى مدينة (قرناو « خربة معين الحالية ») فى شرق الجوف وقد ثبت مسطيلة فى مساحة صغيرة نسبياً وتبلغ مائة ألف متر مربع ، وسورت بسور ضخمة ذى مدخلين تحميها الأبراج الحجرية وبقي جزءاً من البرجين الذين يحفان بمدخلها الشرقى وقام إلى جانب العاصمة معبد كبير رددت النصوص المعينية اسمه وهو معبد

(رصم) ولا زالت بقية من أعمدته ونقوشه وزخارفه قائمة تشهد بكفاءة أصحابها حتى الآن (٤٢).

وقد تعاقبت على حكم معين خمس أسرات حاكمة لم تحتفظ النصوص الباقية بالألقاب حكامها الأوائل ولكن يرجع الباحثون أن سلطاتهم بدأت بنفس الصيغة الدينية التي ظهرت عند جيرانهم فتلقب كل منهم بلقب (مزود) ربما يعنى من يزود المعبد بقرابينها ، واعتمد هذا الترجيح على بقاء مزود ضمن ألقاب حكام معين المتأخرين بعد أن تلقبوا بالألقاب الملوك (٤٤).

ومنذ عام ١٩٧٥م صدر عن مركز الدراسات الشرقية بمدينة (نابولى) الإيطالية مدونة للنقوش المعينية جمعها ونسقها عالم إيطالى اسمه (جيوفانى جاريبى) وتضم تلك المدونة (٤٦٧) نقشاً هي كل حصاد نقوش منطقة الجوف ، وقبل هذا الجهد المفيد بحوالى مائة عام تمكن العالم الفرنسى (جوزيف هاليفى) من زيارة الجوف ونقل إلى المهتمين أول أخبار عن آثار الجوف ونقوشه ولأول مرة فى العصر الحديث بدأت معين تحتل مكانها فى صفحات تاريخ اليمن القديم دولة وحضارة (٤٥).

واستناداً إلى قلة عناية المؤرخين العرب مقارنة بما ذكروه عن سبأ وحمير استنتج العالم النمساوى (جلازر) فى مطلع هذا القرن أن سبب ذلك هو تقادم العهد على دولة معين ولذلك فمعين هي أقدم الدول اليمنية القديمة ، ودعم رأيه ذاك بما ورد فى نقش صراوح السبى فى ذكر مدن نشان ونشق وغيرها من الجوف منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، ورسخ هذا الرأى الرحالة الإنجليزى " فيليبى " فى منتصف هذا القرن عندما نشر قوائم ملوك معين وافترض القرن الثانى عشر قبل الميلاد بداية لذلك .

وقد تعود الناس بعد ذلك على الأخذ برأى " جلازر " وبقيت معين فى أذهانهم إلى اليوم أقدم الدول اليمنية القديمة . ونشر عالم ألمانى معنى بدراسة اليمن القديم ونقوشه منذ فترة قريبة مقالاً تناول معين ، واعتبر أن كتابة " تاريخ معين " أشد تعقيداً من كتابة تاريخ أية دولة يمنية قديمة ، ومن أسباب ذلك صعوبة إزاحة الاعتقاد الشائع بأن معين أقدم الدول اليمنية القديمة ، على أن السبب الرئيسى هو توقف الكشف الأثرى فى منطقة الجوف (٤٦).

دولة سبأ :

بعد انقراض دولة معين قامت على أنقاضها دولة سبأ أو مملكة سبأ (٤٧) وقد سميت باسم مؤسسها الأول عبد شمس سبأ بن يشجب يعرب بن قحطان بن عابر (٤٨) وهو الذى بنى السد

المعروف بسد مأرب " العرم " وسمى سبأ لكثرة سببيه^(٤٩) وهذا هو النسب الصحيح لسبأ حسبما ذهب إليه الكثير من المؤرخين الإسلاميين وغيرهم ، وأكد على ذلك عثور بعض المستشرقين على هذا النسب حرفياً منقوشاً في صحيفة من النحاس في إحدى الخرائب اليمنية حسبما أثار الدكتور جواد على في كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام) (٥٠).

ويعتبر تاريخ سبأ هو عمود التاريخ اليمنى القديم ، وتكوينه السياسى الكبير وما تلك الدول التى ذكرت معها سوى تكوينات سياسية معاصرة لفترات سبأ ، انفصلت منها أحياناً واندمجت فيها أحياناً أخرى مثل دولة معين وأوسان وقتبان وحضرموت ودويلات المرتفعات ، أو اتحدت معها لتكون دولة واحدة كدولة حمير .

وأقدم الشواهد التاريخية تذكر سبأ ، وأطول صراع وأعنفه دار فى اليمن قديماً كان حول اللقب الملكى : ملك سبأ وذى ريدان وعندما حسمت حمير الصراع فى أواخر القرن الثالث الميلادى لم يسم ملوكها أنفسهم بملوك حمير وإنما بملوك سبأ وذى ريدان ، وذو ريدان هم حمير ، ورغم أن حمير كانت هى الغالبة على حكم اليمن إلا أن سبأ تصدرت ألقاب ملوكهم تأكيداً لتلك الحقيقة .

ويرجع تاريخ سبأ إلى عام ٧٢٠ ق.م. فى نص آشورى فى عهد الملك سرجون الثانى الذى أشار فيه أنه تسلم هدية من الذهب والأحجار الكريمة والأعشاب من " يثامر " الذى هو المكرب السبئى المعروف يثع أمر ، كما ورد ذكر المكرب كرب إيل فى نص آشورى آخر يعود إلى عهد سنحاريب أى حوالى عام ٦٩٥ ق.م. وذكر فيه أنه حين احتفل بوضع حجر أساس " بيت أكيثو " وقد يكون معبدًا أو حصنًا أو قصرًا ، استقبل مندوباً عن الحاكم السبئى " كريبي إيلو " حمل إليه الهدايا من المعادن الثمينة والأحجار الكريمة والطيوب (٥١).

والواقع أن الشواهد المنقوشة من حضارة سبأ لاتزال قليلة ولا تعنى بحاجة الباحث كما أن الدلائل الأثرية الموجودة مازالت قاصرة خاصة إذا علم أن حصيلة العلماء من معلومات أثرية هى نتيجة مسح غير كامل وقد وجدت عن طريق الصدفة .

ويعتبر أقدم ذكر لسبأ ورد فى التوراة ويصاغ مختلفه حوالى ٢٣ مرة منذ القرن العاشر قبل الميلاد ، وتشير الدلائل الحبشية إلى أن هجرة بعض قبائل اليمن إلى الحبشة وإبان الدولة السبئية كانت فى حوالى منتصف الألف الأول قبل الميلاد ، وذكرت سبأ بعد ذلك فى النقوش اليمنية القديمة وفى القرآن الكريم ، وارتبط ذكرها دائماً بالرخاء والشهرة .

ويرجع جمهور العلماء أن النبي سليمان عليه السلام قد عاش في حوالى منتصف القرن العاشر قبل الميلاد ، وبناء عليه فإن زيارة ملكة سبأ له ، والمعروفة باسم بلقيس لابد وأن تكون تمت في ذات العصر .

وقد ارتبطت بسبأ معظم الرموز التاريخية القديمة لليمن ، فسبأ عند النسابة هو أبو حمير وكهلان ومنها تسلت أنساب أهل اليمن جميعاً ومهما اختلف الناس في الأنساب إلا أنها ولا ريب جزء هام من علوم الإنسان التى إن جانبه الصواب أحياناً فهى تعكس رغم ذلك صدق مفيداً لمسار التاريخ . وبلقيس هى عند الجميع ملكة سبأ ، وهجرة أهل اليمن ارتبطت بسبأ والبلدة الطيبة التى أشار إليها القرآن الكريم هى فى الأصل أرض سبأ ، وأكثر من ذلك أن أبرز رموز اليمن التاريخية هو سد مأرب قد اقترن ذكره بسبأ وكان تكريمه فى القرآن الكريم بالذكر سبباً فى ذىوع ذكر قوم سبأ وحاضرتهم مأرب فى التاريخ الإسلامى .

أما مأرب فكانت أشهر مدينة يمنية قديمة وهى عاصمة سبأ لقرون طويلة ، وموقعها فى السهل السبئى على مشارف صحراء صيهده يتحكم بطريق التجارة الهام المعروف بطريق اللبان والذى كان يمتد من ميناء قنا إلى ساحل المحيط الهندى عبر حضرموت إلى نجران ومنها إلى ددان (العلا اليوم) ثم إلى غزة على ساحل البحر المتوسط وتدل الخرائب والآثار المنتشرة والتى تكتنف قرية مأرب الصغيرة ، على الضفة اليسرى من وادى (ذنه) ، على ضخامة المدينة القديمة وعظمتها ، تلك المدينة التى اعتبرها بطليموس الجغرافى الإسكندرى وسط الإقليم المنافى الأول على الأرض ، وكانت مساحة المدينة حوالى كيلو متر واحد مربع ويحيط بها سور عرضه متر تقريباً وثمانية أبواب هى نفسها أبواب المدينة (٥٢).

وسد مأرب قديم قدم ازدهار حضارة سبأ الذى يرتبط بتلك القدرة الفنية الرائعة على إقامة السد الشهيد ، وآثاره الباقية تدل على أن بناء السد مر بمراحل عديدة ، وأنه تجدد مع الزمن ، وكان جدار السد متماسكاً وضخماً مما جعل بعض الناس يروون عن بناءه أجمل الأساطير فقالوا أن بنائيه هم العمالقة من قوم عاد ، (ضخامة حجارتها) مثل لقمان بن عاد وذلك فى سالف العصر والزمان .

ويعتبر سد مأرب أشهر آثار اليمن وأروع عمل هندسى منذ القدم فى الجزيرة العربية وقد بنى بين مازمى الجبلية البلق الشمالى والبلق الجنوبى على وادى ذنه ميزاب اليمن الشرقى .

وادي ذنه هو أعظم أودية مشرق اليمن كما هو وادي مور أعظم ودية مغربة ، حيث تتجمع مساقط المياه في المرتفعات الشرقية من ناحية رداع وزمار ومراد وخولان وغيرها ، وتأتي هذه السيول التي تكون عادة موسمية في فصلى الربيع والصيف .

وقد كرم الله تعالى السد في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝ [سورة سبأ : آية ١٥ ، ١٦] صدق الله العظيم .

ومن المدن القديمة باليمن مدينة صنعاء وقد ذكر ابن حوقل " أنها كانت ديار ملوك اليمن فيما تقدم " والمعروف أن السبائيين بعد حملة أيلئوس جالوس على اليمن نقلوا عاصمتهم من مأرب إلى دمار (٥٣). وصرواح من المدن التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ اليمن القديم ، وتقع بين صنعاء ومأرب ، وينسبون بنامها إلى سليمان بن داود (٥٤). وقد اتخذ السبئيون مدينة صرواح بادئ ذي بدء حاضرة لهم ، وفيها أقاموا المعابد للإله (القمر) ثم انتقلوا فيها إلى مأرب . ومعبد صرواح الكبير اليوم من أهم آثار اليمن القديمة ، أقيم في القرن الثامن قبل الميلاد عندما كانت صرواح حاضرة لمكربي سبأ على يد المكرب يدع إيل ذريح (٥٥) ومعين ، وكانت في العصور القديمة حاضرة للمعنيين وإحدى مدينتين معينيتين هامتين ثانيهما براقش التي كانت تسمى بيثل وكانت تقع في بلاد الجوفى ولم تكن تسمى بهذا الاسم وإنما كانت تعرف باسم قرنا أو قرنه ومازال موضع معين يضم كثيراً من الآثار القديمة .

دولة حمير :

تعتبر حمير آخر الدول اليمنية القديمة حكماً وأخداها ذكراً ، فقد اتفق المؤرخون أن عصر " ملوك سبأ وذى ريدان " والعصر التالى له والمعروف بعصر ملوك سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمنت " هما العصران اللذان برز فيهما الحميريين على مسرح الأحداث في بلاد العرب الجنوبية ولذلك اصطلاحوا على تسمية هذين العصرين بعصرى الدولتين الحميرية الأولى والحميرية الثانية .

١ - الدولة الحميرية الأولى : " ملوك سبأ وذى ريدان (١١٥ ق.م. - ٣٠٠ م) :

مؤسس هذه الدولة بنو ال شرح يحضب الذى ينسب إليه الإخباريون ببناء قصر غمدان أشهر قصور اليمن (٥٦) وفى عصر هذه الدولة كانت الحملة الرومانية المعروفة بحملة اليوس

جالوس حاكم مصر الرومانية عام ٢٤ ق.م. للاستيلاء على اليمن بغية السيطرة على طرق التجارة التي كان يحتكرها ملوك سبأ ، واستغلال ثروات اليمن وتطهير البحر الأحمر من القراصنة وكان فشل حملة اليوس جلوس السبب في قيام الرومان بتغيير خططهم السياسية نحو بلاد العرب ، فعدلوا نهائياً عن فتح هذه البلاد عسكرياً وبدأ الضعف يدب في كيان دولة سبأ وذى ريدان وتطلع البطالمة ومن بعدهم الرومان إلى احتكار الطريق التجارى عبر البحر الأحمر والتخلص بذلك من اعتمادهم على تجارة العرب في اليمن وحضرموت (٥٧).

٢ - الدولة الحميرية الثانية " ملوك سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمنت (٢٠٠م - ٥٢٥م) :

مؤسس هذه الدولة شمر يهرعش المعروف عند الإخباريين بشمر يرعش بن ناشر النعم تلقب عام ٢٩٠م بملك سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمنت ، ومشر هذا عند الإخباريين هو تبع الأكبر (٥٨) الذى ذكره القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ صدق الله العظيم (٥٩) .

وذكروا أنه زحف بجيوشه إلى أرمينية ، وهزم الترك ، وهدم المدائن بدينور وسنجان ودخل مدينة السغد وهدمها فسميت شمر كند أو شمر كنداي عند الفرس ، والتي عربت إلى سمرقند. وقد شيدت مدينة ظفار عاصمة للدولة الحميرية حيث اتخذت تقوياً خاصاً بها يبدأ عام ١١٥م قبل التقويم الميلادى ولكن النقوش المتوفرة لا تؤرخ به سوى منذ القرن الأول الميلادى ولا نعرف حتى يومنا هذا ، هذه الحادثة التاريخية التى بدأت حمير تؤرخ لها ومبلغ علمنا أن حمير كانت فى الأصل قبائل تتبع الدولة القتبانية ومناطقها الأصلية كانت ضمن أراضى دولة قتبان .

وفى القرن الأول بعد الميلاد برزت حمير كقوة ضاربة فى اليمن حيث بسطت نفوذها على أراضى شاسعة كانت ضمن سيطرة قتبان وسبأ وادعت سيطرتها على مناطق سبأ الرئيسية ويعتقد أن أول ذكر فى النقوش الحميرية عثر عليه فى حضرموت ويعود إلى القرن الأول الميلادى ، ويروى ذلك النقش أن الحضرميين صدوا حملة على المناطق الجنوبية مما يوحى بأن حمير آنذاك كانت قد وسعت سيطرتها حتى بلغت السواحل الجنوبية ، ثم خرجت حمير منتصرة فى صراع القوى الذى احتدم بين الأسر المتعددة فى اليمن فى نهاية القرن الأول الميلادى ودام حوالى مائة وخمسون سنة (٦٠).

من أهم مظاهر الحضارة اليمنية القديمة :

١ - سد مأرب :

إن روعة وضخامة سد مأرب بأجزائه تدعوا إلى الشك فيما إذا كان قد بدا هكذا منذ عهد سمه على ينوف ، وعهد يثع أمرين ، وقد تعرضت جدران السد أكثر من مرة للهدم نتيجة لتراكم الإرساب خلفها ، وأيضاً بتأثير عامل الزمن في مبانيتها ، وسجل عدد من السبئيين عدد مرات الإصلاح التي تمت في عهدهم وكان على سبيل المثال أن أعيد بناء الهويس الشمالى في عهد الملك " ثاران يهنعم بن نمار على يهد " وابنه " ملكى كروب الذى كان يشاركه فى الحكم وذلك فى حوالى منتصف القرن الرابع الميلادى (٦١).

أما مأرب فتقع عند ملتقى طرق تجارة القوافل القديمة الواردة من بيجان وحضرموت وموانئ البحر العربى ، فضمنت لنفسها موارد اقتصادية كبيرة من التجارة وقامت فى الوقت نفسه عند النهاية الشمالية الشرقية لتل يمتد نصف كيلو متر مربع ويعرض ٣٥٠ متراً ما كفل لها بعض الحماية الطبيعية (٦٢).

وكانت الأمطار الغزيرة تسقط على المرتفعات فى مواسمها وتجرى على هيئة سيول شديدة أحياناً فى عدة وديان وينتهى بعضها إلى فتحة طبيعية كبيرة توسطت بين جانبي جبل بركانى مرتفع يسمى جبل البلق ، وهو جبل بين الصحراء وبين المرتفعات فى منطقة مأرب .

وتعد فكرة بناء السد التى استغلها السبئيون من أجل ثلاثة أغراض هامة ، وهى أن يقللوا من اندفاع السيول إلى وادى اذنة وما يمكن أن تؤدى إليه من بوار الزرع وتدمير القرى فى مواسم الأمطار العنيفة ، وأن يحولوا دون ضياع أغلب مياه السيول فى جوف الأرض حين تجاوز هذا الوادى ، وأن يرفعوا مستوى مياه الرى عدة أمتار عن طريق فتحات جانبية يسهل التحكم فيها .

وهكذا يميل رأى إلى تعديل الفكرة القديمة عن الغرض من السد وهى فكرة تخزين المياه خلف بحيرة صناعية أو نحوها نظراً لوجود بيئة يمكن أن تشرب أرضها المياه بسهولة ويسر. وظل سد مأرب يؤدي أغراضه حتى عهد أبرهة فى عام ٥٧٠م أى بعد بداية ما وصلنا عنه بأكثر من أحد عشر قرناً ، ثم انهار حوالى عام ٥٧٥م بما وصفه القرآن الكريم فى سورة سبأ ﴿ قَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [الآيات ١٥ - ١٨] وأقام السبئيون سدوداً أخرى محلية فى عهود متفرقة فى المناطق التى تصلها مياه السهل بعيداً عن منطقة مأرب (٦٣) .

٢ - كتابة المسند :

فى الواقع أن خطوط الكتابات القديمة التى سبقت الخط العربى فى شبه الجزيرة العربية تنقسم إلى مجموعتين كبيرتين مجموعة شاعت فيها كتابة المسند ، وكتابة استخدمتها الدول العربية الجنوبية المتحضرة قديماً ، سبأ وقحطان ومعين وحضرموت وأوسان ثم شاركتها فيها بعض الإمارات والجماعات العربية الشمالية فى شبه الجزيرة وما يتصل بها جنوب الشام ، بعد أن صور كتبتها فى أشكال حروفها بما يتفق مع مدى اتفاقهم لها وربما يناسب مخارج ألفاظهم تعديلات عفوية أحياناً وتعديلات مقصودة أحياناً أخرى . وهكذا خرجوا منها بخطوط إقليمية يمكن التمييز فيها أيضاً بين خطوط فرعية محلية اختلفت فيما بينها اختلافات قليلة ، ثم مجموعة أخرى من الخطوط اعتمدت أساساً على قواعد الكتابة الآرامية ، وكتب بها فرق أخرى من الدول والإمارات العربية الشمالية بعد أن قام كتبتها بتحويلها تحويراً مختلفاً إلى حد ما (٦٤).

وتضمنت كتابة المسند تسعة وعشرون حرفاً لم نعرف أسمائها القديمة ولا ترتيبها القديم حتى الآن ولكن تشابهت أصوات ثمانية وعشرون حرفاً منها أصوات حروف الهجاء الحالية .

٣ - الفن المعمارى :

لقد أنشئ معبد صرواح الكبير لمعبود بولتها الأكبر الذى أطلق عليه اسم (المقة) كان لفظ (ال) أو (إيل) عند العرب الجنوبية وعند شعوب سامية وقديمة أخرى فى العراق وفى الشام يدل على معنى الإله ثم استخدم بهذا المعنى مثل أسماء إسماعيل وجبرائيل وميكائيل وهلم جر . أما العناصر المعمارية الظاهرة تألفت فى معبد (المقة) فى صرواح من جزئين ضخمين أحدهما مستطيل واسع ، والآخر يتصل به ويبدو هيئة البيضاوى الناقص وتضمن أحد نصوص المعبد اسم الكرب يدع إيل ذراع وذكر أنه سور معبد (المقة) ويميل الدارسون إلى تاريخ عهد هذا المكرب نحو ٦٦٠ ق.م. ويبدو أنه لم يشيد المعبد كله ، إنما بدأ بتوسيع معبد صغير قديم لمعبود قومه وعمل على تسويره (٦٥).

الصيغة الدينية التى استعان بها المكربون فى تدعيم حكمهم جعلتهم يولون اهتماماً كبيراً لمعابد معبوداتهم ، إظهاراً لتقواهم الشخصية ، وتأكيداً لصلاتهم الروحية بهذه المعبودات ، عملاً على كسب ولاء رجال الكهنوت وبعض المنسبين أيضاً عن طريق تخصيص المرتبات الدينية لهم من عائدات هذه المعابد .

وقد أنشئ معبد " معرب " فى قرية المساجد ببلاد مراد وعلى بعد ٢٧ كم من مارب الحالية ، من أجل " المقه " أيضاً وقد أقيم الجزء الداخلى من المعبد الذى تألف من بهو أعمدة بقيت منها ثلاثة ألوان ، ويعقبه إلى الداخل فناء كبير تقوم فى أواسطه مقصورة العبادة الرئيسية وتحمل سقفها أربعة أعمدة فى صفين ، بينما يتقدم المقصورة صفة ذات ستة أعمدة ولا تزال هذه المجموعة المعمارية فى المعبد تحتفظ بروعتها على الرغم مما لحق بها من تهدم ، وهى التى لا تزال عليها أكثر من ما تبقى من آثار الأمم القديمة ونتيجة لبناء أغلبها من الأحجار الصلبة ، ومحافظة القدماء عليها بالترميم جيلاً بعد جيل ، كما تعتبر الآثار الموجودة من أصدق الدلالات على مدى الإمكانات الفنية فضلاً على المعتقدات الدينية لهم (٦٦).

الهوامش

- ١ - خديجة الهيصمى : سياسة اليمن فى البحر الأحمر ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ٢٠٠٢م ، ص ٦ .
- ٢ - الميل البحرى = ١٨٥٢ متراً = ١,٨٥٢ كيلو متراً - الميل البحرى المربع = ٢,٤٢٤ كيلو متر مربع -
العقدة البحرية = ١ ميل بحر - الميل البحرى = ١٦٠٩ متراً = ١,٦٠٩ كيلو متراً - الميل البحرى
المربع = ٢,٦ كيلو متر .
- ٣ - نبيل أحمد حلمى : أمن البحر الأحمر والقرن الإفريقى ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٥٤ أكتوبر
١٩٧٨م ، ص ٨١ .
- ٤ - عبد الله عبد المحسن سلطان : البحر الأحمر والصراع العربى الإسرائيلى ، مركز دراسات الوحدة
العربية ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ص ٢ .
- ٥ - أحمد محمد بن بريك : اليمن والتنافس الدولى فى البحر الأحمر ، دار الثقافة العربية ، ط ١ ، ٢٠٠١ ،
ص ١٣ - ١٤ .
- ٦ - محمد الشعبي : اليمن (الظواهر الطبيعية والمعالم الأثرية) ، دراسة تطبيقية ومنهجية ، دار الكتب
العامة ، صنعاء ١٩٩٨م ، ص ٥٦ .
- ٧ - عبد اللطيف بن محمد الحميد : البحر الأحمر والجزيرة العربية فى الصراع العثمانى خلال الحرب
العالمية الأولى ، ط ١ ، الرياض ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، ص ١١ .
- ٨ - أنور عبد العليم : البحار والمحيطات ، الدار القومية للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ١٩٦٤م ، ص ٢٥٣ -
٢٦٧ .
- 9 - Farid Abdel Magid, the Red sea prospect stability , London, 1992 , p. 72 .
- 10 - R.W. Girdier, the sea. Ageopotyeal Background, New York, Hot Brnes, 1984, p. 48 .
- ١١ - أمال شاوور : الإطار الجغرافى فى البحر الأحمر ومجموعاته الجزرية ، جزر البحر الأحمر ، القاهرة ،
١٩٧٧م ، ص ٢٥ .
- ١٢ - أجييه يونان جرجس : البحر الأحمر ، مضايقه بين الحق العربى والصراع العالمى ، القاهرة ،
١٩٧٧م ، ص ١٢ .
- ١٣ - على حميد شرف : الجزر والفنارات اليمنية فى البحر الأحمر (خليج عدن - البحر العربى) ، دار
التوجيه المعنوى ، اليمن ، ط ٢ ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٣ .
- ١٤ - أحمد شقيله : الاستراتيجيات فى البحر الأحمر ، مجلة معين ، صنعاء ، ١٩٩٠م ، ص ١٣ .

- ١٥ - عبد البارى اللجم : خليج العقبة ومضائق تيران ، الموصل ، ١٩٧٨م ، ص ٥ .
- ١٦ - محمود توفيق محمود : البحر الأحمر فى الاستراتيجية الدولية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٥٧ ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص ٢٨ .
- ١٧ - خديجة الهيصمى : المرجع السابق ، ص ٦٢ .
- ١٨ - محمود توفيق محمود : المنخل الجنوبي للبحر الأحمر ، دراسة فى الجغرافية السياسية والجيوبوليتيكس ، الرياض ، دار المريخ ، ١٩٨٣م ، ص ٢٨ .
- ١٩ - فاروق عثمان أباطة : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ، ١٨٣٩م - ١٩١٨م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦م ، ص ٢٢ .
- ٢٠ - السيد عليوة : سياسة اليمن فى البحر الأحمر ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٥٤ ، أكتوبر ١٩٧٨م ، ص ٩٦ .
- ٢١ - محمد متولى ، محمود أبو العلا : جغرافية شبه جزيرة العرب ، ج ٣ ، ط ٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨م ، ص ٨ .
- ٢٢ - عبد الله محمد أحمد : جغرافية اليمن الطبيعية ، المنتدى الجامعى للنشر والتوزيع ، صنعاء ، اليمن ، ط ٢ ، ٢٠٠٢ ، ص ٦ .
- ٢٣ - نفس المرجع ، نفس الصفحة .
- ٢٤ - محمد متولى ، محمود أبو العلا : المرجع السابق ، ص ٧ .
- ٢٥ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مؤسسة شباب الجمعة ، ط ١ ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠م ، ص ٨٩ .
- ٢٦ - تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني : بهجت الزمن فى تاريخ اليمن ، محمد أحمد السنباتى ، دار الحكمة اليمنية ، صنعاء ، ط ١ ، ١٩٨٨م ، ص ١٧ .
- ٢٧ - محمد متولى ، محمود أبو العلا : جغرافية شبه جزيرة العرب ، المرجع السابق ، ص ٢٦ .
- ٢٨ - نفس المرجع ، نفس الصفحة .
- ٢٩ - نفس المرجع ، ص ٧ .
- 30 - Wenner M.W. Modern Yemen (1918 - 1966) Beltime, 1967, p. 72 .
- ٣١ - عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد الشماخى : اليمن (الإنسان والحضارة) منشورات المدينة ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ص ٣ .
- ٣٢ - فتحى محمد أبو عيانة : دراسات فى جغرافية شبه جزيرة العرب ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٦م ، ص ١٤٦ .

- ٣٣ - صالح أحمد العلى ك محاضرات فى تاريخ العرب ، ج-١ ، بغداد ، ١٩٥٩م ، ص ١٥ .
- ٣٤ - عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع : تاريخ اليمن فى الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجرى ، دار الفكر ، صنعاء ، اليمن ، ط٣ ، ١٩٩٩م ، ص ٤٥ .
- ٣٥ - تاج الدين عبد الباقي ، المرجع السابق ، ص ١٧ .
- ٣٦ - محمد عبد الله بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، مؤسسة الدينية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ص ١٧٩ .
- ٣٧ - نفس المرجع ، نفس الصفحة .
- ٣٨ - انجار أوبلانس : اليمن (الثورة والحرب حتى عام ١٩٧٠م) ، ترجمة وتعليق عبد الخالق محمد لاشين ، مكتبة مديولى ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٠ ، ص ٥ .
- ٣٩ - محمد متولى ، محمود أبو العلا : المرجع السابق ، ص ١٩ .
- ٤٠ - نفس المرجع .
- ٤١ - نفس المرجع .
- ٤٢ - عبد الله حسن الشيبه : دراسات فى تاريخ اليمن القديم ، مكتبة الوعى الثورى للطباعة والنشر ، ط١ ، تعز ١٩٩٩م ، ص ٤٤ .
- ٤٣ - نفس المرجع ، ص ٤٥ .
- ٤٤ - نفس المرجع .
- ٤٥ - يوسف محمد عبد الله : أوراق فى تاريخ اليمن وآثاره ، دار الفكر ، سورية ، ط٢ ، ١٩٩٠م ، ص ٢١٢ .
- ٤٦ - نفس المرجع .
- ٤٧ - ابن رسته : الأعلام النفيسة ، لندن ، ١٨٩٢م ، ص ١١٣ .
- ٤٨ - ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مجلد ٢ ، مادة سبأ ، ص ١٨١ .
- ٤٩ - نفس المصدر : مجلد ٥ ، مادة مأرب ، ص ٢٤ .
- ٥٠ - تاج الدين عبد الباقي : نفس المرجع ،
- ٥١ - عبد الله حسن الشيبه : المرجع السابق ، ص ١٢ .
- ٥٢ - يوسف محمد عبد الله : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ - ٢٠٥ .
- ٥٣ - صالح أحمد العلى : محاضرات فى تاريخ العرب ، ج١ ، بغداد ، ١٩٥٩م ، ص ٢٤ .
- ٥٤ - ياقوت ، معجم البلدان ، مجلد ٣ ، مادة صرواح ، ص ٤٠٢ .

- ٥٥' - أحمد فخري : اليمن ، بحث في المؤتمر الثالث للآثار العربية المنعقدة في فاس ١٩٥٩م ، القاهرة ١٩٦١م ، ص ٢٣٤ .
- ٥٦ - الهمداني : الإكليل ، ج٨ ، تحقيق د/ نبيه أمين فارس ، ١٩٤٠م ، ص ١٩ .
- ٥٧ - فيليب حتى : تاريخ العرب ، ترجمة محمد مبروك نافع ، ص ٦٩ - ٧٢ .
- ٥٨ - السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص ١١٤ .
- ٥٩ - سورة البخان ، الآية ٣٧ .
- ٦٠ - يوسف محمد عبد الله ، المرجع السابق ، ص ٢٤٩ .
- ٦١ - نفس المرجع ، ص ٢٥٠ .
- ٦٢ - عبد الله الشيبه ، المرجع السابق ، ص ٩٩ .
- ٦٣ - نفس المرجع ، ص ٩١ .
- ٦٤ - نفس المرجع ، ص ١٠٠ .
- ٦٥ - نفس المرجع ، ص ٨٢ .
- ٦٦ - نفس المرجع ، ص ٨٩ .

أ.د. أحمد بن عمر الزيلعي (*)

بنو الزيلعي العقيليون

(أصحاب اللحية) وانتشارهم في تهامة

اليمن وجنوب غرب المملكة العربية السعودية

مدينة اللحية - الموقع والتاريخ :

اللحية (تصغير لـحِية) مدينة ساحلية تقع إلى الشمال من الحديدة بمسافة ١٢٠ كم، وهي من الموانئ المعروفة في أقصى الشمال الغربي للجمهورية اليمنية، وتعد من مفاصات اللؤلؤ الشهيرة في شرقى البحر الأحمر، وإلى الشرق منها سلسلة جبال الملح الممتدة من الصُكَيْف وجبل القُمة وغيرها، ومن هذه السلسلة يستخرج معدن الملح الحجرى الذى تشتهر به تهامة اليمن^(١)، وإليها يصب وادى مَوْر المشهور والمعروف باسم : ميزاب تهامة الأعظم^(٢)، ولايضاهيه فى العظم إلا وادى بَيْش فى منطقة جازان بجنوب غرب المملكة العربية السعودية^(٣). واللُّحِيَّة مدينة غير مسورة، ولكنها محاطة بأكام مرتفعة عليها اثنتا عشرة قلعة من بناء الأتراك العثمانيين ، بين كل قلعة وأخرى حوالى من ٢٠٠ إلى ٢٥٠ م ، ولكل منها باب مرتفع يصعد إليه بسلاسل ، بعضها متحرك^(٤). وهي فى الوقت الحاضر مديرية تتبع لواء الحُدَيْدَة وتتبعها من المراكز الإدارية وادى مَوْر ، والأزْعَلِيَّة، والبُعْجِيَّة^(٥)، ويربطها بالطريق الرئيسى الواصل بين المملكة العربية السعودية واليمن عبر تهامة - طريق فرعى طوله ستون كيلو مترا يتجه إليها غرباً من مفرق المَعْرَس الواقع على بعد ٨٦ كم

* قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - الرياض .

شمال شرق مدينة الزيدية^(٦)، وهذه الأخيرة مدينة تهامية معروفة تقع على وادي سرند إلى الشمال الشرقي من مدينة الحديدة بمسافة ٦٥ كم^(٧). ويجتازها الطريق الواصل إلى الحديدة من منفذ الطوال الحدودي بالمملكة العربية السعودية.

كانت اللحية منذ مطلع العصور الحديثة من الموانئ الرئيسية في شمال اليمن على البحر الأحمر^(٨)، وكانت معبراً للقوات العثمانية القادمة إليها من الحجاز^(٩). تلك القوات التي سببت لمدينة اللحية معاناة طويلة لا تقل عن معاناتها من حروب أخرى طويلة سنأتى إلى ذكرها بعد.

وقد زارت اللحية البعثة الملكية الدنماركية في عام ١٧٦٣م (١١٧٦هـ) فوصلتها في ٢٠ ديسمبر ١٧٦٢م (١١٧٦هـ)^(١٠)، واستقبلت فيها استقبالا كريماً أثر في نفس كارستن نيبور العضو الوحيد من أعضائها الذي بقى حياً، وكتب عنها فيما بعد^(١١). لقد طابت لأعضاء الفريق الإقامة فيها، والتنقل بين أرجائها، والاختلاط بسكانها الذين تقبلوا هؤلاء الوافدين الغرباء، وأكرمهم، وقدموا لهم مختلف التسهيلات^(١٢). وقد وصف نيبور اللحية وصفاً دقيقاً عرض فيه لموقع اللحية، وتحصيناتها الدفاعية، وطبيعة مينائها، وتأثره برياح الشتاء والصيف التي تتحكم بدرجة كبيرة في عمق غاطسه وضحاياه تبعاً لحركتي المد والجزر^(١٣). وعرض نيبور كذلك لوصف بيوت اللحية، ومواد البناء المستخدمة فيها، كما عرض لمواردها المائية المتمثلة في عدة آبار تقع خارج المدينة، وزود نيبور ما قدمه من وصف لمدينة اللحية بمصورين نادرين، أحدهما خريطة لمدينة اللحية، والآخر صورة أو رسم لمينائها من جهة البحر^(١٤).

ومثل ما عانت اللحية من غزوات العثمانيين على اليمن عانت كذلك من الحروب التي اجتاحت المنطقة في النصف الأول من القرن الماضي؛ فقد قصفتها مدافع الأسطول الإيطالية من البحر في سنة ١٩١٢م (١٣٢٩هـ) خلال الحرب الإيطالية التركية^(١٥).

وبعد ذلك بحوالى ست سنوات أى في سنة ١٩١٨م (١٣٣٧هـ) تعرضت اللحية للضرب من قبل الأسطول البريطاني بوصفها آخر المواقع البحرية اليمنية التي ظلت بأيدي الأتراك العثمانيين في اليمن خلال الحرب العالمية الأولى^(١٦). وتعرضت في الوقت نفسه لغزو برى من قبل القوات الإدريسية المتحالفة مع الإنجليز إلى أن أسلمت قيادها للقوات الغازية من البحر، ثم من البر. وقد أثرت هذه الحرب وخصوصاً البحرية منها على الكتلة العمرانية لمدينة اللحية، ولاتزال آثار تلك الحروب على مساكن المدينة ومرافقها العامة بادية حتى اليوم كما سيأتى.

ثلث هذه الحروب حروب أخرى اصطلت بها اللحية، ومنها حرب الإمام يحيى مع الأدارسة بين عامى ١٢٤٢-١٣٤٤هـ / ١٩٢٥-١٩٢٦م^(١٧)، ثم حربه مع الملك عبد العزيز فى عام ١٣٥٢هـ / ١٩٣٤م^(١٨). تلك الحرب التى انتهت بتوقيع معاهدة الطائف بين الملك عبد العزيز والإمام يحيى حميد الدين فى ٦ صفر عام ١٣٥٢هـ / ١٩ مايو ١٩٣٤ م. وبموجب تلك المعاهدة انسحبت القوات السعودية من تهامة اليمن بما فيها مدينة اللحية التى انتقلت تبعيتها من المملكة العربية السعودية إلى اليمن.

مشيخة اللحية وعمران المدينة :

تجمع المصادر والمراجع المتاحة على أن عمران مدينة اللحية يرجع إلى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى حينما استوطنتها الفقيه الشيخ أحمد بن عمر الزيلعى العقيلي الذى شهدت المدينة فى زمانه إقبالا كبيرا من تلاميذته ومريديه، وأصبحت من أكثر المدن ازدهارا فى وادى مور، ومن أفضلها اتساعا حتى وفاته فى عام ٧٠٤هـ / ١٣٠٤ - ١٣٠٥م كما سيأتى، ثم تطور عمران المدينة وازدهارها فى عهد ذريته الذين تقلبوا على مشيخة اللحية حتى وقت ليس ببعيد.

على أننا قبل الدخول فى الحديث عن ذرية الشيخ أحمد بن عمر الزيلعى، وتولى بعضهم مشيخة اللحية، وانتشار آخرين فى أمكنة أخرى بعيدة فى اليمن، والمملكة العربية السعودية، وكذلك الحديث عن الكتلة العمرانية للمدينة بما فى ذلك المسجد الجامع المنسوب إليه- يحسن بنا أن نعرض لترجمة الشيخ الزيلعى، وما كان عليه حاله فى حياته، ثم تراثه بعد مماته.

تلقى الشيخ الزيلعى فى صغره القراءة والفقه على يد الشيخ حسان «صاحب الحرور» المعروفة فى بلاد الطُرف من أعمال مديرية بُرَع بمحافظة الحديدة ، ثم قرأ كتب الغزالي، وبرع فى علم السلوك «التصوف»^(٢٠). بعد ذلك انتقل إلى اللحية، وبنى بها مصلى لا يزال موضعه معروف فى مؤخرة مسجده بالركن الغربى لجامعه الكبير المعروف حالياً باللحية^(٢١). ثم انتقل بعد ذلك إلى قرية العُحمُول ، إحدى قرى وادى مور على ساحل المحالب بالقرب من اللحية، وبنى فيها زاوية معروفة حتى وقتنا الحاضر^(٢٢)، ثم عاد إلى اللحية، وبنى بها مقعدة مسجده الجامع «وهو بناء عجيب لم ير مثله فى الناحية» على رأى المؤرخ اليمنى ابن الأهدل^(٢٣). ولهذا يعرف الشيخ أحمد بن عمر الزيلعى العقيلي فى معظم الكتب التى عرضت لسيرته بصاحب اللحية والمحمول^(٢٤).

ترجم للزيلعي كثيرون من مؤرخي اليمن الذين عرضوا لسيرته، ومنهم الجندى (ت حوالي ٧٣٠هـ / ١٣٢٩-١٣٣٠م) الذي ينعتة بالفقيه الصالح، ويصفه بأنه كان «كبير القدر، شهير الذكر، معروفًا بالعلم والعمل، صاحب كرامات ومكاشفات»^(٢٥). ويمثل هذه النوعت التي يطلقها الجندى على الفقيه الزيلعي تابعه مؤرخ يمني آخر هو الخزرجي (ت ٨١٢هـ / ١٤٠٩م)^(٢٦). والظاهر أنه ينقل عن سابقه بالحرف. أما ابن الأهدل (ت ٨٨٥ / ١٤٨٠م) فيفرد لترجمة الزيلعي حيزًا واسعًا في كتابه : علماء اليمن، حينما ينعتة بالفقيه الصالح العلامة، وبأنه «كان مشهوراً بالعمل والورع والزهد والعبادة والكرامات»^(٢٧)، ثم يتحدث عن بعض كراماته، وعن نفوذه الروحي وعن مسجده في اللحية، وزاويته بالمحمول، ويذكر بأنه كان يطعم مائة فقير منهم ستون في اللحية، وأربعون في المحمول^(٢٨). وممن ترجم للشيخ الزيلعي من مؤرخي اليمن أبو العباس الشرجي (ت ٨٩٣هـ / ١٤٨٨م) في كتابه : طبقات الخواص، وعنه يقول : «هو أبو العباس أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي الهاشمي من عباد الله الصالحين، ومن أعظمهم مجاهدة وعبادة وزهادة»^(٢٩)، ويقول عنه الوشلي في كتابه: نشر الثناء الحسن: «والذي قرره غير واحد من المؤرخين أن الزيلعي عقيلي منسوب إلى عقيل بن أبي طالب، أخى على بن أبي طالب رضى الله عنه، فهم قرشيون هاشميون أولاد عمنا عقيل بن أبي طالب الذي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم وهل ترك لنا عقيل من دار؟»^(٣٠)، ثم يتحدث الوشلي عن علمه وصلاحه وعلو قدره، كما تحدث عنه، وعن نسبه وذريته، وفضلهم في رسالة أخرى له عنوانها : إرهاب السيف الصقيل في فضل بنى عقيل^(٣١). أما محمد بن أحمد العقيلي فيتناول سيرة الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي بمثل ما يتناولها سابقوه من الثناء عليه، وعلى عمله، وصلاحه، وزهده ويقول عنه «إنه من العباد المتقين الذين تزيّد الكاتبون في سيرتهم، وغلوا في شخصياتهم، والغلو ضلال مبین»^(٣٢).

وممن عرض لترجمة الفقيه أحمد بن عمر الزيلعي من الكتاب المحدثين أحمد بن على الراجحي العقيلي في كتابه : العقيليون في المخلاف السليماني وتهامة، وهو كتاب جامع لبنى عقيل يمن فيه الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي وذريته، وقد فصل في نسب الشيخ وترجمة حياته، وانتشار ذريته في اليمن وخارجها، وكتابه هذا من المراجع الأساسية المهمة لهذا البحث^(٣٣). وممن ترجم للزيلعي من الكتاب المحدثين كذلك، زين رشيد الشافعي حيث عرض لنسب الشيخ، وحياته في اللحية والمحمول، ولبعض من ذريته، خصوصاً من هم منهم في جازان ومحافظة القنفذة^(٣٤). أما على بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين فقد أورد في كتابه: الأغصان لمشجرات أنساب قحطان وعدنان جداول قيمة لذرية الشيخ أحمد بن عمر

الزيلعى (٢٥). وآخر من عرض من الكتاب المحدثين لذكر الشيخ الزيلعى، وأورد سلسلة نسبه وترجم لبعض أحفاده - عاتق بن غيث البلادى فى كتاب له بعنوان : بين مكة وبرك الغماد- رحلات ومشاهدات (٣٦).

يتضح مما سبق أن الفقيه الشيخ أحمد بن عمر الزيلعى كان من عباد الله الصالحين، وأنه كان له مريدون كثيرون فى زمانه ، وأن مدينة اللحية شهدت فى عصره نمواً وازدهاراً خولها لأن تكون من أكثر المدن ازدهاراً فى تلك الناحية. أما عن صلاح الشيخ الزيلعى، وتمرسه فى العبادة فخير ما نسجله عنه هنا شهادة مؤرخ كان قريباً جداً من عصره ، هو الجندى المؤرخ اليمنى المعروف الذى يذكر أنه قدم عليه فى أجدد أحد الفقهاء الملازمين للشيخ الزيلعى فسأله عن سيرته فى العبادة، فقال عن الشيخ الزيلعى (رحمه الله) : «كان يخرج فى الثلث الأخير من الليل إلى المسجد فلا يزال مصلياً تالياً للقرآن حتى الفجر ، فيركع ثم يصلى الفرض، ثم يشتغل بالذكر حتى تطلع الشمس، ثم يركع الضحى ، ثم يقبل على أصحابه فيعظهم، ويتكلم معهم بالحكمة حتى يرتفع النهار، ثم يقوم إلى البيت، فيدعو الناس للغذاء فلا يزالون يتفنون فوجاً فوجاً إلى الزوال، ثم يتوضأ ويخرج إلى المسجد فيصلى التحية حين يدخله ، فإذا ثبت عنده الزوال صلى الظهر بعد الأذان والسنة، ثم يشتغل بالذكر والتلاوة حتى يصلى العصر، ثم يقبل على الناس يعظهم ويرشدهم ساعة، ثم يدخل داره، ويستدعى الناس فيعشيهم إلى الغروب، ثم يدخل المسجد فيصلى المغرب، ثم يمكث حتى يغيب الشفق فيصلى العشاء، ويمكث فى المسجد إلى الثلث الأول، ثم يدخل داره، فهذا دأبه مدة حتى توفى» (٣٧). وقد تواتر ذكر هذه القصة عند كثير من المؤرخين اليمنيين الذين جاؤا بعد الجندى، ونقلوا عنه، كما نقلوا عنه كثيراً من كرامات الشيخ الزيلعى ومكاشفاته (٣٨). تجدر الملاحظة إلى أن هؤلاء المؤرخين الذين تناولوا سيرته، ونسبوا إليه مثل هذه الكرامات والمكاشفات التى لا تكون لأحد من البشر مهما بلغ من التقوى والصلاح- كانوا ينطلقون من روح عصرهم، وتقاليده زمانهم الذى كانت تسوده بعض الغيبيات التى لم يعد يتقبلها عصرنا هذا. وقد أعرضنا عن ذكرها فى هذا البحث لكونها من الشراكيات المنافية للعقيدة الخالصة لله وحده . ولانملك إلا أن نسال الله سبحانه وتعالى السلامة من كل قول أو عمل يؤدي إلى الشرك به جلّت قدرته ووحدانيته. كما نسأله المغفرة والرحمة للشيخ الزيلعى مما قد يكون لحقه من غلو المغالين، وجهل الجاهلين الذين اعتقدوا فيه والعياذ بالله اعتقاداً باطلاً، كما اعتقدوا فى آخرين غيره من صلحاء اليمن الذين وصلت إلينا أخبارهم، وسير حياتهم (رحمهم الله جميعاً وغفر لهم) .

وقد امتد النفوذ الروحي للشيخ الزيلعي من وادي مور في شمال اليمن إلى وادي حُلب في جنوب غرب المملكة العربية السعودية حالياً، وكان له تلامذة ومصاحبون أخيار تعلموا القرآن والفقه على يديه، واستفادوا من حلقاته التي كان يعقدها في مسجده الجامع ومنهم: الفقيه عمر بن السكول العَبَسِي، والفقيه سُمَيْل النزارِي، والفقيه إبراهيم الشامي، والفقيه أحمد الأدبع، والفقيه سالم من أهل السالمية، وأحمد بن يعقوب البحر من بني العجيل بقرية الحادث، والفقيه محمد بن مهنا (والد عبد الله المقدم المعروف) (٣٩). وتأثر به كثيرون من أهل وادي حُلب خاصة منهم بنو أيوب، وبنو الأعوص، وبنو العجمي، وبنو السيفل وغيرهم (٤٠). وللشيخ الزيلعي عدد من المؤلفات أشهرها : ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى الطريقة ، ونزهة الجليس، وكتاب الوداع (٤١). وله فتاوى على مسائل كان يقول فيها : الجواب عند علماء الشريعة كذا، وعند علماء الظاهر كذا ، وعند الباطن كذا (٤٢).

توفي الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي - كما قدمنا - في عام ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤-١٣٠٥ م عن نيف وسبعين سنة، ودفن باللحية بجوار مسجده الجامع من الناحية الشمالية الغربية (٤٣)، وقبره هناك يوصف بالبركة وبكثرة الزوار الذين يأتونه من أماكن بعيدة حاملين معهم أصناف الطعام والسمن والبخور والنقد على حد قول المؤرخين الذين تناولوا سيرته، ومنهم الأهل الذي يستشهد على قوله بهذه الأبيات (٤٤):

وكم ترى من وافدٍ للزيلعي	من كل فجٍ ومكانٍ شاسع
بالنقدِ والتمرِ والطعام	والسمنِ والبخورِ والأنعام
إذا دعوا قالوا بحقّ الزيلعي	وحلفهم كذا لا والزيلعي

وهذا الكلام، إن كان قد وقع من بعض الجهال، فهو شرك عظيم ، إذ لا يجوز الحلف إلا بالله سبحانه وتعالى، وكذلك النذور التي أشارت إليها المصادر لا تجوز لغير الله وحده ، وما كان منها لسواه فهي باطلة ، ولعل ما كان يحمل إلى قبر الشيخ الزيلعي، أو إلى زاويته ومسجده الجامع من طعام، ومن نقود وخلاف ذلك إنما يقع في باب الصدقة على الفقراء المقيمين هناك، وكذلك على طلاب العلم، وعلى القائمين بأمور الجامع سواء من أبناء الزيلعي، أو من سواهم من أهل تلك الناحية :

ذرية الشيخ الزيلعي ومن آلت إليه المشيخة منهم :

توفى الشيخ الزيلعى (رحمه الله) عن أربعة عشر ولداً ذكراً كانوا جميعاً - كما تصفهم المصادر - أبناء أخيار أهل علم وتقى وعبادة وزهاده لا يخلو موضعهم من قائد يعرف بالخير، ويشار إليه بالتقى والصلاح مقتفين فى ذلك أثر والدهم، ومحافظين على تراثه، ومن أشهرهم العباس، وبه يكنى والده، ثم إبراهيم، وأبويكر، وعمر، وعلى، وعيسى، ومحمد، وعثمان، وموسى، وعبد القادر، وعبد الغفار، وعبد الأول، وقادري، والمقبول^(٤٥). والزيلعى أعقاب من تسعة من أبنائه فى حدود ما وصل إلينا، وهم: إبراهيم، وأبويكر وعمر، وعلى، وعيسى، وموسى، وعبد القادر، وعبد الغفار، وعبد الأول^(٤٦). وقد تفرقت ذرية هؤلاء على مدى القرون بين اليمن ومنطقة جازان بما فى ذلك جزر فرسان، ثم فى منطقة عسير، ومحافظة القنفذة بمنطقة مكة المكرمة، وبصورة خاصة فى أودية حلى وبيّة وقنونا، ثم فى مكة نفسها، ومحافظة جدة، ومنطقة المدينة المنورة، واختلف انتساب هؤلاء من مكان إلى آخر، فممنهم من حافظ على نسبة جدهم الأبعد، وهو عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه، فيقال لهم «العقيليون» وهؤلاء يكثرون فى منطقة جازان.

وممنهم من حافظ على نسبة الجد الأقرب، وهو أحمد بن عمر الزيلعى العقيلي، فيقال لهم «بنو الزيلعى»، وآل الزيلعى، وهؤلاء كثر فى اليمن، وفى المملكة العربية السعودية، وبصورة خاصة فى منطقة جازان، ومحافظة القنفذة ومنطقة المدينة المنورة، ومنهم من انتسب إلى الفقيه، فيقال لهم «الفقهاء» والواحد منهم «فقيه» ومن أبرزهم فقهاء حلى، وفقهاء قوز أبى العير بمحافظة القنفذة، وفقهاء مملّح ببلاد بنى شهر بمنطقة عسير. ومنهم من انتسب إلى المشيخة فيقال لهم «الشيوخ» والنسبة لواحدهم «الشيخ»، وهؤلاء يكثرون فى اليمن، وفى جدة ومنطقة المدينة المنورة. وهناك فئات أخرى من عقب الشيخ الزيلعى اشتهر كل منها بنسبة خاصة بها، خلاف ما ذكر، ومن هؤلاء آل عثمان، والرواحجة، والهراملة، والمتاحمة، وآل السيقّل^(٤٧).

أما مشيخة الحية وتوابعها بعد وفاة الشيخ أحمد بن عمر الزيلعى فقد آلت إلى ابنه أبى بكر بن أحمد بن عمر الزيلعى العقيلي، وكان وجيهاً، عظيم القدر، مكرماً عند الناس حتى قيل بأنه استوهب من بعض القبائل نحو أربعة عشر قتيلاً فوهبوا له قبل أن ينزل عن دابته^(٤٨). فلما توفى خلفه فى المشيخة ابن أخيه محمد بن عيسى بن أحمد بن عمر الزيلعى العقيلي فظل فيها حتى وفاته فى عام ٧٨٨هـ / ١٢٨٤م^(٤٩)، فخلفه ابنه أبويكر بن محمد بن عيسى المعروف

بصاحب الخال حتى وفاته فى عام ٨٢٩هـ / ١٤٢٦م^(٥٠). وهكذا ظل عقب محمد بن عيسى هذا هم المتوارثون لمشيخة اللحية وتوابعها حتى عصر الناس هذا^(٥١).

التراث العمرانى لمدينة اللحية:

حينما عزمنا على إعداد هذا البحث وضعت فى اعتبارى أفراد جامع الشيخ الزيلعى، وكذلك الكتلة العمرانية القديمة المجاورة له بجزئية خاصة تركز على دراستها دراسة أثرية معمارية ، إلا أن الزميل الدكتور عبد الرحمن حسن الجار الله، عضو هيئة التدريس بقسم الآثار- جامعة صنعاء الذى التقيته فى الندوة العالمية لتاريخ الجزيرة العربية المنعقدة فى جامعة الملك سعود بالرياض فى الفترة من ١٠-١٢ شعبان ١٤٢٤هـ / الموافق ٦-٨ أكتوبر ٢٠٠٣م أخبرنى أنه أجرى مسحاً معمارياً لمدينة اللحية القديمة، وأنه فى سبيله إلى إعداد دراسة مفصلة عن عمران اللحية بما فيها جامع الشيخ الزيلعى، فعدلت عن الفكرة مفسحاً له المجال، ومؤملاً أن تكون دراسته أكثر تخصصاً وشمولية للتاريخ العمرانى لمدينة اللحية مما كنت سأفعل فالدكتور جار الله ابن اليمن، وقريب الدار للحية، وأعرف بها وبدروبها، وبثقافتها أهلها منى. وسأكتفى هنا فقط بإيراد صورة وصفية ظاهرية عَجَلَى عن التراث العمرانى للحية، وبصورة خاصة الحى القديم، وجامع الشيخ أحمد بن عمر الزيلعى العقيل المتصل به من الجنوب الشرقى.

وقبل الدخول فى هذه الصورة الظاهرية العجلى لعمران اللحية تجدر الإشارة إلى أن المواد الخام المستخدمة فى مساكن اللحية تتوزع بين الحجر الجبلى المقدود من التلال الجبلية القريبة، ومن الطوب الأحمر، وهو قليل جداً مقارنة بذلك الذى يستخدم فى مساكن زبيد وبيت الفقيه على سبيل المثال، والحجر البحرى المقدود من الشعاب المرجانية التى تنمو فى البحر، وهو الأكثر شيوعاً فى مساكن اللحية، وميزته أنه خفيف الوزن، سهل التشكيل والاستخدام، وبه تبنى الأقواس والعقود والثريات والدخلات غير النافذة، ومنه تستخرج النورة بعد حرقه فى محارق خارج البلدة^(٥٢). وهى تستخدم مع كسر الأحجار الصغيرة بين المداميك لربط البناء، وكذلك فى الياسة، وتبييض المنازل بلون البياض الغالب على منازل اللحية ذات البناء التقليدى الموروث. وهناك قسم رابع للمواد المستخدمة فى البناء التقليدى فى اللحية هو القش المستخدم فى بناء العُشاش (مفرد عُشة) ، وهى مساكن شعبية دائرية الشكل أو مربعة تبنى بالأعواد والجريد والأخشاب المتخذة فى الغالب من شجر الأثل، وتكسى من الخارج بطبقة من نبات المرخ، أو الحلفاء، أو القصبى أو الضُرْم (الثمام) وتكسى من الداخل بطبقة من فضلات البقر المكسوة- بعد جفافها- بطبقة أخرى من الطين الأصفر المجلوب من الأطيان الزراعية المتوافرة

فى بطون الأودية، ثم تُبَيَّض من الداخل بالجص أو النورة، وهذا النوع من المساكن ينتشر فى أطراف مدينة اللحية ، أو فى القرى القريبة منها (٥٣).

ويهمنا من عمران اللحية ذلك الجزء القديم الذى يقع بجوار جامع الشيخ الزيلعى من الغرب والشمال الغربى ، وهذا أشرنا إلى أنه تضرر كثيراً من المدفعية البريطانية التى دكَّت المدينة من البحر على التوالى فى سنتى ١٩١٢م (١٣٢٩هـ)، ١٩١٨م (١٣٣٧هـ) ، ولم يبق منه إلا خرائب بعضها أكوام من الحجارة ، وبعضها جدران متهدمة لاتزال بقاياها شاخصة حتى زيارتى الأخيرة للمدينة فى ٢٣ رجب عام ١٤٢٤هـ / ٢١ سبتمبر ٢٠٠٣م (٥٤). وتتكون منازل اللحية فى الغالب من دور واحد أو دورين، ويغلب على المنازل ذات الدور الواحد طراز «المُرَبَّعة» المنتشرة على طول مدن الساحل الشرقى للبحر الأحمر فى كل من مَيدى، وجازان، والقنفذة إلى الوجه فى شمال غرب المملكة العربية السعودية.

وتتكون المربعة- كما هو الحال فى مدينة القنفذة التى لا تزال صورة المربعة فيها حاضرة فى ذهنى - من غرفة واحدة كبيرة يتسع صدرها لأربعة أو خمسة أسِرَّة خشبية من النوع السائد فى تهامة ، ولها بابان نافذان على فناء فسح، وباب ثالث ينفذ على غرفة صغيرة ملحقة بالمربعة تسمى الخزانة، ويلحق بالمربعة ملاحق أخرى أكبرها المجلس الذى لا تقل مساحته على مساحة المربعة فى الغالب ، وتُزِين المربعة من الداخل بمختلف زخارف البناء من عقود وثرىات ونحوها (٥٥)، وكذلك أبوابها يُعْنى بصناعتها وزخرفتها على نحو يعطيها شخصيتها المستقلة ، وطابعها التهامى المميز، ولا تقتصر العناية بالبناء وبزخرفته على المربعات وملحقاتها ، وإنما بالأبنية ذات الطابقين والثلاثة التى تبني فى الغالب من الأحجار البحرية المقدودة من الشعاب المرجانية ، أو من الجبال القريبة من اللحية، والتى هى ذات طبيعة مرجانية كذلك (٥٦).

وكما يتضح من الخرائب الباقية فإن أبنية اللحية تُلَبَّسُ من الداخل بالنورة، أو الجص ، ويدخل الجص أحياناً فى تشكيل عقود الزينة التى تصدر بعض منازل اللحية الفارهة (٥٧). أما أرضيات المباني فكانت تبلط بطبقة مرصوفة من الطين ، أو بالأسمنت بعد شيوع استخدامه فى البناء فى فترات لاحقة.

جامع الشيخ الزيلعى:

يقع جامع الشيخ أحمد بن عمر الزيلعى العقيل على ربوة فى الجنوب الشرقى من المدينة ،

ويطل عليه من الشرق تل جبلى تعلوه إحدى القلاع العثمانية^(٥٨)، وهو من الجوامع الكبيرة فى المديرية، ويتكون من جزئين أمامى وخلفى، فالجزء الأمامى المجاور للمقبرة من الشرق، يبدو أنه أحدث من الجزء الخلفى المقبب، أو أنه هدم وأعيد بناؤه على نحو جعله خالياً من القباب التى تعلو الجزء المكمل له من الجنوب. أما الجزء الخلفى فيكمل الجزء الأمامى من جنوبيه، ويمتد غرباً إلى مسافة تقترب من طول المسافة المكمل للجزء الأمامى. ويتكون من رواقين تعلوهما قباب ضخمة تشبه تقريباً تلك القباب العثمانية التى تعلو جامع الأشراف بمدينة أبى عريش بمنطقة جازان^(٥٩)، وجامع الدبس بالأحساء بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية^(٦٠). ويفضى هذا الرواق من الغرب إلى الزاوية التى كان يتهدج فيها الشيخ الزيلعى ثم إلى بناء رحب تعلوه قبة كبيرة^(٦١)، ويبدو أن هذا البناء كان مخصصاً للمعلامة أو لمكان الدرس الذى كان الشيخ الزيلعى ومن جاء بعده من أبنائه وحفدته يعقدون فيه حلقات الدروس لطلاب العلم، وقيل بأن حلقات الدروس كانت تعقد فى جانب من الرواقين الغربيين المقبيين، وأن القبة الكبيرة المذكورة ما هى إلا قبة ضريحية أنشئت لتكون مدفنًا لصاحبها فُعدل عن ذلك بعد بنائها، أما اليوم فتستخدم مفسلة للموتى، ويتوسط رواق القبلة فى تلك الجهة الخارجة عن كتلة الجامع من الغرب، محراب مقوس تقع بخلته فى جدار صغير تعلوه شرفات متقنة الصنع، وإن كانت فى الوقت الحاضر قد سقطت إحدى تلك الشرفات والباقيات بحاجة إلى صيانة^(٦٢). ويبدو أن هذا الجدار الصغير أقيم فقط من أجل بناء المحراب فى وسطه، لأنه لا يمتد كثيراً إلى شرقى المحراب أو غربيه، وإنما يصل بين قائمتى أحد العقود فى بائكة واحدة من بوائك الرواق. أما باقى البوائك فهى مفتوحة تماماً إلى الناحية الشمالية من تلك الجهة^(٦٣). ولا نعرف على وجه الدقة واليقين وظيفة هذا المحراب، ولعله كان يستخدم مع الرواق الذى يليه، للصلاة فى الأيام القائظة طلباً للهواء البحرى الذى يهب من خلال هذا الجزء المفتوح على الرواق، وعلى المصلين فيه.

ويلحق بالجامع منارة (منئنة) غير عالية نسبياً تقع فى زاويته الشمالية الغربية مما يلى سور المقبرة، وهى طراز محلى فريد يصعب تصنيفه، وإن كنا نميل إلى أنها يمنية الطابع لوجود أشباه كثيرة لها فى جوامع اليمن ومساجدها^(٦٤). والجامع بجميع أقسامه بما فيه المنئنة مكسو باللون الأبيض، وتتخلله من الداخل زخارف معمارية، وأشرطة كتابية تنصدر حنايا العقود فى كل بائكة من بوائك الرواق المقبب^(٦٥)، وهى كثيرة، وتتضمن بعض الآيات القرآنية والأدعية المختارة بعناية لتناسب المقام^(٦٦).

وتقع مقبرة الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي (رحمه الله) في محيط الجامع إلى الشمال الغربي منه، وهي مسورة، وغير كبيرة في مساحتها، وليس بها قباب مشرفة، وإنما هي عبارة عن جدران غير مرتفعة تشبه الأحواض المستطيلة الشكل، ويقع قبر الشيخ الزيلعي في وسطها، وليس له ما يميزه عن سائر القبور سوى خشبة مركوزة في وسط القبر^(٦٧)، أما باقي القبور المحيطة بقبر الشيخ الزيلعي فهي ليست كثيرة، ويقال إنها لأبيه، وأمه وزوجاته، وأبنائه^(٦٨). ويروى أحمد بن علي العقيلي نقلاً عن إمام الجامع، أو القيم الذي يقوم عليه، أنه سأل عن التبرك بقبر الشيخ والنذر عنده هل لا يزال كما كان سابقاً؟ فأخبره القيم أنه لم يحصل شيء من هذه لا في عهده، ولا عهد والده الذي كان قيماً للجامع قبله^(٦٩). ولا شك أن هذا الخبر هو مدعاة للحمد والشكر لله تعالى على بطلان تلك البدع الزائفة.

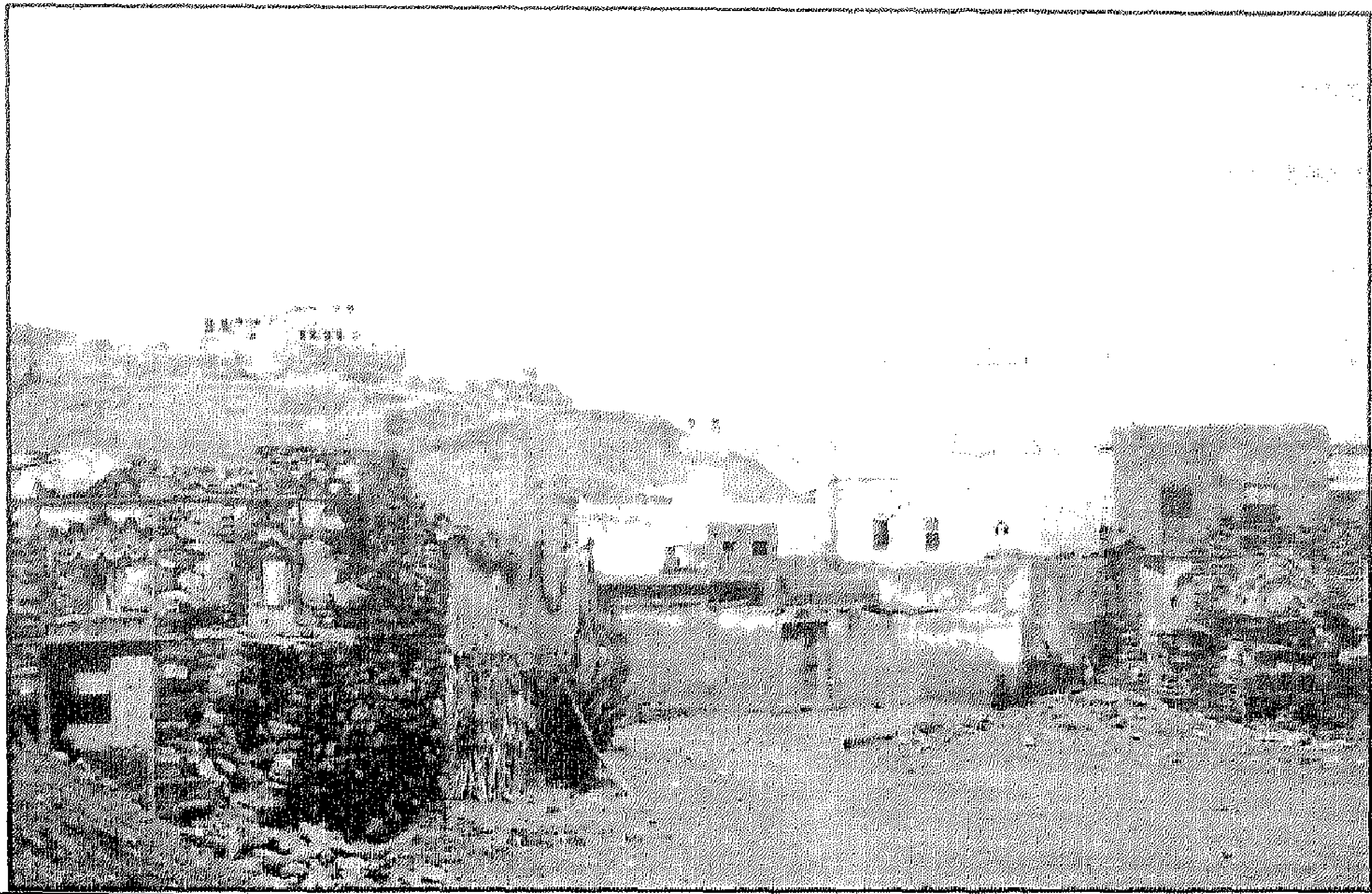
يتضح مما سبق أن الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي هاشمي النسب طالبي الأصل من ذرية عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه، وأنه كان من عباد الله الصالحين، ومن العلماء الذين برزوا في حقل اهتمامه وهو الفقه وعلم التصوف، وأنه كان له تلامذة ومريدون تعلموا على يديه، واقتدوا به في علمه وطريقته في العمل والعبادة. وكان للشيخ الزيلعي وجاهة ونفوذ امتد من وادي مور في جمهورية اليمن إلى وادي خلّب في المملكة العربية السعودية، كما كان له ذرية أخيار صلحاء ساروا على سنن والدهم، وقاموا بتراثه العلمي والروحي في اللحية والمحمول، وسائر المناطق التي امتد إليها نفوذ والدهم الروحي، وظلت مشيخة اللحية، وقوامة جامع الشيخ الزيلعي بها في أيديهم حتى اليوم.

كما يتضح ما طرحه الله سبحانه وتعالى من بركة في ذرية الشيخ الزيلعي (رحمه الله) الذين تكاثرت أعدادهم، وانتشرت ذرياتهم في رقعة جغرافية شملت أجزاء واسعة من اليمن والمملكة العربية السعودية، وبرز منهم علماء أخيار، وأولياء صالحون تركنوا وتشبّهوا أمكنة كثيرة في جزر فرسان وجازان، وجدة، والصالحى، وحلى، وبيّة بمحافظة القنفذة- منطقة مكة المكرمة، وكذلك بمنطقة عسير، ومنطقة المدينة المنورة.

ويتضح كذلك رجوع عمران اللحية إلى اتخاذها داراً من قبل الشيخ الزيلعي، ثم ذريته من بعده؛ فعلى أيديهم نمت وازدهرت وتطورت حتى غدت من المدن الساحلية المهمة في تهامة، وإن كانت الحروب والإهمال قد أثرت في عمارتها التي يعم الخراب والدمار أجزاء واسعة منها في وقتنا الحاضر.



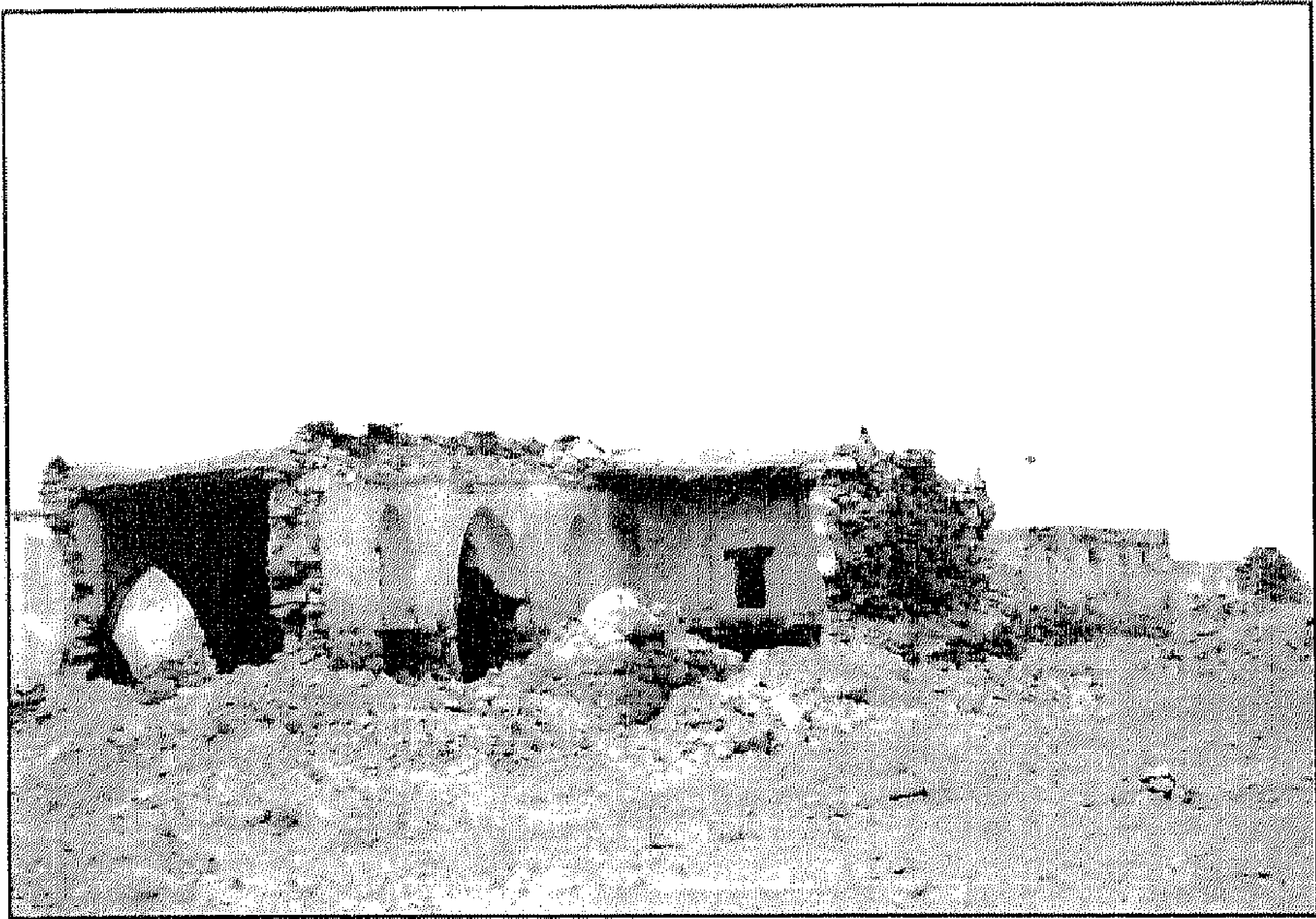
اللوحة رقم (١) مجموعة من العرش المبنية من القش فى إحدى القرى القريبة من اللحية



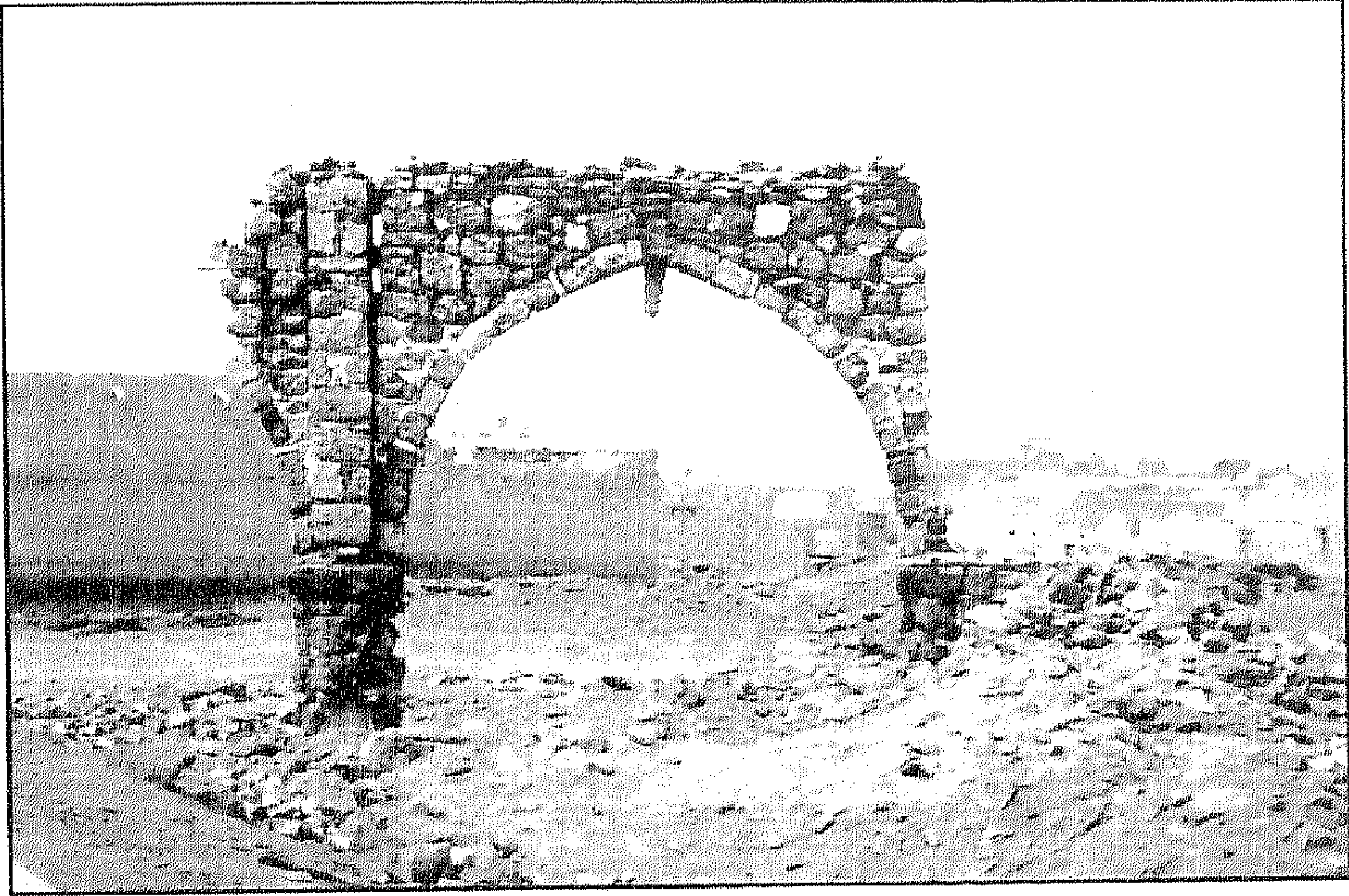
اللوحة رقم (٢) جامع الشيخ أحمد بن عمر الزيلعى تطل عليه إحدى القلاع العثمانية
من الشرق ، وحوله مجموعة من البيوت القديمة فى اللحية : قائمة ومهدمة



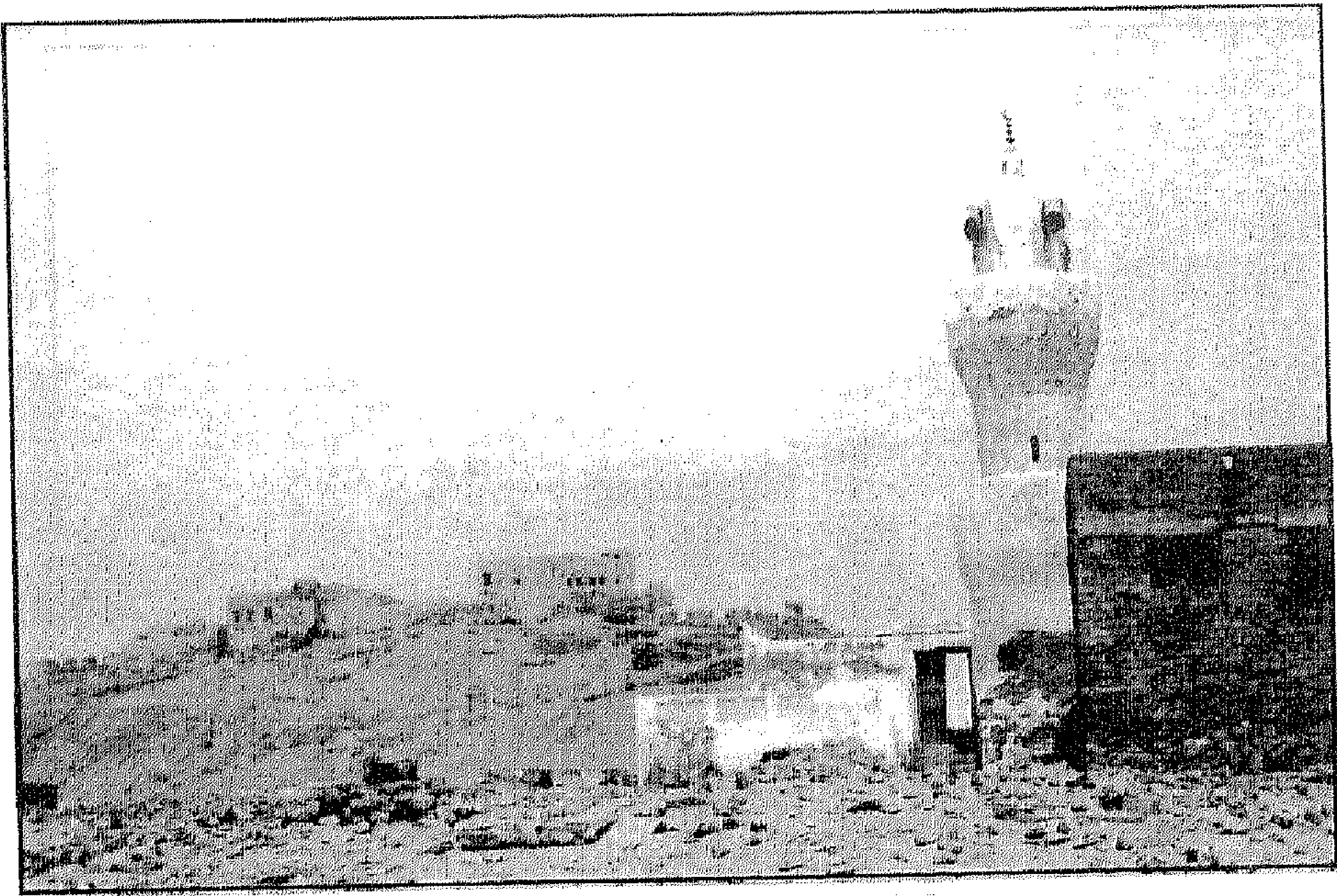
اللوحة رقم (٢) مجموعة من البيوت القديمة المتهدمة في اللحية يتوسطها
جدار شاخص تظهر فيه أقواس معقودة من الجص



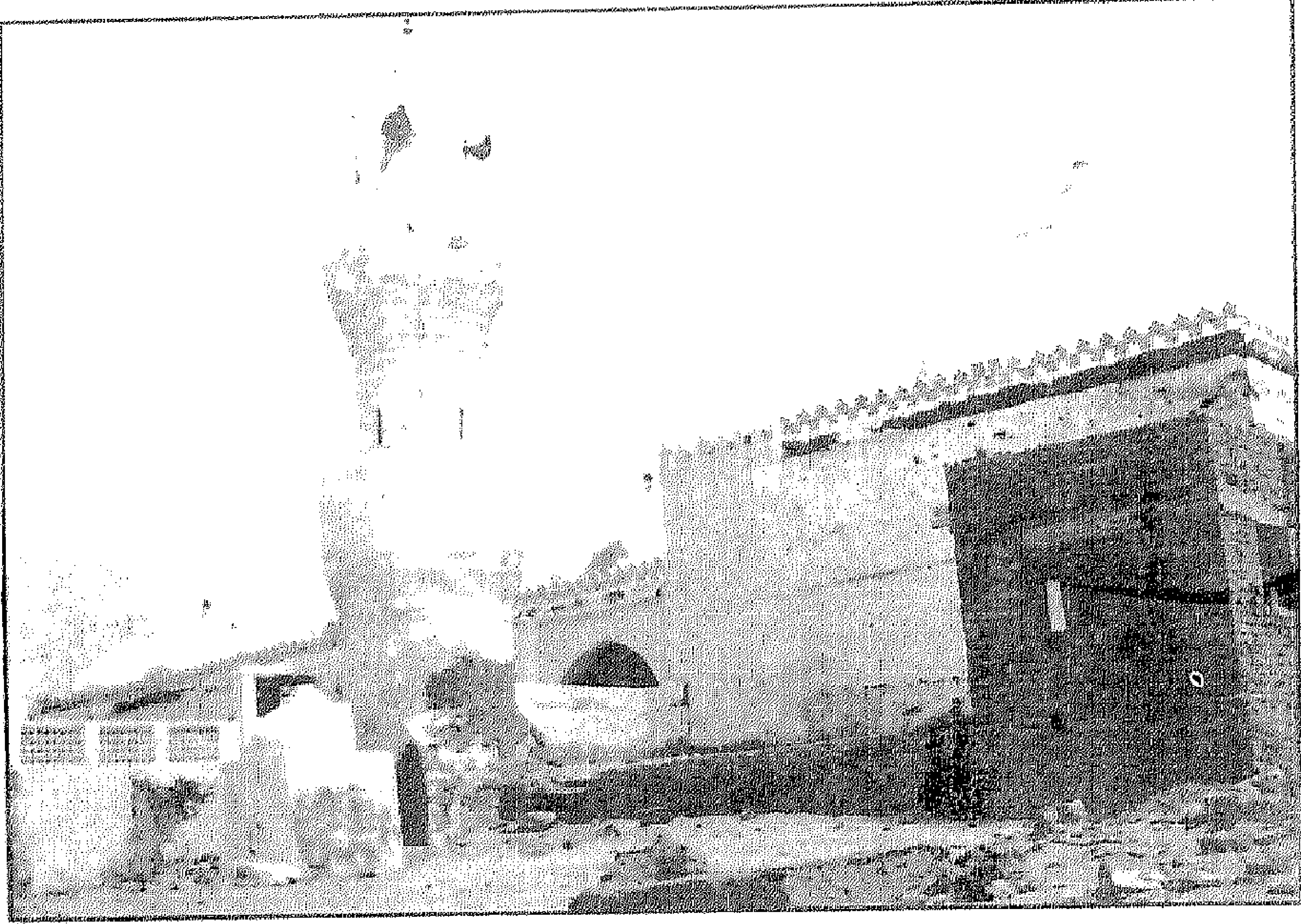
اللوحة رقم (٤) بعض المنازل المتهدمة في اللحية ، وفيها يظهر أسلوب البناء بالأحجار
المرجانية وأشكال العقود وبقايا لياسة الجدران وتبييضها بالنورة



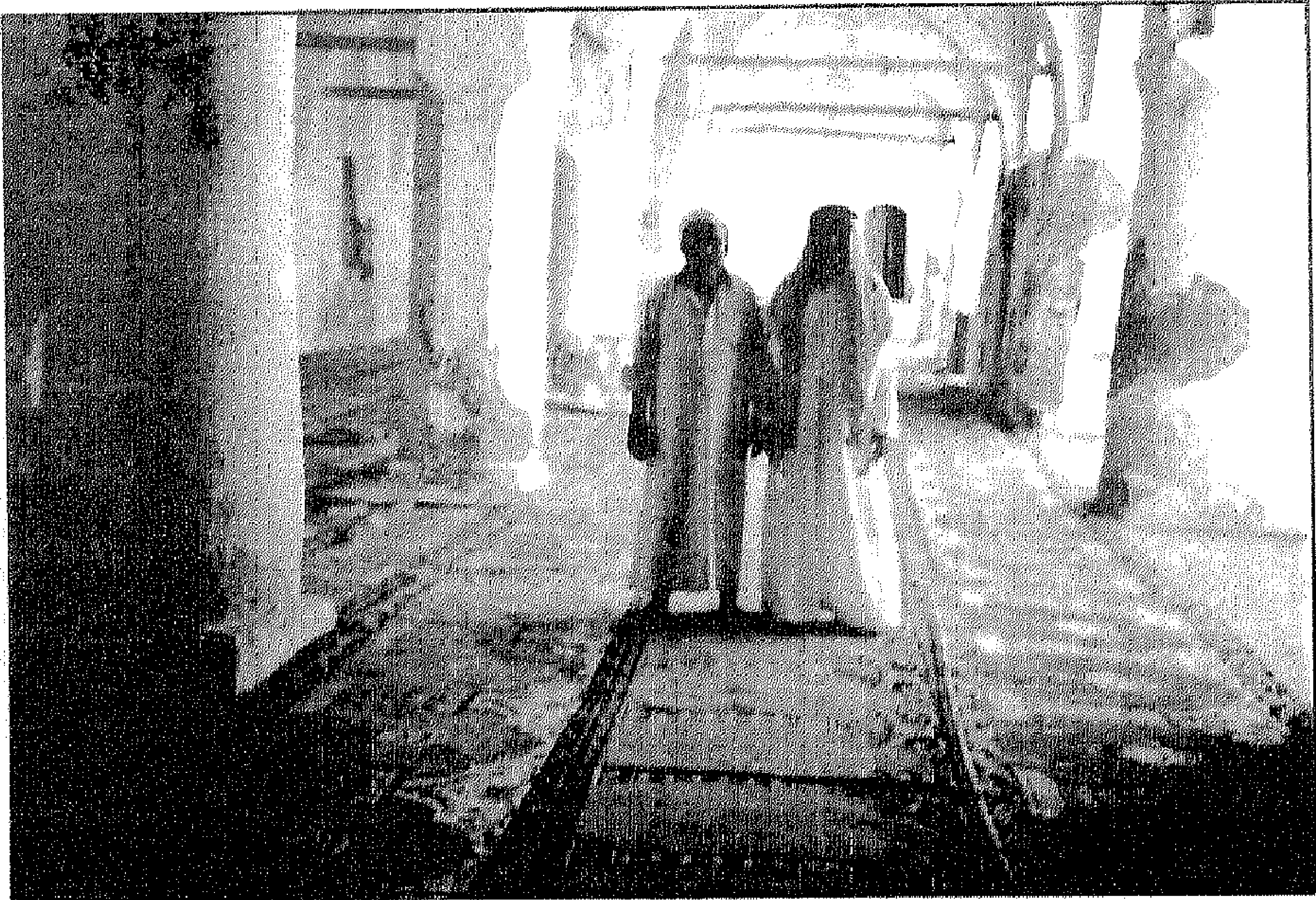
اللوحة رقم (٥) بقايا قوس مبنى من الأحجار المرجانية فيه أثر النورة ظاهرياً بين الأحجار



اللوحة رقم (٦) إحدى القلاع العثمانية فوق تل جبلى تطل من الشرق على جانب من جامع الشيخ أحمد بن عمر الزيلعى



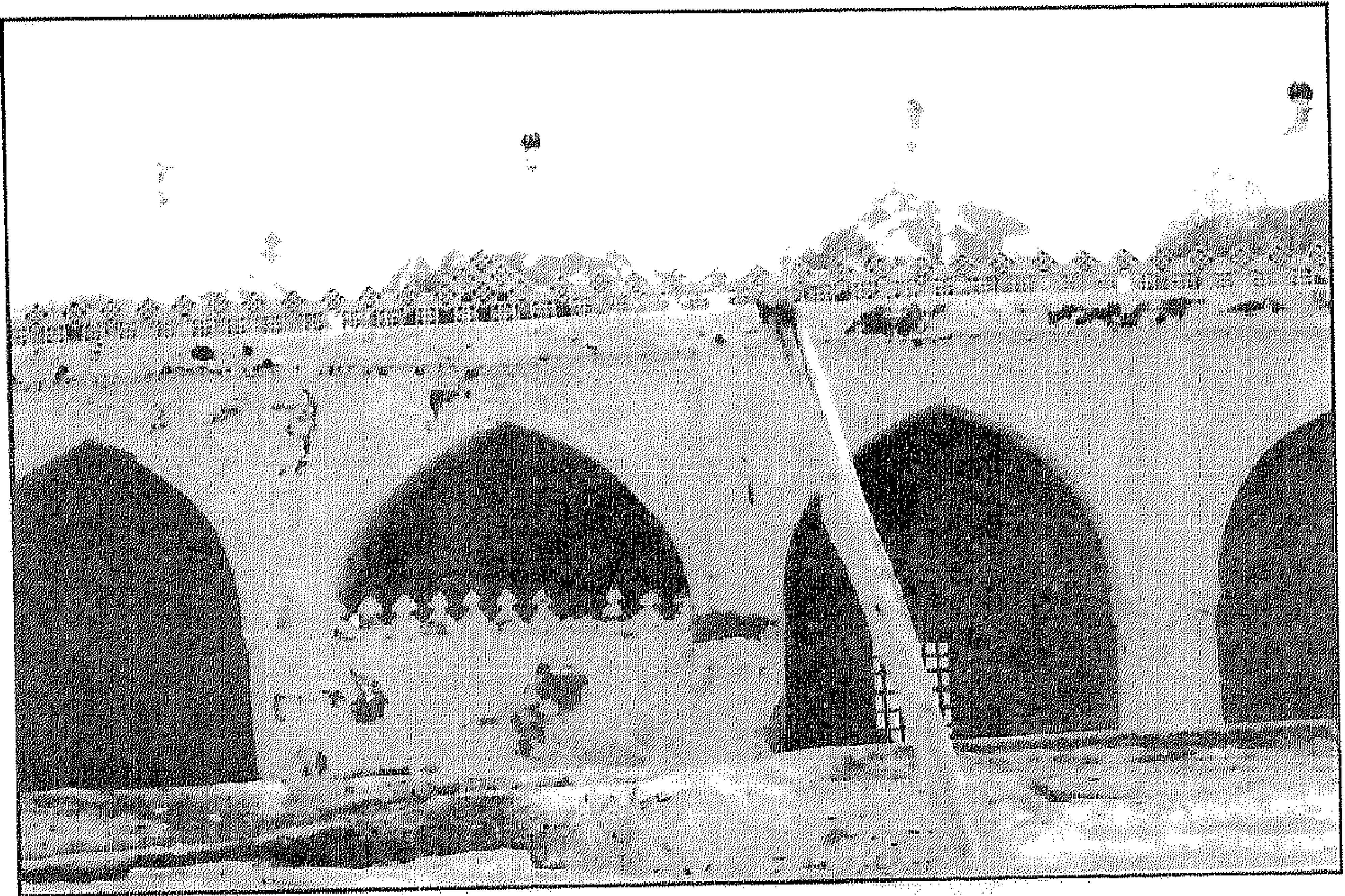
اللوحة رقم (٧) جانب من جامع الشيخ الزيلعي تبدو فيه المئذنة والقبلة الكبرى ، وبعض القباب الضحلة التي تظلل رواقية المقبيين. وإلى يسار المئذنة جانب من سور المقبرة



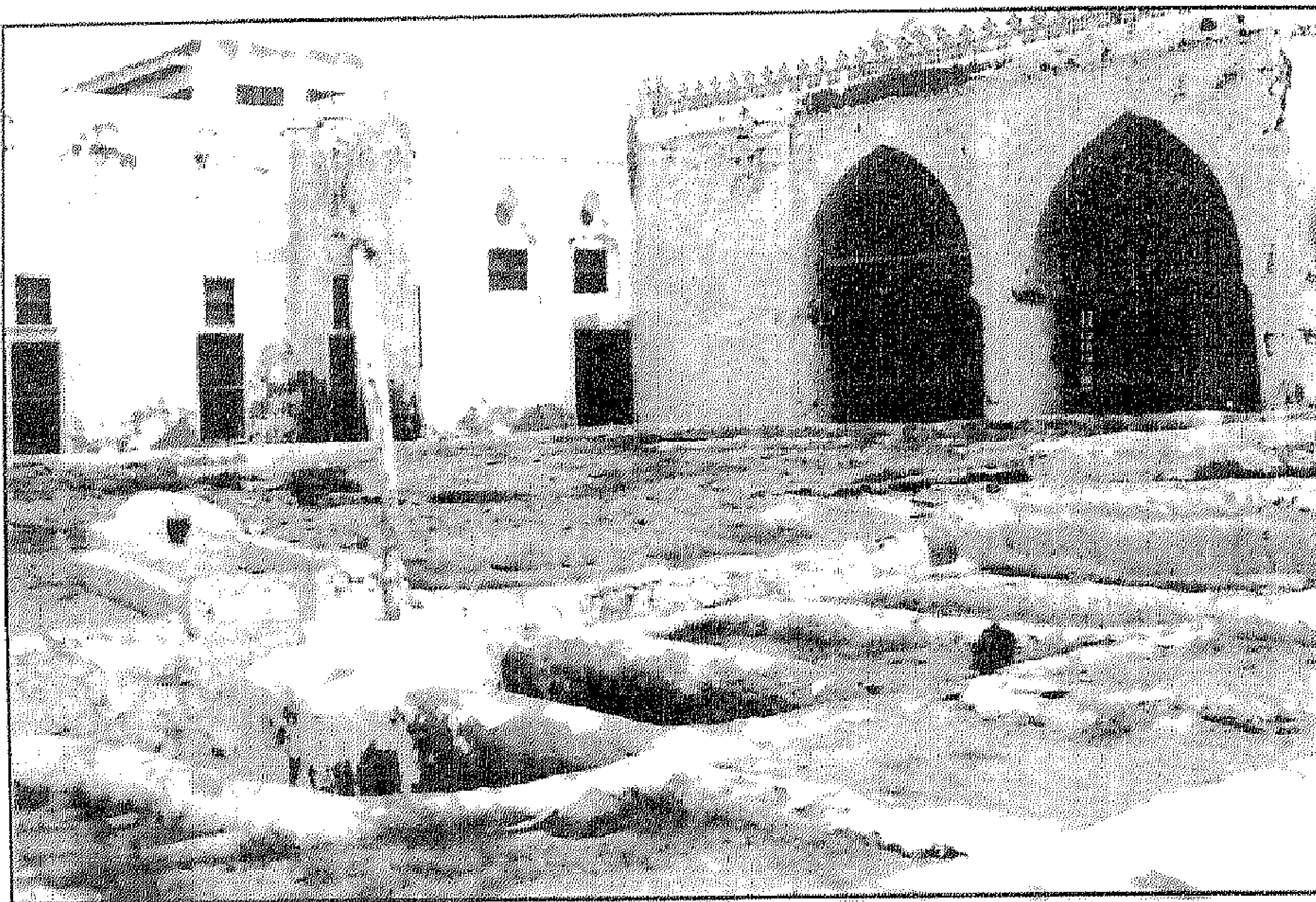
اللوحة رقم (٨) أحد رواقى الجامع المقبيين من الداخل ، وفي الصورة مؤذن الجامع مع الباحث



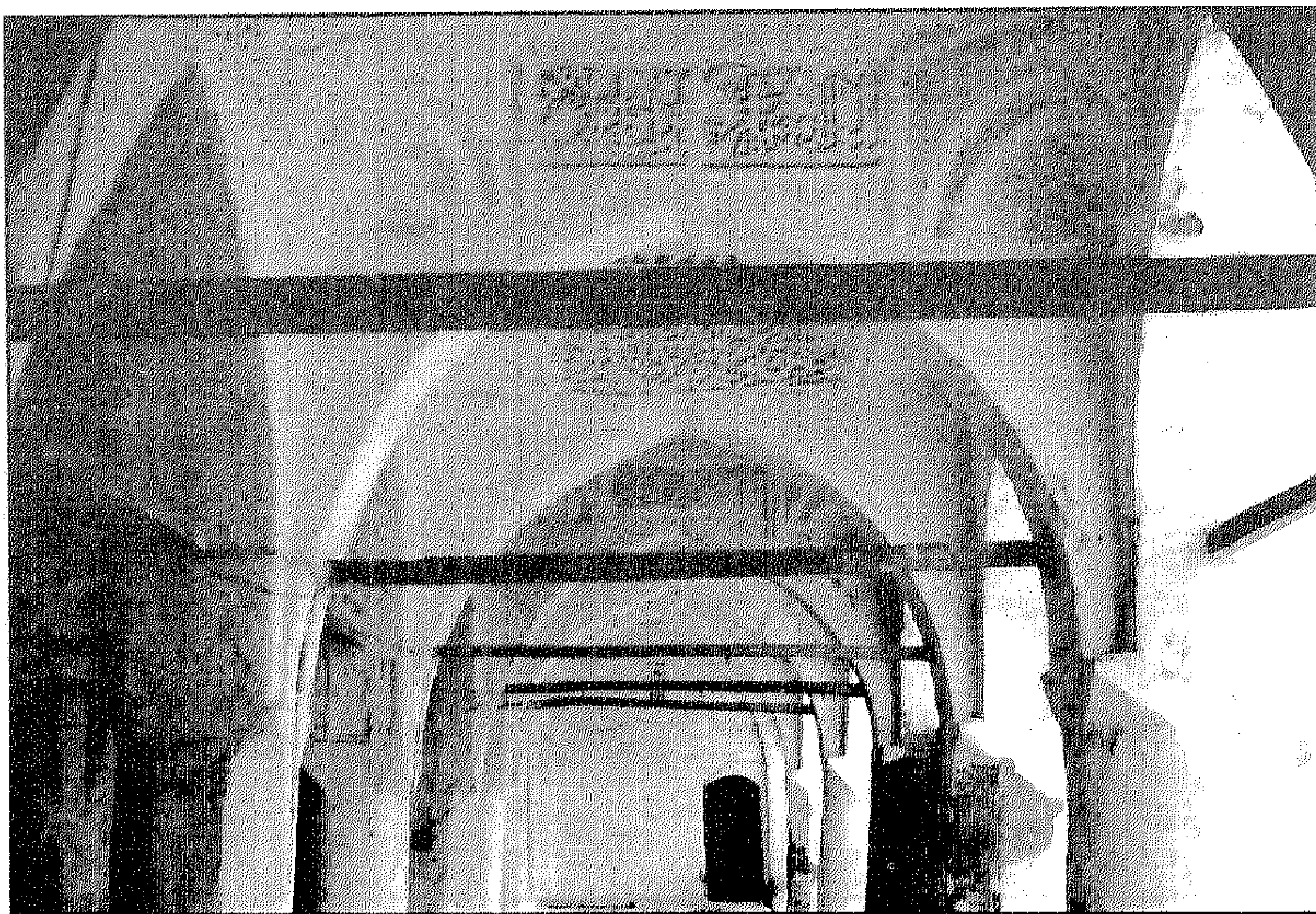
اللوحة رقم (٩) المحراب الذى يتصدر الجزء الغربى المقبب من جامع الشيخ الزيلعى ، ويرى فى الصورة سقوط إحدى الشرفات فى الجدار القصير الذى يتصدر المحراب نفسه



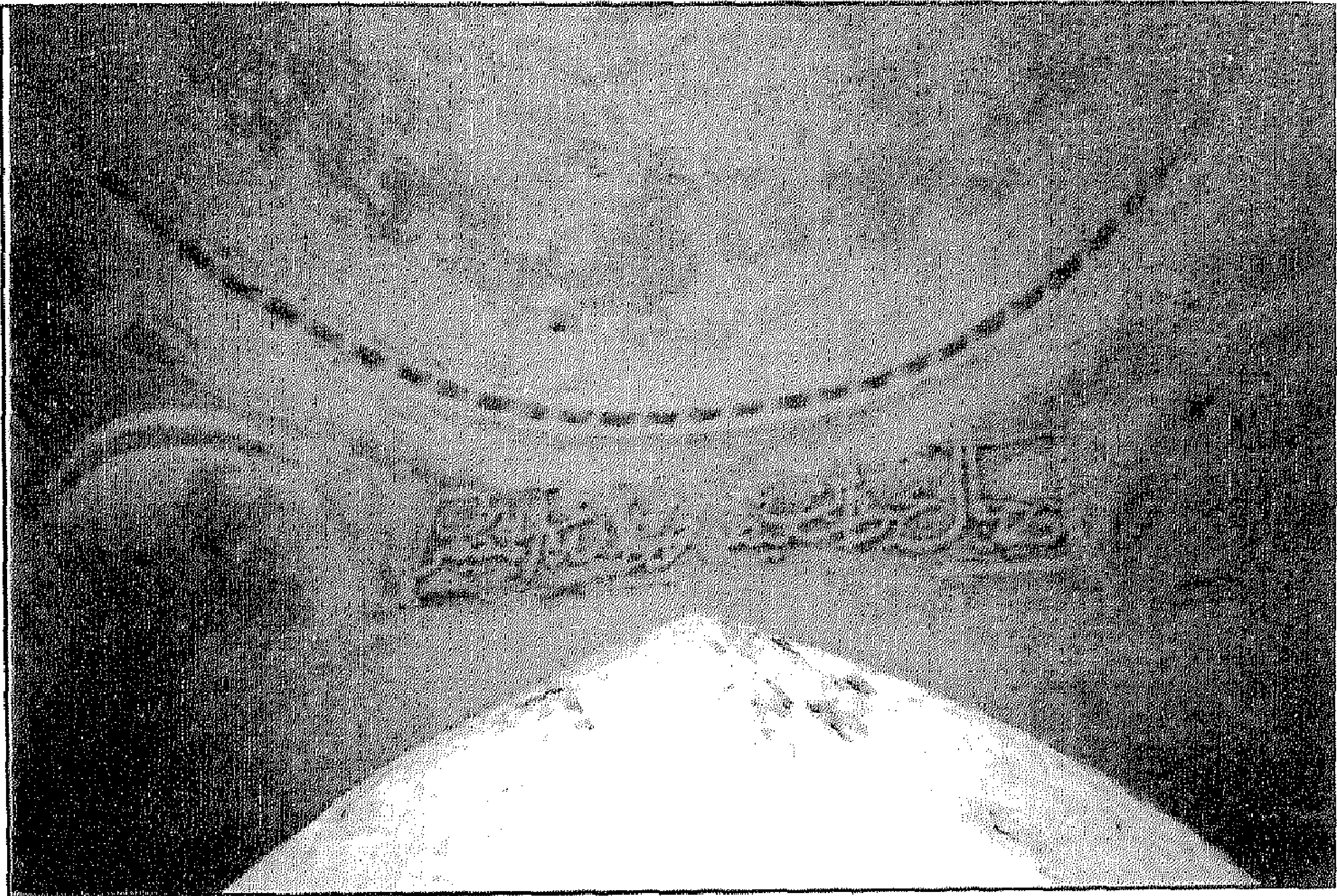
اللوحة رقم (١٠) صورة الجدار الذى يتوسطه المحراب من الخلف ويرى فى الصورة أنه ليس جدارا كاملا وإنما يصل فقط بين عتودى إحدى البوائك فى الرواق على حين أن باقى البوائك مفتوحة وتطل من الشمال على المقبرة المسورة



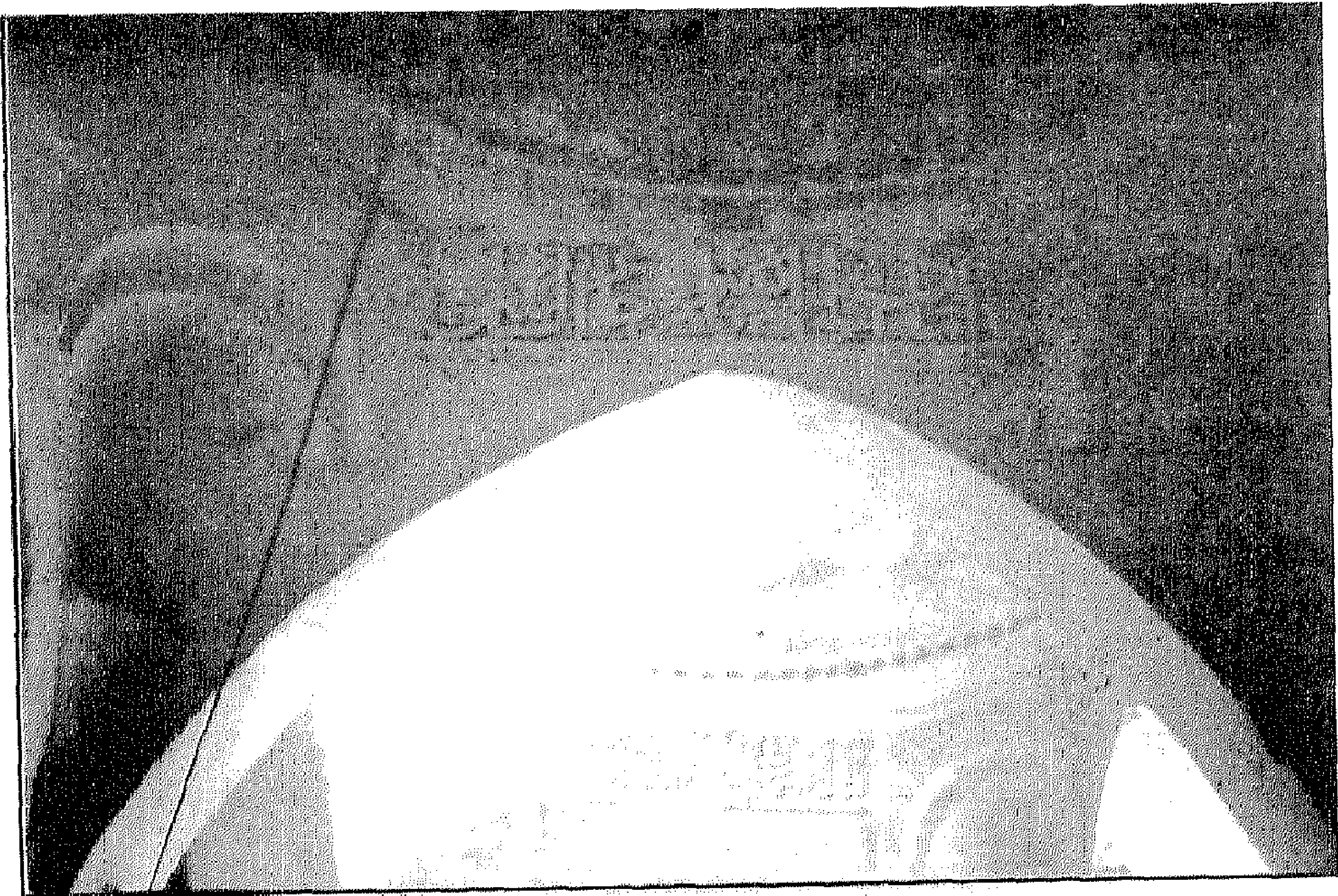
اللوحة رقم (١١) الشاحنة التي تحتلها المقبرة المسورة في الطرف الشمالي الغربي من مساحة المسجد ، وفي وسطها قبر الشيخ الزيلعي معلم بخشبة مركوزة في وسطه



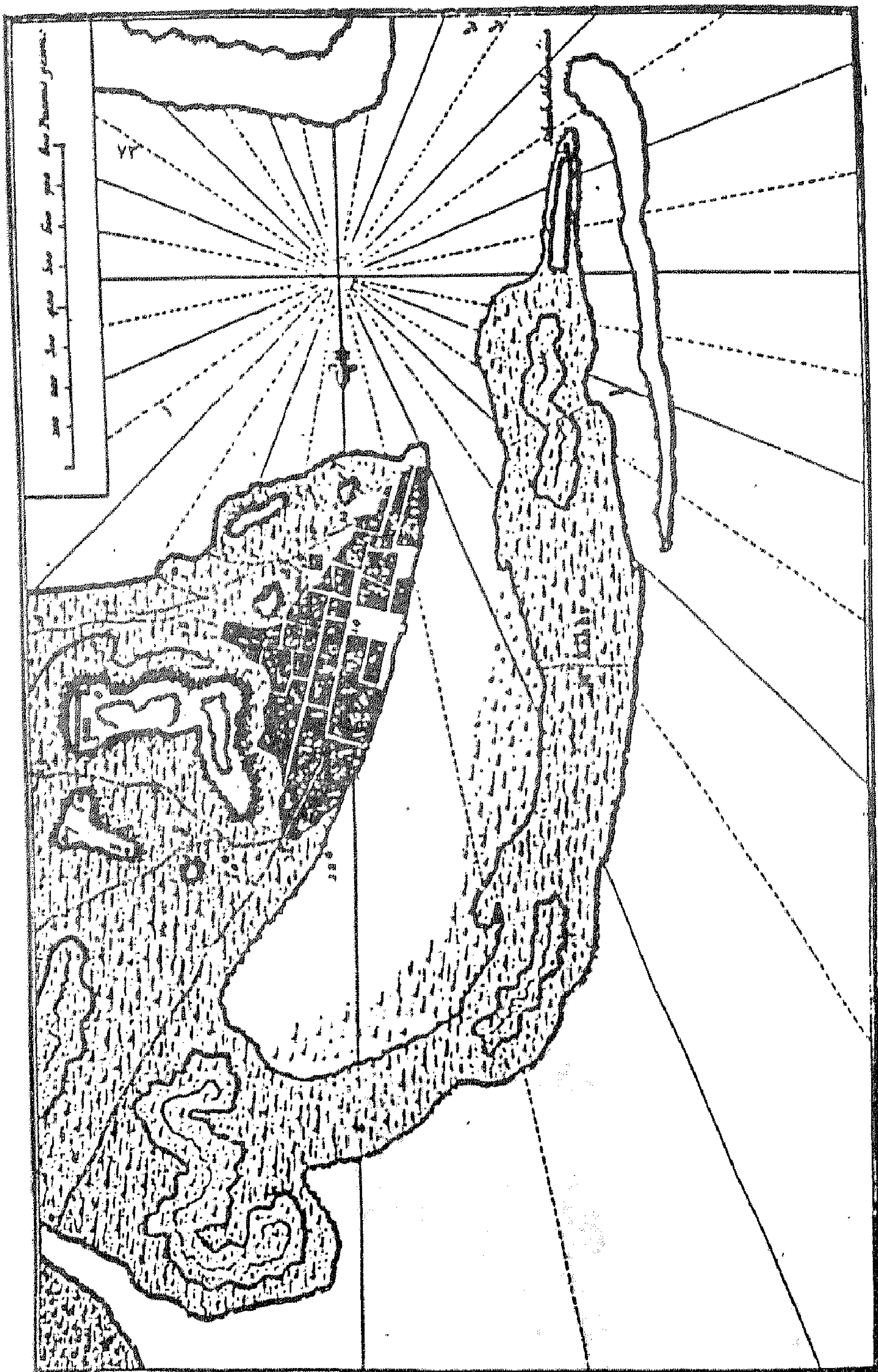
اللوحة رقم (١٢) بعض عقود أروقة المسجد الجامع المقبية تعلوها كتابات قوامها آيات قرآنية وأدعية تناسب المقام.



اللوحة رقم (١٣) كتابة بخط الثلث تعلو أحد الأقواس المقببة ، وقراءتها :
(فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين)



اللوحة رقم (١٤) كتابة بخط الثلث تعلو أحد الأقواس المقببة ، وقراءة
" يا أيها المؤمنون ويا أيها الذين آمنوا "





شكل رقم (٢) ميناء اللحية بريشة بورنغافيد من كتاب: من كوينهاجن إلى صنعاء لتوركيل هايسن.

الإحالات والمصادر والمراجع

- ١- المقحفى، إبراهيم أحمد؛ معجم البلدان اليمنية، صنعاء ، دار الكلمة للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢ م، ج ٢ ، ص ص ١٣٧٠-١٣٧١ .
- ٢- المرجع نفسه، ص ١٣٧١ ؛ العجرى ، مجموع البلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق وتصحيح ومراجعة إسماعيل بن على الأكوع، ط (١) ، صنعاء ، وزارة الإعلام والثقافة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ج ٢ ، ص ٦٧٩ .
- ٣- العقيلي ، محمد بن أحمد ؛ المعجم الجغرافى للبلاد السعودية- مقاطعة جازان، الرياض، دار اليعامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، ج ١ ، ص ٦١ .
- ٤- الصايدى ، أحمد قايد ، المادة التاريخية فى كتاب نيبور عن اليمن، ط ١ ، بيروت، دار الفكر المعاصر ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص ٢٢٠ .
- ٥- المقحفى، معجم البلدان اليمنية، ج ٢، ص ١٣٧١؛ العجرى، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج ٢ ، ٦٧٩ .
- ٦- المقحفى ، معجم البلدان اليمنية ، ج ١ ، ص ٧٥٥ .
- ٧- انظر العسرى، حسين بن عبدالله ؛ مئة عام من تاريخ اليمن الحديث، ط (١) دمشق، دار الفكر، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م، ص ٢٥٨ .
- ٨- المرجع نفسه، ص ٣٣٤ .
- ٩- هانسن ، توركيل، من كوبنهاجن إلى صنعاء، ترجمة أحمد محمد الرعدى، بيروت، دار العودة، ١٩٨٢م، ص ص ٢١١-٢١٨-٢٢٧ .
- ١٠- الصايدى، المادة التاريخية فى كتاب نيبور عن اليمن، ص ٥٣ ، وانظر أيضاً فى المرجع نفسه ص ٩ .
- ١١- هانسن ، من كوبنهاجن إلى صنعاء، ص ص ٢١٨-٢٢٧ ، الصايدى، المادة التاريخية فى كتاب نيبور عن اليمن، ص ٥٣ ، ص ٥٤ .
- ١٢- الصايدى، المرجع نفسه، ص ٢٢٠ .
- ١٣- المرجع نفسه والصفحة نفسها، وانظر شكل رقم (١)، وشكل رقم (٢) .
- ١٤- الريحانى، أمين، ملوك العرب، ط (١) ، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المجلد الأول، ص ٣٧١ .

١٥- العقيلي ، أحمد بن علي الراجحي، العقيليون في المخلاف السليماني وتهامة، ط٢ ، دار المنار، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ١٠٥ .

١٦- الريحاني، ملوك العرب، المجلد الأول، ص ٣٧٢ .

١٧- سالم، السيد مصطفى ، تكوين الحديث، ط (٢) ، الإسكندرية ، مكتبة سعيد رأفت / ١٩٧٠م، ص ٢٧٨-٢٨٢؛ اللواسعي ، عبد الواسع بن يحيى، تاريخ اليمن، ط٣ ، صنعاء الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٣٣٨ .

١٨- سالم ، تكوين اليمن الحديث ، ص ٣٩٥-٤٠١؛ السيد ، عصام ضياء الدين؛ عسير في العلاقات السياسية السعودية اليمنية، ط١ (١) ، القاهرة ، دار الزهراء، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ص ٢٧٩-٢٨٩ .

١٩- السيد، تكوين اليمن الحديث، ص ٤٢٣، وانتظر نص المعاهدة في المرجع نفسه، ص ٥٤٤-٥٥٨ ؛ اللواسعي، تاريخ اليمن، ص ٣٩١-٤٠٣ .

٢٠- العقيلي ، أحمد بن علي الراجحي، العقيليون في المخلاف السليماني وتهامة، ص ١٠١ .

٢١- المرجع نفسه والمنفعة نفسها .

٢٢- الشرجي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد اللطيف ، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، ط (١) ، صنعاء الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ص ٧٤-٧٥ ؛ العقيلي، أحمد بن علي الراجحي ، العقيليون في المخلاف السليماني تهامة، ص ١٠١ .

٢٣- الأهدل، الحسين بن عبد الرحمن بن محمد، علماء اليمن، مخطوط المكتبة البريطانية، رقم Or. 1345 ورقة ١١٦أ.

٢٤- المصدر نفسه، ورقة ١١٥ب.

٢٥- الجندي، أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب السكسكي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد بن علي الاكوع، ط (١) صنعاء ، وزارة الإعلام والثقافة ، ج٢، ص ٣١٧ .

٢٦- الخزرجي ، علي بن حسين الخزرجي، العقود الزلوية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق محمد بسيوني عسل، القاهرة، مطبعة الهلال ١٣٢٩هـ / ١٩١١م، ج١، ص ٣٦٥ .

٢٧- الأهدل ، علماء اليمن، مخطوط، ورقة ١١٥ ب .

٢٨- المصدر نفسه، ورقة ١١٦ب.

٢٩- الشرجى. طبقات الخواص ، ص٧٤ .

٣٠- الوشلى، إسماعيل بن محمد ، نشر الثناء الحسن على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن وذكر الحوادث الواقعة فى هذا الزمن، تحقيق الحسين إبراهيم المقحفى، ط (١)، صنعاء ، مكتبة الإرشاد ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

٣١- الوشلى، السيد إسماعيل بن محمد، إرهاف السيف الصقيل للرد على من أنكر فضل آل عقيل، مخطوط، ص ص٣-٦ .

٣٢- التصوف فى تهامة ، ط (٢) جدة، دار البلاد، ص١٥٧ .

٣٣- انظر: ص ١٠١ والصفحات التى بعدها .

٣٤- الروض الزاهر فى سيرة التاريخ والنسب الظاهر للأسر القرشية العدنانية بمنطقة جازان، ط١ الرياض. ١٤٢٠هـ / ١٩٩٥م ص ص٢٥٢-٢٥٧ .

٣٥- ط (٢) ، الرياض ، مكتبة العزيزية ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ص ص٣٦٧-٣٨٢ .

٣٦- ط (١) مكة المكرمة ، دار مكة للنشر والتوزيع ، ص ص٥٤-٦٠ .

٣٧- الجندى، السلوك ج ٢ ، ص٣١٨ .

٣٨- انظر على سبيل المثال: الأهدل، علماء اليمن، مخطوط ورقة ١١١٧؛ الشرجى، العقود اللؤلؤية ، ج(١) ص ٢٦٥ ، الشرجى ، طبقات الخواص ، ص ص٧٥-٧٦ ؛ الوشلى، نشر الثناء الحسن، ج ٢ ص ص٥٦-٦٠ ، وانظر هذه القصة كذلك فى العقيلي، محمد بن أحمد ، التصوف فى تهامة، ص ١٥٧ .

٣٩- الأهدل ، علماء اليمن، مخطوط ، ورقة ٤٩ب ، العقيلي، محمد بن أحمد، التصوف فى تهامة، ص ١٥٨ ؛ العقيلي، أحمد بن على الراجحي ، العقيليون فى المخلاف السليماني وتهامة، ص ص١٠٢-١٠٣ .

٤٠- العقيلي ، محمد بن أحمد ، التصوف فى تهامة، ص ص١٥٨-١٥٩ .

٤١- العقيلي ، أحمد بن على الراجحي ، العقيليون فى المخلاف السليماني وتهامة ، ص ١٠٢ .

٤٢- الأهدل، علماء اليمن، مخطوط ، ورقة ٤٦ أ.

٤٣- المصدر نفسه والورقة نفسها.

٤٤- انظر العقيلي ، أحمد بن علي الراجحي، العقيليون في المخلاف السليماني وتهامة، ص ١٠٢ ، نقلًا عن الأهدل في كتابه ، بهجة القلوب، ص ١٩ .

٤٥- الأهدل ، علماء اليمن، مخطوط ، ورقة ٤٧ أ العقيلي، أحمد بن علي الراجحي، العقيليون في المخلاف السليماني وتهامة، ص ص ١٠٣-١٠٤ .

٤٦- العقيلي، المرجع نفسه، ص ١٠٤ .

٤٧- عن انتشار ذرية الزيلى وأماكن سكانهم ، انظر : العقيلي، أحمد بن علي الراجحي ، العقيليون في المخلاف السليماني وتهامة، ص ١٠٩ ، والصفحات التي بعدها في أمكنة متعددة، ولزيد من المعلومات انظر ، الوشلى ، نشر الثناء الحسن، ج ٣ ، ص ص ٦٠-٦٧ .

٤٨- الأهدل ، علماء اليمن ، مخطوط ، ورقة ٤٧ أ ؛ الوشلى، نشر الثناء الحسن ، ج ٣ ، ص ٦٠ .

٤٩- الأهدل ، علماء اليمن، ورقة ١٤٨، ٤٨ ب .

٥٠- العقيلي ، أحمد بن علي الراجحي ، العقيليون في المخلاف السليماني وتهامة ، ص ١٨٥ .

٥١- المرجع نفسه والصفحة نفسها، شيخ اللحية من أحفاد الفقيه الشيخ أحمد بن عمر الزيلى (رحمه الله) في وقتنا الحاضر هو السيد محمد بن عيسى بن إبراهيم بن مقبول العقيلي الزيلى .

٥٢- الصايدى ، المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، ص ٢٢٠ .

٥٣- المرجع نفسه والصفحة نفسها؛ وانظر اللوحة رقم (١) رافقني في هذه الرحلة الأخ العزيز الأستاذ بروجي بن أحمد المتحمى المعلم بمدرسة عبد الملك بن مروان بالحبيل (حى قنبر) ، وتحمل كثيراً من المشاق ، ودلني بمعرفته على كثير من المواقع في اليمن، فله الشكر والعرفان.

٥٤- انظر اللوحات نوات الأرقام ٢، ٤، ٥ .

٥٥- انظر اللوحة رقم (٢) .

٥٦- انظر اللوحة رقم (٥) .

٥٧- انظر اللوحة رقم (٢) .

٥٨- انظر اللوحات نوات الأرقام ٢، ٦، ٧ .

٥٩- Philby , H.St.J.B., Arabian Highlands, “ New York Corenell University Press, 1976 , p. 577 , Figure 55 .

٦٠- عن مشاهدة شخصية ، وهو من المساجد التاريخية المهمة بالأحساء، ولم يأخذ حقه من الدراسة حتى الآن .

٦١- انظر العقيلي، أحمد بن علي الراجحي ، العقيليون في المخلاف السليماني وتهامة، وانظر كذلك اللوحة رقم (٧) .

٦٢- انظر اللوحة رقم (٩) .

٦٣- انظر اللوحة رقم (١٠) .

٦٤- انظر اللوحة رقم (٧) .

٦٥- انظر اللوحة رقم (١٢) .

٦٦- انظر اللوحة رقم (١٣) واللوحة رقم (١٤) .

٦٧- انظر اللوحة رقم (١١) .

٦٨- العقيلي، أحمد بن علي الراجحي، العقيليون في المخلاف السليماني وتهامة .

٦٩- المرجع نفسه، والصفحة نفسها .

د. أحمد محمد إسماعيل الجمال (*)

طرق التجارة الخارجية للمغرب والأندلس

خلال القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى

(عصر الموحدين)

أولاً : الحياة الاقتصادية فى عهد الموحدين:

أسس الموحدون دولتهم على أسس مركزية قوية، وانعكست تلك الصورة على الوضع الاقتصادى الذى تميز بالتطور الذى شمل جميع القطاعات الاقتصادية نتيجة للظروف الطبيعية الملائمة ، وسيادة الأمن والاستقرار ، باستثناء فترات قصيرة نتجت عن بعض الفتن والثورات .

وقد تعددت مصادر الثروة الاقتصادية فى المغرب والأندلس. ففي المجال الزراعى: شهد العصر الموحدى جهوداً كبيرة لتوفير المياه للزراعة وذلك بتنظيم وسائل الري والصرف ، بإنشاء الجسور والقناطر والسدود وحفر الترع والقنوات التى لاحصر لها فى مختلف الأنحاء^(١)، فى مراكش وسلا والرباط^(٢)، وفاس وسبته^(٣)، بالمغرب ، وفى أشبيلية^(٤) بالأندلس. وترتب على مشاريع الري استصلاح واستغلال أراضى كثيرة فى الفترة الموحدية (القرن السادس الهجرى) . وأغلب الظن أن هذا الجهد الموحدى شجع الناس على الزراعة، فلأخذوا يستثمرون أراضى لم تكن زراعية من قبل وفى أشبيلية شملت الزراعة

* مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية ، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ، فرع سمهور .

حتى مناطق الحلفا^(٥)، وفي سهول فاس انتشرت الزراعة حتى في الأماكن المالحة بعد إصلاحها^(٦)، وعمت الزراعة سهول البلاد الغربية كلها بعد أن كانت مقفرة^(٧).

من هنا نجد أن الدولة الموحدية أولت الزراعة عناية خاصة، فأمر عبد المؤمن أهل البلاد الغربية بالعودة إلى أوطانهم وفلاحتها^(٨)، وتذكر المصادر أن الزراعة قد اتسعت في المغرب كله، وعمّ الرخاء والهناء أهله، خاصة في خلافتي يوسف والمنصور^(٩). وتوصف الزراعة في المغرب الأقصى خلال القرن السادس الهجري بالنمو والازدهار، ويكونها تجاوزت مستوى الاكتفاء الذاتي وانتقلت إلى مرحلة تصدير العديد من المنتجات الزراعية نحو الأندلس وأفريقية، نتيجة وجود فائض في الإنتاج خصوصاً الحبوب والسكر، وبعض الفواكه المجففة والقطن والكتان والنيلج وغيرها^(١٠).

كان القمح من أهم المنتجات الزراعية بالمغرب وأهم مناطق إنتاجه منطقة السوس^(١١) وتامسنا^(١٢)، وتادلا^(١٣)، والسايس^(١٤)، ومنطقة الهبط^(١٥)، وسجلماسة^(١٦). وتحتل منطقة تامسنا المرتبة الأولى في إنتاجه يدل على ذلك أثمانه الرخيصة جداً في المنطقة، وتصديره إلى الخارج عبر موانئ كثيرة مثل أسفى ومازغان وفصالة، وانفا^(١٧).

أما قصب السكر فتنتشر زراعته بالمغرب في وادي السوس، وتارودانت^(١٨)، وعلى طول وادي نفيس^(١٩)، وبضواحي قرية بليونش^(٢٠)، ويذكر الإدريسي أن قصب السكر في السوس يعتبر أكثر الأنواع حلاوة وكثرة ماء، وانتشاره في المنطقة يمتد على مساحة واسعة طويلاً وعرضاً بشكل لا يوجد مثله في غيره من الأماكن، ويحول محلياً إلى سكر، وشهرة سكر السوس تعم بتصديره عدة مناطق خارج المغرب خاصة وأنه أحسن الأنواع في الطيب والصفاء^(٢١).

أما بالنسبة للقطن تعتبر أشبيلية أهم منطقة لزراعته بالأندلس، حيث يذكر الحميري أن القطن يجود بأرضها فيعم بلاد الأندلس^(٢٢)، ويؤكد ذلك ياقوت: «ومما فاقت (إشبيلية) به غيرها من نواحي الأندلس زراعة القطن، فإنه يحمل منها إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب»^(٢٣).

كما اشتهرت الأندلس بزراعة الزعفران Azafraan وأهم مناطق زراعته في بياسة^(٢٤)، وبسطة^(٢٥)، وباجة^(٢٦)، (من أعمال غرناطة) وبلنسية^(٢٧)، وإفراغة^(٢٨)، وطليطلة^(٢٩)، والمعروف أن الأندلس كانت من أبرز مناطق إنتاج الزعفران في العصور الوسطى، وكانت له

أهمية كبيرة فى التجارة العالمية نظراً لاستخداماته العديدة فى الصباغة والطيب والطعام والعقاقير الطبية(٢٠).

ومن ناحية الثروة الغابية: اشتهرت المغرب والأندلس بغاباتها الكثيفة وأخشابها الجيدة التى تغطى مساحات كبيرة من المناطق الجبلية، ولكن غابات الأندلس تميزت بأخشابها المتنوعة الجيدة التى تعددت مجالات استخدامها، ومن أهمها أشجار الصنوبر(٢١) الذى استخدم لجودته فى بناء السفن وصواريخها وصناعة الأثاث. كما اشتهرت قرطاجنة فى شرق الأندلس بنبات الحلفاء الذى استخدم فى صناعة الحصر والقفاف والسلال، وكان يصدر عن طريق ميناء لقنت Alicante إلى جميع بلدان حوض البحر المتوسط(٢٢).

أما من ناحية الثروة الحيوانية فنظراً لاختلاف البيئة الجغرافية بالمغرب فقد ظهر اختلاف فى توزيع ثرواته الحيوانية فى بيئاته المختلفة ، لقد كانت منطقة الأغنام والأبقار فى البلاد الشرقية هى جبل زغوان وبونة وشرشال والجزائر وجيجل وقسنطينة، وفى البلاد الغربية هى تلمسان وجبال غمارة وسهولها الغربية ومنطقة فاس تادلا والسهول الساحلية الغربية والسوس وسجلماسة ودرعة(٢٣). وتجدر الإشارة إلى أن الأبقار والأغنام كثر فى البلاد الغربية، وكثيرا ما كانت تصدر إلى سواحل الأندلس الشرقية من تلمسان ، وإلى السواحل الغربية الأندلسية من سهول البلاد الغربية الساحلية عبر مرسى فضالة(٢٤).

كم اشتهرت المغرب والأندلس بوفرة ثرواتها المعدنية التى تكثر فى جبالها وسهولها، وإلى البكرى والإدريسى يرجع الفضل الأعظم فى إلقاء الضوء على الأماكن التى توجد بها الثروات المنجمية ونظام استغلال المناجم فى القرن الخامس والسادس .

ومن أهم المعادن فى المغرب والأندلس: الذهب حيث ذكر الجغرافيون أن الذهب يوجد فى بلاد السودان بكثرة(٢٥)، وكانت ترد منه إلى المغرب كميات كثيرة، وقد أولى الموحدون منذ قيام ثورتهم اهتماماً خاصاً لضمان تأمين تدفق ذهب السودان عندما سارعوا بالاستيلاء على مدينة سجلماسة(٢٦) - المركز الرئيسى لتجارة الذهب ومرور قوافله(٢٧) - سنة ٥٣٥هـ - ١١٤٠م أى قبل الاستيلاء على العاصمة ماركش فضمنوا بذلك تحكمهم فى ذهب السودان كما تعددت مناطق إنتاج الفضة فى المغرب(٢٨)، والأندلس(٢٩)، وكذلك مناجم الحديد(٣٠) والنحاس(٣١). ومن أجود أنواع النحاس ذلك الذى يستخرج من منجم داي بسهل تادلا ، فهو «نحاس خالص لا يعدله غيره من النحاس بمشارك الأرض ومغاربها لقي رواجاً كبيراً لأن لونه يميل إلى البياض، ويدخل فى لحام الفضة ولا يتشرح إذا طرق(٣٢).

أما الملح فكان يستخرج من أماكن عديدة بالمغرب والأندلس سواء من البر أو البحر. والتنوع الأول هو الملح الصخري كان أهم منطقة يستخرج منها في المغرب السوس (٤٥)، وقد أشار إليه البكري باعتباره أهم سلعة تصدرها إلى بلاد السودان ويستبدل به الذهب (٤٦)، كما كان يستخرج أيضا من ملاحه قرب فاس طولها ثمانية عشر ميلا (٤٧)، وتم اكتشاف مناطق أخرى منتجة للملح في العصر الموحدى، الأولى في بلاد حاحة Hea والأخرى في بلاد تاجموت قرب مراکش (٤٨).

وفي الأندلس اشتهرت سرقسطة بالملح الصخري حيث كان يوجد بها الملح الذرمانى (الذرانى) الأبيض الأملس، وهو ملح معدنى متبلور، ولا يوجد بموضع آخر في الأندلس مثل هذا النوع من الملح (٤٩)، كذلك كان الملح يستخرج من منجم فى لوشة Laja من أعمال غرناطة (٥٠). أما الملح البحرى- كان يستخرج من ساحل المرية (٥١). ومن قصر أبى دانس (٥٢). بالإضافة إلى ذلك كان يستخرج من البحار والأنهار بعض المواد النفيسة مثل المرجان والعنبر والصدف سواء في المغرب والأندلس (٥٣) وكان العنبر يستخدم فى صناعة العطور والطيب (٥٤).

كذلك استخرج الشب Jebe فى العصر الموحدى من السوس بالمغرب (٥٥) ومن لبلة فى الأندلس، والزاج Aceche- حامض كبريتى - من لبلة (٥٦) وأشبيلية (٥٧)، وقد استخدم المسلمون الشب والزاج فى الطب والصباغة وتثبيت الألوان (٥٨).

بالإضافة إلى كل هذه الثروات اشتهرت الأندلس بوجود معادن أخرى مهمة كالرصاص (٥٩) الذى يستخدم فى عمل أنابيب لتوصيل المياه إلى قصور الخلفاء والأمراء والخاصة (٦٠). كذلك كان يصنع منه صنوج الموازين، وكان يصب أحيانا فى أقراص الأعمدة الضخمة لتتماسك فيما بينها (٦١).

كما اشتهرت المغرب والأندلس بمناجم الزئبق الذى كان يطلب فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى والمسيحى (٦٢). وتتوفر بالأندلس الكحل وهو من المعادن الهامة التى تدخل فى صناعة العقاقير الطبية (٦٣).

واشتهرت الأندلس كذلك بكثرة مقاطع الرخام والأحجار اللازمة لأغراض البناء والتشييد (٦٤).

مما تقدم يتضح أن أراضى الدولة الموحدية بالمغرب والأندلس كانت غنية بالثروات الزراعية والمعدنية وغيرها. وقد أدى ذلك إلى ازدهار الصناعات بكافة أنواعها. وبالتالي نشطت حركة التجارة الداخلية بالمغرب والأندلس خلال القرن السادس الهجرى. وقد بدأ هذا الازدهار منذ قيام الدولة المرابطية إلا أنه بلغ أوجه في عهد قوة الدولة الموحدية نتيجة وجود عدة عوامل شجعت على التجارة الداخلية من أهمها :

١- حالة الاستقرار والأمن التى نجح الموحدون فى إرسائها فى كافة أرجاء دولتهم . كما أن اتساع رقعة الدولة الموحدية أفسح المجال للحركة التجارية بين مدن المغرب والأندلس وشجع التجار الذين كانوا يخضعون فى هذه المناطق لحكومة واحدة على التنقل بحرية تامة مما ساعد على تنشيط حركة التجارة من بيع وشراء وتبادل منتجات (٦٥).

٢- إلغاء عبد المؤمن بن على للمغارم والقبالات والمكوس التى فرضها المرابطون فى أواخر عصرهم (٦٦). كما حرص الموحدون على تسهيل الجسور دون قبالة ولا إجازة عمالة (٦٧). ولتنشيط الحركة التجارية قام الخلفاء فى بعض الأحيان بإسقاط الضرائب السابقة مما كان له أثره فى تنشيط حركة البيع والشراء (٦٨).

٣- تشجيع الموحيدين لصرافة التجارة حيث تقوم الدولة بإقراض طلبة الحضر أموالاً يتاجرون فيها ثم يردون السلف (٦٩).

٤- اهتمام الموحيدين ببناء الفنادق فى مدن مغربية وأندلسية كثيرة ، حيث يشغل الفندق مكانة هامة فى العمران الاقتصادى (٧٠).

٥- عمل الموحدون على تمهيد الطرق فى جميع أنحاء دولتهم ببناء الجسور وتشبيد المنازل لنزول التجار وتجهيز الصهاريج توفيراً للماء (٧١).

وهكذا أدى اتساع الدولة الموحدية إلى تعدد وتنوع المنتجات الزراعية والمعدنية والصناعية مما ساهم بشكل واضح فى رواج حركة التجارة بين مختلف المدن.

ثانيا : التجارة الخارجية خلال القرن السادس الهجرى :

كان للانتعاش الذى أصابته التجارة الداخلية فى المغرب والأندلس فى أغلب فترات عصر الموحيدين أثر بعيد فى تنشيط حركة التجارة الخارجية ، هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى ساعدت على نشاط التجارة الخارجية منها اتساع رقعة الدولة الموحدية، وإقرار الأمن والنظام وحماية طرق القوافل من اللصوص والعابثين بالأمن (٧٢).

كما إن استيلاء الموحدين على الأندلس أدى إلى فتح أسواق الأندلس أمام تجارة السودان، مما كان يعنى تمهيد الطريق إلى أسواق أوروبا عن طريق موانئ شرق الأندلس^(٧٣). وقد لعب الأسطول الموحدى دوراً هاماً فى تأمين تجارة المغرب الصادرة إلى الأندلس أو إلى الأسواق العالمية الأخرى سواء فى غرب أوروبا أو فى منطقة البحر المتوسط أو المشرق الإسلامى ، ذلك أن البحرية القوية تستطيع حماية السفن التجارية من خطر القراصنة وتأمين الطرق البحرية والسهر على حمايتها^(٧٤).

العلاقات التجارية للمغرب مع السودان الغربى :

كان اكتشاف الذهب فى أفريقيا السوداء الغربية حدثاً له أهمية كبرى فى الحضارة الإسلامية والمنجزات التى تعتز بها . لهذا ترجع العلاقات التجارية للمغرب مع بلاد السودان إلى قرون عدة قبل العصر الموحدى.

ويشكل الذهب البضاعة الرئيسية المربحة التى يستوردها تجار القوافل المغاربة من بلاد السودان الغربى^(٧٥)، حيث يستخرج من منطقة الغابات الاستوائية الموالية للصحراء من الناحية الجنوبية ، وهى المنطقة التى تحكمها الممالك الزنجية خصوصاً مملكة غانة^(٧٦). ويؤكد الإدريسى أن مدينة غانة أكبر مدينة فى السودان وأكثرها سكاناً وأوسعها تجارة حيث كانوا يستخرجون الذهب ويستبدلونه بالملح^(٧٧). ويذكر صاحب الاستبصار أنها مقصد «المياسير من جميع البلاد المحيطة بها من سائر بلاد المغرب الأقصى»^(٧٨).

ولهذا كانت البيوت التجارية المغربية فى محطات القوافل فى الجنوب تحتفظ بشبكة من المراسلين والوسطاء الذين يعملون لشراء الذهب لحسابها بالمقايضة الصامته، مع قبائل السود التى تشتغل فى التقاط الذهب^(٧٩). وهذه التجارة هائلة الحجم والنطاق. فابن حوقل (القرن العاشر الميلادى) يذكر أنه شاهد بنفسه وثيقة تجارية تبلغ قيمتها اثنين وأربعين ألف دينار^(٨٠). وهذا المصدر تؤيده مصادر أخرى وتتوه بالثراء الفاحش الذى كان من حظ التجار الذين يعملون فى التبادل مع السودان^(٨١).

بالإضافة إلى الذهب كان المغرب يجلب أيضاً بضائع نفيسة من السودان مثل العنبر من مدينة أوليل^(٨٢) وأودغشت^(٨٣)، وبعض أنواع الجلود من المناطق الصحراوية ، مثل جلود الماعز من منطقة غدامس^(٨٤)، وجلود اللط التى تجلب من غرب الصحراء من نول لمطة أودغشت - وتعتبر من أكثر أنواع الجلود متانة ، حيث تصنع منها الدرق اللمطية المفضلة لدى

الجيوش الموحدية (٨٥). كما كان يجلب أيضاً جلود الفئك، والصمغ من أودغشت، والرقيق السوداني (٨٦). بالإضافة إلى العاج الذى كان يجد رواجاً خاصاً فى أسواق المدن المغربية، ويعتبر العاج من المواد التى يصدرها التجار المغاربة إلى المدن الأوروبية (٨٧). كما يستورد الشب من سجماسة (٨٨)، يتم استعماله كمادة قابضة وفى صناعة المنسوجات ، وتصدر هذه المادة أيضاً إلى المدن والبلاد الأوروبية (٨٩).

كان معدن الملح خلال العصر الوسيط أهم بضاعة يحملها التجار المغاربة إلى بلاد السودان ، فقد كان له مكانة فى المبادلات التجارية وهو ما يتضح من رواية البكرى إذ يقول: «ومن غرائب تلك الصحراء معدن ملح على يومين من المجابة الكبرى وبينه وبين سجماسة مسيرة عشرين يوماً تحفر عنه الأرض كما تحفر عن سائر المعادن والجواهر ويوجد تحت قامتين أو ثونها من وجه الأرض ويقطع كما تقطع الحجارة ويسمى هذا المعدن تنقال ... ومن هذا المعدن يتجهز بالملح إلى سجماسة ، وغانة وسائر بلاد السودان . والعمل فيه متصل والتجار إليه متسايرون وله غلة عظيمة» (٩٠).

ويشير ابن حوقل إلى الثمن الذى كان يباع به الملح فى السودان ، حيث يذكر أن حمل الملح، أى ما يحمله الجمل الواحد كان ثمنه فى غانة ما بين ٢٠٠ ، ٣٠٠ دينار (٩١). وحمل الجمل، حسب بعض الباحثين المعاصرين يتراوح بين ١٢٥ ، ١٥٠ كيلو جرام ، الشئ الذى يثير تعليق «ديفيس» بقوله : «إننا إذن أمانم ملح يساوى ثمنًا غاليًا جدًا ، فإذا قدرنا أن الدينار يزن فى قيمته المتوسطة ٨٠ ، ٣ جرام، يكون حمل الجمل يساوى فى حده الأدنى ٧٦٠ جراماً من الذهب، وفى حده الأعلى ١١٤٠ جراماً » (٩٢). ولكن نظراً لانعدام الملح فى بلاد السودان، كان لابد من جلبه من الشمال ومن ثم نشأ التبادل بين الملح والذهب، وصعد ثمن الأول إلى تلك الأسعار الخيالية (٩٣).

وتشير المصادر الجغرافية إلى أن التجار المغاربة كانوا يقومون بتصدير الحنطة والفواكه والزبيب وأدوات النحاس والحديد، والعطور والسلاح وأدوات الترف، والأنسجة النفيسة والزرايبى والودع والثياب الفاخرة فى اتجاه أفريقيا الغربية (٩٤).

وهذه السلع كلها، ليست ذات قيمة فى حد ذاتها ولكن قيمتها تزداد بسبب المسافات الطويلة والسفر المضى الذى يتطلبه نقلها إلى البلدان التى تحتاج إليها ولا تملكها . وهكذا كانت الواجهة الجنوبية الغربية حيوية للاقتصاد النقدى فى العالم الإسلامى (٩٥).

العلاقات التجارية بين المغرب والأندلس ومدن أوروبا الجنوبية:

العلاقات التجارية بين المغرب والأندلس :

لم تكن العلاقات التجارية بين المغرب والأندلس وليدة القرن السادس الهجرى، بل كانت قائمة قبل ذلك، إلا أنها شهدت تطوراً كبيراً منذ التدخل المرابطى فى الأندلس. ولما قامت الدولة الموحدية تطورت المبادلات التجارية تطوراً أكبر نظراً لاهتمامهم بتشجيع النشاط الاقتصادى. هذا بالإضافة إلى عامل القرب بين سواحل المغرب الأقصى والسواحل الجنوبية للأندلس.

كانت الأندلس فى عهد الموحدين أكبر مستفيد من ذهب السودان بعد المغرب الأقصى نظراً للعدد الكبير من نور السكة التى استمرت فى نشاطها نتيجة لاستمرار تدفق ذهب السودان إلى الأندلس، واشتهرت العملة الموحدية المعروفة باسم «الدوبلة» ووصلت إلى معظم بلدان وإمارات أوروبا الغربية^(٩٦).

كما كانت المغرب تصدر إلى الأندلس الجلود اللطيفة^(٩٧)، والجلود الغدماسية والسكر السوسى^(٩٨)، والتمر^(٩٩)، والنيلة، والشب، والنحاس^(١٠٠)، وأبواب سروج الخيل، والخيول^(١٠١)، والأغنام^(١٠٢)، والصمغ^(١٠٣)، والصوف^(١٠٤).

وعلى الرغم من أن المغرب قد شهدت عملية تصنيع كبيرة فى العصر الموحدى، فقد كانت تستورد من البلاد الأندلسية مصنوعات كثيرة نتيجة الزيادة المستمرة فى عدد السكان، حيث كان يجلب من الأندلس المصنوعات الجلدية والفخارية والزجاجية^(١٠٥)، وأبواب الموسيقى^(١٠٦)، والمصنوعات المعدنية خاصة المذهبة منها^(١٠٧)، والوشى المذهب، والبسط^(١٠٨)، والورق الشاطبى^(١٠٩)، والزيت^(١١٠)، والقرمز والزعفران^(١١١)، والتين المجفف، واللوز والزبيب^(١١٢). ومن المواد الخام الأولية التى كانت تصدرها الأندلس القطن الإشبيلى^(١١٣) وحرير غرناطة^(١١٤)، ونبات الحلفاء الذى اشتهرت به لقنت وقرطاجنة^(١١٥)، وأخشاب طرطوشة^(١١٦) ويابسة^(١١٧).

ومن المعادن الزئبق، والزنجفر^(١١٨)، والكحل^(١١٩)، والكبريت الأحمر الذى كان يصل إلى بلاد الهند^(١٢٠).

وكانت للمنسوجات الأندلسية شهرة كبيرة فى جميع أنحاء العالم فى العصور الوسطى^(١٢١).

العلاقات التجارية مع مدن أوروبا الجنوبية :

بدأ التعامل بين المغرب والمدن الإيطالية منذ القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، ولكن يبدو أن ذلك التعامل كان بطريقة غير مباشرة، وبدون اتفاقات رسمية، لهذا تأخر التعامل التجارى الرسمى بين المغرب والإمارات الإيطالية إلى القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى ، إذ تم توقيع أول معاهدة تجارية مع المرابطين سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م^(١٢٢). وبعد قيام الدولة الموحدية بدأت عملية تنسيق أسس التعامل التجارى بين المغرب وإمارتى جنوة وبيزة بتوقيع مجموعة من المعاهدات خلال النصف الثانى من القرن السادس الهجرى^(١٢٣).

كانت إمارة جنوة من أكثر الإمارات الإيطالية تعاملًا مع المغرب، وأول معاهدة تم توقيعها تعود إلى سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٣م^(١٢٤). وفى سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م تم توقيع معاهدة أخرى نصت على توسيع إطار التعامل التجارى بين الطرفين، حصل بموجبها تجار جنوة على امتيازات تجارية مهمة فى مقدمتها السماح لهم بالتعامل مع كل الموانئ التجارية التابعة للموحدين^(١٢٥). كما نصت المعاهدة على المقادير الجمركية التى سيؤديها تجار جنوة على معاملاتهم حيث حددت فى ١٠ ٪ من قيمة المعاملات^(١٢٦). وفى سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٨م تم تجديد هذه الاتفاقية ، وأطلق عليها اتفاقية سلام، حيث نصت على إعطاء كل الضمانات من طرف الموحدين فى البحر وفى الموانئ التابعة للموحدين ، لتجار جنوة، قصر ممارسة أعمالهم التجارية، وأعطى الموحدون لهم حق إقامة فنادق، فى كل من سبته والعرائش^(١٢٧).

مما تقدم يتضح أن المعاملات التجارية كانت نشيطة بين الموحدين وجمهوريات المدن الإيطالية خلال القرن السادس الهجرى، وكان لجنوة وبيزا مركز الصدارة بين المدن الأخرى فى التعامل مع المغرب^(١٢٩).

صادرات المغرب والأندلس إلى المدن الأوربية والبلدان الأخرى :

نظراً لتوافر الإنتاج الزراعى والصناعى والمعدنى للمغرب فى العصر الوسيط، كانت تقوم بتصدير العديد من ذلك الإنتاج. ولعل الجلود كانت أكثر السلع تصديراً إلى جنوة وبيزا ولباردى وفرنسا^(١٣٠)، وكذلك الأصواف إلى جنوة وبيزا أيضاً^(١٣١). ويصدر الشب السوسى والنيلة والدرعية والسكر السوسى إلى أوروبا^(١٣٢). والزيت الصفاقسى إلى بلاد الروم وصقلية وإيطاليا (وسواحل أوروبا) ومصر^(١٣٣)، وكان التمر السوسى يصل إلى أوروبا^(١٣٤)، والنحاس إلى أوروبا والسودان^(١٣٥).

كانت الأندلس تصدر العديد من منتجاتها ومن أهمها الزعفران^(١٣٦)، والتين^(١٣٧)، والسكر^(١٣٨)، الزيت^(١٣٩).

ومن المعادن التي تصدرها الأندلس الكحل^(١٤٠) والكبريت الأحمر الذي كان يصل الهند والشام والعراق وأقطار أخرى^(١٤١).

وكانت للمنسوجات الأندلسية شهرة كبيرة في جميع أنحاء العالم في العصور الوسطى، حيث كانت تصدر الديباج والأقمشة الكتانية^(١٤٢) والحلل الموشية^(١٤٣)، والبسط التنتلية^(١٤٤)، واشتهرت مالقة بصناعة الفخار المذهب العجيب الذي كان يجلب منها إلى أقاصى البلاد في أوروبا وإنجلترا^(١٤٥)، والكاغد من شاطبة^(١٤٦).

كانت الأقمشة خاصة المذهبة والمنقوشة ترد إلى المغرب من مصر^(١٤٧) والعراق^(١٤٨) وخراسان^(١٤٩) واليمن والشام^(١٥٠)، ويستورد الفستق والجوز والبندق من صقلية^(١٥١)، والسيوف من بيزة^(١٥٢)، والنحاس من بيزا وجنوة أيضا^(١٥٣). كما كان القطن والكتان والحرير تستورد من جنوة وبيزا أو عن طريقهما من المشرق^(١٥٤)، ومواد الصباغة من إسبانيا أو أوروبا أو الهند^(١٥٥)، والجواهر والياقوت من الهند والخليج الفارسي^(١٥٦)، والرقيق من السودان^(١٥٧).

كانت الأندلس تستورد نوعا من الحديد من إسبانيا المسيحية، يعرف بالشلق ، كان يجلب للأندلس من مملكة قشتالة ، وهو حديد أسود تصنه منه الآلات الحربية^(١٥٨).

وكانت الاسكندرية باب المغرب والأندلس إلى الشرق، وعن طريقها كانت تجلب إلى الأندلس منتجات الهند والسند والعراق خاصة من الطيب والتوابل والجواهر^(١٥٩). ومن النوبة والحبشة والسودان كانت الأندلس تستورد الذهب وأنياب الفيلة^(١٦٠)، وعن طريق الأندلس كان ذهب السودان يصل إلى إسبانيا المسيحية والمدن الإيطالية^(١٦١)، وكان يجلب من مكة إلى الغرب الإسلامي كل ما يخرج من بلاد الهند خاصة العود والمسك^(١٦٢)، ولم تقتصر علاقات الأندلس التجارية على بلاد المشرق، بل امتدت حتى شرق أوروبا، فكان يجلب من فنلندا ثياب الملف^(١٦٣).

والحقيقة أن حركة التجارة الخارجية سواء كانت تتعلق بالتصدير أو الاستيراد قد ساعدت إلى حد كبير على ازدهار الاقتصاد في عصر الموحدين.

ثالثاً : الطرق التجارية عبر بلاد المغرب:

كان المغرب الأقصى بحكم موقعة الجغرافى فى أقصى غرب البحر المتوسط ، يعتبر من أهم المحاور الأساسية لمرور القوافل التجارية الرابطة بين الأندلس ومدن أوروبا الجنوبية من جهة والصحراء ، وبلاد السودان من جهة ثانية.

المسالك البرية :

كانت مراكش خلال العصر الموحدى، المدينة الرئيسية التى تربط الاتصال بالتجارة الصحراوية (١٦٤)، عبر مجموعة من المدن الجنوبية التى تشكل بوابة الصحراء، فمن هذه المدينة ينطلق محوران رئيسان من المسالك التجارية . محور مراكش سجلماسة ، ومحور مراكش تامدولت عبر تارودانت (١٦٥)، وكلاهما طريقان جبليان يمران بمجموعة من المنازل كمحطات ثانوية (١٦٦).

المحور الأول: كانت سجلماسة أولا وقبل كل شئ مدينة تجارية ، ويعود الفضل فى ازدهارها وتقدمها وتوافد التجار عليها من كافة الأنحاء إلى نشاطها التجارى، ومركزها الحساس فى مفترق مسالك تجارية شهيرة فى تاريخ التجارة المغربية فى العصر الوسيط. ولعلنا لانبالغ إذا قلنا أن سجلماسة كانت مركزا تجاريا عالميا فى ذلك العصر.

وكان محور التجارة الرئيسى ينطلق من مراكش عبر تادلا ثم سجلماسة حيث يلتقى بطريقين آخرين أحدهما قادم من فاس عبر قلعة مهدى والمزى ثم تساغموت ثم إلى أمفاك على نحو ستين ميلا ومنها تدخل إلى سجلماسة (١٦٧). والثانى من وجدة إلى سجلماسة عبر أجرسيف (١٦٨). ومن سجلماسة تبدأ طرق التجارة فى اتجاهين ، اتجاه غربى نحو تامدولت ومنها إلى أودغشت (١٦٩)، واتجاه غربى جنوب يمر عبر قرى درعة نحو غانة وولاته (١٧٠). هذا بالإضافة إلى طريق من تلمسان فى اتجاه الجنوب الغربى نحو سجلماسة ، تمر القوافل بقلعة ابن جاهل، وهى قلعة منيعة كثيرة الثمار والأنهر، ويتصل بها جبل تارنى، وهو وما يليه جبال معمورة إلى مدينة تيزيل، وهى أول الصحراء، ومنها يسافر إلى مدينة سجلماسة وإلى وارجلان (١٧١). ويعتبر هذا المحور أكثر المسالك التجارية حركة خلال العصر الوسيط.

المحور الثانى : ينطلق من مراكش نحو تامدولت مارا بتارودانت، وإيجلى (١٧٢). وفى تامدولت يتفرع طريقان صحراويان الأول نحو نول لمطة، ومنها يسير بمحاذاة الساحل الأطلسى فى اتجاه الجنوب حيث ينتهى عند مدينة أوليل (١٧٣) الساحلية الواقعة شمال نهر

السنغال، بينما يسير الطريق الثانى من تامدولت مخترقاً وسط غرب الصحراء نحو أودغشت^(١٧٤).

أما مسالك المنطقة الوسطى الشمالية فكانت تربط بين الجهات الوسطى الداخلية والعالم الخارجى المحيط بالمغرب الأقصى من الناحيتين الشمالية والشرقية إما براً أو بحراً فضلاً عن اتصالها بمسالك الواجهة الجنوبية السابقة. الذكر وتتمحور هذه المسالك حول المدن المغربية الكبرى مثل مراكش وسلا وفاس.

فمن مدينة مراكش ينطلق طريقان رئيسان فى اتجاه الشمال. **الأول** : طريق كان يربط بين أغمات وفاس عبر تادلا^(١٧٥). وكان أهم ممر يربط شمال المغرب الأقصى بجنوبه الغربى، إلا أن بناء مدينة مراكش أدى إلى إحداث طريق ثان يربط مدينة مراكش بمدينة سلا^(١٧٦)، ومن ثم أصبح الطريق الرئيسى الذى يربط مراكش بمنطقة الغرب فى اتجاه الأندلس من جهة وفاس والمغرب الأوسط من جهة ثانية.

وهكذا ، أصبحت مدينة سلا خلال القرن السادس الهجرى أهم ميناء تجارى^(١٧٧) للمغرب على المحيط الأطلسى ، فمن مدينة سلا تنطلق أربع طرق : الأول: نحو مراكش عبر منطقة تامسنا^(١٧٨)، والثانى: نحو تادلا^(١٧٩) وهو طريق قديم، والثالث : يربط سلا بمدينة فاس عبر مكناسة^(١٨٠)، والرابع : يربط سلا بمدينة سبتة^(١٨١) عبر مجموعة من المدن والمراكز الحضرية كقصر عبد الكريم والبصرة ، ويغلب عليها الطابع العسكرى دون التقليل من أهميته التجارية.

أما فاس فقد ظلت طوال العصر الوسيط أهم مدينة مغربية تتمحور حولها مجموعة من المسالك التجارية متعددة الاتجاهات نحو سجلماسة ثم مراكش عبر تادلا ، وسلا عبر مكناسة. أما المسالك الأخرى المنطلقة من فاس فتتخذ ثلاثة اتجاهات من فاس إلى وجدة وتلمسان^(١٨٢) عبر مجموعة المار من بلاد المغرب إلى بلاد المشرق^(١٨٣)، وفى اتجاه سبتة ينطلق طريق أساسى يربط فاس بمدن الشمال الغربى، وكان يخترق جبال غمارة من وسطها قبل قيادة دولة المرابطين^(١٨٤). إلا أنه نتيجة لتوتر العلاقات بين قبائل غمارة والمرابطين ثم الموحدين، أدى إلى تغيير الطريق وأصبح يمر نحو الغرب عبر البصرة وقصر عبد الكريم ثم نحو الشمال فى اتجاه سبتة وطنجة^(١٨٥).

وأخر الطريق الرئيسة المنطلقة من فاس ، تتجه نحو الشمال إلى موانئ البحر المتوسط^(١٨٦) شرق منطقة غمارة، وعلى مصب نهر ملوية، مثل مرسى تابحريت^(١٨٧)، ونكور ،

وبادس وغيرها من المراسى التى لها اتصال بالعالم الخارجى كالأندلس، ومدن أوروبا الجنوبية ومراسى المغرب الأوسط وأفريقية.

المسالك البحرية بالمغرب :

قبل القرن السادس الهجرى كانت التجارة البحرية للمغرب الأقصى تتم انطلاقا من موانئ البحر المتوسط ^(١٨٨)، نظرا لسهولة عملية توقف السفن بسبب ضعف حركة الأمواج والتيارات البحرية، ونظرا لسهولة عبور البحر المتوسط والقرب النسبى للموانئ والمدن الأوربية ، ومن أهم هذه الموانئ سبتة، وطنجة وتابحرية، وغساسة وغيرها من موانئ شرق جبال غمارة. ويبدو أن المعاملات التجارية لهذه الموانئ كانت تتم بالأساس مع موانئ الأندلس ^(١٨٩).

وفى عهد الموحدين حدث تغيير للطرق البحرية فى المغرب الأقصى، إذ أصبحت موانئ الساحل الغربى الأطلسى تستحوذ على قسط مهم من المبادلات التجارية ^(١٩٠)، ولكن دون التقليل من أهمية الموانئ الشمالية وقد حافظت سبتة على المركز الأول فى مجال المعاملات نظرا لقربها النسبى من الأندلس ^(١٩١). بينما فى الواجهة الغربية ظهرت سلا كأهم ميناء للمغرب على المحيط الأطلسى ^(١٩٢) استقطب اهتمام التجار الأندلسيين ^(١٩٣) والجنوبيين على وجه الخصوص ، وإلى جانبها ظهرت أهمية موانئ أنفا وآسفى ^(١٩٤)، ومازيغان ^(١٩٥).

إن الاهتمام بالمواصلات البحرية يعكس اهتمام الدولة الموحدية كقوة بحرية، بدأت تفرض سيطرتها على شواطئ بلادها الواسعة والمياه المجاورة لها .

ويظهر اهتمام الموحدين بالبحر والتجارة البحرية من خلال فرض الأمن على السواحل ^(١٩٦)، وإلغاء الحواجز التى تعرقل العمليات التجارية ^(١٩٧)، وتشجيع دور صناعة السفن التجارية ^(١٩٨)، مما أدى إلى توسيع مجال المعاملات التجارية مع دول عالم البحر المتوسط.

وبالنسبة للطرق البحرية الرابطة بين الموانئ المغربية وأوروبا والأندلس ^(١٩٩)، يلاحظ أن موانئ الشمال المتوسطية ترتبط بصفة عامة بشرق الأندلس ، ومدن إيطاليا وجنوب فرنسا ^(٢٠٠)، عبر ميناء سبتة باعتبارها أهم ميناء تجارى فى شمال المغرب إبان العصر الموحدى، تنطلق منه السفن التجارية نحو موانئ مالقة والمرية، ثم جزر البليار ودانية وبرشلونة ليصل إلى الموانئ الفرنسية مثل مونتيلييه وماريليا ^(٢٠١)، وبموازاة هذا الطريق يسير طريق آخر من سبتة إلى المدن الإيطالية ، خاصة بيزا وجنوة ^(٢٠٢).

وفى الواجهة الغربية ، تنطلق مسالك أخرى من موانئ سلا وانفا وفضالة وآسفى، إما فى اتجاه سبتة ثم موانئ شرق الأندلس وجنوب أوروبا^(٢٠٣) وإما نحو جنوب وغرب الأندلس كإشبيلية ولشبونة^(٢٠٤).

الطرق التجارية عبر بلاد الأندلس :

أشارت الكتب الجغرافية إلى الطريق البرى الذى كان يربط الغرب الإسلامى ببلاد المشرق، فيذكر الإدريسى أن الأندلسيين فى رحلاتهم البرية للمشرق كانوا يعبرون المضيق أولاً إلى قصر مصمودة بالمغرب الأقصى على ساحل البحر^(٢٠٥) ومنه يتجهون إلى سبتة أو فاس ثم إلى تاهرت ثم القيروان ثم إلى مصر^(٢٠٦)، ومنها كان المرء يتجه إلى الشام والعراق والأراضى المقدسة بالحجاز.

وكانت الرحلات البحرية فى العصور الوسطى شاقة وخطيرة للغاية حتى بالنسبة للطرق البحرية المألوفة فى حوض البحر المتوسط. وتوضح رحلة ابن جبير فى سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م الطريق البحرى الذى يربط الأندلس بالشرق، فقد عبر المضيق من ثغر طريف إلى قصر مصمودة ، ومنه إلى سبتة ، حيث أقلع من هناك فى مركب رومى (من جنوة) متجهاً إلى الإسكندرية، فسار بمحاذاة الساحل الشرقى للأندلس فى دانية، ثم اتجه ناحية جزيرة يابسة ، وبعد ذلك ميورقة ثم منورق فسردانية ثم صقلية فأقريطش (كريت) ومنها إلى الإسكندرية، ثم زار الأراضى المقدسة وذلك بعد أن استقل مركباً من ميناء عيذاب على البحر الأحمر إلى جدة^(٢٠٧).

وكان الأندلسيون بعد وصولهم إلى إقريطش يتجهون فى بعض الأحيان إلى قبرص ثم عكا، ومنها يأخذون الطريق البرى إلى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام^(٢٠٨). إلا أن هذا الطريق البحرى كان محفوفاً بالمخاطر ، فكثيراً ما كانت السفن تتعرض للعواصف العاتية التى تنتهى بتحطيمها ويهلك ركبها غرقاً ، ولهذا كان الرحالة البحريون يلتمسون طريقاً طويلاً ولكنه أكثر أماناً ، فكانت سفنهم تخرج من موانئ الأندلس إلى ساحل المغرب الأوسط أو ساحل العدو (المغرب الأقصى)، ومن هناك تسير بحذاء الساحل الأفريقى وترسو عند ثغوره المطلة على بحر المغرب حتى تصل إلى خليج سرت، ومن هناك تتابع الساحل الليبى وبرقة حتى تصل إلى الاسكندرية^(٢٠٩). وكان طريق الرحلة هذا يستخدم لنقل الركاب للحج والتجارة أيضاً وكان ميناء الإسكندرية هو المرسى الطبيعى الكبير لنزول التجار والمسافرين من أهل الأندلس والمغرب خاصة وأنه كان يوجد خط ملاحى منتظم يصل بين المرية والإسكندرية^(٢١٠).

أما فى حالة رغبة هؤلاء التجار السفر نحو المحيط الهندى فإنه يتعين عليهم فى هذه الحالة السير بحراً حتى ميناء الفرما ومنه يعبرون الصحراء إلى القلزم ثم يبحرون من جديد نحو مسقط فى عمان حيث يمكن مواصلة السفر على ظهر أى مركب إلى بلاد الهند والصين^(٢١١).

والمعرف أن المدن الإيطالية مثل جنوة وبيزا والبندقية احتكرت النقل البحرى فى غرب البحر المتوسط فى عصر دولتى المرابطين والموحدين، وكان لتلك المدن التجارية الأثر الكبير على سير التجارة الأوروبية عامة، وكان تجار هذه المدن يتولون نقل بضائع الشرق الخاصة بالتوابل والمنسوجات إلى الغرب مما ساعد على انتعاش الحياة الاقتصادية فى غرب البحر المتوسط^(٢١٢).

ومن أهم المراكز والموانئ التجارية بالأندلس:

(أ) المرية : كانت المرية من أهم المراكز التجارية البحرية فى الأندلس منذ عصر الخلافة الأموية، وبلغت أوج ازدهارها فى عصر المرابطين وكانت- كما يذكر الرازى- باب الشرق ومفتاح الرزق^(٢١٣)، ويضيف الإدريسى أنه : «كانت تقصدها مراكب البحر من الإسكندرية والشام وأنه لم يكن بالأندلس أسير من أهلها مالا ولا أتعبر منهم فى الصناعات وأصناف التجارات تصريفاً وادخاراً^(٢١٤)».

وقد استمر النشاط التجارى فى عصر الموحدين، فيذكر الشقندى أنها كانت حط مراكب النصارى ومجتمع ديونهم ومنها كانت تتوزع بضائعهم على سائر الأنحاء، وفيها كانت تشحن البضائع التى تصلح لهم. وقد عادت تلك الامتيازات الممنوحة للنصارى بالنفع على الدولة، إذ كانت تفرض على هؤلاء التجار ضريبة العشور^(٢١٥).

وكانت لمدينة المرية علاقات تجارية مزدهرة بمختلف مناطق العالم خاصة الإسكندرية وبلاد المشرق وإيطاليا وفرنسا وقلطونية ، إذ كانت تصدر المنسوجات الحريرية وزيت الزيتون والأوانى الخزفية^(٢١٦)، بينما كان يجلب إليها الحنطة من المغرب^(٢١٧).

(ب) مالقة: كانت مالقة من الثغور الأندلسية الهامة المطلة على البحر المتوسط وذلك لموقعها الجغرافى الممتاز على طرق المواصلات البحرية ولكونها من القواعد التجارية الرئيسة، وأهم المحطات البحرية سواء لشحن السفن أو تفريغها أو لإصلاح ما تتعرض له من أعطاب، وكذلك لوفرة إنتاجها الزراعى ونشاطها التجارى والصناعى^(٢١٨).

(ج) إشبيلية : بلغت إشبيلية أوج تطورها وازدهارها فى عصر الموحدين حيث اتخذوها حاضرة لهم فى الأندلس وذلك منذ تبعية الأندلس لدولتهم ، وكان يوسف بن عبد المؤمن قد اهتم بتجميلها وتعميرها وتحسينها وأولاهم عنايته .

وكان مرسى إشبيلية يذخر بحركة تجارية دائبة، حيث إن موقعها الجغرافى على الوادى الكبير ساعد على دخول السفن التجارية القادمة من بلاد الفرنج ورسوها بإشبيلية^(٢١٩) ، ثم تعود تلك السفن محملة بمنتجات إشبيلية خاصة الزيوت التى كانت تصدر إلى كل البلدان المسيحية والإسلامية^(٢٢٠) . ولهذا كانت إشبيلية سوقاً تجارية هامة فى هذا العصر^(٢٢١).

(د) مرسية: كانت مرسية فى عصر الموحدين- كما ذكر الشقندى- حاضرة شرق الأندلس، واشتهرت بوفرة منتجاتها الزراعية . ولقيت بضاعتها رواجاً كبيراً فى مختلف الأنحاء خاصة الحلل الموشية والبسط والحصر التى تغلف بها الحيطان^(٢٢٢) . وكان لمرسية مرسيان تعتمد عليهما فى حركة الصادر والوارد، أحدهما قرطاجنة الحلفاء وكان مرسى ترسو به السفن الكبيرة والصغيرة، والآخر مرسى لقنت الذى يجوز منه التجار إلى أفريقية، كما كان يتجهز منه بالحلفاء إلى مختلف البلدان على سواحل البحر المتوسط^(٢٢٣).

من خلال هذا العرض يتضح لنا أن سياسة الدولة الموحدية الداخلية والخارجية شجعت على ازدهار حركة التجارة بصفة عامة والتجارة الخارجية بصفة خاصة وذلك نتيجة اتساع أرجاء الدولة وتوافر أغلب المواد الخام الزراعية والمعدنية وازدهار الصناعة مما أتاح السبيل لازدهار حركة التبادل التجارى مع العالم الخارجى ولاسيما عبر البحر المتوسط.

الهوامش

١- انظر : ابن غالب الأندلسي (أبو عبدالله محمد بن غالب البنسني) ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس ، تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية ، المجلد الأول، الجزء الثاني، نوفمبر ١٩٥٥م، ص٢٨٨؛ الإدريسي (الشريف أبو عبدالله محمد ابن محمد بن عبدالله إدريس العموي) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الثاني ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، د.ت ، ص٥٤١ ، ٥٥١ ، ٥٧٩؛ ابن صاحب الصلاة (عبدالمك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي) ، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، السفر الثاني، تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٨٧م، ص١٦٦-١٦٧ ، ٤١٥؛ كذلك راجع : السيد عبد العزيز سالم، العمارة المدنية بالأندلس، دائرة معارف الشعب، العدد (٦٤) ١٩٥٩م ، ص١٤٨-١٥٠ .

٢- البيذق (أبو بكر علي الصنهاجي) ، كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين ، تحقيق الأستاذ ليفي برونسسال ، بواس كنز الكتبي، باريس ١٩٢٨م، ص١١٣؛ ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص٣٥٨-٣٥٩؛ الزهري (أبو عبدالله محمد بن أبي بكر) ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق الأستاذ محمد الحاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، د.ت ، ص١١٥-١١٦؛ ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبدالله الفاسي)، كتاب الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، نشر كارل يوهن تورنبرج ، طبع في مدينة أوبسالة بدار الطباعة المدرسية ، ١٨٤٣م، ص١٢٥، ١٧٦؛ ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الرابع طبع بالتصوير عن مخطوطة رقم ٢٧٩٧ / ٢؛ أحمد الثالث، طوبقا بوسراي، استانبول ، أصدره فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت ، ألمانيا الاتحادية ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص٨٨ .

٣- مؤلف مجهول ، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لكاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، تحقيق الدكتور سعد زغول عبد الحميد، الاسكندرية، ١٩٥٨م، ص١٢٧ ، ١٤٠ ، ١٨٠؛ ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص٤١، ٤٠ .

٤- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٢٧٧ ، ابن عذارى المراكشي (أبو العباس أحمد بن محمد) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين ، تحقيق الأساتذة محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد بن تاويت ، ومحمد بن زنيير، وعبد القادر زمامة، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ١٩٨٥م، ص١٦٥؛ سالم ، العمارة المدنية بالأندلس ، ص١٤٨ .

٥- انظر : ابن عبدون (محمد بن أحمد التجيبي) ، رسالة في القضاء والحسبة نشرها الأستاذ ليفي بروفنسال ضمن كتاب بعنوان «ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب» ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ص ٣٥-٣٦ .

٦- ابن أبي ذرع ، روض القرطاس، ص ١٧ .

٧- راجع : عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي ، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢م، ص ١٨٤ .

٨- ابن القطان (أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك) جزء من كتاب «نظم الجمان في أخبار الزمان» تحقيق الدكتور محمد علي مكي بمساهمة من المركز الجامعي للبحث العلمي، إشراف مولاي الحسن للبحوث، جامعة محمد الخامس، الرباط ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دت ، ص ١٧٥ .

٩- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٢١٠؛ ابن عذاري، البيان ، قسم الموحدين ، ص ٩٩؛ ابن أبي ذرع، روض القرطاس، ص ١٤٢ .

١٠- أحمد محمد إسماعيل الجمال، دولة الموحدين في عهد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ / ١١٦٣-١١٨٤م) ، رسالة دكتوراه (غير منشورة) الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص ٢١٠ .

١١- الإدريسي : نزهة المشتاق، ص ٢٢٨؛ الحميري (أبو عبدالله محمد بن عبد المنعم) الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٤م، ص ٢٣١ .

١٢- الإدريسي ، نزهة المشتاق، ص ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤١؛ ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى) كتاب الجغرافيا ، تحقيق الأستاذ إسماعيل العري ، الطبعة الأولى ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠م، ص ١٣٧ .

١٣- الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ٢٤٢ .

١٤- الإدريسي، نفسه، ص ٢٤٣ ، وما بعدها ؛ مجهول الاستبصار، ص ١٨٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٣٤ .

١٥- الإدريسي، المصدر السابق، ص ٥٣١ ؛ مجهول، الاستبصار، ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ .

١٦- الإدريسي: المصدر السابق، ص ٢٢٦؛ مجهول، الاستبصار ، ص ٢٠١؛ الحميري، الروض المعطار ، ص ٢٠٥ .

١٧- الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١؛ ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا، ص ٢٣٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٧ .

١٨- الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٢٢٨؛ مجهول، الاستبصار، ص٢١٢؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص٢١٢؛ ابن سعيد كتاب الجغرافيا، ص١٢٣ الحميري، الروض المعطار، ص٢٢٩.

١٩- الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٢٢٩؛ ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص١٢٧.

٢٠- الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٢٨.

٢١- الإدريسي: نفسه، ص٢٢٧، ٢٣٠؛ مجهول، الاستبصار، ص٢١٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٣٠.

Abdel- Hamid (Saad Zaghloul), Abou Yosuf Yaqub Almansur l' Almohade (1184-1199), These Doctorat , Faculté des lettres , Université Paris , 1951 , p. 165 .

٢٢- الحميري، المصدر السابق، ص٥٩.

٢٣- انظر: ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي)، معجم البلدان، المجلد الأول، طبعة بيروت، ١٩٥٥م، ص١٩٥؛ العذري (أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس المعروف بأبي الدلائلي)، توصيف الأخبار وتنويع الآثار في فرائب البلدان والمسالك إلى الممالك، تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهواني، مدريد ١٩٥٥م، ص٩٦؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٢؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، نشر وتحقيق لويس مولينا، مدريد، ١٩٨٢م، ص٦٢.

٢٤- الإدريسي، نزهة المشتاق ص٥٦٩؛ ابن غالب، ص٢٨٤؛ ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى)؛ المغرب في حلب المغرب، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٧١؛ أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر)، تقويم البلدان، تحقيق دى سلان، باريس ١٨٤٠م، ص١٧٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٢١؛ المقرئ (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني)، نفتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ونكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق الدكتور إحسان عباس، الجزء الرابع، ص٢٠٤.

٢٥- ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد) مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، مجموعة رسائل، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٨٢م، ص٨٦؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص٧٦؛ القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الجزء الخامس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣م، ص٢٢١.

٢٦- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٢؛ المقرئ، نفع الطيب، ج١، ص١٤٢.

٢٧- العذري، ص١٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجلد ١، ص٤٩٠؛ القزويني (زكريا بن محمد بن

محمد) ، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ١٥٣؛ مجهول ، ذكر بلاد الأندلس، ص ٧٣؛ المقرئ، نفع الطيب ، ج ١، ص ١٦٨ .

٢٨- مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ٧٢ .

٢٩- مجهول ، نفسه، ص ٤٧ .

٣٠- انظر : ابن فضل الله العمري، مسالك الأمصار، السفر الرابع، ص ١١٠؛

Heyd, Histoire du Commerce de Levante au Moyen Age, T. II, Amestedsdam, 1967 , pp. 668-669;

كمال السيد محمد أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادية في عصر دولتي المرابطين والموحدين ، مركز الإسكندرية للكتاب، د.ت، ص ١٢٧-١٢٨ .

٣١- انظر: الإدريسي ، نزهة المشتاق، ص ٥٤٣، ٥٥٥ ؛ ابن غالب، ص ٢٨٦ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الأندلس، ص ٧٤ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٤٨ ، ٤٧٧ .

٣٢- انظر : ياقوت ، معجم البلدان، مجلد ٥ ، ص ٤٢٤؛ الحميري، المصدر السابق، ص ٦١٦؛ الأمير شبيب أرسلان، الحل السننسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، الطبعة الأولى، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٣٥٥-١٣٥٨هـ، الجزء الثالث، ص ١٨ ؛

Imamuddin (S.M) The Economic History of Spain Under the Umayyads. Dacca, 1963, p. 128 .

٣٣- انظر : الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ٥٥٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥١١ .

٣٤- البكري (أبو عبيد الله عبدالله بن عبد العزيز) ، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، من كتاب

«المسالك والممالك» نشر دي سلان De Slane بعنوان : Description de L' Afrique Septentrion-

al، الجزائر ١٩١١م، ص ١٠٧، ١٠٩، ١٤٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ٢٢٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩

؛ مجهول، الاستبصار، ص ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٩٠؛ ابن سعيد، كتاب الجغرافيا ، ص ١٢٥؛ الحميري،

الروض المعطار، ص ٤٣٤ ، ٥٤٤ .

٣٥- الإدريسي : نزهة المشتاق، ص ٢٢٩ ، ٢٤٠ ، عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ١٩٨-١٩٩ .

٣٦- البكري، المغرب ، ص ١٥٩ ؛ العمري، مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص ٩٤ .

٣٧- عن سجل ماسة يقول العمري نقلاً عن ابن سعيد: «وأهلها مياسير ولهم متاجر إلى بلاد السودان، قال

ولقد رأيت صكاً فيه حق على رجل من سجل ماسة لآخر من أهلها بأثنين وأربعين ألف دينار، ومدينة

سجل ماسة آخر العمران ليس قبليها عمران بل منها يدخل التجار إلى بلاد السودان بالملح والنحاس والودع ويعودون بالذهب». (العمرى، مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص ٩٤) .

٣٨- العمرى ، نفسه ، ص ٩٢؛ وانظر : المقنسى (شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد البشارى)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق دى غويه، مكتبة المثنى ببغداد، ليدن، ١٩٠٦م ص ٢٣٦ .

٣٩- المراكشى: المعجب ، ص ٣٦١-٣٦٢؛ الاستبصار ، ص ١٨٥؛ ابن الأبار (أبو عبدالله محمد القضاعى البلبسى)، كتاب التكملة لكتاب الصلة ، طبعة عزت العطار الحسينى، الجزء الثانى، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٥٦٠؛ ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص ١٤٧؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ١٢٩ .

٤٠- الاصطخرى (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى) ، كتاب المسالك والممالك ، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٧م، ص ٣٦؛ العزرى ، نصوص من ترصيع الأخبار، ص ٢؛ البكرى، جغرافية الأندلس، ص ١٢٩؛ الإدريسى م نزهة المشتاق، ص ٥٧٤؛ مجهول ، نكر بلاد الأندلس ، ص ٣٠ ، ٤٢ ، ٥٦؛ الحميرى، الروض المعطار، ص ٤٤٠؛ المقرئ، نفح الطيب، ج ١ ، ص ١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٥٩ ، ٤٥٥ .

٤١- البكرى ، المغرب ، ص ٥٦؛ المراكشى ، المعجب، ص ٣٦٢ .

٤٢- الزهرى، كتاب الجغرافية، ص ١١٦، ١١٧؛ الإدريسى، نزهة المشتاق، ص ٢٤١؛ المراكشى، المعجب ، ص ٣٦٢ .

٤٣- الإدريسى، نزهة المشتاق، ص ٢٤١ .

٤٤- الإدريسى، نفسه، ص ٢٤١؛ الزهرى، كتاب الجغرافية، ص ١١٦، ١١٧ .

٤٥- البكرى ، المغرب، ص ١٧١ .

٤٦- البكرى، نفسه، ص ١٧١؛ العمرى، مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص ٩٤ .

٤٧- ابن أبى زرع ، روض القرطاس، ص ١٧؛ الجزائى (أبو الحسن على) زهرة الآس فى بناء مدينة فاس، طبعة الفرد بل، الجزائر، ١٩٢٢م، ص ٣٥ .

٤٨- ابن عذارى ، البيان ، قسم الموحدين، ص ٥٨؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادى، ص ٢٤٩ .

٤٩- انظر : العزرى، ص ٢٢؛ ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٨٧؛ المقرئ، نفح الطيب ، ج ١، ص ١٥٠ .

٥٠- مشاهدات ابن الخطيب ، ص ٩٢ .

٥١- مشاهدات ابن الخطيب ، ص ٨٢ .

٥٢- ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف بن حيان) ، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق الدكتور

محمود على مكى، بيروت، ١٩٧٣م، هامش ٥٩٩، ص ٦٤٦-٦٤٧؛ الإدريسى، نزهة المشتاق، ص ٥٤٤ .

٥٣- راجع : المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص٢٣٩؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٢٩؛ ابن غالب، ص٢٩١؛
ياقوت، معجم البلدان، مجلد ١، ص١٩٥ ، ٢٤٠؛ القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٥٥؛ ابن
سعيد المغرب ، ج١، ص٢٨٠؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٧؛ الجزائى، جنى زهرة الأس،
ص٢٤؛ الحميرى، الروض المعطار، ص٢٣٩، ٢٤٧ .

٥٤- انظر: القلقشندي ، صبح الأعشى، ج٢، ص١١٨-١١٩ .

٥٥- الزهرى ، كتاب الجغرافية، ص١١٧ .

٥٦- العنرى، ص١١٠؛ ابن غالب ، ص٢٩١؛ الحميرى، الروض المعطار، ٥٠٧؛

Imamudin (S.M.), The Economic Hisotry , p. 167-168 .

٥٧- العنرى، ص١١٠؛ ابن غالب ، ص٢٩١؛ القزوينى، ص٥٥٥؛ ابن سعيد ، المغرب، ج١، ص٢٣٩؛
مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس ، ص٥٩؛ المقرئ، نفح الطيب ، ج١، ص٢٠١ .

58- Villvé, La Industria, p. 216, 217 .

٥٩- العنرى، ص٢؛ ابن غالب، ص٢٨٣؛ المراكشى (عبد الواحد بن على) ، المعجب فى تلخيص أخبار
المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، ومحمد العربى العلمى، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، الطبعة
الأولى، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م ص٣٦٣؛ القزوينى، ص٥٠٢؛ ابن سعيد المغرب، ج٢ ، ص٢٢٨؛ ابن
الخطيب (لسان الدين أبو عبدالله محمد)، الإحاطة فى أخبار غرناطة، تحقيق الأستاذ محمد عبدالله
عنان، المجلد الأول، القاهرة، ١٩٧٣م، ص٩٨؛ المقرئ، نفح الطيب، ج١، ص١٥٠ .

٦٠- السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة: دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية فى العصور
الوسطى، الجزء الأول، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧١-١٩٧٢م ، ص١٨٨ .

٦١- السقطى المالقى (أبو عبدالله محمد بن أبى محمد)، كتاب فى أداب الصسبة، تحقيق الأستاذ ليفى
بروفنسال ، والأستاذ ج.س. كولان، المطبعة الدولية، باريس، ١٩٢١، ص١٢ .

٦٢- الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ص٥٨١؛ الحميرى ، الروض المعطار، ص٦؛

Lévi Provençal (E.V.), España Musulmana Traducción por Garcia Gomez en (Historia
de España) T.V, Madrid 1957 , p. 174'

سالم ، قرطبة ، حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٤١ .

٦٣- البكرى ، المغرب فى ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، ص١٢٩-١٣٠؛ الزهرى، ص٩٦؛ القزوينى،
ص٥٠٥، ٥٤٥؛ الحميرى، الروض المعطار، ص١١٣؛ المقرئ، نفح الطيب، ج١، ص١٣٨ .

- ٦٤- أبو الفداء، تقويم البلدان، ص١٦٧؛ المقرئ، نفح الطيب، ج١، ص١٦٧ .
- ٦٥- حسن على حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، نشر مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٨٠م، ص٢٦٦ .
- ٦٦- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٣٥ .
- ٦٧- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص١٦٦؛ ابن عذارى، البيان: قسم الموحدين، ص١٦٥ .
- ٦٨- المن بالإمامة، ص٢٦٦ .
- ٦٩- ابن القطان، نظم الجمان، ص١٣٧-١٣٨؛ ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص٨١ .
- ٧٠- مؤلف مجهول، الاستبصار، ص١٨٩؛ سالم، العمارة المدنية، ص١٤٣؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، قاعدة الأسطول الأندلسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٤م، ص١٦٩ .
- ٧١- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٣٥٢-٣٥٦؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٤٣ .
- ٧٢- انظر: ابن عذارى، البيان، ج٤، ص٤٦؛ حسن على حسن، الحضارة الإسلامية، ص٢٧٥ .
- ٧٣- حسن على حسن، الحضارة الإسلامية، ص٢٨٦؛ كمال أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص٣٣٧ .
- ٧٤- سالم، تاريخ مدينة المرية، ٤٩-٥٠؛ أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، الإسكندرية، ١٩٦٨م، ص٣٢١؛ حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين «صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى»، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م، ص٤٠١ .
- ٧٥- ياقوت، معجم البلدان، ص١٩٢ .

Saad Zaghloul, Abou Yusof Yaqub Almansur, p. 186 .

يذكر ديفيس أن الذهب من أهم المواد التجارية السودانية التي احتاج إليها الغرب الإسلامي في خلال العصور الوسطى، نظراً لعلاقته بالمجال النقدي، ويعتبر أن الذهب هو المحرك الفعلي في العلاقات التجارية بين الشمال الأفريقي وغرب أفريقيا.

J. Devisse, les Route de Commerce et échanges en Afrique Occidentale en Relation avec la Méditerranée Essai sur le Commerce Africain Médiéval du XV. au XVI Siècle. Revue d'Histoire Economique et Social, 1972, p. 49 .

٧٦- البكري ، المغرب ، ص١٨٤؛ ياقوت معجم البلدان، المجلد الثاني، ص١٢-١٣، والمجلد الرابع، ص١٨٤؛ مجهول ، الاستبصار ، ص٢١٩-٢٢٦ .

٧٧- الإدريسي. نزهة المشتاق ، ص١٨ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٩٦ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، سعد زغول عبد الحميد، أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، منشورات ذات السلاسل للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، الكويت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص٣٦٩؛

Manny (Raymond), Tableau Geographique de l'ouest Africain au moyen âge. I.F.A.N., No. 61 , 1961 , p. 300 .

٧٨- الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٢٣ ؛ الحميري، الروض المعطار ص٤٢٥ .

٧٩- ياقوت ، معجم البلدان، ج٢، ص١٢-١٣ .

٨٠- ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي البغدادي النصيبى) ، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت ، ص٦٥ .

٨١- البكري ، المغرب، ص٨٦ ، ١٧٦؛ ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا، ص٩٢؛ الاستبصار، ص٢٢١ ؛ الحميري ، الروض المعطار، ص٤٢٦ ؛ محمد زنيبر، تجارة القوافل في المغرب ، مجلة المناهل، العدد ٢٨ ، سنة ١٩٨٩ ، ص١٢٧؛ موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول من القرن ٢ إلى القرن ٥ هـ (٨-١١م) ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، الطبعة الثالثة، منشورات دار الأفاق الجديدة، المغرب ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، ص٢٣٦

٨٢- ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، ص٩٠؛ وانظر : البكري، المغرب، ص١٧١؛ حسن حافظي علوي، التبادل التجاري بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في العصر الوسيط، مجلة المناهل، تصدرها وزارة الشؤون الثقافية ، الرباط، المغرب، العدد التاسع والثلاثون ، السنة السادسة عشرة، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، ص٢٦٤ ، ٢٦٥ .

٨٣- البكري، المصدر السابق، ص١٦٩؛ مجهول، الاستبصار ، ص٢١٦ .

٨٤- الاستبصار ، ص١٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٢٧ .

٨٥- البكري، المصدر السابق، ص١٧١؛ الإدريسي، نزهة المشتاق ، ص٢٢٤؛ الاستبصار ص٢١٤ .

٨٦- البكري ، المصدر السابق، ص١٥٨؛ علوي، المرجع السابق، ص٢٦٦ ؛

Saad Zaglou, Op. cit., pp. 186-187 .

٨٧- ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، ص١١٤؛ الزهري، كتاب الجغرافية، ص١١٧ .

- ٨٨- البكري، المغرب، ص١٨٣؛ الاستبصار، ص٢٢٥؛ ابن سعيد كتاب الجغرافية، ص١١٧ .
- ٨٩- ابن سعيد ، نفسه، ص١١٤؛ الزهري، كتاب الجغرافية، ص١١٧ .
- ٩٠- البكري، المغرب، ص١٧١؛ الاستبصار، ص٢١٤؛ علوي ، التبادل التجاري بين المغرب الأقصى والسودان الغربي، ص٢٥٦-٢٦٢ .
- ٩١- ابن حوقل ، صورة الأرض، ص٩٠ .
- 92- Devisse (Jean), Tegdaoust I, Recherches sur Aoudoghost , Paris, 1970, p. 112 .
- ٩٣- محمد زنيير ، تجارة القوافل، في المغرب ص١٢٦ .
- ٩٤- البكري ، المغرب، ص١٥٨؛ الإدريسي ، نزهة المشتاق، ص٢٣٢؛ الزهري، كتاب الجغرافية، ص١١٨، ١٢٤، ١٢٧؛ الحميري، الروض، ص٤٦، ١٣٤؛ علوي، التبادل التجاري، ص٢٥٧، ٢٦٣ .
- ٩٥- موديس لومبار، الإسلام في مجده الأول (من القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري/ الثامن إلى الحادي عشر الميلادي) ترجمة وتعليق: اسماعيل العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، المغرب، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، ص٢٢٧ .
- 96- Martinez. (Pedro) Islam y cristianidad en la economia mediterranea de la baja edad media, Moscu, 1970,p.8;
- أمين الطيبي، النقود العربية، المجلة الفرنسية للعلوم الاجتماعية ، العدد ٦٧ لسنة ١٩٨١م.
- ٩٧- الزهري ، ص١١٧-١١٨؛ الاستبصار ، ص٢١٢-٢١٣، ٢١٦ .
- ٩٨- الزهري، كتاب الجغرافيا، ص١١٧ .
- ٩٩- العمري، مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص٩٣ .
- ١٠٠- الزهري، ص١١٧ .
- ١٠١- الزهري، ص١١٣-١١٤؛ ابن سعيد ، المغرب، ج٢، ص٢٤٦ .
- ١٠٢- الاستبصار ، ص١٧٩ .
- ١٠٣- البكري ، المغرب ، ص١٥٨ .
- ١٠٤- الزهري ، ص١١٣-١١٤ .
- ١٠٥- الزهري ، كتاب الجغرافيا ، ص٩٣؛ العمري ، مسالك الأبصار ، السفر الرابع، ص١٠٨ .
- ١٠٦- المقرئ، نفح الطيب، ج٣، ص٢١٣ .

١٠٧- المقرئ، نفع الطيب، ج ١، ص ٢٠١؛ العمرى، مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص ١٠٨؛
القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١٩.

١٠٨- المقرئ، نفع الطيب، ج ١، ص ٢٠١.

١٠٩- الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ٥٥٦؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٠٩.

١١٠- الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ٢٣٩.

١١١- العمرى، مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص ١١٠؛ المقرئ، نفسه، ج ١، ص ١٤١؛ هايد (ج)،
تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ج ٤، ص ١١٠.

١١٢- الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ٥٤٢، ٥٦٥؛ العمرى، نفسه، ص ١٠٨؛ الزهرى، كتاب الجغرافيا،
ص ٩٤.

Robles (F.Guillen), Malaga Musulmana, Malaga, 1947, p. 292.

وانظر أيضا الرازى : وصف الأندلس؛

Lévi Provençal (E.V) La description de L'Espagne, d'Ahmed Al- Razi, Al- Andalus,
vol XVII, Fasc I, Madrid, 1953, p. 68.

١١٣- العذرى، ص ٩٦؛ ابن غالب الأندلسي، ص ٢٩٢؛ ياقوت معجم البلدان، مجلد ١، ص ١٩٥.

١١٤- انظر: الرازى، وصف الأندلس فى : Lévi Provençal, Description, p. 68

١١٥- الإدريسي: نزهة المشتاق، ص ٥٥٨؛ الحميرى، الروض المعطار، ص ٥١١.

١١٦- مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ٧٥.

١١٧- الزهرى، كتاب الجغرافية، ص ١٢٨.

١١٨- الإدريسي، المصدر السابق، ص ٥٨١؛ ابن غالب، ص ٢٨٩؛ الزهرى، كتاب الجغرافية، ص ٣١، ٨٧.

١١٩- ياقوت، معجم البلدان، مجلد ٢، ص ٣٦٠.

١٢٠- الزهرى، كتاب الجغرافية، ص ٩٩؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٣٢٣.

١٢١- كمال أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادية، ص ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤.

122- Mas- Latrie (L.), Traité de paix et de commerce et documents divers concernant
les relations des Chrétiens avec des Arabes de l'Afrique Septentrionale au Moyen- Age,
Paris, 1965, pp. 37-49.

١٢٣- هايد (ج)، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد محمد رضا، مراجعة وتقديم دكتور عز الدين فودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٤٨؛

Saad Zaghloul, Abou Yusof- Yaqub Almansur, p. 189 .

124- Mas- Latrie, Op. cit., pp. 47, 49 , 89 , 108 .

125- Kruger, (Hilmar C.), Genoese Trade with North Monnier in the Twelfth Century ,
Speulum, A Journal of Medieval Studies, vol . VIII, n.9, July, 1933, p. 379 ;

عبد الهادي التازي ، الموجز في العلاقات الدولية، الرباط، ١٩٨٤، ص ٥١ .

126- Mas- Latrie, Op. cit., p. 47 , 49, 89 , 108 .

١٢٧- التازي، الموجز في العلاقات الدولية، ص ٥١ .

128- Mas- Latrie , Op. cit., p. 52 .

١٢٩- ناصح محمد، جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمغرب في العصر الوسيط القرن ٦ هـ /
١٢ م نمونجا ، بحث لنيل درجة دبلوم الدراسات العليا في التاريخ ، جامعة محمد الخامس ، كلية
الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط، ١٩٨٧-١٩٨٨م، ص ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢ .

130-Amari (M.), Diplomi Arabi del Archivio fiorentino , v. I, Firenze, Le African

1863, p. 76; kruger (H.C.), The Wares of Exchange in the Genoese- African

Traffic of the Twelfth Century , Speculum 1937, XII, n. I, pp. 68 , 71 ; Kruger

(H.C.), Genose Trade..., p. 385 .

131- Amari (M.), Diplomi Arabi, p. 48; kruger (H.C.), The Wares of Exchange, p.

72 .

١٢٢- الزهرى، كتاب الجغرافية ، ص ١١٧ : هايد (ج) تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور
الوسطى، ج ٤، ص ٦٢ .

١٢٣- البكري، المغرب ، ص ٢٠ : الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ٢٨١؛ الاستبصار، ص ١١٦-١١٧ .

١٢٤- الإدريسي، نزهة المشتاق ، ص ٢٢٦؛ الزهرى، كتاب الجغرافية، ص ١١٩ .

١٢٥- الزهرى ، نفسه ، ص ١١٧-١١٨ : Kruger (H.C.), The Wares of ..., p. 70 .

١٢٦- انظر : الإدريسي، نزهة المشتاق ، ص ٥٥٢، ٥٦٩ : الحميري، الروض المعطار ، ص ٦٠٦؛ المقرئ،
نفح الطيب، ج ٤ ، ص ١٧٩ .

١٣٧- الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٤٣ ، ٥٦٥ ؛ الحميري ، المصدر السابق، ص١٧٥ ؛ العمري، مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص١٠٨ ؛ المقرئ، نفح الطيب، ج١، ص١٥١؛
Robles Malaga Musulmana, p. 292 .

١٣٨- القلقشندي ، صبيح الأعشى ، ج٥، ص٢١٨ .

١٣٩- الإدريسي ، نزهة المشتاق، ص٤١ ؛ الزهري، كتاب الجغرافية ، ص٨٩ ، ٩٣ ، ١٣٢ ؛ المقرئ، نفح الطيب، ج٢، ص٢١٣ .

١٤٠- ياقوت ، معجم البلدان، م٢ ، ص٣٦٠ .

١٤١- الزهري ، كتاب الجغرافية ، ص٣١ ، ٩٦ ، ٩٩ .

١٤٢- ابن حوقل ، صورة الأرض، ص١١٤ .

١٤٣- الإدريسي ، ص٦٢ ؛ الزهري، ص٣١ ؛ المقرئ، نفح الطيب، ج١، ص٢٠١ .

١٤٤- المقرئ، نفسه، ج١، ص٢٠١ ، ج٢، ص٢٢١ .

١٤٥- نفسه ج١، ص٢٠٢؛

Dunning (G.C), A Group of English and Imported Medieval Pottery , Lesnes Abbey , Kent : and the Trade in Early Hispano - Moresque Pottery to England Antiquaries Journal, 1961, v. 41 , p. 1-12 .

١٤٦- انظر الإدريسي ، نزهة المشتاق، ص٥٥٦؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م٢ ، ص٢٠٩؛ كمال أبو مصطفي ، تاريخ الأندلس الاقتصادية، ص٣٤٤ ، ٣٤٥ .

١٤٧- الإدريسي ، نزهة المشتاق، ص٣٣٨؛ الزهري، كتاب الجغرافية، ص٥٠ .

١٤٨- كتاب الجغرافية، ص١١٤ .

١٤٩- نفسه، ص٦٠ .

١٥٠- نفسه ، ص١١٤ .

١٥١- نفسه، ص١٣١ .

١٥٢- نفسه، ص٧٨ .

١٥٣- نفسه، ص٧٨ ؛ Mas Latrie , Traité de paix, p. 48 .

١٥٤- كتاب الجغرافية ، ص٧٨ ؛

Kruger , The Wares of Exchange..., p. 60; kruger, Genoese Trade..., p. 386 , 388 .

- ١٥٥- الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ص٥٥٣؛ كتاب الجغرافيا، ص٧٨ .
- 156- Kruger (H.C.), The Wares of Exchange..., p. 66 .
- ١٥٧- انظر: الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ص٢٢؛ الاستبصار ، ص٢١٥-٢١٦؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٣٢٩ .
- ١٥٨- الزهرى، كتاب الجغرافية، ص١٠٤ .
- ١٥٩- الزهرى، نفسه، ص٥٠؛ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى، الإسكندرية ، ١٩٨٢م، ص٢٥٨ .
- ١٦٠- الزهرى ، ص١٢٢، ١٢٤؛ أرشيبالد لويس ، القوى البحرية التجارية فى حوض البحر المتوسط، ترجمة : الأستاذ أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٢٦٠ .
- 161- Pedro Martinez, Islam, Y Cristianidad en la Economia Mediterranea de la Baja Edad Media Moscu , 1970 , p. 8'
- كمال أبو مصطفى ، تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص٣٤٧ .
- ١٦٢- الزهرى، ص١٩، ٢٠، ٢١، ٢٦، ٢٦؛
- Kruger (H.C), Genoese Trade, pp. 385-388 .
- ١٦٣- «هى ثياب حسنة العمل من الصوف غير أنهم- أى الفنلنديين- يتقنون صنعها حتى تباهى ثياب الخز» (الزهرى ، كتاب الجغرافية، ص٧٦) .
- ١٦٤- الإدريسي، نزهة المشتاق ، ص٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥؛ الاستبصار، ص٢٠٨-٢٠٩، ٢١٠؛ الحميرى، الروض المعطار، ص٥٤٠، ٥٤١ .
- ١٦٥- البكرى ، المغرب ، ص١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣؛ الإدريسي ، نزهة المشتاق، ص٢٢٦، ٢٢٧ ، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠؛ الاستبصار، ص٢١١، ٢١٢، ٢١٣ .
- ١٦٦- عن تلك المسالك التجارية ومحطاتها راجع : حسن حافظى عطوى، التبادل التجارى بين المغرب الأقصى والسودان الغربى فى العصر الوسيط، مجلة المناهل ، تصدرها وزارة الشؤون الثقافية ، الرباط المغرب، العدد التاسع والثلاثون، السنة السادسة عشرة، مطبعة فضالة المحمدية ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، ص٢٢٥-٢٥٥؛ عبد الرحمان التليلي، وصف المدن المغربية من كتاب صورة الأرض لابن حوقل ، الكراسات التونسية ، مجلد ٣٤، عدد ١٣٧-١٣٨ ، الثالثة والرابعة لسنة ١٩٨٦، عدد خاص «المدن ومجتمعات الحضر فى المغرب»، ص٢٠ .
- ١٦٧- البكرى ، المغرب ، ص١٤٦ وما بعدها ؛ الاستبصار ، ص١٩٣؛ الحبيب الجنجاني ، المغرب الإسلامى: الحياة الاقتصادية والاجتماعية (٣-٤هـ / ٩-١٠م) الدار التونسية للنشر، ١٩٧٧م، ص١٧٩ .

- ١٦٨- البكري، المغرب، ص٨٨؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٢٤٩؛ الاستبصار، ص١٣٩.
- ١٦٩- البكري، المغرب، ص١٥٦ وما بعدها.
- ١٧٠- البكري، نفسه، ص١٦٢ وما بعدها.
- ١٧١- نفسه، ص٧٧.
- ١٧٢- نفسه، ص١٦٠-١٦٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٢٢٦-٢٣٣؛ الاستبصار، ص٢١١، ٢١٢، ٢١٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٢٨.
- ١٧٣- البكري، المغرب، ١٧١، ١٧٢؛ الاستبصار، ص٢١٤، ٢١٥.
- ١٧٤- البكري، المغرب، ص١٥٦ وما بعدها؛ الاستبصار، ص٢١٣.
- ١٧٥- البكري، المغرب، ص١٥٤، ١٥٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٢٤١، ٢٤٢.
- ١٧٦- الإدريسي، نفسه، ص٢٣٦-٢٣٩.
- ١٧٧- نفسه، ص٢٣٩؛ الاستبصار، ص١٤٠-١٤١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣١٩.
- ١٧٨- الإدريسي، نفسه، ص٢٣٦-٢٣٩.
- ١٧٩- نفسه، ص٢٤١-٢٤٢.
- ١٨٠- نفسه، ص٢٤٢.
- ١٨١- نفسه، ص٢٣٩، ٥٣٠، ٥٣١؛ الاستبصار، ص١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠؛ ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص١٣٨.
- ١٨٢- البكري، المغرب، ص٨٨؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨؛ الاستبصار، ص١٨٦.
- ١٨٣- الاستبصار، ص١٨٦.
- ١٨٤- البكري، المغرب، ص١١٢، ١١٤، ١١٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٣٢.
- ١٨٥- البكري، المغرب، ص١٠٩ وما بعدها؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٢٤٤، ٢٤٥، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠؛ الاستبصار، ص١٨٨، ١٨٩، ١٩٠.
- ١٨٦- البكري، المغرب، ص٨٨؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص٢٤٧، ٢٤٨.
- ١٨٧- كان ميناء تاجريت على شاطئ البحر المتوسط من الموانئ الشهيرة التي استعملت في تصدير البضائع الواردة من سجلماسة، يقول عنها الحميري: «وهي محط السفن، ومقاصد لقوافل سجلماسة وغيرها» (الحميري، الروض المعطار، ص١٢٧).
- ١٨٨- البكري، المغرب، ص٨٠، ٨٢، ٨٦، ٨٩، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٢٧-٥٣٤؛ الاستبصار، ص١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨؛ ابن سعيد كتاب الجغرافيا، ص١٢٩، ١٤٠.

١٨٩- البكري، المصدر السابق، نفس الصفحات الإدريسي، نزهة المشتاق ، ص ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ؛ ابن سعيد، كتاب الجغرافيا ، ص ١٣٩-١٤٠ ، جاك كانى، دراسات عن منطقة الشمال المغربى، مجلة البحث العلمى، الأعداد ١٩ (٢٠، ٢١) ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .

١٩٠- البكري، المغرب، ص ٨٦، ٨٧ ؛ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٢٣٨-٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ؛ الاستبصار، ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ؛ ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ .

١٩١- الإدريسي ، نزهة المشتاق، ص ٥٢٨ ، ٥٢٩ ؛ الاستبصار، ص ١٣٧ ، ١٣٨ ؛ ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص ١٣٩ ؛ ابن عذارى، البيان ، قسم الموحدين، ص ٥٥ ، ٦١ ؛ الحميرى، الروض المعطار ، ص ٢٠٣ .

١٩٢- الإدريسي ، نزهة المشتاق، ص ٢٣٩ ؛ الاستبصار، ص ١٤٠ ، ١٤١ ؛ الحميرى، الروض المعطار، ص ٣١٩ .

١٩٣- الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢٣٩ .

١٩٤- نفسه، ص ٢٤٠ .

١٩٥- نفس المصدر والصفحة؛ ابن سعيد كتاب الجغرافيا، ص ١٣٧ .

١٩٦- مجموعة رسائل موحدية، نشر الأستاذ ليفى بروفنسال ، الرباط، ١٩٤١م، ص ٦٠٥ .

١٩٧- الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

١٩٨- الإدريسي، نفسه ، ص ٥٢٩ .

١٩٩- ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، ص ٨٣ ، ٨٩ ، ١١٧ ، ١١٩ ؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٥٢٧ وما بعدها .

٢٠٠- الإدريسي، نفسه، ص ٥٢٧ وما بعدها .

٢٠١- نفسه، ص ٥٢٧ وما بعدها؛ ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، ص ١٣٨-١٣٩ .

٢٠٢- ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد) ، رحلة ابن جبير ، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٩٠٨ .

٢٠٣- الإدريسي ، المصدر السابق، ص ٥٢٧ وما بعدها ؛ رحلة ابن جبير، ص ٨ ، ٩ .

٢٠٤- ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، ص ١٣٩ ؛ ناصح محمد، جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمغرب فى العصر الوسيط ، ص ٤٧٢ ، ٤٧٣ .

٢٠٥- انظر: الإدريسي ، المصدر السابق، ص ٥٢٩ .

٢٠٦- انظر : الاصطخرى، المسالك والممالك، ص ٣٧ ؛

٢٠٧- انظر : رحلة ابن جبير ، ص ٨-١٢ ، ٤٩ ؛ خوان بيرنيت ، هل هناك أصل عربي إسباني لفن الفرائط الملاحية، دكتور أحمد مختار العبادي، مجلة المعهد المصري بمدريد ، العدد الأول، ١٩٥٣م، ص ٧٥ .

٢٠٨- الأوسى المراكشى (أبو عبدالله محمد بن عبد الملك الأنصاري) ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس ، القسم الثاني، تحقيق الدكتور إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٥ ك، ص ٦٨٩-٦٩٠، ترجمة رقم ١٢٩٨ .

٢٠٩- انظر: أحمد مختار العبادي، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، الجزء الثاني، مؤسسة شباب الجامعة ، دت ص ٦٠-٦١ .

٢١٠- بيرنيت ، المرجع السابق ، ص ٧٥ ؛ سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٨٩ .

٢١١- بيرنيت ، نفس الصفحة ؛ كمال أبو مصطفى ، تاريخ الأندلس الاقتصادية، ص ٣٤٩-٣٥٠ ، ٣٥١ .

٢١٢- هايد (ف) ، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، الجزء الأول، ص ١٠٩-١١٢ .

٢١٣- انظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢ ، ص ١٩٣؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٧٧ .

٢١٤- الإدريسي، المصدر السابق، ص ٥٦٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٨، ٧٣ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٨٢ .

٢١٥- المقرئ ، نفع الطيب، ج ١، ص ١٦٢-١٦٣ ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ .

٢١٦- ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ١١٩؛ المقرئ، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ؛ سالم تاريخ مدينة المرية، ص ٨٩، ١٧١ .

٢١٧- القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥، ص ١١٩؛ كمال أبو مصطفى، المرجع السابق، ص ٣٥٢-٣٥٣ ، ٣٥٤ .

218- Robles, Malaga, p. 337 .

٢١٩- ياقوت ، معجم البلدان، م ١، ص ١٩٥ .

٢٢٠- الإدريسي ، المصدر السابق، ص ٥٤١ ؛ الحميري، ص ٥٩، ٣٣٩-٣٤٠؛ المقرئ، ج ١، ص ١٥٩ .

٢٢١- كمال أبو مصطفى، المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .

٢٢٢- انظر : المقرئ، نفع الطيب، ج ٢، ص ٢٢١ .

٢٢٣- الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ٥٥٨ .

قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية

(أ) المصادر العربية:

- ١- أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر) ، تقويم البلدان، تحقيق دى سلان، باريس، ١٨٤٠م.
- ٢- ابن أبي زرع (أبو الحسن على بن عبد الله الفاسي) ، كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، نشر كارل يوحنا تورنبرج، طبع في مدينة أويشالة بدار الطباعة المدرسية ، ١٨٤٣م .
- ٣- ابن الأبار (أبو عبدالله محمد القضاعى البنسى) ، كتاب التكملة لكتاب الصلة طبعة، عزت العطار الحسيني، الجزء الثاني، القاهرة ، ١٩٥٦م.
- ٤- ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبدالله محمد) ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان، المجلد الأول، القاهرة ١٩٧٣م.
- ٥- ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبدالله محمد) ، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، مجموعة رسائل ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي ، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٨٣م.
- ٦- ابن القطان (أبو الحسن على بن محمد بن عبد الملك) ، جزء من كتاب «نظم الجمان في أخبار الزمان» تحقيق الدكتور محمود على مكي بمساهمة من المركز الجامعي للبحث العلمي، إشراف مولاى الحسن للبحوث، جامعة محمد الخامس، الرباط ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، د.ت.
- ٧- ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد) رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ٨- ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن على البغدادى النصيبى) ، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- ٩- ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف بن حيان) ، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق الدكتور محمود على مكي، بيروت، ١٩٧٣م.
- ١٠- ابن سعيد (أبو الحسن على بن موسى) ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق الأستاذ إسماعيل العربي، الطبعة الأولى، منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ١٩٧٠م.
- ١١- ابن سعيد (أبو الحسن على بن موسى) المغرب فى حلى المغرب، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، دار المعارف ، القاهرة،

١٩٨٠م.

١٢- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي) ، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، السفر الثاني، تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٨٧م.

١٣- ابن عبيون (محمد بن أحمد التجيبي) ، رسالة في القضاء والحسبة، نشرها الأستاذ ليفي بروفنسال ضمن كتاب بعنوان «ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.

١٤- ابن عذارى المراكشي (أبو العباس أحمد بن محمد) ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين ، تحقيق الأساتذة محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد بن تاويت، ومحمد بن زنيبر، وعبد القادر زمامة، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.

١٥- ابن غالب الأندلسي (أبو عبد الله محمد بن غالب البنسسي) ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة النول العربية ، المجلد الأول، الجزء الثاني، نوفمبر ١٩٥٥م.

١٦- ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الرابع ، طبع بالتصوير عن مخطوطة رقم ٢٧٩٧ / ٢ أحمد الثالث، طوبقا بوسراي، استانبول ، أصدره فؤاد سزكين ، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت، ألمانيا الاتحادية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

١٧- الإدريسي (الشريف أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله إدريس الحموي) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثاني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

١٨- الأوسى المراكشي (أبو عبدالله محمد بن عبد الملك الأنصاري) ، النيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس، القسم الثاني، تحقيق الدكتور إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت، لبنان ، ١٩٦٥م.

١٩- الاصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي) ، كتاب المسالك والممالك،

مطبعة بريل، ليدن ١٩٢٧م.

٢٠- البكرى (أبو عبدالله عبدالله بن عبد العزيز) ، المغرب فى ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، من كتاب «المسالك والممالك» نشر دى سلان De Slane بعنوان Description de L'Afrique Septentrional، الجزائر، ١٩١١م.

٢١- البيذق (أبو بكر على الصنهاجى) ، كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين ، تحقيق الأستاذ ليفى بروفنسال ، بولس كتنر الكتبي، باريس ١٩٢٨م.

٢٢- الجزائى (أبو الحسن على) زهرة الآس فى بناء مدينة فاس، طبعة الفرد بل، الجزائر، ١٩٢٢م.

٢٣- الحميرى (أبو عبدالله محمد بن عبد المنعم) الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٤م.

٢٤- الزهرى (أبو عبدالله محمد بن أبى بكر) ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق الأستاذ محمد الحاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

٢٥- السقطى المالى (أبو عبدالله محمد بن أبى محمد) كتاب فى أداب الحسبة، تحقيق الأستاذ ليفى بروفنسال والأستاذ ج.س. كولان، المطبعة الدولية، باريس ، ١٩٣١.

٢٦- العذرى (أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس المعروف ببنى الدلائى) ترصيع الأخبار وتنويع الآثار فى غرائب البلدان والمسالك إلى الممالك، تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهوانى، مدريد، ١٩٦٥م.

٢٧- القزوينى (زكريا بن محمد بن محمد)، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ، بيروت، ١٩٧٩م.

٢٨- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن على) صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، الجزء الخامس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م .

٢٩- المراكشى (عبد الواحد بن على) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، ومحمد العربى العلمى، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م.

٣٠- المقدسى (شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد البشارى) ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، تحقيق دى غويه، مكتبة المثنى ببغداد، ليدن، ١٩٠٦م.

٣١- المقرئ (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمسانى) نفع الطيب من غصن

الأندلس الرطب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق الدكتور
إحسان عباس ، الأجزاء الأول والثالث والرابع .

٣٢- مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس ، نشر وتحقيق لويس مولينا، مدريد ١٩٨٣م.

٣٣- مؤلف مجهول كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لكاتب مراكشي من كتاب
القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، تحقيق الدكتور سعد
زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، ١٩٥٨م.

٣٤- مجموع رسائل موحدية، نشر الأستاذ ليفي بروفنسال ، الرباط، ١٩٤١م.

٣٥- ياقوت (شهاب الدين أبو عبدالله الحموي) معجم البلدان، المجلد الأول، طبعة بيروت،
١٩٥٥م.

(ب) المراجع العربية والمعرية :

١- أحمد محمد إسماعيل الجمال، دولة الموحدين في عهد أبي يعقوب يوسف بن عبد
المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ / ١١٦٣-١١٨٤م) رسالة دكتوراه (غير منشورة)،
الإسكندرية ، ١٩٩٨م.

٢- أحمد مختار العبادي، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض
البحر الأبيض المتوسط، البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، الجزء
الثاني، مؤسسة شباب الجامعة، د.ت.

٣- أحمد مختار العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الطبعة الأولى،
الإسكندرية ، ١٩٦٨م.

٤- أرشيبالد لويس، القوى البحرية التجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة : الأستاذ
أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ١٩٦٠م.

٥- أمين الطيبي ، النقود العربية ، المجلة الفرنسية للعلوم الاجتماعية ، العدد ٦٧ لسنة
١٩٨١م.

٦- الأميرشكيب أرسلان، الطل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، الطبعة الأولى،
دار مكتبة الحياة، بيروت ١٣٥٥-١٣٥٨هـ، الجزء الثالث.

٧- الحبيب الجناحي، المغرب الإسلامي: الحياة الاقتصادية والاجتماعية (٣-٤هـ /
٩-١٠م) الدار التونسية للنشر ١٩٧٧م.

٨- السيد عبد العزيز سالم ، العمارة المدنية بالأندلس، دائرة معارف الشعب ، العدد
(٦٤)، ١٩٥٩م.

- ٩- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى، الاسكندرية، ١٩٨٢م.
- ١٠- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، قاعدة الأسطول الأندلسى، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية، ١٩٨٤م.
- ١١- السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية فى العصور الوسطى، الجزء الأول، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١-١٩٧٢م.
- ١٢- جاك كانى، دراسات عن منطقة الشمال المغربى، مجلة البحث العلمى، الأعداد ١٩ (٢٠، ٢١)، ٢٢، ٢٣، ٢٤ .
- ١٣- حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين «صفحة مشرفة من تاريخ المغرب فى العصور الوسطى» ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٥٧م.
- ١٤- حسن حافظى علوى : التبادل التجارى بين المغرب الأقصى والسودان الغربى فى العصر الوسيط، مجلة المناهل ، تصدرها وزارة الشؤون الثقافية ، الرباط، المغرب ، العدد التاسع والثلاثون ، السنة السادسة عشرة، مطبعة فضالة المحمدية المغرب، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- ١٥- حسن على حسن، الحضارة الإسلامية فى المغرب الأندلسى ، الطبعة الأولى، نشر مكتبة الخانجى بمصر، ١٩٨٠م.
- ١٦- خوان بيرنيت ، هل هناك أصل عربى إسباني لفن الخراط الملاحية، دكتور أحمد مختار العبادى ، مجلة المعهد المصرى بمريد، العدد الأول، ١٩٥٣م.
- ١٧- سعيد عبد الفتاح عاشور : سعد زغلول عبد الحميد، أحمد مختار العبادى ، دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، منشورات ذات السلاسل للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، الكويت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ١٨- عبد الرحمن التليلي ، وصف المدن المغربية من كتاب صورة الأرض لابن حوقل، الكراسات التونسية ، مجلد ٣٤ ، عدد ١٢٧-١٢٨ ، الثالثة والرابعة لسنة ١٩٨٦، عدد خاص «المدن ومجتمعات الحضر فى المغرب».
- ١٩- عبد الهادى التازى، الموجز فى العلاقات الدولية، الرباط ١٩٨٤ .
- ٢٠- عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى، دار الشروق، بيروت ، ١٩٨٣م.
- ٢١- كمال السيد محمد أبو مصطفى ، تاريخ الأندلس الاقتصادى فى عصر دولتى المرابطين والموحدين، مركز الاسكندرية للكتاب، دت .

- ٢٢- محمد نزيير ، تجارة القوافل في المغرب، مجلة المناهل ، العدد ٣٨ ، سنة ١٩٨٩ .
- ٢٣- مورييس لومبار، الإسلام في مجده الأول (عن القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري/ الثامن إلى الحادي عشر الميلادي) ترجمة وتعليق : إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، الطبعة الثالثة ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- ٢٤- ناصح محمد، جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمغرب في العصر الوسيط القرن ٦هـ / ١٢م نمونجا، بحث لنيل درجة دبلوم الدراسات العليا في التاريخ ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، الرباط ، ١٩٨٧-١٩٨٨م.
- ٢٥- نعيم زكي فهيم، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.
- ٢٦- هايد (ج) تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة : أحمد محمد رضا، مراجعة وتقديم دكتور عز الدين فودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء الثاني، القاهرة ١٩٩١م.

(ج) المراجع الأجنبية:

- 1- Abdel- Hamid (Saad Zaghloul) Abou Yusof Yaqub Almansur l'Almohade (1184-1199) . These Doctorat , Faculté des Lettres, Université de Paris , 1951 .
- 2- Amari (M.) Diplomi Arabi del Archivo fiorentino, v. I , Firenze, Le Monnier 1863 .
- 3- Devisse (Jean), Tegdaoust I, Recherches sur Aoudoghost , Paris , 1970 .
- 4- Dunning (G.C.), A Group of English and Imported Medieval Pottery , Lesnes Abbey, Kent: and the Trade in Early Hispano - Moresque Pottery to England , Antiquaries Journal, 1961, v.41 .
- 4- Heyd (W.), Histoire du Commerce de Levante au Moyen age .T. II, Amsterdam , 967 .
- 6- Imamuddin (S.M), The Economic History of Spain Under the Umayyades. Dacca, 1963 .
- 7- J. Devisse, Les Route de Commerce échanges en Afrique Occidentale en Relation Avec la Méditerranée , Essai sur le Commerce Africain Médiéval du XV , au XVI e.s. Revue d'Histoire Economique et Social, 1972 .
- 8- kruger (H.C.) The Wares of Exchange in the Genoese- African Traffice of the Twelfth Century Century . Speculum 1937, XII, n.I.

د. كرم الصاوي باز(*)

الحركة التجارية فى العصر المملوكى وأهميتها كحلقة وصل بين مراكز البحر الأحمر ومدغشقر وجزر القمر

فى الفترة من (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)

مقدمة :

تشير هذه الدراسة إلى ازدهار الحركة التجارية فى العصر المملوكى كحلقة وصل واتصال بين مراكز البحر الأحمر وساحل أفريقيا الشرقى^(١)، خلال الفترة من منتصف القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر الميلادى تفتحت فيها الثقافة البحرية السواحلية بتأثير القوى الاقتصادية الإسلامية على ساحل شرق أفريقيا وجزر القمر ومدغشقر^(٢). إذ أفرزت هذه العلاقة حركة واسعة من التبادل على هذه الجزر وطول ساحل سفاله^(٣).

لقد استقرت جاليات إسلامية فى أرخبيل القمر وبعض المناطق من مدغشقر؛ لتؤثر فى قيام الوكالات التجارية السواحلية مع احتفاظ القمرىون بالتقاليد الثقافية لبلادهم الأصلية^(٤).

أما أهل مدغشقر ، فعلى الجنوب الشرقى وهو أبعد المناطق من مراكز إشعاع الحضارة السواحلية . فقد قسم ضمن المجموعة الملجاشية ، وهى التى احتفظت بسماتها المتميزة ، وبالمقابل فى الشمال الغربى اتخذت هذه الجماعات طابعاً إسلامياً متأثرين

* مدرس بقسم التاريخ معهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة .

بعلاقتهم مع مراكز البحر الأحمر، إخوانهم في الدين : لتسهم هذه العلاقة في إفراز وكالات تجارية على نفس الأصالة، تؤكد لها طبيعة أنسابهم وشييمهم وتقاليدهم^(٥).

وتبرز هذه الدراسة تشابه وكالات البحر الأحمر مع وكالات الشمال الغربي الملجاشي ووكالات جزر القمر سواء في ملامحها أو في نمط عيش سكانها؛ وهذا ما أكدته الدراسة الأركيولوجية للأطلال المتبقية من القلاع المحصنة والمساجد والدور العتيقة التي لاتزال موجودة في أنجوان بآبوابها المزدانة بزخارفها ذات الطابع الإسلامي؛ كما تشهد مؤثرات وكالات البحر الأحمر الحضارية في المحطات التجارية في موتسامودو ، وأوانى وبومونى ، وسيما^(٦).

أن وكالات مدغشقر وجزر القمر هي حالة من الترابط والتكامل بين مراكز البحر الأحمر وشرق أفريقيا. فهي مثال واضح من الامتزاج البيولوجى والثقافى .

والحقيقة أن هناك عدداً من الدراسات التي تناولت الحركة التجارية لدى مراكز البحر الأحمر، وخاصة مصر خلال فترة العصور الوسطى سواء الأركيولوجية والتاريخية على سبيل المثال:

أ.د. أمال العمرى : المنشآت التجارية في القاهرة في العصر المملوكى «جامعة القاهرة» كلية الآثار ١٩٧٤^(٧).

أ.د. مجاهد توفيق الجندى: أهم الوكالات في مدينة القاهرة وبورها الحضارى وهي دراسة بالغة الأهمية^(٨).

وهناك دراسة شاملة لتجارة التوابل في مصر في العصر المملوكى أ.د. محمد عبد الغنى الأشقر ، صادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب وهي دراسة وثائقية^(٩).

وهناك دراسة للمستشرق شتيك (Chittic . N.) تبرز انتشار الأنشطة التجارية من ساحل مقدشيو إلى ساحل سغاله منذ القرن العاشر الميلادى؛ وهذا ما أكدته هذه الدراسة من أثر وكالات البحر الأحمر في بمبا وزنجبار ومدغشقر وجزر القمر^(١٠).

CF : Chittick , H.N. (1974) Kilwa : an islamix trading city on the east african coast , 2 vol (Nairobi: British institute in eastern africa .

وقد تناولت هذه الدراسة النقاط التالية :

أولاً : الحركة التجارية في البحر الأحمر وانتقالها إلى ساحل شرق أفريقية ؛ وجزر القمر ومدغشقر .

ثانياً : دور التجار المسلمين الاقتصادى والثقافى على ساحل شرق أفريقيا ، ومدغشقر وجزر القمر.

ثالثاً: أثر الحركة التجارية فى انتقال التأثيرات السياسية والاقتصادية على ساحل شرق أفريقيا.

رابعاً : انتقال التأثيرات عبر ساحل شرق أفريقيا إلى مدغشقر وجزر القمر.

الخاتمة .

أولاً : الحركة التجارية فى البحر الأحمر وانتقالها إلى ساحل شرق أفريقيا ؛ جزر القمر ومدغشقر :

إن عصر دولة سلاطين المماليك فى مصر ، الذى امتد إلى أكثر من ثلاثة قرون. من الأيوبيين إلى العثمانيين، أى من ٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م إبراز لدور مصر الريادى قائماً^(١١)؛ فالمماليك أوجدوا فى مصر حكماً يعتبر أقوى حكم فى العالم كله فى وقتهم، إذا فُهِدَ بحكم أى دولة إسلامية أخرى فى أفريقيا أو آسيا أو أوروبا^(١٢)، فقد أصبحت مصر فى عهدهم دولة عظمى ، احتلت الصدارة فى حكم العالم الإسلامى أجمع ، وجعلوا القاهرة قاعدة لإمبراطوريتهم الواسعة ، كما أن مصر فى عهدهم أصبح لها أيضاً الريادة الحضارية العظمى فى الإسلام، التى هى امتداد لريادة مصر الحضارية عبر العصور ، الممتدة إلى آلاف السنين قبلهم ؛ وإن اتخذت فى عهدهم الطابعين العربى والإسلامى، مما يجعلنا نقرر أن الحضارة الإسلامية منذ ظهورها لم تبلغ أوج ازدهارها إلا فى مصر، فى عهد دولة سلاطين المماليك بالذات. فيقول المؤرخ الكبير ابن خلدون فى مقدمته؛ عن عصر دولتهم فى مصر: «وليس أوفر اليوم فى الحضارة من مصر ، فهى أم العالم. وإيوان الإسلام ، وينبوع العلم والصنائع»^(١٣).

حقاً ليس أدل على انتعاش الحياة الاقتصادية فى أيام المماليك، من وجود كلمات كثيرة تدل على اتساع نشاطها التجارى والصناعى فى مصر، مثل : دكاكين^(١٤)، وحوانيت ، ومخازن ، وقياسر (أو قيساريات) ، وخانات^(١٥)، ووكالات^(١٦)، وفنادق^(١٧)، وهذه الأخيرة كانت أكثرها. وتتكون من عدة طوابق ؛ عبارة عن غرف مختلفة ومخازن^(١٨)، لها فناء داخلى، يحتوى على البضائع والدواب ؛ يسكنها غالباً التجار الأجانب^(١٩) يرأسهم القناصلة - مفردا

قتصل - وهم كبار الفرنج (٢٠). فكانت الفنادق توجد فى كل أنحاء المدن المصرية ، من الإسكندرية إلى مصر، ومن مصر إلى أسوان (٢١). كذلك كانت شئون القاهرة (٢٢)؛ اعتبرت من أغرب الغرائب ؛ فهي مخروطة الشكل: أكثر ارتفاعاً من برج اشبيلية بالأندلس. ولا تزال بعض المباني التجارية المملوكية باقية إلى الآن ويأسماؤها ، تزينها النقوش العربية ، والرسوم الهندسية . والقوالب الخشبية . وحتى نشاطها التجارى لا يزال مستمرا إلى وقتنا الحاضر. مثل : خان الخليلي (٢٣). وهو سوق ظهر من أيام المماليك .

وقد ترتب على الازدهار الاقتصادى أن القاهرة عاصمة البلاد: ويجوارها الفسطاط (٢٤). اتسعتا اتساعاً كبيراً. حيث كانت تجمعها أسوار مشتركة، ولاسيما بعد إنشاء حى القلعة أيضاً ، بحيث تخصص للكتابة عن القاهرة مؤرخون كبار؛ آخرهم فى عصر المماليك أق بغا الخاصكى، كاتب السلطان قنصوه الغورى ، الذى ألف كتابه (٢٥) : التحفة الفاخرة فى ذكر رسوم خطط القاهرة ؛ بعد خمسين سنة من كتاب المقرئى المشهور باسم الخطط والآثار، الذى لم يعرف قبله كتاب فى قيمته، لما يشتمل عليه من معلومات مفصلة عن تاريخ : حارتها، وخططها- أى الأحياء- وأزقتها. ودروياها ، وخوخها ؛ ورحابها- أى ميادينها- وأسواقها ، وسويقاتها، وظواهرها - أى ضواحيها وأحكارها . وهذه الأخيرة هى الميادين المقفولة (٢٦).

ولدينا وصف مسهب من قبل الرحالين والجغرافيين للقاهرة، فالرحالة ابن بطوطة يرى أن القاهرة كثيرة الحيوية ؛ بالنسبة لمدن أخرى . فيذكر ثلاثين ألف ركوبة للتنجير وأن بها مطاعم كثيرة؛ ومن الأقمشة ما هو ليس فقط من صنع مصر والشرق ، وإنما من إيطاليا والسند (٢٧). كذلك الرحالة طافور يقول إن أروع ما فى القاهرة سوقها ، الذى تعرض فيه أكداش هائلة ، وكميات ضخمة ، من شتى البضائع الواردة من الهند، ولا سيما اللاكى والأحجار الكريمة والتوابل والبضائع . وكل مشموم طيب الرائحة ؛ إذ ليس فى القدرة تعداد جميع السلع التى يوتى بها إلى هنا من الهند. ثم توزع فى أنحاء العالم؛ فالقاهرة هى السوق الرئيسى لجميع تلك الأنواع (٢٨).

ومن المحقق أنه كان يوجد غير القاهرة ومصر- وهى من أكبر المدن التاريخية والصناعية- مدن أخرى فى طول البلاد وعرضها ؛ تعتبر وكالات ومراكز اقتصادية نشطة . فنذكر الإسكندرية العظمى (٢٩) وبمياط ؛ وقد أصبحت أكثر موانئ البحر الأبيض حيوية . وكذا البرلس ورشيد (٣٠)، حيث كان يصلها التجار الأجانب أيضاً؛ وعيذاب أعظم موانئ ساحل

البحر الأحمر^(٣١)، بسبب أن مراكب الهند واليمن تحط فيها البضائع. ونذكر في الصعيد قوص^(٣٢)؛ قرب أسوان التي أصبحت قصبية، ووصفت على أنها مدينة عظيمة بسبب ورود تجار أفريقيا إليها^(٣٣)، وأهلها أرباب ثروة واسعة، وأنها محط التجار القادمين من عدن، كما نذكر أخميم مدينة هامة في الصعيد بعد قوص؛ وقد بلغت عمارة الصعيد، في وقت الممالك أن من يمر من القاهرة إلى أسوان يجد في كل بلدة دور الضيافة^(٣٤).

هذا المال المتدفق نتيجة للفهم الواعي لمسائل الاقتصاد وقتذاك، قد مهد للرخاء والبلذخ الذي عاشته الطبقة المملوكية بالذات؛ وعلى رأسها السلطان حتى أنه من كثرة الأموال كانت له خزانه خاصة. عرفت بخزانه الخاص^(٣٥).

فقد أصبحت القلعة مقر حكمهم تتكون من قصور عظيمة، شبهت بأجنحة تطل على القاهرة؛ بنيت في عهد سلاطين مختلفين. نذكر منها: القصر الكبير^(٣٦) والقصر الأسود^(٣٧)؛ والقصر الأبيض^(٣٨)، والقصور الجوانية^(٣٩) وعددها ثلاثة؛ والقصر الأبلق^(٤٠)، الذي به ثلاثة قصور، والقصر المعروف بالأشرفية^(٤١). كما يوجد فيها دور خاصة بالحريم ومساكن الممالك السلطانية وأمرائهم بنسائهم وأولادهم ولعلها كانت في أبراجها، التي سميت بأسماء منها البرج الأحمر^(٤٢).

كذلك وجدت في القلعة أبنية متعددة لخرن ما يحتاج إليه سكانها وأبهة السلاطين، ففيها خزائن واسعة أو خانات^(٤٣). استخدمت في خزن البضائع أو في صنع الأشياء. وقد تأكد ثراؤها من وصف المؤرخين المسهب لمحتوياتها الثمينة التي جلبت من جميع بقاع الدنيا أو صنعت في مصر، وفيها حوانيت وأسواق وميادين ووكالات ضخمة كثيرة؛ بحيث أصبحت القاهرة درة في جبين الشرق، فهي المدينة ذات الألف منئنة. فكان لهذه المباني موظف خاص يشرف عليها اسمه: شاد العماثر^(٤٤). ومعظمها تحمل علامات «رنك»^(٤٥) السلاطين؛ أو من بنوها من أمراء الممالك.

وترجع أهمية الوكالات في العصور الوسطى إلى طبيعة القاطنين فيها في تجارة الكارم. فقد كانت بمثابة مراكز للتخزين والبيع والشراء، لذلك انتشرت الوكالات في مصر وعلى طول شواطئ البحر الأحمر^(٤٦). أما بالنسبة لوكالات الأجانب فقد تطورت إلى أبنية تؤدي معنى الحى؛ حيث أصبح لكل جالية حى خاص بها يضم وكالتها. فقد كان لجاليات البنادقة حى في الإسكندرية يضم وكالتهم، يحتفظ فيها التجار بسلعهم ويدفعون عنها رسوما للدولة ويمارسون حياتهم بحرية أوسع^(٤٧).

وقد ترتب على انتعاش الحركة التجارية في مصر بظهور تجارة التوابل لتعنى تاجر البهار، مصر نفسها، فكان يطلق عليهم عمومًا اسم: الكارم أو الكاريمى^(٤٨) أو الكارمية- جمع كارمى- فكانوا أشبه بتقابة تجارية لهم رئيس اسمه : رئيس الكارمية أو وكيل التجار؛ أو حتى شهبندار التجار؛ حيث كانت هذه الرئاسة في أسر معينة^(٤٩). ولعل اللفظ «كارم» قد أتى من اسم «كانم» الواقعة في السودان الأوسط ؛ بسبب أن تجاراً من هذا البلد عاشوا في مصر، وتمصروا على مر الأجيال وتخصصوا بهذه التجارة ، فكانوا يبيعونها للتجار الأجانب^(٥٠)؛ وأصبحت الكارم تطلق على أى تاجر يشتغل بتجارة التوابل بما فيهم النصارى واليهود^(٥١). ممن عاشوا في مصر، حيث لدينا وثائق الجنيزة الخاصة باليهود، التى تشتمل على أسماء عائلات يهودية مغربية عاشت في مصر واشتغلت بهذه التجارة^(٥٢).

وفى أول أمر: فرض الممالك الضرائب الباهظة على هذه التجارة؛ فكان الموظف الذى يشرف على جبايتها فى مصر سمي : ناظر تجار الكاريمى^(٥٣)؛ أو مستوفى البهار والكارم. بل ولأهمية هذه التجارة؛ قد تضاف إلى تخصصات الوزير^(٥٤). الذى هو على رأس الإدارة ، بما فيها شئون المال. كذلك عمد بعض السلاطين إلى احتكار هذه التجارة عن طريق هؤلاء التجار^(٥٥)؛ أو عن طريق متخصصين ؛ يقيمون فى موانئ مصر الكبرى مثل : الإسكندرية العظمى أو دمياط والبرلس ورشيد وعيذاب؛ وهذه الأخيرة كانت أعظم موانئ ساحل البحر الأحمر ؛ بسبب أن مراكب الهند تحط فيها البضائع^(٥٦). أما فى خارج مصر فى الإمبراطورية المملوكية. فقد كانت عدن؛ هى المرسى العظيمة من بلاد اليمن لهذه التجارة^(٥٧)، ووجد فيها موظف مملوكى كبير اسمه : شاد الكريمى^(٥٨)؛ ولقد وصف المؤرخ ابن فضل الله العمرى؛ حركتها التجارية حيث كان يأتىها التجار من الصين والهند والسند والعراق والبحرين ومصر والزنج والحبشة؛ فيحمل منها حمل الفلفل الذى يساوى خمسين ديناراً فى القاهرة ويباع فى الاسكندرية بثلاثين ومائة ديناراً. فقد كان سلاطين الممالك يحكمون اليمن بطريق مباشر، إذ كان مهم الأول أن يسيطروا على باب المندب^(٦٠)؛ وساعد على ذلك أن طبيعة بلاد اليمن، انقسم بين حكام محليين متعددين، فكانوا يرسلون أسطولهم إلى زبيد، إحدى موانئ اليمن التجارية الهامة للمرابطة فيها، ولكن ظهر لحكام اليمن المحليين ميل للاستقلال عن سلطة الممالك؛ بحيث أصبحوا يكتبون ملوك الصين^(٦١)، ويتاجرون فى الفلفل لحسابهم^(٦٢). ومع ذلك فلدينا رسالة بتاريخ ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م من أمير سيلان- السيلان- إلى قلاوون، يبين

فيها أنه رفض أن يتاجر مع أمير من اليمن ليحجز كل تجارته لسلطان مصر ، ويطلب منه ارسال التجار المصريين وحدهم (٦٣).

وعلى كل حال، لما انحسر تدريجياً نفوذ دولة سلاطين المماليك في اليمن فإن برسبای جعل ميناء جدة يحل محل عدن (٦٤)، وأصبحت أعظم مراسى الدنيا في تجارة البهار (٦٥)، ووجدت فيها حامية مملوكية عسكرية وناظر وشاد لهذه التجارة. وأصبح متوليها يعرف بنائب جدة، ولقبه : نائب السلطنة الشريفة بالأقطار الحجازية ، يقيم في مكان اسمه : دار النيابة وله سلطة مكاتبه ملوك الهند وغيرهم (٦٦). ولأن حركة الملاحة في المحيط الهندي ارتبطت بحركة الرياح الموسمية (٦٧) فقد أقيمت الفنادق لمبيت التجار في الموانئ التي كان بها كثير من زوجات وعائلات تجار الكارم.

انتقلت الحركة التجارية من مصر ذات الرصيد الحضارى إلى موانئ الساحل الأفريقى، فكانت مقدشيو تعد من الموانئ المهمة على بحر الهند كما يسميه المقرينى وعندها تجارات الصومال والحبشة والسودان وشرق أفريقيا (٦٨). لذا وصفها ابن بطوطة بأنها مدينة أهلها تجار أقوياء وبها تصنع الثياب المنسوبة إليها (٦٩). ومنها تحمل إلى مصر وغيرها على يد تجار الكارم (٧٠) وإلى الجنوب من مقدشيو، كانت توجد مالندى وهى فى تنزانيا الآن؛ وكان أهلها مسلمين وكثر فيها تجار الكارم الوافدون عليها لأنها كانت مركزاً تجارياً لسلع داخل القارة التي كانت ترد إليها لتتولى هى القيام ببيعها إلى تجار الكارم من مصر (٧١). وبالقرب من لندى وجدت أيضاً ممبسه وهى التى تحوى ميناء ضخم ترسو فيه السفن لجلب الحديد والنحاس والفضة على يد تجار الكارم (٧٢). أما عن كلوة التى أصبحت بمثابة المركز الرئيسى لتجارة الذهب الذى كانت تحصل عليه بمبادلاته بالأقمشة، فقد لعبت كلوة بمؤسساتها التجارية دور الوسيط التجارى بين منتجات داخل القارة وبين تجار الكارم الوافدين إليها (٧٣).

وإذا تركنا الساحل الشرقى لأفريقيا نجد قبالة إلى الشرق جزيرة مدغشقر (٧٤)؛ وهى حلقة من حلقات الاتصال لمكانتها التجارية وخاصة أشجار الصندل ووفرة العنبر فكانت مقصدا لسفن الكارم (٧٥) وعند مدخل خليج عدن جزيرة سقطرى التى عرفت بالعنبر (٧٦)، لذلك ازدهر الساحل الأفريقى ونمت تجارته بفضل تأثيرات الوكالات التجارية عبر البحر الأحمر، التى تمتعت بمعاملة حسنة؛ وكان لتحول التجارة عبر البحر الأحمر بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م أثر فى بزوع ظفار كميناء مهم، حيث تحتل موقعاً يساعد على الاستفادة

من الطريق التجارى للبحر الأحمر. فهي ميناء داخل المحيط الهندى، يصلح لرسو السفن فى طريقها للبحر الأحمر وهى قادمة من الشرق^(٧٧).

أما عن مراكز البحر الأحمر الشرقية^(٧٨). فإذا عبرنا بحر «بربره» خليج عدن^(٧٩) نجد أن عدن هى الميناء الواقع بالقرب من مدخل الخليج، وقد أطلق اسمها على الخليج فيما بعد^(٨٠)؛ فهى مجمع تجارات عالمى للمحيط الهندى والبحر المتوسط، وأن كان ذلك لم يمنع بعض السفن الضخمة من المرور فى البحر الأحمر حاملة سلع الكارم لتصل إلى جدة^(٨١).

واحتوت مدينة زبيد (شمال عدن) على تجار من الحبشة والحجاز والعراق ومصر، تعمرها فنادقها ووكالتها التجارية. كما كان لموقع بلاد الحجاز على البحر الأحمر واتصاله ببلاد الشام شمالاً واليمن جنوباً وبمصر برأً ويحراً أثر فى نشاط تجارة الكارم من اليمن وعبر بلاد الحجاز حتى وصلت إلى أراضى الشام ومصر والعراق واليمن والحبشة^(٨٢).

ومن المراكز التى خدمت تجارة الكارم جدة التى تعتبر من أشهر الموانئ الحجازية وقد اشتهرت بأنها ميناء مكة على البحر الأحمر^(٨٣). واستمرت الصلة التجارية قوية بين مصر وميناء ينبع حتى أن بعضاً من سكان هذا الميناء كانوا من الأسر المصرية الكارمية التى انتقلت إليه من صعيد مصر للتجارة^(٨٤) كما خصصت السلطات المملوكية ميناء ايله (العقبة الآن) لمرور سلع الكارم القاصدة إلى الشام بعد سقوط القسطنطينية فى سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م واقتصر ميناء الطور على سلع القاهرة^(٨٥).

وإذا انتقلنا إلى مراكز البحر الأحمر الغربية نجد زيلع، التى يروى ابن بطوطه أنها «مدينة البرابرة»، وهم طائفة من السودان، وأهلها تجار أقوياء وبها تصنع الثياب المنسوية إليها ومنها تحمل إلى مصر على يد تجار الكارم^(٨٦).

وكذلك كان ميناء زيلع مركز تجمع تجارة الحبشة والنوبة، وهناك أيضاً ميناء بربره القريب من زيلع الذى كان يتردد عليه فى مواسم تجارة الكارم حوالى ١٥٠٠٠ تاجر وكانت تتبع حاكم الحبشة^(٨٧)، وكانت دهلوك وهى قبالة مصوع بالقرب من ساحل البحر الأحمر الغربى وغرب مدينة حلى من بلاد اليمن- وكانت تعد من مملكة الحبشة المسلمة التى يدارى ملكها صاحب اليمن^(٨٨).

ولعب ميناء سواكن دوراً مهماً لتجارة الكارم^(٨٩)، وهو الميناء المعد لتصريف منتجات الحبشة وبلاد النوبة والسودان . وكان من نتائج حملة السلطان بيبرس سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٣م انهيار نفوذ سواكن وكثر تردد المسلمين فيها لدرجة أوجبت على السلطان استخراج الزكاة منهم. كما ورد ذكر ميناء سواكن في أثناء الصراع بين مينائى عدن وجدة فكانت سوء معاملة الرسول باليمن سبباً في توجه سفن الكارم إلى جدة، فتوجهت السفن إلى ميناء سواكن ودهلك غير أن المعاملة التي لقيها التجار لم تكن خيراً مما لقيها التجار في عدن وجدة فتوجهت السفن إلى ينبع . وكانت تصل متاجر سواكن إلى مصر بطريق البحر الأحمر^(٩٠).

واقد ارتبط ظهور عيذاب في العصر الفاطمي كميناء لتجارة الكارم بتطور الملاحة في البحر الأحمر في الفترة من سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م إلى عصر السلطان برسبائى في سنة ٨٣١هـ / ١٤٢٧م أى السنة التي خربت فيها ، وحلت محلها ميناء جدة^(٩١).

ثانياً : دور التجار المسلمين الاقتصادى والثقافى على ساحل شرق أفريقيا، ومدغشقر وجزر القمر:

التقت سفن البحر الأحمر مع سفن المحيط الهندى، في رابطة تجارية متناسقة متداخلة منتظمة مكاملة لبعضهما البعض^(٩٢)، تصل مرافئها بمدنها، وبرز العرب المسلمون سادة التجارة البحرية في هذا المحيط ، بحيث كانوا تجار ومتجر عالم المحيط الهندى فى تلك العصور، مارسوا التجارة فى حرية الانتقال واستقرار. ولم يد المحيط أمانه واستقراره إلا بوصول البرتغاليين وما تلاهم من شرار المستعمرين^(٩٣).

ويذكر دافيدسون "Davidson" أن إنتاج إقليم الزنج بأفريقيا يتركز فى سن الفيل والذهب وخشب الصندل الأصفر ، وفى كل عام تأتي سفن التجار العرب إلى ساحل شرق أفريقيا للتجارة فى هذه السلع^(٩٤)، وإن كان د. طرخان يرى أن المجتمع الذى نشأ حول المستعمرات الحربية في ساحل شرق أفريقيا لم يكن عربياً بحتاً. فقد ظل العرب كغيرهم من المستعمرين فى أفريقيا وغيرها من القارات يكونون طبقة أرستقراطية . وتعيش بجوار الهنود الذين كان لهم نشاط ملحوظ فى الأعمال المالية والتجارية^(٩٥).

ومنذ حوالى ٥٤٥هـ / ١١٥٠م أبحر العرب العمانيون والهنود والشيرازيون على طول الشاطئ الأفريقي^(٩٦). كما حظى الوافدون من الديبل فى الهند بأهمية سياسية فى زنجبار

ويمبياً^(٩٧). والأرجح أن الهنود كانوا يقومون بدور الصيارفة والملاحين^(٩٨)، وقد وجد فاسكو داجاما في شرق أفريقيا بحارة من كمبائ بالهند يرشدون أنفسهم بنجوم في الشمال والجنوب^(٩٩). كما كان لهم أجهزتهم الملاحية التي ابتكروها بأنفسهم وكان ذلك عام ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م^(١٠٠). إن سيادة العرب الملاحية على المحيط الهندي ومعرفتهم بأسرار الملاحة، ومواكبة ذلك لانتشار الإسلام على سواحل وجزر المحيط الهندي، ووجود الجاليات الإسلامية في أغلب مدن وموانئ المحيط «وكان دورها الرئيسي في تلك المناطق هو الوكالات التجارية»^(١٠١) جعلت الهنود وغيرهم ينسحبون من الميدان تاركين لفارسه الأوحده الذي تحمل عناه ومخاطر التجارة العالمية عن الهنود الذين جاءتهم بضائع العالم إلى بلادهم كما حملت سلعهم دون ركوب البحر ومكابدة المخاطر^(١٠٢). والمآثرات الشفاهية لها دلالتها^(١٠٣)، ويمكنها أن تسد بعض الثغرات في التاريخ عندما تنعدم الوثائق وتسكت المصادر؛ بالإضافة إلى دلالات المآثرات الشفاهية فإن التأثير الثقافي في اللغة السواحلية يدل على مدى عمق الصلة بين دول المحيط^(١٠٤)، ففي كثير من مفردات اللغة السواحلية دليل على تلك الصلة. فنجد على سبيل المثال في إحدى حكايات الحب الشهيرة في زيلع مركزاً تجارياً هاماً في العصور الوسطى - أن الخط الأساسي في الحكاية يرتبط بالتجارة ومخاطرها فتصف تلك الحكاية أهوال المحيط التي يقابلها البحارة ومدى ما يتعرضون له من مخاطر ولهفة أحباثهم عليهم كذلك نجد صدى لمخاطر التجارة والملاحة في المحيط الهندي في الأغنيات الشعبية وتقول كلماتها :

قد عادت السفن التجارية التي أبحرت .

من سوريا وذنزبار

أين السفن التي أبحرت إلى بومباي

هل تحطمت أم غرقت ؟

ويغنى الفتى أغنية تشير إلى الدور الذي تلعبه الرياح في التجارة:

أنا مثلك أريد العودة في الوقت المحدد، ولكن رياح الشتاء الشريرة.

قد سجننتني بعيداً^(١٠٥).

ويعصور المقطعان التاليان من أغاني البحر حالة التجارة في المحيط أفضل تصوير.

لايستطيع الذهاب من شرق أفريقيا العودة في موعد محدد ويعود التاجر من الهند بثروة وخبرة عظيمة^(١٠٦).

وعلى الرغم من عدم وجود قوى ملاحية أفريقية تشارك في تجارة المحيط، إذ لم تشر المصادر إلى سفن أو تجار أفريقية . إلا أن السواحل الأفريقية استمدت حيويتها ونشاطها وازدهارها بمشاركتها في حركة التجارة العالمية باعتبارها المكان الذي تخرج منه المنتجات الأفريقية . ولم يقتصر دورها على التصدير فقط بل استوردت أيضاً كثير من المنتجات العالمية، وفضلاً عن هذا كله كانت وسيطاً في كل هذا بين الساحل والداخل . وبرزت المدن على الشاطئ الأفريقي متميزة بحضارة سواحلية تعكس مزيجاً من الحضارة العربية والفارسية والأفريقية وقد ساعدت تلك المدن التي تعددت ككيلاوة وماليندى ومقدشيو وغيرها على ازدهار تجارة ما وراء البحار ونحوها ، على أن السمة الغالبة على تلك المدن كانت سمة الوسيط التجاري، فلم تشارك في عملية النقل التجاري، كما لم تقم بعمليات البيع والشراء في الموانئ الأخرى؛ واقتصر دورها فقط على استقبال المنتجات أو السلع التجارية من أسواق وموانئ المحيط ، وأيضاً من وكالات مصر وغالباً ما كان يقوم تجار من مختلف البلدان بالعمليات التجارية؛ وكان الدور الرئيسى في عملية التجارة التي قامت به تلك المدن هو جلب منتجات داخل القارة إلى الساحل وأهمها : العاج وأصداف السلاحف والذهب وغيرها^(١٠٧).

وكان ازدهار الحركة التجارية في شرق أفريقية مع استقرار العديد من العناصر العربية بهدف تنشيط الرواج التجاري بدليل ما عثرنا عليه من نقوش دهاك التي وصلتنا منها أعداد كبيرة؛ إذ أن بعض النقوش عبارة عن آيات قرآنية شريفة وحكم وأدعية وبعضها الآخر غير مؤرخ^(١٠٨)، ومنها نقش يتضمن اسم عبدالله بن سلام ، وبعضها نقوش مؤرخة ومنها نقش باسم شهرة (ت ٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ م) ونقش باسم السيد نعيم (ت ٦٧٥ هـ / ١٢٧٧ م)^(١٠٩).

وهناك نقوش أخرى تشير أسماء أصحابها إلى أنهم من نوى الأصول المسيحية وأنهم اعتنقوا الإسلام ومنها نقش باسم إبراهيم (كذا) بن يعقوب (ت ٦٢٢ هـ / ١٢٦٤ م)^(١١٠).

ومما لا شك فيه أن وجود هذه النقوش إنما يؤكد وجود جماعات إسلامية مستقرة فيها بديل وجود هذه الجبانة التي اكتشفت فيها تلك القبور فضلاً عن اكتشاف بعض المساجد في تلك المنطقة ومنها مسجد Manakllou^(١١١).

كذلك اكتشف عدة قبور بها نقوش شاهدية في جنوب «تجرى» ومنها نقش مؤرخ ب ٨ ذى القعدة عام ٢٩٦ هـ / ١٠٠٥ م، مما يشير إلى وجود جماعات إسلامية مستقرة في تلك

أما عن الهجرة الشيرازية فقد اختلف حول تاريخ وصولها إلى شرق أفريقيا فيرى البعض أنها كانت في النصف الثاني من القرن ٤هـ / ١٠م وبالتحديد في عام ٣٦٥هـ / ٩٧٥م (١١٣). ويرى هتشنز استناداً إلى بعض التواريخ المحلية أنه كانت فيما بين عامي ٤٤٧-٤٩٤هـ / ١٠٥٥-١١٠٠م (١١٤)، بينما يرى فريق ثالث أن تلك الهجرة لم تحدث إلا في أواخر القرن ٦هـ / ١٢م (١١٥).

والحق أن الأدلة المستمدة من النقوش الأثرية وبخاصة النقوش الإنشائية تثبت وتؤكد رأي هتشنز ومنها النقش الإنشائي لمسجد كيزمكازي الواقعة جنوب زنجبار، ويتضمن هذا النقش الصيغة التالية «بأمر الشيخ السيد ابن عمران مقوم الحسن بن محمد اطال الله حياته المديدة، اللهم أقض على أعدائه، تم بناء هذا المسجد في يوم الأحد من شهرى ذى القعدة سنة خمسمائة من الهجرة» (١١٦) ويدل تاريخ هذا النقش المهم وهو سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٦م - على وجود سلطنة كلوة الشيرازية خلال النصف الثاني من القرن ٥هـ / ١١م، وهو ما يتفق مع الروايات التاريخية؛ إذ تشير هذه الأخيرة إلى العلاقات الوثيقة بين كلوة وزنجبار في تلك الفترة.

فبعد أن هاجرت الجماعة الشيرازية إلى شرق أفريقيا وأسست سلطنة كلوة في الربع الثالث من القرن ٥هـ / ١١م، حدث أن أغارت على كلوة قبائل البانتو الوثنية مما اضطر السلطان الشيرازي- الحسن ابن علي أو ابنه علي بن الحسن إلى الفرار والهروب إلى زنجبار، لكنه سرعان ما عاد إلى كلوة ثانية بعد فترة قصيرة، وأخذ يعمل على توسيع قاعدة ملكة ودائرة نفوذه على حساب جيرانه في الساحل الشرقي لأفريقيا (١١٧)، وعلى ضوء ذلك فمن المرجح أن منشئ هذا المسجد كان نائباً عن سلطان كلوة في حكم زنجبار وهو ما يؤيده ورود كلمة مقوم في النقش وهي تعنى في اللغة السواحلية ملك أى ملك زنجبار التابع لسلطان كلوة في ذلك الوقت وهو الحسن بن محمد ومن المرجح أنه أحد أحفاد الحسن بن علي أو ابنه علي بن الحسن والذي يبدو أن عهده لم يكن مستقراً بدرجة كبيرة بدليل ورود عبارة «اللهم أقض على أعدائه» في النقش الإنشائي للمسجد. ومهما يكن من أمر فإنه قدر لسلطنة كلوة هذه أن تزدهر ازدهاراً كبيراً ولاسيما خلال القرنين ٧-٨هـ / ١٢-١٤م وهو ما تتفق عليه المصادر التاريخية والأثرية على السواء (١١٨).

كذلك تغلغل التجار المسلمون إلى داخل موزمبيق الحالية وزيمبابوى وقد أكدت ذلك المصادر الأثرية وبخاصة الخزفية الفارسية والصينية التى عثر عليها فى زيمبابوى مما يشير إلى وجود علاقات تجارية خلال القرنين ٧-٨ هـ / ١٣-١٤م مع المدن الساحلية وخاصة مع كلوة ومراكزها الأمامية فى الجنوب مثل سفاله^(١١٩).

وإذا كانت النقوش الأثرية المتوافرة لدينا حتى الآن تعد قليلة بالنسبة لغالبية شرق أفريقيا كما سبق القول، إلا أنها ليست كذلك بالنسبة لأرخبيل دهلك حيث عثر على أعداد كبيرة من النقوش وبخاصة النقوش الشاهدية فى جبانة دهلك كبير وهى محفوظة حالياً فى العديد من المتاحف مثل المتحف الوطنى فى مودان بإيطاليا، ومتحف فرديناندو ومارتينى فى أسمره يارتريا ، ومتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ومتحف تريفيزو بإيطاليا ، ومتحف بارلوهوك بفرنسا، ومتحف السودان القومى بالخرطوم ، ومتحف الجمعية الآسيوية بالبنغال ، ويرجع تاريخ أقدم النقوش المؤرخة إلى عام ٢٩٩هـ / ٩١١م وأحدثها إلى عام ٩٤٦هـ / ١٥٢٩م، وهى مكتوبة بلغة عربية سليمة من الناحية النحوية وتتضمن عدة آيات قرآنية شريفة وفقاً للصيغ والمضامين المعروفة فى الأقاليم العربية الإسلامية المجاورة ، كما تتيج لنا هذه النقوش أن نعيد بصورة جزئية تكوين سلالة سلاطين دهلك وأسماهم خاصة منذ القرن ٥هـ / ١١م^(١٢٠) ومن المعروف أن دهلك كانت أول رأس جسر يقيمه المسلمون على الساحل الشرقى لأفريقيا، وتفصيل ذلك أن قراصنة البحر من الأحباش كانوا يغيرون على جدة، وقيل أن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث فى عام ٢٠هـ / ٦٤٠م علقمة بن مجزر المدلجى فى مائتى رجل حملهم فى أربعة مراكب لتأديب القراصنة ، وقيل أنها كانت فى عام ٣١هـ / ٦٥١م أى فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وقد عرفت باسم غزوة الأساودة ، ومن الواضح أن الغرض من ذلك كان يتمثل فى تأمين البحر الأحمر حيث أن هذه الغزوة لم تسيطر على أى بقعة أفريقية^(١٢١)، وعاود هؤلاء الأحباش الإغارة مرة ثانية على جدة فى خلافة عبد الملك بن مروان وبالتحديد عام ٨٣هـ / ٧٠٢م فما كان من الخليفة إلا أن أرسل حملة قوية نجحت فى السيطرة على أرخبيل دهلك على مقربة من مصوع ، وبذلك نجح المسلمون فى أن تكون لهم فى البحر قاعدة مهمة قامت بدور كبيرة سواء فى انتشار الإسلام أو فى الحركة التجارية.

كذلك اتخذت دهلك كمنفى خلال العصرين الأموى والعباسى حيث نفى إليها الأحرص الشاعر فى خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٧-٩٩هـ / ٧١٥-٧١٧م) بسبب قصائده الهجائية

والفقيه عراك بن مالك فى خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥ هـ / ٧١٩-٧٢٣ م)، كما نفى إليها الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥ هـ / ٧٢٣-٧٤٢ م) فى أواخر عهده بعض الشخصيات التى لم تذكر المصادر أسماءها وقيل أنهم ما كانوا يضعون أقدامهم على الجزيرة حتى توفى هشام ويبيع الوليد الثانى، وفى العصر العباسى الأول نفى إليها ولد عبد الجبار والى خراسان فى عام ١٤١ هـ / ٧٥٨ م أى فى خلافة المنصور، وكانت دهلك على علاقة وثيقة بالدول الإسلامية المستقلة فى اليمن وبحصفة خاصة الدولة الزيادية والدولة النجاشية، وفى بداية ق ٤ هـ / ١٠ قامت فى جزر دهلك دولة إسلامية مستقلة اضطلعت بدور بالغ الأهمية فى انتشار الإسلام فى تلك المنطقة عامة وفى الحركة التجارية خاصة وتشير إحدى وثائق الجنيزة القاهرية إلى أن أحد التجار من منطقة طرابلس بليبيا وكان يسمى اللبيدى- نسبة إلى لبيدة- توقف فى دهلك لأغراض التجارة وهو فى طريقه من مصر إلى الهند وذلك قبل عام ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧ م^(١٢٢). وليس أدل على كثرة الوافدين من العرب المهاجرة إلى دهلك، واستقرارهم بها من تلك النقوش الشاهدية الكثيرة التى عثر عليها فى دهلك والمحفوظة فى العديد من المتاحف كما سبق القول.

وبعض هذه النقوش غير مؤرخة، ولكن يمكن حصر تاريخها فيما بين القرنين ٢-٤ هـ / ٨-١٠ م، وقد انتسب الأشخاص المنقوشة أسماءهم على هذه النقوش إما إلى القبيلة أو الموطن أو المهنة كما أن بعضهم لم ينتسب إلى هذا أو ذاك، وحسبنا أن نذكر من بين هؤلاء وأولئك كل من فاطمة ابنة أحمد بن سعد المكى (ق ٢ هـ / ٨ م)، وأم أبو العباس محمد بن أحمد بن سعد المكى (ق ٢ هـ / ٨ م)، وعبيد بن يحيى بن عبيد الصائغ (ق ٢-٣ هـ / ٨-٩ م) وإبراهيم بن محمد بن سعد البغدادي (أواخر ق ٢ هـ / ٨ م)، وحمدونة ابنة المتوكل بن زيد (ق ٢ هـ / ٩ م)، ويعقوب بن يوسف بن إبراهيم المزنى (أواخر ق ٣ هـ / ٩ م) ومحمد بن يعقوب بن يوسف المزنى (ق ٤ هـ / ١٠ م)، وإسماعيل بن أحمد المزنى (أواخر ق ٣ هـ / ٩ م)، وعيسى بن محمد بن عيسى المزنى (أواخر ق ٣ هـ / ٩ م)، وسداد بن عثمان بن عبدالله (ق ٣ هـ / ٩ م)، وعلى بن بشر زاد الفارسى (ق ٣ هـ / ٩ م)، أو أوائل ق ٤ هـ / ١٠ م)، وأم خديجة ابنة أحمد بن عبد الرحمن (ق ٣ هـ / ٩ م)، ورقية ابنة محمد ابن أحمد عبد الرحمن (ق ٣ هـ / ٩ م)، وأم الزنجى محمد بن على بن الحسين ابن على الصفار (أواخر ق ٣ هـ / ٩ م)، وأم أبى العباس بن فضل بن العباس بن الوليد (ق ٤ هـ / ١٠ م)، وأحمد بن أيوب محمد بن سليمان (ق ٤ هـ / ١٠ م)، وعائشة ابنة أحمد بن عبيد (ق ٤ هـ / ١٠ م)، وأم إبراهيم ولد محمد بن

عثمان بن يحيى (ق ٤هـ / ١٠م) وأم أحمد الرومى بن على بن الحسين الصفار (ق ٤هـ / ١٠م) وأم حرمية مولاة إسحاق بن إبراهيم البلاقى (ق ٤هـ / ١٠م) ، ويحيى بن الحسين المطرنى (ق ٤هـ / ١٠م) ويونس وقاسم ابنى إدريس بن يعلوم (ق ٤هـ / ١٠م) ورقية ابنة عبيد الرحمن بن محمد (ق ٤هـ / ١٠م) ويحيى بن زكريا المدني (ق ٤هـ / ١٠م) وصفية ابنة ابراهيم بن غسان (ق ٤هـ / ١٠م) وأحمد بن عبيد البصرى (ق ٤هـ / ١٠م) ، ويوسف بن اسماعيل (ق ٤هـ / ١٠م) وأبى عبيدالله مصعب الزبيرى (ق ٤هـ / ١٠م) ، و... بن مسلم القيسى (ق ٤هـ / ١٠م) وأبى الحسن على بن وصيف مولى يوسف بن اسحاق النجار (ق ٤هـ / ١٠م) وأم شعلان مولاة أحمد بن سعد الملكى (ق ٤هـ / ١٠م) ، ويحيى بن الحسين المصرى (ق ٤هـ / ١٠م) ، وفاطمة ابنة الحسن بن عيلان (ق ٤هـ / ١٠م) وأبى على الحسن بن أحمد بن شكر (ق ٤هـ / ١٠م) .

أما النقوش المؤرخة ، والتي تنحصر فيما بين عامى (٢٩٩-٩٤٦هـ / ٩١١-١٥٣٩م) كما سبق القول، فلا تختلف دلالات نسبة الأشخاص عن نفس الدلالات المشار إليها فى النقوش غير المؤرخة وحسبنا أن نذكر منها كل من : يحيى بن عثمان بن عبدالله (ت ٢٩٩هـ / ٩١١م) ، وأبو محمد عبدالله بن عباس (ت ٣٠٨هـ / ٩٢٠م) ، وأبى زكريا يحيى بن يعقوب بن يوسف المزنى (ت ٣٢٢هـ / ٩٢٣م) ، وأبى سعيد عثمان بن يحيى بن عثمان (ت ٣٢٣هـ / ٩٢٤م) وأم فاطمة أم ولد يحيى بن عثمان بن عبدالله (ت ٣٢٦هـ / ٩٢٧م) ، وفاطمة ابنة يحيى بن عثمان بن عبدالله (ت ٣٢٦هـ / ٩٢٧م) ، وفاطمة ابنة إسماعيل بن إبراهيم المزنى (ت ٣٢٦هـ / ٩٢٧م) ، وإسماعيل بن محمد بن أحمد الشامى القرشى (ت ٣٢٣هـ / ٩٤٤م) ، وأبو عبدالله محمد ابن إسماعيل بن محمد بن أحمد الشامى القرشى (ت ٣٤٠هـ / ٩٥١م) ، ووالدة محمد بن القاسم الويار (ت ٣٤١هـ / ٩٥٢م) ، وعبدالله بن يحيى (ت ٣٤١هـ / ٩٥٢م) ، وحسنة ابنة حفص بن عمر بن حفص بن عمر اليمانى (ت ٣٦٩هـ / ٩٧٩م) و... بن السرافى (ت ٣٨٩هـ / ٩٩٨م) ، وعبد الواحد بن الحسين الزيات (ت ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) ، وخديجة ابنة الحرمى (ت ٤٠٧هـ / ١٠١٦م) ، ويحيى بن عبدالعزيز بن عمر البصرى (ت ٤١٠هـ / ١٠١٩م) ، أم الخير ابنة العباس بن الفضل الحجازى (ت ٤١٦هـ / ١٠٢٥م) ومحمد بن موسى بن محمد القيسى (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م) ، وكعب بن خليفة بن عبدالله بن محمد القيسى (ت ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م) وخديجة ابنة عبدالله إبراهيم بن أحمد العثمانى (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) ، وأبو محمد إسماعيل بن الحسين محمد بن هرون البصرى (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م) وحسنة ابنة عبيد

الواحد بن الحسين ابن علي الزيات (ت ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م) ، أحمد بن عبدالله بن أحمد النجار (ت ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) ومحمد بن اسحق بن جيد (ت ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) والحسين بن خليفة بن عبيدالله بن محمد القيسي (٤٣٨هـ / ١٠٤٦م)، وفاطمة ابنة محمد الخياط (ت ٤٣٩هـ / ١٠٤٧م)، وعيسى بن علي الفساني (ت ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م) ، وأم شعيب مولاة الحسين بن عبدالله بن أحمد الكندي (ت ٤٦٤هـ / ١٠٧١م)، والمبارك مولى عبدالواحد البغدادي (ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م) وأم محمد بن إقبال مولى أحمد بن محمد التفليسي (ت ٤٧٢هـ / ١٠٧٩م)، وعثمان بن عاصم البسطامي (ت ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م)، وعثمان بن غانم البسطامي (ت ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م)، وعبدالله بن عيسى الأغماتي (ت ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م) ، والوليد مفرج مولى خلف بن البناء (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) وزينب ابنة الحسين بن إسماعيل بن عبدالله الجبيلي (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) ومحمد بن حسن بن عبد الرحمن بن محمد بن راشد الأندلسي البلبسي (٤٧٩هـ / ١٠٨٦م) ، وعلى بن الحسين بن علي بن شعيب (ت ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م) ، وعنبر مولى عبد الكريم بن إبراهيم بن محمد الملكي (ت ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م) ، ومحمد ابن الحسين بن محمد بن الحسين الشعراني (ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م)، وولد بن سلامة بن سعيد الحراني (ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م) وفاطمة ابنة مفرج مولى خلف بن مرزوق البناء (ت ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م)، وسليمان بن محمد ... القيسي (ت ٤٨٤هـ / ١٠٩١م)، وأحمد بن محمد... المزني (ت ٤٨٤هـ / ١٠٩١م) و ... بن علي الجبلي (أو الجبلي) العكي (ت ٥١٤هـ / ١١٢٠م) والعريف محمد ابن منبه بن سبيث الدهلكي (ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م) ، والفقيه مسلم بن عيسى بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن يوسف بن حامد بن يحيى العكي (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) والشيخ سالم بن محمد بن حسن بن عبدالله الشحري (ت ٦٠٧هـ / ١٢١٠م)، والتاخذ رزق الله بن عبدالله الحبشي القرواشي (ت ٦١١هـ / ١٢١٤م) ، وأم ... حسن مولاة محمد بن عيسى بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن يوسف بن حامد يحيى العكي (ت ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م)، والشاب التلميذ الزاهد أبي عبدالله محمد بن الشيخ سليمان بن نصر الكاتب بدهك (ت ٦٣٢هـ / ١٢٤٣م) والشيخ الكبير أبو الحسن علي ابن عيسى المدني (ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م) ، والشيخ سليمان بن نصر الكاتب بجزيرة دهك (ت ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م)، وصفية ابنة علي بن عيسى المدني (ت ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م)، وجمال الدين محمد بن سعيد التهامي (ت ٨١١هـ / ١٤٠٨م) وغيرهم (١٣٣).

هذا فضلا عن أسماء سلاطين دهك وأمهاتهم وأولادهم وأسماء بعض الوزراء والقواد

الموالي.

وهكذا، وعلى ضوء تلك النقوش الشاهدية، نستطيع أن نرسم صورة صادقة للمجتمع العربى الإسلامى بجزيرة دهلك فمن حيث تركيبته السكانية، كان هذا المجتمع يتكون فى أغلب عناصره من أبناء القبائل العربية المهاجرة إليه من الجزيرة العربية وهو ما يتضح من نسبة هؤلاء إلى القبيلة أو الموطن مثل المزنى والمكى والمدنى أو المدينى والحجازى والقيسى واليمانى والقرشى والحرمى والكندى والعكى والشحرى والتهامى. وقد جذبت الجزيرة إليها أنظار الكثيرين من أبناء الأقطار العربية والإسلامية الأخرى الذين وفدوا إليها من مختلف تلك الأقطار، ومن المرجح أنه كان وراء ذلك ازدهار الحركة التجارية بجزيرة دهلك مما دفع هؤلاء إلى القدوم إليها والاستقرار فيها، وهو ما يتضح من نسبة هؤلاء إلى مواطنهم الأصلية التى وفدوا منها مثل المصرى من مصر والفسانى والحرائى والشامى من بلاد الشام والبصرى والبغدادى من العراق والفارسى والسيرافى والبسطامى والتفليسى من إيران وآسيا الوسطى والسوسى (إما من السوس بإقليم خوزستان أو عربستان الفارسى أو من إقليم السوس بالغرب الأقصى سواء السوس الأدنى أو السوس الأقصى وكان بينهما مسيرة شهرين على حد قول ياقوت الحموى فى معجمه أو من سوسة فى تونس وهو ما رجحته شنايدر) . والأغماتى من المغرب الأقصى والبلنسى من بلنسة بالاندلس وغير ذلك.

ومن حيث الحرف والوظائف المختلفة تطالعنا هذه النقوش بأسماء الكثير منها مثل الصغار والصائغ والنجار والبحار والوبار والخياط والزيات والبناء والكاتب والعريف والفقيه وغير ذلك ، وهو ما يدل على أن الجزيرة كانت تتمتع بقدر كاف من الاكتفاء الذاتى فيما يتعلق بالحرف والصناعات المرتبطة بالحياة اليومية لسكانها .

هكذا ساهم العرب بحركتهم التجارية فى الملاحة عبر ساحل شرق أفريقيا ووصولاً إلى مدغشقر وجزر القمر فى منظمة مشتركة مع العناصر الوطنية من الأفارقة.

ثالثاً : أثر الحركة التجارية فى انتقال التأثيرات السياسية والاقتصادية على ساحل شرق أفريقية:

شجعت الحركة التجارية التى وصل تأثيرها ساحل شرق أفريقيا والجزر الحيوية فى مدغشقر وجزر القمر على زيادة الاتصال بين سكان هذه المناطق التى تنامى اقتصادها بشكل فعال (١٢٤)، فبرزت هذه العلاقات التجارية تشكل جزءاً من عملية عالمية ، وتكون فى واقع الأمر فرعاً من الطريق التجارى الكبير الذى يربط الشرق بالغرب ، وعلى هذا الطريق لم تكن الموانئ

الأفريقية الشرقية تمثل نقاطاً نهائية. فقد كان الطريق مستمراً إلى مدغشقر (١٢٥)؛ ولاجدال في أنه كانت هناك علاقات بين الساحل وبين الأقاليم المحتوية على الذهب في الداخل قرب بحيرة نياسا، فمن هناك كان يأتي الذهب الذي ينقل إلى كيلوه (١٢٦).

وابتداء من القرن الرابع عشر، خضعت بعض المناطق التي تحتوى على الذهب في سوفياله لسلطة سلاطين كيلوه الذين كانوا يعينون حكامها (١٢٧) وتشهد الاكتشافات الأثرية في منطقة الساحل على قدم هذه الصلات التي تمثلها الوكالات التجارية، ولاشك أن المناطق الحاوية للذهب قرب الزمبيزي (في أراضي زامبيا) كانت هي الأولى التي أقيمت معها علاقات تجارية، وهو الأمر الذي يدل عليه اكتشاف أصداف الودع (الفوري) التي كانت تبادل بالذهب والعاج في غوكوميرا وكولومو (١٢٨).

وفي أراضي كينيا الحالية في منطقة أنفاروكا دلت الحفريات على وفرة أصداف الودع الفوري في قرية تجارية بالإضافة إلى الحلى الزجاجية (القرنين الخامس عشر والسادس عشر من نفس النمط الذي وجد في كيلوه وفي مدن الساحل الأخرى (١٢٩).

وهناك شاهد مباشر على وجود حركة تجارية لها صلة مع المناطق الداخلية؛ فيخبرنا الإدريسي (الذي يرجع إلى القرن الثاني عشر) بقوله: «نظراً لأنه ليس لديهم نواب فإنهم كانوا ينقلون حمولاتهم بأنفسهم، فقد كانوا يحملون بضائعهم على رؤوسهم أو على ظهورهم حتى يبلغوا مدينتي ممباسا وماليندي وهناك يبيعون ويشتررون (١٣٠).

لعبت أصداف الودع (الفوري) دوراً في عملية التبادل كنقود في هذه العلاقات التجارية، وهذا ما يؤكد عمليات الحفائر الأركيولوجية حتى في داخل القارة الأفريقية (١٣١) ومثلما عثر على الخرز الزجاجية والبلورسلين الصيني، واكتشف أنواع جديدة من القطع المعدنية في المناطق التي كانت منها التجارة أشد كثافة وأكثر تعاملاً: ويرى شتيك "Chittick" أن صناعة النقود عرفت في كيلوه ومقدشيو إذ ظهرت في كيلوه مع وصول الأسرة الشيرازية إلى السلطة والتي يرجع تاريخها إلى نهاية القرن الثاني عشر: وكانت قطع النقود هذه من البرونز ومن الفضة. وحمل المثال الوحيد من النقود التي عثر عليها في مقدشيو عكس قطع النقود التي وجدت في كيلوه تاريخاً هو ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م (١٣٢) وعثر على قطع من النقود في كثير من المراكز التجارية الكبيرة في كيلوه كيسوانى ومافيا وفي كيلوه في جزيرة جوانى وفي جزر زنجبار ويمبا، كما نجد بضعة نماذج لها في كينيا مما تعكس هذه القطع النقدية صورة الوكالات التجارية في الساحل وفي الجزر المجاورة لها؛ وتوضح كبر حجم العمليات

التجارية (١٣٣).

لقد كانت التجارة وهي أكبر مصدر للربح هي سبب ثروة مدن شرق أفريقيا وأساس التطور الاجتماعى والثقافى للمجتمع السواحلى، وقد أتاحَت التجارة بحكم طبيعتها ذاتها للسواحليين الاتصال بحضارات مختلفة والاقتباس منها ونعنى بذلك الحضارات العربية والفارسية والهندية (١٣٤).

كانت سلع التجارة التى تجذب مجتمعات البحر الأحمر من المدن الساحلية كثيرة ومتنوعة؛ ولكن أهمها العاج وأصداف السلاحف والعنبر والبخور والتوابل والذهب والحديد (١٣٥).

وكانت موانئ شرق أفريقيا تعرف منذ بواكر تاريخها بصاداتها التى كان معظمها يتألف من المنتجات الطبيعية كالعاج الذى وصلت صادراته حتى الصين (١٣٦) والعنبر وجلود الفهود، وأصداف السلاحف . وقد بدأ تصدير الذهب من المناطق الجنوبية فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى؛ واشتهر ساحل بन्दار بصاداته من البخور والعطور والزيوت العطرية مثل الباسم والمر (١٣٧).

ومع نزول الهجرات العربية إلى مدغشقر وجزر القمر أخذوا يصدرون الأوانى المصنوعة من الحجر إلى كيلوه وماندا وما ورامبا (١٣٨).

وكان الفلفل والزنجبيل والقرفة من التوابل المطلوبة فى الأسواق العالمية هذا بالإضافة إلى الهيل والخولنجان والاهليلج وكلها دخلت بصفة أساسية فى صناعة العقاقير الطبية وفى الأغذية والمشروبات (١٣٩). ومن الأخشاب ذات الرائحة الذكية والتى شاع استعمالها بكثرة خشب الصندل الذى كثر فى جزر المحيط الهندى بمدغشقر وجزر القمر؛ بالإضافة إلى اللؤلؤ والجواهر (١٤٠)؛ وما يزال عند كبير من الأسئلة مطروحاً على بساط البحث كيف كانت تجمع المنتجات التى تصدرها المناطق الساحلية والجزر نحو مجتمعات البحر الأحمر، وكيف كان يتم طوال تلك القرون تنظيم تجارة العاج؛ وتجارة جلود الحيوانات فهل كانت توجد وكالات تجارية مترابطة لنقل تلك المنتجات ومن هم الوسطاء الذين كانت تمر عبرهم، وما هى المنتجات التى كانت فى مقابل ذلك تصل إلى داخل القارة انطلاقاً من الساحل الشرقى وجزر القمر ومدغشقر .

أكدت الدراسات الحديثة حول نشاط الحركة التجارية فيما بين مدغشقر وجزر القمر والساحل الشرقى من القارة بوصول العديد من التأثيرات إلى هذه الجزر، وقيام مدغشقر والقمر بتوزيع الأدوات المصنوعة من حجر الصوان إلى ساحل كيلوه (١٤١).

رابعاً : انتقال التأثيرات عبر ساحل شرق أفريقيا إلى مدغشقر وجزر القمر:

مع ازدهار التجارة بساحل شرق أفريقيا ، وتفتح الثقافة البحرية السواحلية، ترددت جماعات من المسلمين القادمين من هذا الساحل الشرقي من أفريقيا على جزر القمر ومدغشقر وأقيمت حركة من التبادل بين ضفتي قنال الموزمبيق (١٤٢). كما أوضحنا سابقاً، وكانت هذه العلاقات على أحسن ما يرام، ومع استقرار الجاليات من السكان المسلمين في أرخبيل القمر وفي بعض المناطق من مدغشقر والقمر (١٤٣). وهم يحتلون جزراً بمثابة مراحل بين الحركة التجارية السواحلية القائمة على ساحل أفريقيا الشرقي، وبين مدغشقر ، محافظة على تقاليدھا الثقافية المحلية، أما في مدغشقر ذاتها فلا بد من التنبه إلى وجود فوارق جزئية ، فالجنوب الشرقي، وهو أبعد المناطق عن مراكز إشعاع الحضارة السواحلية ، قد أدمج تدريجياً ضمن المجموعة الملجاشية مع احتفاظه ببعض السمات المتميزة ، وبالمقابل في الشمال الغربي استمر سليلو الجماعات التي اتخذت الطابع الإسلامي ؛ وهم الذين بقوا على صلة وثيقة بإخوانهم في الدين تجار جزر القمر ووكالات أفريقيا ، ما زالوا يحافظون حتى الآن على أصالة حقيقية تضيفها عليهم أنسابهم وشيمهم وتقاليدهم بصفاتهم من مرتادي البحار (١٤٤).

وتتحدث روايات قمرية وملجاشية عن وصول أجدادهم الأوائل وهم المنتسبون إلى أصول عربية . هاجروا نتيجة الضغط السياسي والعقائدي. وتشير رواية قمرية أن مسلمين سينين وصلوا إلى جزيرة أنجوان حوالي القرن الرابع عشر ؛ بفعل الهجرة من بلاد فارس هرباً من هيمنة الزيديين (١٤٥). وتعكس هذه الروايات تعلق هذه الأطراف بالانتساب إلى أشهر مراكز الإسلام بغية التمكن من فرض نفسها وإبراز أصالتها العربية والإسلامية في أن واحد (١٤٦).

ولئن كانت الروايات الشفاهية تلح على الأسباب الدينية في تفسيرها لرحيل جماعات من العرب فسرعان ما كان لجاذبية جزر القمر ومدغشقر تأثير قوى جداً على استقطاب العديد من المهتمين بتجارة العالم السواحلي . بيد أن دراسة الرحلات البحرية العربية في غرب المحيط الهندي، ومعرفة وكالات الشرق الأفريقي ووجود تقاليد ثقافية في جزر القمر، وفي شمال غرب مدغشقر وهي ما تتشابه مع تقاليد العالم السواحلي ، وما تم اكتشافه في مواقع شرق الجزيرة وجنوب شرقها من آثار تشهد شهادة ساطعة على وجود علاقات تجارية بين

البلد والموانئ الأفريقية^(١٤٧).

لقد عرفت المدن والجزر الموزعة على الساحل الأفريقي الممتد من مقدشيو إلى سفالة حركة تجارية حتى من قبل استقرار جاليات إسلامية. وهذه الموانئ المتجهة نحو البحر أكثر من اتجاهها نحو الداخل . والتي أخذ ازدهارها يبرز بداية من القرنين الثاني عشر والثالث عشر. وقد لعبت الوكالات التجارية دور محطات بين الجزيرة العربية - بل بين الهند - من ناحية، ومدغشقر وجزر القمر من ناحية أخرى، زد على ذلك أن العديد من النازحين المسلمين الذين كانوا يقدمون إلى هذه البلاد كانوا متشبعين كثيراً بالثقافة السواحلية؛ وكان دورهم أساسياً في نشر الإسلام في الجزيرة^(١٤٨).

وتتشابه وكالات الشمال الغربي الملجاشي ووكالات القمر مع مدن الساحل لشرق أفريقيا، سواء في ملامحها أو في نمط عيش سكانها ، والأطلال المتبقية مع القلاع المحصنة وأثار الجوامع والدور العتيقة التي لا تزال موجودة في أنجوان بأبوابها المزدانة بزخارفها ؛ لتشهد كلها بحياة طبعها الإسلام بعمق . كما تشهد بالحضارة العربية في المحطات التجارية في موتسامبو، وأوانى ودومونى وسيما^(١٤٩). وقد خلف البرتغاليون على الرغم من أرائهم الاستعمارية ، أوصافاً مهمة لحياة موانئ شمال غرب مدغشقر في بداية القرن السادس عشر من ذلك أنهم كتبوا في حديثهم عن محطة نوزى لانجاني، إحدى المحطات التجارية الأكثر أهمية : «إن سكانها (سكان لولانجانة) يتألفون من مسلمين هم أكثر تمدناً وأكثر ثراء من الذين يقطنون كل النقاط الأخرى من الساحل ، لأن مساجدهم وجل منازلهم كانت مبنية من الحجر الجيري ولها سطوح على طريقة كيلوة وممبسة^(١٥٠) وقد اكتشف في موقع ماهيلاكا بقايا من تحصينات شبيهة بـتحصينات الساحل الشرقي من أفريقيا، وقامت بالخلجان العميقة التي تكثر في الشاطئ الشمالي من الجزيرة مثل خلجان امباريندافا ، وما هاجيمبا ، ويونيا سلسلة من الوكالات التجارية (ماهيلاكا ، وسادا، ونوزى، ولانجاني، ونوزى بونيا) لها علاقات متينة بجزر القمر وبأفريقيا وتساهم في الثقافة البحرية السواحلية^(١٥١).

وعلى الرغم من المنافسة الأوروبية بداية من القرن السادس عشر فقد ظلت الجاليات الإسلامية تمارس دورها في نشاط مدغشقر .

أما عن جزر القمر وبخاصة جزيرة أنجوان فقد استقبلت إنديونسيين ويانتو، فإن هؤلاء قد اكتسحتهم موجات متعاقبة من الداخلين في الإسلام. أصلهم من ساحل شرق أفريقيا^(١٥٢).

وتؤلف جاليات المسلمين في شمال غرب مدغشقر جماعة الأنتالاوتسيه وهي جماعة

والخلاصة :

تشهد هذه الفترة المتوسطة بالدراسة أن ساحل شرق أفريقيا وجزر القمر ومدغشقر قد بلغا مرحلة من الازدهار بد أن أرسيت الوكالات التجارية وهي التي انتقلت من موانئ البحر الأحمر خلال فترة الرواج الاقتصادي عصر دولة سلاطين المماليك؛ وهي التي احتضنت التجارة الكارمية خلال فترة ثلاث عقود من الهيمنة الاقتصادية ؛ انعكست علي موانئ الساحل الغربي في البحر الأحمر في سواكن ومصوع وعصب . وأصبح ميناء عيذاب واحدا من أعظم موانئ العالم من حيث عدد المترددين عليه، وهو ما جعل دولة سلاطين المماليك تولى الاهتمام بالتوجه المصري نحو الجنوب وأقصد به أمن البحر الأحمر من النظرة الإقليمية واحتواء مملكة المقررة المسيحية في سياسة الردع العسكري دون مصادرة أو أمان في بقط لا جدوى منه .

وتتنشط الحركة التجارية عبر ساحل عدن ومنطقة شرق أفريقيا وصولاً إلى ذهب سفالته فقد كان لذهب سوافاله الذي تشرف عليه كيلوه الصدارة في تلك التجارة؛ حيث قدر الإنتاج طيلة هذه القرون بعشرة أطنان سنوياً؛ وكانت المراكب تحمل إلى الساحل منتجات شتى تؤكد المصادر أهميتها ومن ضمنها الودع الغوري والملابس والحقى المصنوعة من الزجاج إذ كانت تباع للأفارقة بأثمان مرتفعة .

إذا كان عصر دولة سلاطين المماليك يمثل أوج الازدهار لتجارة الشرق الإسلامي فقد مثلته هذه الحركة التجارية التي أرسيت القواعد والأسس التي قامت عليها وكالات المحيط الهندي التي أرسيت فيها أسس ثقافة أفريقية، بنيت عليها بعد ذلك الثقافة السواحلية الغنية. لقد بدأ التطور السياسي والاجتماعي لشعوب الساحل الناطقة بالبانتو يتأثر بقيام التجارة النولية في المحيط الهندي؛ وقد تجلى القدر الأكبر من هذا التأثير في المجال الاقتصادي، حيث أخذت الحياة السياسية والثقافية والدينية تتشرب الأفكار والقيم التي جاء بها المهاجرون من البلدان الإسلامية.

أثبتت الدراسة أنه في عصر دولة سلاطين المماليك حافظت على إحكام قبضتها على شبكة الطرق البحرية الحيوية في البحر الأحمر إلى مناطق الساحل الشرقي من القارة وجزر المحيط الهندي وبقدر نجاحها في الهيمنة الاقتصادية واحتواء تجارة الكارم، فقد أسهمت في وجود طبقة من التجار الأفارقة مسلمين كانوا أو غير مسلمين لعبوا دوراً في أسباب التواصل بين

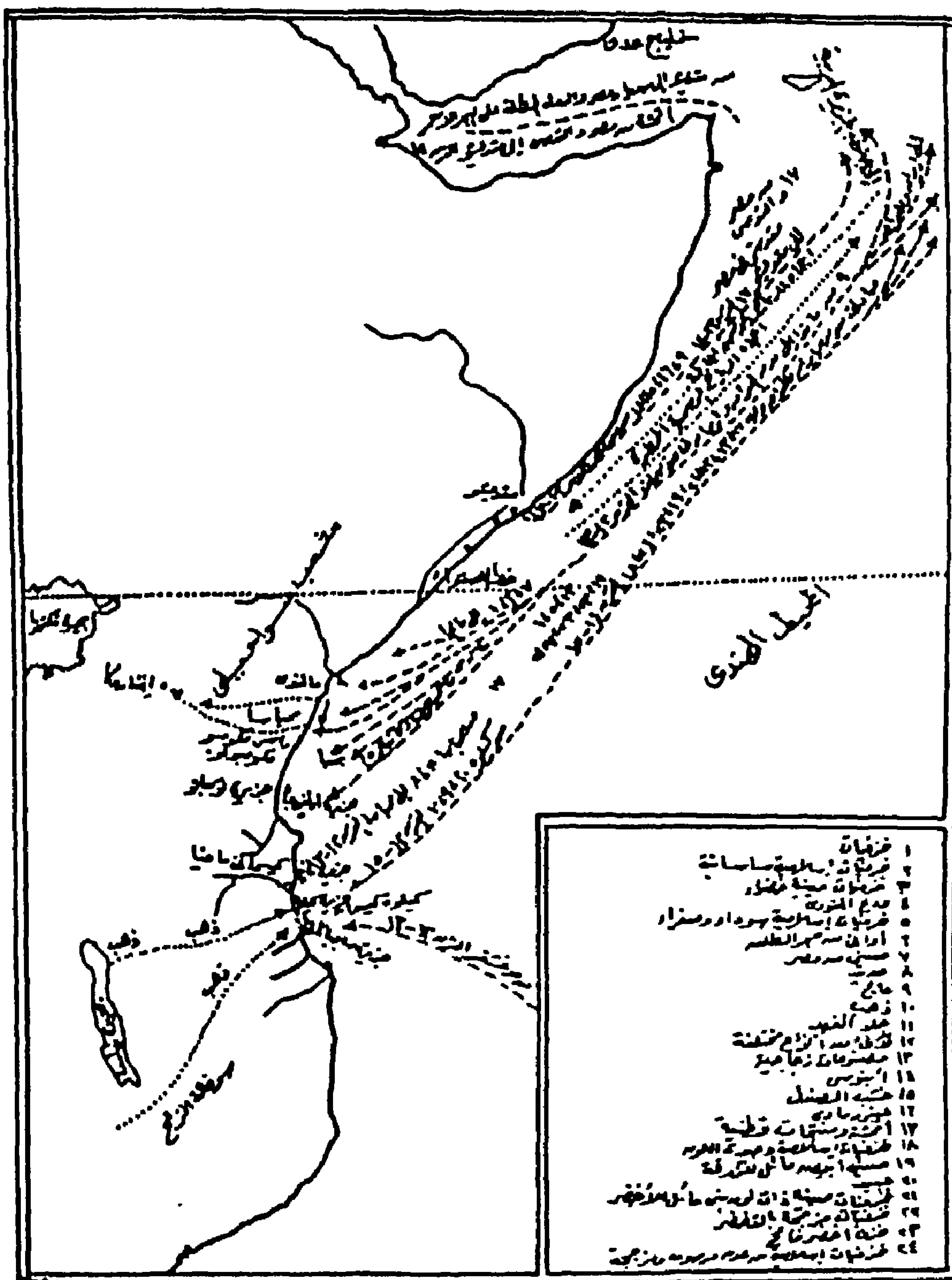
منطقة المحيط الهندي ومجتمعات ساحل البحر الأحمر ؛ حتى وصول البرتغاليين واحتكارهم لتجارة التوابل .

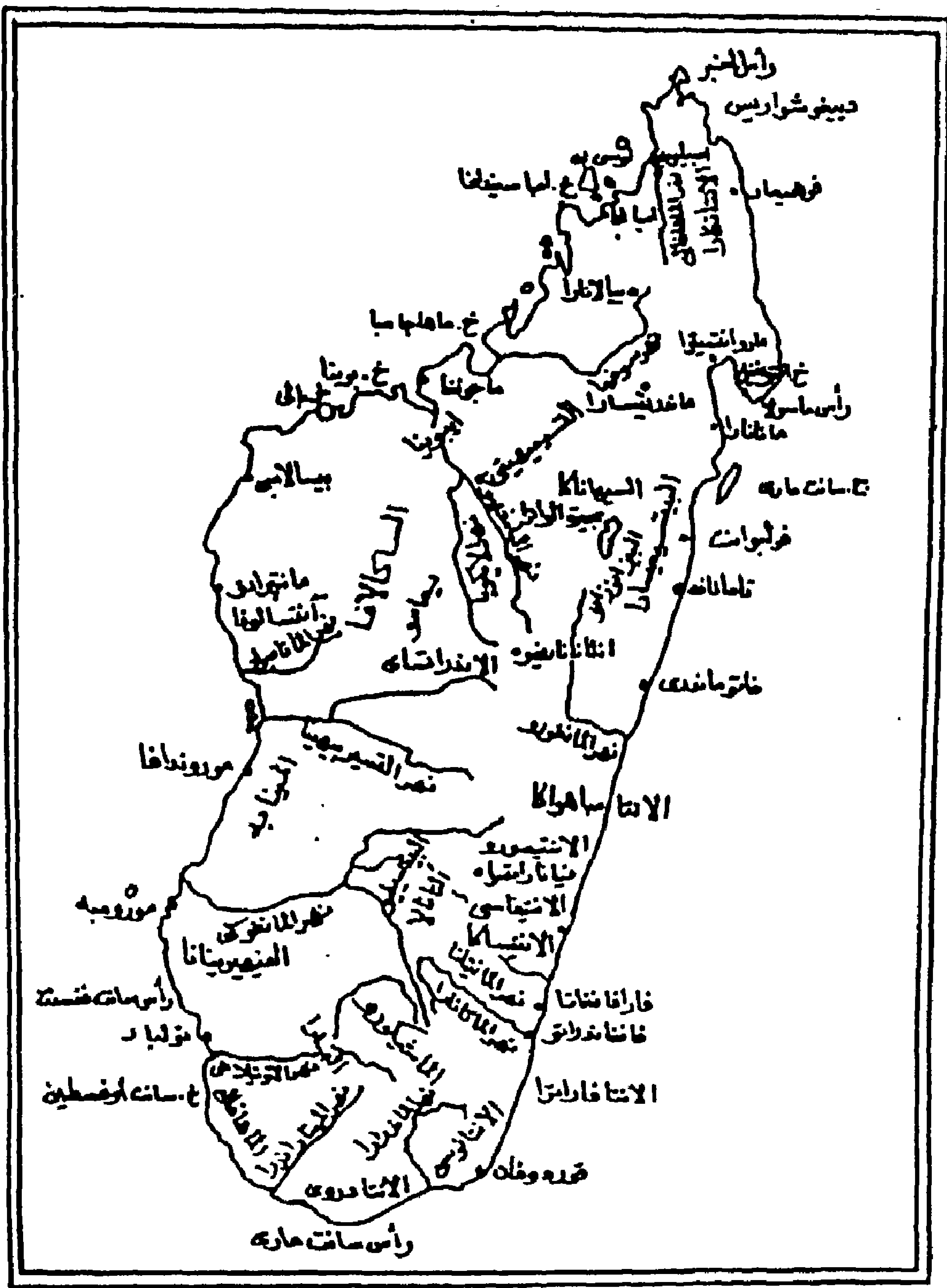
وتبرز أهمية جزر القمر ومدغشقر في أنها مزيج من الأفارقة والعرب ، فإن الثقافة المحلية توحد بينهم بفضل الدين الإسلامي .

كما اعتبرت تلك الجزر بمثابة وكالة تجارية لعبت دوراً اقتصادياً في الوساطة التجارية بين تجارة المحيط الهندي ومراكز البحر الأحمر وخاصة مصر وشبه الجزيرة العربية.

١٠. ملاحق البحث

الخرائط والأشكال التوضيحية





شكل (٤) الجماعات الإثنية في مدغشقر

المصدر : أخذت هذه الخريطة عن خريطة مدغشقر الواردة في Early Kingdoms in

Madagascar, 1500 - 1700

ك . كينت : مدغشقر وجزر المحيط الهندي . اليونسكو ١٩٩٧ ، م . الخامس ، ص ٩٣٩

هوامش البحث

١- يحتل البحر الأحمر الشقة المائية الضيقة التي تفصل بين آسيا وأفريقية، ويقع في أخدود معتد من جنوبي سورية إلى تنجانيقا ؛ ويمتد مسافة طولها ١٥٠٠ ميل، ويتراوح عرضه ١٩٠ ميل عند مصوع و١٤ ميلا في منطقة باب المندب ويصل عمقه في بعض المواضع أكثر من ٦٠٠٠ قدم انظر: المقرئى: المواضع والاعتبار بذكر الخطط والآثار، طبعة بولاق ، ١٢٧٠هـ، ج ١ ، ص ١٦ ؛ عطية القوصى : تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة بالقاهرة ، ١٩٧٦، ص ١٠ ، ١١ ؛ محمد حسين الزبيدي : هجرة العرب والمسلمين إلى شرق أفريقيا، بدايتها الأولى، مجلة المؤرخ العربى ، العدد الثالث والعشرون، ١٩٨٣، ص ١٠٤ ؛ انظر تعريف أرض الزنج ومنطقة ساحل شرق أفريقية السر سيد أحمد العراقى : أرض الزنج الإسلامية في العصور الوسطى، مجلة كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية، العدد الثانى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤ م، أم درمان، ص ٢٥؛ المؤلف نفسه : معالم الحضارة الإسلامية في ساحل شرق أفريقيا في العصور الوسطى، مجلة دراسات أفريقية ، المركز الإسلامى الأفريقى بالخرطوم، العدد الثانى، ١٩٨٦ ، ص ٨٢ .

٢- من المرجح أن العرب هم أصحاب تسمية جزر القمر، فينكر ياقوت الحموى في كتابه «معجم البلدان» أن «القمر بالضم ثم السكون: جمع أقمر ، وهو الأبيض الشديد البياض، ومنه سمي القمرى من الطير.. وقمر بلد بمصر والقمر أيضاً جزيرة في وسط الزنج ، وليس في ذلك البحر جزيرة أكبر منها، فيها عدة مدن وملوك ، كل واحد يخالف الآخر. انظر : الحموى : معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى، ج ٤ ، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠ ، ص ٤٥٠؛ السيد فليفل : التطور التاريخى لجزر القمر، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ٢٠٠٢، ص ٤٧ ؛ وجزيرة قنبلو أو مدغشقر هي نفسها جزيرة الأقبية التي أشار إليها الإدريسي الذى عاش في القرن السادس للهجرة/ الثانى عشر للميلاد وقال إن «أهلها أخلاط وإن الإسلام غلب عليها» انظر : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، نسخة مصورة بجامعة القاهرة بدون تاريخ، ص ٢٤ .

٣- يذكر أن ابن فاطمه بلغ ساحل سفالة الزنج، وعرف جيداً جزيرة مدغشقر انظر:

Ferraud, G., Relation de voyages et texts Geographiques Arabes, Persans et turks relatifs a l'Extreme - Orient du XIII sicles paris 1914, pp. 217-320 .

أنور عبد العليم : الملاحة وعلوم البحار عند العرب، العدد ١٢، ط . عالم المعرفة الكويت، ١٩٧٩، ص ٧٤ .

٤- أن سكان جزر القمر الأربعة : نجازيجا (أنجزيجا) وأنجوان ومايوت وموهيلى ، مزيج من العرب والجاويين والشيرازيين والأفارقة ، وقد نزلها عرب المناذرة وغيرهم من قبائل عمان، وحضرموت واليمن؛ انظر : سعيد المغيرى: جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق عبد المنعم عامر ، مصر ١٩٧٩ ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ ؛ انظر الخريطة شكل رقم (٣) .

٥- انظر : ف. ايزوافيلو ماندرزو : مدغشقر والجزر المجاورة من القرن الثانى عشر إلى القرن السادس عشر ، المجلد الرابع اليونسكو. دراسات ووثائق ، ط بيروت ١٩٨٨ ، ص ص ٦٠٢-٦٠٣ ؛ وانظر أيضا : ماساو وهنرى و. موتورو : ساحل أفريقيا الشرقى وجزر القمر ، اليونسكو، المجلد الثالث، الطبعة الثانية ١٩٩٧، فى ٦٧٦ .

٦- انظر الخريطة شكل رقم (٤،٣) بملاحق البحث ؛

Verin, P., : les antiquites de l'ile d' Anjouan, B AM (1967 a) v 45, I, pp. 69-80.

٧- أمال العمرى : المنشآت التجارية فى القاهرة فى العصر المملوكى. جامعة القاهرة، كلية الآثار ١٩٧٤، (مخطوط رسالة دكتوراه) ؛ أبى حامد المقدسى الشافعى: الفوائد النفيسة الباهرة فى بيان حكم شوارع القاهرة فى مذاهب الأئمة الأربعة الزاهرة، تحقيق أمل العمرى، ط . هيئة الآثار ١٩٨٨، ص ١١-٣٧ .

٨- مجاهد توفيق الجندى: أهم الوكالات فى مدينة القاهرة وبورها الحضارى، مجلة المؤرخ العربى، العدد التاسع، المجلد الأول مارس ٢٠٠١م، ص ٤٤٩ .

٩- محمد عبد الغنى الأشقر : تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩ .

١٠- Chittick, H.N. (1974), Kilwa an Islamic trading city on the East African coast, 2 vol (Nairobi : British Institute in Eastern Africa).

١١- قامت دولة سلاطين المماليك نتيجة لهزيمة حملة لويس التاسع على مصر فى منتصف القرن الثالث عشر، ثم تدعم وجودها نتيجة للانتصار على المغول فى معركة عين جالوت بعد ذلك بعشر سنوات ؛ ومنذ ذلك الحين بدأت تفرض سياستها على المنطقة العربية لقتال الصليبيين ثم اكتسبت مكانتها بعد إحياء الخلافة العباسية فى القاهرة انظر: قاسم عبده قاسم: علاقة مصر بالحبشة فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠-١٥١٧م) ؛ (العرب فى أفريقيا الجنور التاريخية والواقع المعاصر)، دار الثقافة ١٩٨٧، ص ٥٨ .

١٢- قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى عصر سلاطين المماليك . الطبعة الثانية ١٩٨٣، ص ١٦-١٧ .

١٣- ابن خلدون: المقدمة، ط. القاهرة ١٣٢٢ / ١٩٠٤ ، ص ٤٥٣ .

١٤- عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر، دراسة شاملة للنظم السياسية، ج ١ ، الأنجلو المصرية ١٩٧٩، ص ١٢٣ .

١٥- القيساريات من الأبنية التي شاع استعمالها في مصر في العصر المملوكي للأغراض التجارية . إذ أن قياسر التجار للكسب واستثمار الأموال، وتعلوها الرباع للتجار والصناع . كما أنها مسقوفة . وهي غير السوق الذي لا يشترط فيه أن يكون مسقوفاً : وفي القياسر تنتشر المصانع الصغيرة ، وإن كانت كذلك تعرض السلع للبيع بالجملة ولكل فئة من التجار أو الصناع مكان معين، وقد ظهرت في الشام قبل مصر ولعلها مأخوذة من كلمة قيسرية Cesaire ومن أشهر القيساريات: قيسارية الشرب وقيسارية الفاضل وقيسارية بيبوس وقيسارية بكتمر . نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣، ص ٢٩٥-٢٩٦ : صالح لمي مصطفى: التراث الإسلامي المعماري في مصر بيروت ١٩٧٥، ص ٧٥ : كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية في مصر . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٠، ص ٥٤ : سعد زغول عبد الحميد: العمارة والفنون في دولة الإسلام، الإسكندرية، منشأة المعارف ١٩٨٦، ص ٢٠٩ : مجاهد توفيق الجندى: أهم الوكالات في مدينة القاهرة وبورها الحضاري، مجلة المؤرخ العربي ، العدد التاسع، المجلد الأول ٢٠٠١، ص ٤٩٧ (حاشية ١٧) ، ويشير المقرئ أن القياسر لابد أن تكون مسقوفة أما التي لا يبنى فوقها مساكن فتكون مكشوفة . الخطط ج ٢ ، ص ٨٨ ، ٨٩ : محمد عبد الغنى الأشقر : مرجع سابق، ص ٢١٢ .

١٦- «الوكالات» ظهرت مبانيها لأول مرة في عهد الفاطميين لتعنى أماكن للتجار الشرقيين ، وكثرت في أيام المماليك وإحداها كانت تشتمل على ثلاثمائة وستين حجرة للنوم فوق المخازن، والأسواق مجموعة من حوانيت قد احتوى إحداها على اثني عشر ألف حانوت . انظر : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ : ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر. ج ١ ، الأنجلو المصرية ١٩٧٣، ص ١٧١: نفسه : نظم دولة سلاطين المماليك ، ج ١ ص ١٢٣ : رفعت موسى محمد: الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية، الدار المصرية اللبنانية ، ط. أولى ١٩٩٢، ص ٥٢ وما بعدها ، انظر شكل رقم (٥) بملحق البحث .

١٧- اسم الفندق مأخوذ من الكلمة اليونانية Pandnkeium نقلت إلى اللغة الإيطالية لتدل على المبنى الذي أسفله مخازن وأعلاه حجرات نوم لسكنى الأجانب . انظر: الخطط، ٣ ، ص ١٤٩ وما بعدها : نعيم زكي: مرجع سابق ، ص ٢٩٠: صبحي لييب : التجارة الكارمية المجلة التاريخية المصرية، المجلد، ١٤ ، ١٩٦٨ ، ص ١٢ .

١٨- أما الأجانب من العرب والشرقيين فكانت لهم فنادق في القاهرة وأهمها : فندق الملك السعيد بدار الرمان وتعلوه رباع واسعة، وفندق عمارة حيث نزل تجار الشام، وفندق دار التفاح لتجارة التجزئة في سلع الفاخرة الواردة من الشام والتي تصله من وكالة قوصيون وحوانيت الفنادق مسقوفة ، وكذلك فندق مسرور ظل باقياً حتى أواخر العصور الوسطى، وللتجار الكارمية فندق بالقاهرة على شاطئ

النيل تجاه الفسطاط، وقد أوقف الفندق لسكناهم انظر: المقرئى ، الخطط ، ج ٣ ، ص ١٥٢؛ ابن
دقماق : الانتصار لواسطة عقد الامصار ، ط. يولاق ١٨٩٣ ، ج ٤ ص ٤٠ ؛ محمد جمال الدين سرور:
دولة بنى قلاوون، القاهرة ١٩٤٧، ص ٣٢٦ ؛ نعيم زكى : مرجع سابق، ص ٢٩٣ .

١٩- لم يكن للأجانب فنادق بالقاهرة ، والحالة الوحيدة التى سمح فيها بإقامة فندق كان لتجار بيزا عام
١١٥٤، كما كان للسياح والحجاج المسيحيين المارين بالقاهرة وكذلك التجار خان خاص لمبيتهم وليس
فندقاً بالمعنى المعروف بالإسكندرية وبه مكان لامتعتهم وسلعهم وقلة هذه الابنية للأجانب بالقاهرة
ترجع إلى أن السلاطين كانوا يحرمون عليهم شراء التوابل والسلع الشرقية من أسواق القاهرة لذا لم
يكن هناك داع لوجودهم فترة طويلة بالقاهرة . انظر : بيبرس المنصورى النوادرى : التحفة المملوكية
فى تاريخ الهجرة؛ نشر Pomer ١٩٦٠ ، وتوجد نسخة خطية وهى الجزء التاسع بمكتبة جامعة
القاهرة برقم ٢٨، ٢٤، وحققته زبيدة محمد عطا، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ١٩٧٢، ص ٤١؛
ماجد: التاريخ السياسى لدولة سلاطين المماليك، ص ٢٩٣ .

٢٠- ابن بطوطة : الرحلة، ط. القاهرة ١٩٦٦، ص ١٣١ .

٢١- انظر ماجد : التاريخ السياسى لدولة سلاطين المماليك، ص ٢٩٣ .

٢٢- زبيدة، ص ٢٨ .

٢٣- نسبة إلى الأمير جهار كس الخليلى ات ٧٩١ / ١٣٣٩ أحد أمراء برقوق : الخطط، ٢، ص ٩٤ ،
١٥٠؛ نعيم زكى : طرق التجارة ، ص ٢٩٥ .

٢٤- انظر Guest and Richmond Miesr in the fifteenth century , J.R.S; 1903 , p. 79 .

ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦ ، ص ٢٤ ؛ وانظر أيضا ما ذكره عن مدينة القاهرة ص ٢١-٢٥ .

٢٥- انظر : آق بغا الخاسكى (كاتب السلطان الفورى) : التحفة الفاخرة فى ذكر رسوم خطط القاهرة ،
مخطوط (فى B.N) برقم ٢٢٦٥ .

٢٦- يصف بيلوتى الكريتى Pilote de crete مدينة القاهرة بأنها أكبر مدينة فى الدنيا، انظر : Dopp
(P.H) L'Egypt au commencement du quanzieme siecle (le Caire 1650), p. 3 .

٢٧- ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٢١-٢٥ .

٢٨- طافور : رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر الميلادى، ترجمة حسن حبشى ، دار المعارف
١٩٦٨ ، ص ٩٧ ؛ قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ، ص ٣٢ .

٢٩- رحلة ابن بطوطة ، ص ٣١ ؛ المقرئى: الخطط ، ج ١ ، ص ١٦٢ .

٣٠- انظر : ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الامصار ، ج ٥ ، صفحات ٢٥-٢٦ ، ٣٠ ، ٤٧ ، ٤٨ ،
٧١ ، ٨١-٨٢ ، ٩٩-١٠١ .

٣١- أحمد السيد نراج: عيذاب ، مجلة نهضة أفريقيا، وزارة الثقافة ، القاهرة ١٩٥٨ ، العدد التاسع والعاشر، ص ٥٥ ؛ بشير إبراهيم بشير: الفاطميون والبحر الأحمر مجلة كلية الآداب ، جامعة الخرطوم، العدد الأول ١٩٧٢ ، ص ١٤٩ ، ١٥٠؛ كرم الصاوي باز: ممالك النوبة في العصر المملوكي اضمحلالها وسقوطها وأثره في انتشار الإسلام في السودان وادي النيل ٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٦م؛ رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد الدراسات الأفريقية جامعة القاهرة ١٩٩١ ، ص ١٤ ، ٤٧ .

٣٢- إقليم قوص في العصر الإسلامي مترامي الأطراف تبلغ مساحته في الطول كما يقول الانقوى - مسيرة اثني عشر يوماً سير الجمال السير المعتاد، وأما عرضه فثلاث ساعات وأكثر وأقل بحسب العامر من الأماكن ويمتد شرقاً حتى يصل إلى البحر الأحمر ، وغرباً حتى الراح أي (الواحات) ويتجه شمالاً حتى مرج بنى هميم المتصل بأراضي جرجا من عمل أخميم وينتهي جنوباً بمدينة أسوان. انظر: الانقوى: الطالع السعيد - الجامع لأسماء نجباء الصعيد . نشر سعد محمد حسن القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٧-٩ ؛ ابن ممتي : قوانين الدواوين ، تحقيق جورج سوريال عطية، القاهرة ١٩٤٢ ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ؛ عبدالله كامل مرسى عبده: المنشآت التجارية والصناعية بمدينة قوص منذ العصر العثماني حتى نهاية القرن ١٣هـ / ١٩م مجلة المؤرخ العربي العدد ٩ المجلد الأول ٢٠٠١ ، ص ٣١٧ ؛ محمد عبده الحجاجي : قوص في التاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢ ، ص ١٥ .

٣٣- رحلة ابن بطوطة ، ص ٣١: ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ، بيروت ١٩٥٧ ، ص ١٩١ .

٣٤- ماجد : التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر، ص ٢٩٦ .

٣٥- ابن حبيب : درة الأسلاك في دولة الأتراك مخطوط في (BN) برقم ٤٨٦٠ ، ١ ورقة ٩٠ ب .

٣٦- انظر: ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٢ ، بولاق ١٣١٢هـ، ص ٢٤ .

٣٧- الخطط، ٢ ، ص ١٣٣ ، ١٤١ .

٣٨- ماجد : مرجع سابق، ص ٢٩٦ .

٣٩- الخطط ، ٣ ، ص ١٣٣ .

٤٠- بنى في ٧١٣ / ١٣١٣ ، وانتهى من بنائه في ٧١٤ / ١٣١٤ نفسه، ٢ ص ٣٣٢ ، ٣٤١-٣٤٠ .

٤١- الخطط ، ٣ ص ٢٤٣ بناء الأشرف خليل في عام ٦٩٢ / ١٢٩٣ .

٤٢- نفسه، ٣ ، ص ٣٣١ ؛ القلقشندي: صبح الأعشي في صناعة الانشاء، ط. القاهرة ١٩١٣ ، ج ٢، ٣٦٨؛ زبدة ، ص ١٢١ .

٤٣- الخطط، ٣ ، ص ٣٣٢ ؛ جمع خاناه وهو اسم فارسي غلب عليها نفسه، ٢ ص ٣٣٣ .

- صبيح ٤، ص ٩، ويتفصيل انظر دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ٢، ص ١٥ وما بعدها
مثل الشراب خاناه، والطشت خاناه، والسلاح خاناه، والطبلخاناه، والشكار خاناه والحوائح خاناه .
- ٤٤- الخالدي: بهاء المقصد الرفيع المنشأ الهادي لصناعة الإنشاء، مخطوط (B.N)، برقم ٤٣٩؛ ونسخة
مصورة، دار الكتب المصرية برقمى ٢١٠٣١، ٢٤٠٤٥، ورقة ١٢٩ أ.
- ٤٥- الرثك : وجمعه رثوك وهو الشعر الذى يتخذه الأمير لنفسه عند تأمير السلطان له . ويقول
القلقشندي: «ومن عادة كل أمير كبير أو صغير أن يكون له رثك يخصه بحسب ما يختاره ويؤثره
ويجعل ذلك دهانا على أبواب بيوتهم والأماكن المنسوبة إليهم كمطابخ السكر وشئون الغلال والأماك
والمراكب وغير ذلك : صبح الأعشى، ص، ص ٦١، ٦٢ : محمود نديم: الفن الحربى للجيش المصرى
فى العصر المملوكى البحرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣، ص ٢١٦ .
- ٤٦- انظر: عطية القوصى : وثائق الجنيزة وأهميتها فى دراسة تاريخ مصر الإسلامية ، مقال بمجلة
جامعة القاهرة ، بالخرطوم العدد ٥ ، ١٩٧٤ ، ص ١٨٥-١٩٠ : نفسه : أضواء جديدة على تجارة
الكارم، المجلة التاريخية المصرية المجلد السادس ١٩٥٧ ، ص ٣٣ : أيمن فؤاد سيد : عرض كتاب
مجتمع البحر الأحمر المتوسط لجواتين، مجلة المؤرخ المصرى، كلية الآداب- جامعة القاهرة العدد ٨،
١٩٨٨ ، ص ٣٤٥-٣٤٩ .
- ٤٧- انظر : نعيم زكى: طرق التجارة الدولية ، ص ٢٨٧ : صبحى لبيب : التجارة الكارمية وتجارة مصر
فى العصور الوسطى ، ص ١٢ .
- ٤٨- تسميهم الكتابات بالتعميم التجار المسلمين وبالتخصيص التجار المصريين . الصيرفى: نزهة
النفوس والأبدان فى تواريخ أهل الزمان، تحقيق حسن حبشى، القاهرة ١٩٧٠، ٣٥، ص ٢٣٥، ابن
حجر : ابناء الفمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشى القاهرة ١٩٦٩، ج ٣، ص ٤٢ .
- ٤٩- شوقى ضيف : العلاقات التجارية بين مصر والدول الأفريقية فى عصر سلاطين المماليك، ماجستير ،
جامعة القاهرة ١٩٧٥ ، ص ١٤٥: أحمد عبد الحميد خفاجى : طبقة التجار فى مصر المملوكية، مجلة
كلية الآداب ، جامعة طنطا ، العدد ١٩٨٢ ، ص ٦٥ .
- ٥٠- زين العابدين عبد الحميد السراج : دولة كائم الإسلامية، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة
القاهرة ١٩٧٥ ، ص ١٦٤ : سعيد عاشور: العصر المماليكى فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٧٦ ،
ص ٢٠٩ : Lewis B: The Fatimids and the Raute to india, RFSE unin, Istambul , 1949
x 1 p. 53 .
- ماجد : طومان باى آخر سلاطين المماليك فى مصر، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٧٣ .
- ٥١- عزيز سوريال عطية : العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب صابر سيف ، القاهرة ١٩٧٢،
ص ١٥٣-١٨٠ .

٥٢- ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، لندن ١٨٨٩ ، هـ ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ويذكر أنهم في العصور الوسطى كانوا يركبون البحر الشرقى (البحر الأحمر) من القلزم إلى الجار وجده ثم يعضون إلى السند والهند : Goitein : Jews and Arabs their Contacts through the Ages, New York , 1955 , p. 115 .

انظر عطية القوصى : مرجع سابق، ص ٢٥ .

٥٣- صبيح ، ص ص٣٢ .

٥٤- نفسه .

٥٥- A.S. Atiya, the Crusades in later Middle Ages London 1938 , pp. 115 , 174 . كرم حسن العلى: نيابة دمشق في نهاية عهد المماليك ، رسالة ماجستير معهد البحوث والدراسات العربية، ١٧٨ ، ص ٢٢٥ .

٥٦- القلقشندي: صبيح الأعمش ، ج ٣ ، ص ٤٦٨ : المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٢٧ : ماجد : التاريخ السياسى لدولة سلاطين المماليك فى مصر، ص ٢٨٤ .

٥٧- صبيح ، ص ٥ ، ص ١٠ ، ١١ ، المقرئى: الإللام بأخبار من بأرض الحبشة ، ص ٢٥ : ابن الديبع : بغية المستفيد فى تاريخ مدينة زبيد ، تحقيق عبدالله الحبشى، اليمن ١٩٧٩ ، ص ٢ .

٥٨- صبيح ، ١١ ، ص ٢٢٠ .

٥٩- ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار فى أخبار ملوك مالك الأمصار، ج ٥ ، ورقة ٩٨ .

٦٠- صبيح ، ٨ ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى، ج ٢ ، ٦٣٠ ، ٦٣٢ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ .

٦١- نقولا زيادة : الرحالة العرب ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ١٨١ : محمد زيتون: الصين والعرب، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ١٢٠ .

٦٢- انظر : محمد عبد الغنى الأشقر : مرجع سابق، ص ٣٦٣ : ماجد : المرجع نفسه، ص ٢٨٥ .

٦٣- صبيح ، ٨ ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

٦٤- الخطط، ١ ، ص ٣٢٧ .

٦٥- ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٧٠ ، ج ١٤ ص ٣٦٧ ، ٣٦٩ .

٦٦- يستدل على ذلك من نقش على جامع جاني بك الذى تولاها فى الفترة من ٨٤٦-٨٤٩ ، ١٤٤٢-١٥٤٥ . انظر : ابن الجاور : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المعروف بتاريخ

- المستبصر نشرة أوسكار لوفجرين، ١٩٥٤، ص ٥١، القلقشندى : صبيح الأعشى، ج ٤ ص ٢٥٨؛ عبد القادر الجدى: السلاح والعدة فى تاريخ جده ، ١٩٧٧، ص ٧٨ .
- ٦٧- أنور عبد العليم : الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص ١٥٩؛ شوقى عثمان : تجارة المحيط الهندى فى عصر السيادة الإسلامية ، ص ٩١، ٩٢ وما بعدها .
- ٦٨- المقرئى : الإلغام بأخبار من بأرض الحبشة، ص ٣٥؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٨، ص ١٢٨ .
- ٦٩- الرحلة، ص ١٦٩، ١٧٠ ، بدر الدين الصينى: العلاقات بين العرب والصين، ص ٢٤١ .
- ٧٠- زين العابدين عبد الحميد السراج : الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى مدن الساحل الصومالى فيما بين القرنين ٦-٨هـ / ١٢-١٤م، رسالة دكتوراه جامعة القاهرة، ١٩٨٦، ص ٩٦-٩٧ .
- ٧١- المغيرى: جبهة الأخبار، ص ٨٦ ؛ محمود العويرى: ساحل شرق أفريقيا فى فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالى دار المعارف، ط. ١٩٨٦، ص ١١٨ .
- ٧٢- ممبسة أو ممباسة كانت فى العصر الوسيط تعرف باسم قنفويا، وهو اسم سواحيلى، وكانت تسمى أيضا باسم امفتيا ومعناها حرب، وربما لكثرة حروبها مع المدن الأخرى، وذكر أن الذى سماها ممباسة البرتغاليون على اسم قائد من قوادهم ، انظر سعيدى المغيرى، ص ٨٤ ووردت فى وثيقة كلوة العربية ص ٢٧، ٣٠، ٢٤ باسم منقسة.
- ٧٣- لمزيد من الدراسة انظر : كرم الصاوى باز : كلوة مركز الثقافة العربية عهد أسرة المهدلى العربية. بحث قدم ضمن ندوة المراكز الثقافية والعلمية فى العالم العربى صر العصور ٢٠٠١م.
- ٧٤- ماركو بولو : رحلات ماركو بولو، ترجمة عبد العزيز جاويد ، مصر ١٩٧٧، ص ٢٢٩ ؛ أنور عبد العليم، مرجع سابق، ص ٧٣ .
- ٧٥- ابن البطار : الجامع لمفردات الانوية والأغنية القاهرة ١٢٩١هـ، ج ٣ ، ص ١٢٤؛ نعيم زكى: مرجع سابق، ص ٢٣٠ .
- ٧٦- ماركو بولو : مصدر سابق، ص ٢٢٧ ، المغيرى: جبهة الأخبار، ص ١٥؛ الدمشقى: نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ص ١٦٢ .
- ٧٧- CF: Cuest . R " Zufarin in the Middle ages in Islamic culture 1935 , vol , p. 407 .
- ٧٨- انظر : أنور عبد العليم : الملاحة وعلوم البحار، ص ٨٢-٨٤ .
- ٧٩- انظر: المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ١ ط ١٢٨٢ هـ، ص ٨٧ ، الإلغام بأخبار من بأرض الحبشة ، ص ٣٥ ؛ ياقوت : معجم البلدان، ج ٨ ، ص ١٢٨ .

- ٨٠- أبو مفرمة : تاريخ قفر عدن، ط ليند ١٩٣٦ ، ج ١ ، ص ٥٦-٥٧ .
- ٨١- العمرى: مسالك الأبحار، ج ٥ ، ورقة ٩٨ .
- ٨٢- القلقشندي : صبح الأعشى، ج ٥ ، ص ٩ ، ١٠؛ ابن النبيع: بغية المستفيد فى تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبدالله الحبشى ، اليمن ١٩٧٩ ، ص ٣ .
- ٨٣- ابن المجاور : صفة بلاط اليمن، ص ٥١ ، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ ؛ محمد عبد الغنى: مرجع سابق، ص ٣١٢ .
- ٨٤- صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ .
- ٨٥- القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢ ، ص ٣٩٢ .
- ٨٦- ابن بطوطة: الرحلة ، ص ١٩٦ .
- ٨٧- نعيم زكى : طرق التجارة ، ص ١٤٢ ، محمد محمد أمين: العرب والدعوة الإسلامية فى الصومال فى العصور الوسطى، مقال بمجلة الدارة، العدد ٢ ، ١٩٨٤ ، ص ٢١٤؛ محمد عبد الغنى : مرجع سابق، ص ٣١٦ .
- ٨٨- أبى الفدا: تقويم البلدان، باريس ١٨٤٠ ، ص ٢٧٠ ، القلقشندي: صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٣٦ .
- ٨٩- Cf: Y.Kanal, Edl , Monumenta cartpgraphica Africa et Aegyptie tome, LV, Fax1, p. 108 .
- ٩٠- المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ دار الكتب المصرية ١٩٣٤ ، ص ٥٥٠، ٥٥٨ ؛ صبحى لبيب : التجارة الكارمية ، ص ٢١؛ بشير إبراهيم بشير : عذاب حياتها البينية والاسبية مجلة الدراسات السودانية ، العدد ٢، يوليو ١٩٧٩، ص ٥٩ .
- ٩١- رحلة ابن جبير ، ص ٤٣-٤٤ ؛ خطط المقرئى: ج ١ ، ص ٢٠٤ ؛ صبحى لبيب : التجارة الكارمية ، ص ١٩ ؛ نفس المؤلف: سياسة مصر التجارية ص ١٣٩؛ توفيق اسكندر : نظام المقايضة فى تجارة مصر الخارجية فى العصر الوسيط، المجلة التاريخية المصرية، العدد السادس ١٩٥٧ ، ص ١٩ .
- ٩٢- طافور : رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر الميلادى، ترجمة حسن حبشى، مصر ١٩٦٨٧، ص ٩٧ ؛ شوقى عثمان : مرجع سابق، ص ٢٠٦ .
- ٩٣- انظر: فاروق عثمان أياظه : أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجااء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر ، الاسكندرية ١٩٨٨ ، ص ١١٣ .
- ٩٤- بازل دافيد سون: أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال أحمد ، بيروت، ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، جورج

فاضلو حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى.
ترجمة السيد يعقوب بكر، القاهرة ١٩٥٨، ص ٢٢١، Basil Davidson, the lost cities of Africa, USA, 1959, p. 190 .

٩٥- أخذ د. طرخان هذه الفقرة كوبلاند في كتابه East Africa and its invaders ولم يحاول الرد عليها، فالعرب لم يكونوا غزاه لشرق أفريقيا، حيث لم نجد في المصادر التاريخية ما يفيد وصول قوة عربية عربية إلى الساحل الشرقي، كما لم نجد بها ما يدل على انعزال العرب الذين استقروا بالشمال من الأفريقيين. بل تخبرنا تلك المصادر بأنه حدث تزاوج بين العرب وأهل الساحل، كما اعتنقوا دين العرب واستعاروا خطهم رسماً لهم، فالإسلام يوحد بين الأمم والأجناس لا يفرق بينهما، كما يذيب الفوارق بين الطبقات فالأفضلية في الإسلام للتقوى لا للجاه والسلطة.

انظر: إبراهيم طرخان : الإسلام والممالك الإسلامية في الحبشة، مجلة الجمعية التاريخية، عدد ٨، سنة ١٩٥٩، ص ٤٤؛ شوقي عثمان : مرجع سابق، ص ٦٣ .

٩٦- Richard W. Hull, Munyakare African civilization before the Batururee New York , p. 66 .

٩٧- زنجبار : كلمة عربية معرفة أصلها بر الزنج. ويقال لها باللغة السواحلية (أنفوجاء) وهي كلمة مركبة من كلمتين أنفو ومعناها بالعربية (المنسف) و (وجاء بمعنى امتلأ وهي جزيرة تبعد عن البر الأفريقي بمسافة خمسة وعشرين ميلاً، وجنوب الجزيرة الخضراء (بمبا) بحوالي ٣٢ إلى ٣٥ ميلاً، وشمال دار السلام بمسافة ٢٩ ميلاً، ويبلغ طولها ٥٢٤ ميلاً وعرضها ٢٤ ميلاً، ومساحتها ٦٤٠٠ ميلاً مربعاً، وكانت تسمى في القرون الوسطى، منشونيا أو منشونياسى ولا يعرف معنى هذا الاسم انظر: سعيد المغيرة: جبهة الأخبار، ص ١٥، ١٦؛ سليمان الشيباني : مملكة زنجبار ، بدون تاريخ ، ص ١٨ ، ٥٩؛ انظر الخريطة شكل رقم (٢) .

٩٨- انظر : ما تقييف : تطور الحضارة السواحلية ، اليونسكو، المجلد الرابع ، ١٩٨٨، ص ٤٥٢ .

٩٩- انظر : بانتيكار : آسيا والسيطرة الغربية، ط ص ٣٧ : Radah kunud Indian Shipping , Bom-bay , ND, p. 143 .

١٠٠- انظر : شوقي عثمان : مرجع سابق، ص ٦٥ .

١٠١- سليمان عبد الغنى المالكى : دور العرب وتأثيرهم في شرق أفريقيا ، (ندوة العرب في أفريقيا) القاهرة ١٩٨٧، ص ١٢٠؛ حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ط. دار الفكر العربي، ص ٣٥٩ .

- ١٠٢- شوقي عثمان : مرجع سابق ص ٦٨ .
- ١٠٣- يان فانسنيا : الماثورات الشفاهية، ترجمة أحمد مرسى، القاهرة ١٩٨١، ص ٤٥ .
- ١٠٤- Musa H.L. Galaal, Historical Relations between the Horn of Africe and the Persian Gulf and the Indian ocean islans through islam, in historical Relations across the Insian ocean, unesco 1980, pp. 26-30 .
- ١٠٥- يان فانسنيا : الماثورات الشفاهية، ص ٢٩، ٣٠ .
- ١٠٦- Musa H.L. : Ibid, pp. 25-26 .
- ١٠٧- انظر : ف ف ناتفييف : تطور الحضارة السواحلية، ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ .
- ١٠٨- انظر : محمد حمزة إسماعيل : النقوش الاثارية مصدرًا للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، المجلد الأول، مكتبة زاهر الشرق ٢٠٠٢ م، ص ١٢٥ . انظر ملحق بحث شكل (٦)، (٧) .
- ١٠٩- نفسه ، ص ١٣٦ . انظر شكل (٨) بملحق البحث .
- ١١٠- Ravaisse , P., Steles et inscriptions Arabe du Harrar in, Azais, Cinq Annees, pp. 288-292 , 296-297 , 300 , 303 , 707 . Pis , xxv - xxix ; Trimmingham in Ethiopia , oxford (1952), p. 63 .
- انظر شكل (٩) بملحق البحث .
- ١١١- Azais , p., Cinq Annees de Recherches Archeologiques en Ethiopie, Paris , 1931 , pp. 283-309 .
- ١١٢- محمد حمزة : مرجع سابق، ج ١ ، ص ١٣٦ .
- ١١٣- رأى المؤرخ البرتغالى دى باروس عن جيان: وثائق تاريخية وجغرافية من أفريقية الشرقية، ترجمة يوسف كمال القاهرة ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م، ص ٨٤-٨٦ ، ٩٤ .
- ١١٤- Hichens, W., Islam in East Africa in Islam to day , London 1962 , p. 117 .
- وانظر : المغيرى : جبهة الأخبار فى تاريخ زنجبار، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة ١٩٧٩، ص ٤٠ .
- ١١٥- Marsh , Z, Kingsnorth , G.W, A history of East Africa, An introductory Survery 4ed combridge (1972), pp. 21-22 .
- ١١٦- محمود الحويرى: ساحل شرق أفريقية فى فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالى، القاهرة، دار المعارف ١٩٨٦، ص ٢٨ : محمد حمزة : نفسه ، ص ١٣٦-١٣٧ .

- ١١٧- المغيرة: جبهة الأخبار، ص ٤٠-٤٢ ، الحويرى : ساحل شرق أفريقيا، ص ١١٥ .
- ١١٨- لين بطوطه : الرحلة ، ج ٢، ص ١٢١-١٢٣ ، محمد حمزة : نفسه، ص ١٣٧ .
- Garlake, P.S. the Early Islamic Architecture of the east African Coast Nairobi , London 1966, pp . 15-112 .
- Chittick , N., Kilwa , an Islamic trading city of the East African Coast , 2 vols Nairobi , (1974), vol, 1, pp. 27-254 , vol 11, pp. 259-296 ; the Coast of East Africa, in : The African Iron Age Edited by , P.L., Shinnie , oxford , clarendon 1971 , pp. 108-141 .
- ١١٩- الفاسى ، محمد هريك ، إيقان، مراحل تطور الإسلام وانتشاره فى أفريقيا، تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو المجلد الثالث ، ١٩٩٤ ، ص ١١٠ .
- ١٢٠- انظر : تشيرى: العلاقات بين أثيوبيا (الحبشة) والعالم الاسلامى، مجلد ٢، ص ٢٦٨ (تاريخ أفريقيا العام) : محمد حمزة ، نفسه، ص ١٣٩ .
- ١٢١- الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ القاهرة ١٩٦٤ ، ص ١١٢-١١٣ : ابن الجوزى: المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، ج ٦ ، بيروت ١٩٩٢ ، ص ٢٩٥-٢٩٦ : ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، مجلد ٢ ، بيروت ١٩٨٧ ، ص ٥٦٦ : محمد حمزة : نفسه، ص ١٣٨ .
- ١٢٢- ابراهيم طرخان : الإسلام والممالك الإسلامية فى الحبشة، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٨، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٣٢٨-٣٩١ .
- ١٢٣- Combe, Repertoire , Tome 1, No 2526 , 2528 , 2554 , 2615 , 2633 , 2634 , 2660 , 2667 , 2676 , 2695 , 2696 , 2697 , 2770 , 2771 , 2782 , 2786 , 2747 , 2754 , 2759 , 2763 , 2766 , 2768 .
- وعن إقليم السوس ومواضعه فى شرق وغرب العالم الإسلامى انظر كل من مادة السوس ومادة السوس الأقصى فى دائرة المعارف الإسلامية المصرية.
- انظر الأشكال رقم (١٠ ، ١١) (١٢ ، ١٣) بملحق البحث .
- ١٢٤- انظر: عبد الفتاح مقلد الفنىمى: الإسلام والمسلمون فى شرق أفريقيا، ١٩٩٨ ، ص ٢٣١ وما بعدها، انظر الخريطة شكل رقم (١) .
- ١٢٥- كينت : مدغشقر وجزر المحيط الهندى اليونسكو ، المجلد الخامس ١٩٩٧ ، ص ٩٢٧ ، ٩٢٨ .
- ١٢٦- CF: Reusch R.: History of East Africa, New York 1961 , p. 125 Freeman : The history of the African Oxford 1962 , p. 88.

١٢٧- ترمنجهام : الإسلام في شرق أفريقيا، الانجلو المصرية، ط١ ، ١٩٧٢ ، ص٩، محمود الحويرى:
مرجع سابق ، ص١١٨ : ف.ف. ماتقيف : مرجع سابق، ص٤٦٤ .

١٢٨- ماتقيف: مرجع سابق، ص٤٦٤ .

١٢٩- CF. Kirkman , J.S. (1954) , the Arab city of Gedi : excavations at the great Mosque architecture and finds, London , oup , pp. 72-79 .

١٣٠- الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١. بيروت ١٩٨٩، ص٦٠ ، ٦١ ، ريتشارد هول :
إمبراطوريات الرياح الموسمية ، ترجمة كامل يوسف حسين، الطبعة الأولى ١٩٩٩، ص٥٩ .

١٣١- Chittick, H.N. (1965) , the Shirazi colonisation of East Africa, J A H. 6,3, pp. 275-94 .

١٣٢- CF. Chittick H.N (1974) Kilwa an Islamic trading city on the East of African coast , p. 131 .

١٣٣- انظر : ف. ف . ما تقيف : مرجع سابق، ص٤٦٤ .

١٣٤- ريتشارد هول : مرجع سابق، ص٦٦ ، ٦٧ .

١٣٥- المقرئى : السلوك ، ج١ ص٨٩٩ ، القلقشندي : صيغ الأمشي ، ج٢، ص٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ج٤
ص٢٢ ، ج٥ ص٢٨٠ ، ٢٨١ .

١٣٦- تشانغ زون بان : الاتصالات الودية المتبادلة بين الصين وعمان عبر التاريخ، مسقط ١٩٨١،
ص١٢-١٣ .

١٣٧- ابن الجاور: تاريخ المستنصر ، ج١ ، ص١١٦ ، ١١٧ .

زين العابدين: مرجع سابق، ص١٠٠ ، ١٠١ .

١٣٨- ر. ك كينت : مدغشقر وجزر المحيط الهندي، ص٩٣٦ ، ٩٣٧ .

١٣٩- نعيم زكى : مرجع سابق، ص٢٠٠، ٢٠١ .

١٤٠- زين العابدين : مرجع سابق، ص١٢٢ .

١٤١- ج. بيفيس ،. ليبب : أفريقيا من خلال العلاقات بين القارات، اليونيسكو المجلد الرابع، ص٦٥٤ ،
٦٥٥ .

١٤٢- انظر : Chittick : Op. cit, p. 21-38 .

١٤٣- ايزوا فيلو ماندروزو : مدغشقر والجزر المجاورة ، من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر،
اليونيسكو ١٩٨٨ المجلد الرابع ص٦٠٢ .

- ١٤٤- المرجع نفسه ، ص٦٠٢ ، انظر الخريطة شكل رقم (٤) .
- ١٤٥- Robineau , C (1962) “ L, Islamaux Comors : Une etude culturelle de l'île d' An-jougn “ in p. Verin , Arabes et islamises a Madagascar et dans l'océan indien (Tran-nanrive , Revue de Madagascar , pp. 39-56 .
- ١٤٦- نلاحظ أن الميل إلى الانتساب إلى أصل عربي شريف ظاهرة عند جل الأسر الحاكمة التي أسلمت في أفريقيا الشرقية ، وبلاد السودان.
- ١٤٧- انظر: باكيولي دومينيكي- راميارمانانا : مدغشقر اليونسكو، المجلد الثالث ١٩٩٧، ص٧٧١، ٧٩٩ .
- ١٤٨- انظر ايزوافيلو ماندروزو : مرجع سابق، ص٦٠٤ .
- ١٤٩- Poirier C. (1954) : Terre d' Islam en mer malgache B.A.M., pp. 71-116 .
- ١٥٠- ايزوافيلو ماندروزو : مرجع سابق، ص٦٠٤ .
- ١٥١- انظر : ب فيرين، في اليونسكو، «تاريخ أفريقيا» العام دراسات ووثائق ، رقم ٣ ، ١٩٨٠ .
- ١٥٢- كينت : مدغشقر وجزر المحيط الهندي، ص٩٢٨ وما بعدها؛ انظر الخريطة شكل رقم (٢) .
- ١٥٣- Mollat, M (1980) Historical Cantacts of Africa and Madagascar with south and south east Asia : The role of the Indian Ocean , in unesco (1980) pp. 45-60 , G.S.P. FREEMAN - GRENVILLE: The Medieval History of the Coast of tanganyika, Lon-don oxford university press 1962, p. 80-98 .

د. كرم حلمى فرحات (*)

الكتابة التاريخية والنقد التاريخي فى مخطوطة

التمهيد والبيان فى مقتل الشهيد عثمان

للقاضى محمد بن يحيى الأندلسى ت ٧٤١هـ

مقدمة :

إن التاريخ الإسلامى هو تاريخ هذا الدين الواحد وهو الإسلام ، بل هو تاريخ تطبيق هذا الدين، ومن هنا تأتى العلاقة بين التاريخ والدين وهى علاقة وثيقة ... فالتاريخ الإسلامى يروى لنا تاريخ العقيدة الصحيحة.

إن الذين يكتبون ويدرسون التاريخ بمعزل عن العلوم الشرعية الإسلامية يجردون الدراسات التاريخية من التصور العقدى الإسلامى ، بل ويقطعون الصلة الوثيقة بين التاريخ والدين، رغم أن التاريخ هو خادم للدين وعلومه الشرعية.

فالتاريخ الإسلامى هو تاريخ تطبيق الشريعة الإسلامية التطبيق الواقعى طالما كان بها الالتزام ، إنه تاريخ الأمم والشعوب التى كانت تعيش بالإسلام وعلى الإسلام ، وكل انحراف عن الطريق السوى أصاب هذا التاريخ كان نتيجة للانحراف عن تلك الشريعة الربانية فدراسة التاريخ هى دراسة للإسلام من الناحية التطبيقية ، وهى دراسة للذين أحسنوا له؛ وللذين أساءوا إليه من داخل الأمة أو خارجها .

نحن بصدد كتاب التمهيد والبيان فى مقتل الشهيد عثمان «رضى الله عنه» للقاضى محمد بن يحيى الأندلسى. صنفه فى سيرة الخليفة الثالث عثمان بن عفان «رضى الله عنه».

* مدرس التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية معهد الدراسات والبحوث الآسيوية جامعة الزقازيق.

فى وقت غابت فيه الأقلام التى تكتب عن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه، وما حاك
بفترته من فتن، ليس فى وقت المؤلف فحسب ، ولكن فيما كان قبله وي بعده. حيث عاش هذا
المؤلف فى القرن الثامن الهجرى.

إن المسلمين- بل الإنسانية كلها- فى أشد الحاجة اليوم إلى معرفة فضائل أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم، وكرم معدنهم ، وأثر تربية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم، وما
كانوا عليه من علو المنزلة التى كانوا بها الجيل المثالى الفذ فى تاريخ البشر.

لقد سارع للدفاع عن الصحابى الجليل عثمان بن عفان رضى الله عنه القاضى محمد ابن
يحيى فى كتابه «التمهيد والبيان» ليكشف به عن نور الحق وخذل الباطل ، فأنضاء المصباح بعد
ما كاد يخبو.

لقد جهل كثير من الناس الحقيقة التى تنبج على مائدة الخونة والمتآمرين على الإسلام
والمسلمين ، فسعى هؤلاء المتآمرون ليضللوا الجيل المسلم وينفروه من سيرة الإسلام الأولى .

إن الفتنة التى أدت إلى قتل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، قد أدت إلى نتائج
وخيمة، أدت إلى انقسام المسلمين، وسفك الدماء والتحزب والتشيع ، وتفرقة الكلمة بعد قتله ،
فاقتتل المسلمون للأخذ بثأره حتى قُتل من المسلمين الألاف .

جاء موقف المؤلف من الأحداث التاريخية موقفاً مشرفاً ، حيث وقف موقف المؤرخ ، وتحمل
مسئوليته وساعده على ذلك أنه قاضى، وحاز شرفاً كثيراً من العلوم الشرعية واللغوية ،
ويضرب المثل بالمؤرخ الذى يسير فى منهجه التاريخى بروح وعقل القاضى ، فما بالنّا والمؤلف
محمد بن يحيى يشغل منصب القضاء ، وقد أرخ سيرة للخليفة عثمان بن عفان رضى الله
عنه.

تلك الفترة العصيبة فى أحداثها وقف كثير من المؤرخين حيالها فى حيرة وتردد أما
القاضى محمد بن يحيى فقد استعرض الأحداث واستنتج منها ما يبنى حكمه عليه كقاضٍ
نزيه يملك القوة العلمية والقدرة العقلية .

لعل هذا الكتاب من أنفس المصادر بين أيدينا ، حيث يصور لنا حقيقة تلك الفترة، فى وقت
كاد أعداء الإسلام أن يصوروها صورة مشينة تعكس تشويهاً وتشويشاً على الإسلام
والمسلمين ، وتظهر الخليفة عثمان بن عفان فى صورة تجعل المسلم يصدّ عنه .

لكن المؤلف عرض لنا مادة تاريخية استنفرتها من بين بطون الكتب ، ستتبيح لكثير من المؤرخين فرصة ذهبية كي يعودوا إلى ما كتبوه فيراجعوه ويصححوا فيه، ويضموا إليه ما يمدهم به من معلومات جديدة عن الأحداث التي أحاطت بخلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه، ونحن نعرف أن أحداث هذه الفترة لاتزال غامضة في كثير من جوانبها ، لقلة ما نشر من الكتب عن سيدنا عثمان وقتله .

لقد بدى لى من خلال الدرس والتحقيق أهمية هذا الكتاب وطريقة المؤلف فى الكتابة التاريخية والنقد التاريخى، وكيف أنها بالمقام الأول تتعلق بالناحية العقائدية والناحية العملية، لا الناحية النظرية ، ومن هنا تبدو أهمية هذا الكتاب فى بيان كثير من أوجه الحق وبحض الباطل وإبطال تدابير أهل السوء، وبيان تبرئة سيدنا عثمان رضى الله عنه مما دبرته يد الإثم والفساد من اليهود وأعوانهم .

يعتبر هذا الكتاب محاولة لتحليل الأحداث التاريخية التى دس فيها المتآمرون سمهم وشرهم، ومعرفة الأسباب التى نتج عنها مقتل الشهيد عثمان رضى الله عنه.

وقد اشتمل هذا البحث على بيان مدى أهميته، ودراسة عصر المؤلف محمد بن يحيى الأندلسى سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو العلمية، ومدى مشاركته فى الحياة السياسية والعلمية، كما اشتمل على دراسة المؤلف ومكانته العلمية والاجتماعية ومنصبه القضائى، وكذلك اشتمل على مجهوداته فى الكتابة التاريخية ، والداعى إلى تأليف الكتاب، ومحتوى الكتاب وتنظيمه، والنسق التعبيرى للكتاب ، ومدى أهميته، والمصادر التى اعتمد عليها المؤلف فى كتابة المخطوط من حيث نوعها والإسناد إليها وطريقة النقل منها.

كما اشتمل على النقد التاريخى للمؤلف من ناحية الكشف عن العامل الرئيسى فى توجيه الأحداث، ووصف الأحداث ، واستحسان التصرف ، والإفصاح عن عاطفته، والسخرية من التصرف ، ومواطن العبر والعظات، والتعليل والترجيح .

ثم اشتمل هذا البحث أيضا على وصف دقيق للمخطوطة.

عصر المؤلف

الحياة السياسية :

عاش القاضي محمد بن يحيى بين عامى (٦٧٤هـ - ٧٤١هـ) بالأندلس، بولاية «مالقة» فى ظل مملكة «غرناطة» تحت سيطرة الدولة النصرية، التى تنسب إلى أبى عبدالله الغالب بالله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس الخزرجى المعروف بابن الأحمر.

استطاع محمد بن الأحمر أن يُنشِئَ مملكة، ويحتفظ بها مع نفير من رجال الأندلس، تحت شعار « لا غالب إلا الله»، واستمرت مملكة غرناطة هذه مدة تبلغ قرنين ونصف رغم صغرها وقلة عدد سكانها، محافظة على ما بقى للمسلمين من سلطان سياسى ووجود حضارى معطاء. وهذه المدة كانت مملوءة بالصراع مع دول أسبانيا النصرانية، ورغم ذلك فكانت ثابتة ومواجهة للقوة العدية النصرانية، وبإمكانياتها المحدودة واجهت الإمكانيات الواسعة، مما جعل ذلك مثاراً للاستغراب والتعجب .

فى الوقت الذى كانت فيه مملكة غرناطة تمثل جانبا إسلاميا قويا يحكمها بنو الأحمر، كانت دول أسبانيا النصرانية تمثل جانبا مضاداً لها، متمثلة فى مملكة «قشتالة» و«نبارة» و«ليون» و«أرغون» و«البرتغال» .

ففى عهد «فرغانة» كانت ثلاث ممالك فى أسبانيا النصرانية «البرتغال» و«أرغون» و«قشتالة» ، وكانت قشتالة أقواهم ، فبجيوشها وملكها «فرانده» الثالث ومن معهم كان سقوط قرطبة سنة ٦٣٢هـ ، وأشبيلية سنة ٦٤٦هـ وجباية سنة ٦٤٣هـ ، وانتقلت عاصمة «قشتالة» من «طليطلة» إلى «إشبيلية» وبجيوش ملك «أرغون» جايمش الأول كان سقوط بلنسية ٦٣٦هـ . كانت هاتان الدولتان «قشتالة» و«أرغون» تتعاونان فى مهاجمة الأندلس والقضاء على الدولة الإسلامية، فى حين أن البرتغال كانت تعمل على ضم الأراضى الأندلسية الواقعة جنوبها فى ولاية الغرب (١).

الصراع بين بنى الأحمر وسلطات أسبانيا النصرانية:

كانت سلطات أسبانيا «النصرانية» بعد قيام مملكة غرناطة أكثر عنفاً فى مصارعتها بالنسبة لمسلمى «غرناطة»، وإن كانت الأحداث الداخلية فيها تشغلها لوقت ما، لكن «غرناطة» لم تكن تخلو من هذا المظهر ، ورغم ذلك فإن أية دولة من دول أسبانيا النصرانية منفردة كانت أقوى من مملكة غرناطة نظراً لإمكانياتها العسكرية فى العدة العدد والمورد.

كان محمد بن الأحمر - مؤسس مملكة «غرناطة» - يحاول تجنب الاصطدام بأسبانيا النصرانية ، وقد أوغل في ذلك أحياناً إلى درجة شاذة ومهينة في سنة ٦٦٠هـ ، حيث قامت قوات أسبانيا النصرانية باعتدائها على مملكة غرناطة أيام محمد بن الأحمر ، استطاعت قواتها بمساعدة المجاهدين من الغرب ردها وهزيمتها .

لكن هذه البادرة أثارت «الفونس العاشر» ملك «قشتالة» إلى مضاعفة الجهد ، فقام بهجمات عديدة أسقط من خلالها بعض الحصون ، فتجدد طلب الغوث من عدوة المغرب ومناطق إفريقية أخرى حتى تونس ، ثم عقدت سنة ٦٦٥هـ المسالة بين «غرناطة» والفونس العاشر ، تنازل ابن الأحمر له عن عديد من المناطق والحصون^(٧) . هكذا ذهبت المناطق الأندلسية في فترة وجيزة - حوالي ثلث قرن - ساقطة بيد جيوش أسبانيا النصرانية .

وفي سنة ٦٧١هـ عاد الفونس العاشر إلى مهاجمة الأراضى الأندلسية ، فوجه ابن الأحمر إلى أمير المسلمين السلطان المريني أبى يوسف يعقوب بن عبد الخالق الملقب بالمنصور يطلب النجدة ، لكن النجدة لم تصل إلا بعد وفاة ابن الأحمر أيام ولده محمد الثاني المعروف بالفقيه ، وكان هذا السلطان أوحده الملوك جلاله وصرامته وحزمه ، قام بالأمر بعد أبيه وياشره الوزير أيام حياته مجرى على سنن من اصطناع أجناسه ومدارة عدوه وإجراء صدقاته ، وفي عهده طما عليه بحر من الفتنة ، وتكاثر عليه الثوار ، وارتجت الأندلس هتبت لزلزالها وبذل من الدهاء والاحتياال ما أظفره بخلو جوه^(٨) .

في هذا العهد كان عصر القاضي محمد بن يحيى المالقي صاحب هذه الدراسة ، ففي عهده وصل الجيش المريني للنجدة ، وقوامه خمسة آلاف ، عبر إلى جزيرة «طريف» في ذى الحجة سنة ٦٧٣هـ ، ثم لحق به السلطان في صفر من السنة التالية ، وجرت لهم أحداث مع جيوش «قشتالة» فكانت المعركة الهائلة في يوم السبت الخامس من ربيع الأول سنة ٦٧٤هـ عند مدينة «إسّجة» جنوب غرب «قرطبة» ، وكان جيش «قشتالة» يفوق جيش المسلمين تحت إمرة القائد القشتالي الشهير «ألون نونيو دي لارا» صهر ملك «قشتالة» الفونس العاشر^(٩) ، وكان استعداد هذا الجيش القشتالي كبيراً في العدد والعدة ، مقبلاً على الحرب بقوة وأمل وقيادة مجرية مهرة في الحرب وخططها وما عرفت الهزيمة قبل ذلك^(١٠) ، ولكن المسلمين جاهدوا صابرين محتسبين وياشر أمير المسلمين المريني القتال بنفسه ومعه ابنه يوسف على المقدمة ، وقد نزل الأمير أبو يوسف عن فرسه وتوضأ وأسبغ الوضوء وصلى ركعتين ، ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء والمسلمون يؤمنون على دعائه ، ولما فرغ من دعائه قام فاستوى على جواده

واستعد للقتال ونادى على المسلمين فقال: يا معشر المسلمين وعصابة المجاهدين ، أنتم أنصار الدين، الذابون عن حماه ، والمقاتلون عداه، وهذا يوم عظيم ومشهد جسيم ، له ما بعده، إلا وإن الجنة قد فتحت لكم أبوابها وزينت حورها وأترابها، فبادروا إليها وجدّوا في طلبها، وأنزلوا النفاس في أثمانها ، ألا إن الجنة تحت ظلال السيوف ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾ (٦) ، فاغتنموا هذه التجارة الربحية، وسارعوا إلى الجنة بالأعمال الصالحة، وشمروا عن ساعد الجد في جهاد أعداء الله الكفرة ، وقتال المشركين الفجرة، فمن مات منكم مات شهيداً، ومن عاش رجع إلى أهله سالماً غانماً مأجوراً حميداً ﴿صَبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٧) فلما سمعوا منه هذه المقالة تآقت أنفسهم للشهادة ، وعانق بعضهم بعضاً للوداع ، والدموع تنسكب والقلوب لها وجيب وانصداع ، وكلهم قد طابت نفسه بالموت، وياعها من ربه بالجنة قبل الفوت، وارتفعت أصواتهم بالشهادة والتكبير، وكلهم يقول : عباد الله، إياكم والتقصير فتسابت أبطال المسلمين نحو جيش الروم معتمدة على الحى القيوم (٨).

لقد حازت الجيوش الإسلامية المغربية والأندلسية نصراً حاسماً في هذه المعركة ، وتشتت شمل الجيش القشتالى، وقتل قائده ، وترك القائد المرينى بالأندلس ثلاثة آلاف فارس لمعاونة إخوانهم الأندلسيين فى رد اعتداء جند «قشتالة» ومن معهم (٩).

وفى سنة ٦٧٧هـ عبر السلطان يعقوب المنصور إلى الأندلس للمرة الثانية، وتوغل بجيشه فى أراضى «قشتالة» والتقى بابن الأحمر ، ثم عاد السلطان يعقوب المنصور إلى المغرب، ولكن ابن الأحمر كان يتوجس من السلطان المرينى فتصرف تصرفاً شاذاً حيث تحالف مع ملك «قشتالة» الذى أنزل قواته فى الجزيرة الخضراء تبعاً لذلك، مما جعل السلطان المرينى المنصور يرسل ابن الأمير أبا يعقوب فى أسطول ضخم فى أوائل عام ٦٧٨هـ ويلتقى مع الأسطول البحرى القشتالى ويهزمه ، واضطرت القوات القشتالية إلى ترك الجزيرة الخضراء (١٠).

أرسل السلطان المنصور إلى ابن الأحمر فى وجوب التفاهم خشية على مصير المسلمين فى الأندلس من هذا المسلك ، ثم التفاهم وعقد التحالف وصفا الجور ، وبموجب هذا الوفاق أصبحت «مالقة» لبنة مريم لتكون محطة وقاعدة للقوات المرينية التى تعبر إلى الأندلس للجهاد فيه، كما نزحت مجموعة من المجاهدين إلى الأندلس للإقامة فيها ، وقد عرفت هذه المجموعة بمشيخة الغزاة (١١).

وفى سنة ٦٨١هـ خرج «شايخة» على أبيه «القونس العاشر» الذى عرف عنه ميله للعلم

وفى سنة ٦٨١هـ خرج «شايخة» على أبيه «الفونس العاشر» الذى عرف عنه ميله للعلم وكانت له صلات مع علماء الأندلس، مما أثار السخط على ولده فى مملكته^(١٢)، ولكن السلطان المنصور المرينى لم يهدأ حتى عبر إلى الأندلس لمعاونة «ألفونس»، ولكن «ألفونس» هرع للقائه فرهن تاجه عند السلطان وأمره بالمال والجيش^(١٣)، ثم توفى «ألفونس» المرينى فى سنة ٦٨٤هـ، وكان عبور السلطان المنصور إلى بلاد الأندلس للمرة الرابعة فى سنة ٦٨٤هـ واشتبك مع جيوش «قشتالة» فى البر والبحر، ورغب القشتاليون فى السلم فوفد على يوسف بن يعقوب بالجزيرة الخضراء وفد وعقد معه السلم^(١٤).

وفى سنة ٦٨٥هـ توفى أبو يوسف يعقوب المرينى المنصور قبل أن يعود إلى المغرب بعد حياة حافلة بالجهاد فى المغرب والأندلس وورث حكم المرينيين ابنه أبو يعقوب يوسف بن يعقوب، وأصبح له شأن فى الجهاد فى الأندلس إلى جانب إخوانه مسلمى غرناطة تحت زعامة محمد ابن الأحمر الفقيه الذى كان ذا نشاط واضح فى هذا الميدان ومهتما به^(١٥).

وفى ليلة الأحد ثامن شعبان من عام ٧٠١هـ توفى محمد بن الأحمر الفقيه وهو على مصلاه متوجها لأداء فريضته على أتم الأحوال^(١٦)، وخلفه ولده أبو عبدالله محمد الملقب بالملخوع، لأنه خلع فى سنة ٧٠٨هـ ليتولى الحكم أخوه نصر، وفى عهده ابتناء المسجد الأعظم بالحمراء من غرناطة، وما فيه من إبداع وجمال وظرف وتنجيد وترقيش، وغزى الجيش لأول مرة مدينة «المنظر» فاستولى عليها عنوة فتملك من اشتملت عليه، ومن جملتهم العلجة صاحب المدينة من أفراد عقائل الروم، فقدمت الحضرة فى جملة من السبى، وكان هذا الفتح عظيماً والصيت لأجله بعيداً.

وفى يوم عيد الفطر من عام ٧٠٨هـ تمت الحيلة عليه، أحيط به وهو زمن مصاب بعينه، حيث جاءت طائفة من كبار النولة ففتكت بوزير أبى عبدالله محمد المخلوع وأتوا بأخى السلطان واسمه «نصر» ونصبوه للسلطنة، ثم هاجموا منزل السلطان محمد المخلوع وجعلوا عليه الحرس، وسال من الغوغاء البحر، فتعلقوا بالحمراء يسألون عن الحادثة، فشغلوا بنهب نور الوزير الكائنة بالربض وبها من مال ونخيرة وكتب وأثاث وسلاح وفرش وأنية وخرثى^(١٧)، ما يفوق الوصف فكانت الفجيعة فى إضاعته على المسلمين عظيمة، وانطلقت عليه الأيدى الخبيثة وفى آخر اليوم المذكور أدخل على السلطان قوم من الفقهاء، أشهدهم بخلع نفسه ونقل إلى القصر المنسوب إلى السيد بخارج الحضرة، أقام به يسيراً، ثم إلى مدينة «المنكب»^(١٨).

وتولى الحكم أخوه نصر الذى فى عهده ساءت العلاقات مع بنى مرين وجرت الأحداث الداخلية فى مملكة غرناطة ، ثم أرغم «نصر» على التنازل فى سنة ٧١٣هـ ليتولى الحكم أبو الوليد إسماعيل بن مزج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد، وكان هذا السلطان وافر العزم، وطّد الأمن وأشاع الاستقرار وأعاد عهد الجهاد، وحين عاد القشتاليون إلى مهاجمة الأراضى الإسلامية استتجد أبو الوليد بالسلطان المرينى الذى رفض المساعدة نتيجة لعدم استجابة أبي الوليد لمطالب معينة. ولكن المواجهة كانت حاسمة بين الجيش الإسلامى والجيش القشتالى الذى حركته نزعة صليبية ، وذلك فى ربيع الثانى سنة ٧١٨هـ حيث حدثت معركة قرب مدينة غرناطة فى حرب غير متكافئة تماماً، لكن المسلمين الموجودين فى الصفوف ، كانوا الصفوة المختارة بقيادة شيخ الغزاة أبى سعيد عثمان بن أبى العلاء الذى أخلص وجنده النية لله مجاهدين مستشهدين ، فكان نصراً حاسماً^(١٩).

وفى سنة ٧٢٥هـ اغتيل أبو الوليد إسماعيل الغالب بالله سلطان غرناطة، فخلفه ولده أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن فرج، وكان معدوداً فى نبلاء الملوك وأبناء الملوك، صرامة وعزّة وشهامة وجمالاً وخصلاً ، وأخذت له البيعة يوم الثلاثاء السابع والعشرين من رجب عام ٧٢٥هـ^(٢٠). وفى عهده استطاع المسلمون استعادة جبل طارق بمساعدة بنى مرين سنة ٧٣٣هـ بعد أن احتله القشتاليون أيام «فرانده» الرابع منذ سنة ٧٠٩هـ^(٢١).

وفى عهد أبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن فرج تولى الأحكام الشرعية شيخنا الإمام العلم الأوحد خاتم الفقهاء وصدر القضاة العلماء محمد بن يحيى الملقى موضوع هذه الدراسة ، وقد استمر له الحكم إلى تمام مدة هذا السلطان وصدرًا من أيام أخيه بعده^(٢٢)، إلا أن سلطان غرناطة أغتيل عندما توغرت عليه صدور رؤساء جنده المغاربة ، وكانت وفاته يوم الأربعاء الثالث عشر من ذى الحجة عام ٧٣٣هـ^(٢٣). فورثه أخوه أبو الحجاج يوسف الأول أبو الوليد إسماعيل الذى كان من أبرع ملوك بنى الأحمر بعيد الهمة ، عالى الخلال شاعراً عالماً وحامياً للعلوم والفنون، وهو الذى أضاف إلى قصر الحمراء منشآت كثيرة^(٢٤).

وقعة «طريف» التى مات فيها المؤلف :

حدثت هذه الواقعة فى عهد السلطان أبى الحجاج يوسف الأول بالقرب من «طريف» ولذا سميت بوقعة «طريف» تجهز على إثرها المسلمون لرد القشتاليين ومن معهم ، وكان المرينيون بقيادة سلطانهم أبى الحسن على بن عثمان بن أبى يعقوب ، والأندلسيون بقيادة سلطان غرناطة أبى الحجاج يوسف الأول^(٢٥). نشبت المعركة بين الطرفين فى سابع جمادى الأول سنة

٧٤١هـ . واستعمل فيها نوعاً من المدافع تقذف النيران (٢٦)، وقد نما هذا النوع من السلاح مستعملاً فيما بعد (٢٧)، لكن المسلمين خسروا هذه المعركة ، وارتكب القشتاليون المناكر في المعسكر الإسلامي وغنموا ما فيه.

وقد حضر هذه المعركة عدد من العلماء الأكابر والأعلام، واستشهد بعضهم ، من بين هؤلاء العلماء القاضي محمد بن يحيى الخالقي صاحب هذه الدراسة ، الذي فقد في مصافحها وتحت لواء جهادها ، رابط الجأش مجتمع القوى إلى أن نال الشهادة (٢٨). وذلك ضحى الاثنين السابع من جمادى الأولى عام سبعمائة وواحد وأربعين من الهجرة من غير عقب من الذكور (٢٩). ومن هؤلاء أيضاً: أبو محمد عبدالله بن سعيد السلماني والد الوزير والأديب لسان الدين ابن الخطيب ، وقد فقد يوم الواقعة الكبرى بظاهر «طريف» (٣٠) .

وأبو القاسم محمد بن جزى ، وهو أحد شيوخ ابن الخطيب ، وصاحب «المزلفات»، وكان فقيهاً حافظاً ، قائماً على التدريس مشاركاً في فنون كثيرة في العربية والفقه والأصول والقراءات والأدب والحديث، وكان حسن المجلس ، ممتع المحاضرة ، قريب الفور صحيح الباطن، فقد وهو يحرض الناس ويشحذ بصائرهم ويثبتهم يوم «طريف» (٣١).

كذلك ابن مرزوق أحد شيوخ لسان الدين بن الخطيب (٣٢)، وصديق ابن خلدون (٣٣)، وهو عالم فاضل، غاص المنزل بالطلبة ، منقاد للدعوة، بارع الخط أنيقه، عذب التلاوة متسع الرواية، مشارك في فنون من أصول وفروع وتفسير، يكتب ويقول شعراً، ويقيد ويؤلف ، فلا يعدو السداد في ذلك، فارس منبر غير جزوع ولا هيب (٣٤).

. أثر القاضي محمد بن يحيى في أحداث عصره:

رغم هذه الأحداث والاضطرابات السياسية في عهد القاضي محمد بن يحيى، إلا إنه لم يكن سلبياً تجاهها، بل كان إيجابياً متفاعلاً معها ، متأثراً بها ومؤثراً فيها.

فمن تأثره بها أنها كشفت عن معدنه الأصيل، وأبرزت لنا معالم شخصيته في نصرة الحق وتفريق مجتمعات أرباب البدع، وشدد على أهل الأهواء بالسجن والأدب على سبيل في ذلك كله، من إتباع السنة وإطراح الأهواء وخفض الجناح لأهل الخير، وملازمة للأقراء مع التعليم وعقد مجالس الحديث شرحاً وسماعاً (٣٥).

وأما أثره في الأحداث، فقد استمر على عمله من الاجتهاد، ورغبته في الجهاد حيث كان بين المسلمين المجاهدين يوم وقعة «طريف» يشحذ البصائر، ويشير على الأمير أن يكثّر من

قول «حسبنا الله ونعم الوكيل» وهو رابط الجأش مجتمع القوى غير هياب إلى أن استشهد في تلك الموقعة (٣٦).

الحياة الاجتماعية :

عاش القاضي محمد بن يحيى في ولاية «مالقة» بالأندلس تحت حكم بنى الأحمر في مملكة غرناطة، في منطقة تتسم من قبل مجئ محمد بن يحيى هذا، بعدم الاستقرار ؛ نظراً للصراع المتمثل في الحروب الصليبية، وشدة ضغط النصارى على المسلمين وزيادة عن ذلك تفرق المسلمين أنفسهم. غير أن قنوم بنى الأحمر ومحاولتهم جمع الشمل ، وتوحيد أكبر قدر من مدن الأندلس لإنشاء دولة قوية وإيجاد مجتمع مترابط ، يقف الجميع في وجه العدو الصليبي، كل ذلك كان أمراً واجباً ولا بد وأن يحدث ، وقد تحقق ذلك لمدة تفوق عصر المؤلف إلى ما بعد وفاته بكثير من السنوات، ورغم ذلك فإن المجتمع لم يخلُ من الصراع والاضطراب والاستعداد للحروب وتحمل الهزيمة وغير ذلك من الأمور التي تعطي المجتمع صبغة المجتمع غير المستقر . وهذا المجتمع يضم بين جنبه أصحاب ديانات مختلفة، منهم المسلمون ومنهم النصارى وهاتان الفئتان لا يخفى أمرهما على أحد لما بينهما من الصراع. كما يوجد أيضاً اليهود، وقد أخذ السلطان إسماعيل بن فرج بن إسماعيل أمير المؤمنين بالأندلس يهدد الدولة بالتزام سمة تشهرهم ، وشارة تميزهم ، وليوفى حقهم في المعاملة التي أمر بها الشارع في الخطاب والطرق، وهي شواشي صفر (٣٧).

لقد حفل مجتمع الدولة النصرية بعدد من الفئات والطوائف المختلفة التي تمثل المجتمع كله بشتى جوانبه.

أما عن مظاهر الحياة الاجتماعية فكانت تعكس صورة المجتمع أو جانباً كبيراً من حياته فوجود مجالس الطرب والغناء والشراب تعد ظاهرة اجتماعية ، ولكن القائمين على أمر البلاد لا بد وأن يكون لهم موقفاً إيجابياً من مثل هذه المظاهر ، حتى تسود المجتمع روح الجدية والاستقامة ، وهذا ما كان موجوداً في عصر القاضي محمد بن يحيى المألقي ، فقد أشفق السلطان إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف الخزرجي ت ٧٢٥هـ على هذه الظاهرة ، واشتد في إقامة الحدود وإراقة المسكرات ، وحظر تجلى القينات للرجال في الولائم، وقصر طربهم على أجناسهم من الناس (٢٨).

كما كان لأهل البدع وجود في تلك الفترة ، فاشتد السلطان إسماعيل بن فرج عليهم، وقصر الخوض على ما تضطر إليه الملة (٣٩).

إن أحوال المجتمع الذى عاش فيه القاضى محمد بن يحيى الملقى من حيث الدين وصلاح العقائد ، أحوال سيئة، والنحل فيه معروفة ، ومذاهبهم على مذهب الإمام مالك بن أنس، وطاعتهم للأمراء محكمة، وأخلاقهم أيية فى معانى المنازعات ، وأنسابهم عربية ، وفيهم من البربر والمهاجرة كثير، وقوتهم البر الطيب عامة العام، وربما اقتات فى فصل الشتاء الضعفة والبوادي والفلة الفلاحة الذرة الرفيعة. كما يسخرون العنب سليماً من الفساد إلى شطر العام إلى غير ذلك من التين والزبيب والتفاح والرمان والقسطل والبلوط والجوز واللوز إلى غير ذلك (٤٠).

والمرأة فى ذلك العصر عُرِف عنها الهيئة الطيبة وجمالها العظيم وطيب النشر، وخفة الحركات ونبل الكلام وحسن المحاوره (٤١).

وامتزاج العرب بالبربر بالأندلسيين أدى إلى امتزاج حضارى، هذا الامتزاج أدى إلى تبادل كثير من التقاليد والعادات الاجتماعية .

ووجه العرب فى بلاد الأندلس نشاطهم إلى كل فرع من فروع العلوم والصناعة والفنون فاكثروا من إنشاء الطرق والجسور والفنادق والمشافى والمساجد فى كل مكان. كما كان تأثير الفن المعماري العربى فى فن عمارة النصارى الذى حل محله فى أسبانيا عظيماً إلى الغاية ، وكان النصارى يستخدمون العرب قبل إجلائهم فى إقامة المباني أو الإصلاح ، فنشأ عن نماذج الفنين ظهور الفن الجديد (٤٢).

وكانت الإمامة الثقافية للعرب فى البلاد، وأما العوام فكانوا من البربر ومن سكان البلاد القدماء، وكان باب المناصب مفتوحاً للنصارى، وكان النصارى يستخدمون فى الجيش غالباً ، ولم يكن توالد المسلمين والنصارى غير قليل (٤٣).

الحياة العلمية :

اتضح من الحديث عن الحالة السياسية فى عصر القاضى محمد بن يحيى مدى الاضطراب السياسى والصراع بين المسلمين ونصارى الأندلس، ورغم هذا، فإن الحياة العلمية كان لها كيانتها ومكانتها فى بلاد الأندلس ، وبخاصة مدينة «مالقة» و«غرناطة» هاتان المدينتان اللتان عاش فيهما القاضى محمد بن يحيى، وتولى منصب القضاء فيهما .

اهتمام كبار الدولة بالحياة العلمية :

كان الاهتمام بالناحية العلمية أمراً ملموساً من جانب كبار الدولة ، كالسلطان نصر بن محمد بن يوسف بن نصر ت ٧٢٢هـ ، فقد كان محباً للعلم وأهله (٤٤)، أخذاً يحظ وافر من

علم الفلك ، وله باع فى خط التقاويم الحسنة والجداول الصحيحة وصناعة الآلات العجيبة^(٤٥).

وقد اهتم أيضا السلطان يوسف بن اسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف ت ٧٥٥هـ ببناء المدارس العجيبة التى يعدها الناس بكر المدارس^(٤٦).

ومما يدل على مدى الاهتمام بالناحية العلمية، أن السلطان محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ت ٧٠١هـ كان يؤثر العلماء على شتى مناحى تخصصاتهم من الأطباء والمنجمين والحكماء والكتاب والشعراء^(٤٧). وكان السلطان محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ت ٧١٠هـ يصفى إلى الشعر ويثب عليه الشعراء، وكان يعرف مقادير العلماء^(٤٨). وكذلك السلطان أبو الحجاج يوسف الأول أبو الوليد إسماعيل، الذى كان من أبرع ملوك الدولة النصرية، كان بعيد الهممة عالى الخلال، شاعراً عالماً وحامياً للعلوم والفنون^(٤٩).

كما كان العلماء يحتلون مكانة عظيمة يحظون بها عند أمير المسلمين بالأندلس، فقد كان الفقيه الجليل أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن ت ٦٩٩هـ يحتل خطوة لطيفة عند أمير المسلمين^(٥٠).

وكذلك اهتم أصحاب الأموال المترفين بالعلم والعلماء ، فبنى محمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصارى، ت ٧٥٤هـ مدرسة عظيمة غرب المسجد الأعظم ووقف عليها الرياع، وابتنى غيرها من المساجد^(٥١).

طائفة من العلماء:

عاش القاضى محمد بن يحيى فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى، وكانت هذه الفترة بالنسبة للأندلس - وخاصة غرناطة- من حيث التفكير والأدب فترة تضج وازدهار، حيث ظهرت طائفة من كبار المفكرين والشعراء الذين أعابوا روعة الأدب الأندلسى فى أعظم صورته^(٥٢).

كان الاهتمام بالعلم فى هذا العصر أمراً ملموساً، وكان انتشار العلوم بأنواعها يحتل مكانة مرموقة فى بلاد الأندلس، فكان العصر عصر رواج للعلم، سواء العلوم الدينية أو اللغوية أو العقلية، وكانت الحركة العلمية نشطة ترعرع فى ظلها العلم، ووجدت طائفة من جهابذة العلماء، امتلأت بأخبارهم ومآثرهم المصادر والمراجع الأندلسية.

ففى اللغة والأدب والشريعة مثل أبو عبدالله الفخار، شيخ النحاة فى عصره، وأبو القاسم محمد بن على الحسينى، والمحدث شمس الدين بن جابر الوادى آشى، وأبو عبدالله مرزوق،

والقاضي أبي البركات بن الحاج البلفيقي. وكذلك في الأدب والشعر، أبي عبدالله بن الحكيم اللخمي، وأبي الحسن بن الجياب. وفي الطب والفلسفة، حكيم العصر الشيخ أبو زكريا يحيى بن هذيل.

وفي التاريخ لسان الدين بن الخطيب وغيرهم، كثير، ومن بين هؤلاء العلماء الذين أضاعوا بعلمهم الأندلس وغير الأندلس، القاضي محمد بن يحيى المالقي صاحب هذه الدراسة، الذي استفاد من العلماء، وتكونت شخصيته العلمية التي جعلته يحتل مكانة رفيعة بين أقرانه من العلماء، وأصبح عارفاً بالأحكام والقراءات والحديث والأنساب، والعربية واللغة والعروض والفرائض والحساب^(٥٢).

لقد راجت العلوم الشرعية واللغوية والعقلية في عصر القاضي محمد بن يحيى المالقي ببلاد الأندلس، مما كان لها أكبر الأثر في حياته العلمية، وقد شارك فيها وأسهم بنصيب كبير بمجالسه العلمية في علوم مختلفة وبتأليفه كتاب، «التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان بن عفان» الذي نحن بصدد الحديث عنه وعن منهج المؤلف فيه.

الموسوعية في العلم:

كثير من العلماء خلال القرنين السابع والثامن الهجريين اللذين عاش فيهما القاضي محمد ابن يحيى لم يكتفوا بعلم واحد أو اثنين، بل حازوا شرف كثير من العلوم والفنون، مثل: ابن جزى أحمد بن محمد بن أحمد بن جزى الكلبي ت ٧١٥هـ، كان له مشاركة حسنة في فنون متنوعة من فقه وعربية وأدب وحفظ وشعر تسمو ببعضه الإجازة إلى غاية بعيدة^(٥٤). وكذلك أحمد بن محمد بن أحمد بن سعدة العامري ت ٦٩٩هـ، كان مشاركاً في كثير من الفنون، جزلاً مهماً ريان من العربية، وقد قرأ الفقه وأصوله، وكان صدرراً في الفرائض والحساب، وألف في التاريخ كتاباً عن تاريخ قومه^(٥٥). وأحمد بن عبد الحق بن محمد بن يحيى الجزلي ت ٧٦٥هـ، كان من صدور أهل العلم والتقن تطلع بصناعة العربية، عارفاً بالفروع والأحكام، والطب، والأدب، قائم على العربية والقراءة، حسن الحظ^(٥٦). وأحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان المالقي ت ٧٦٣هـ، بقية الأعلام أديب من الأدباء، ناظم ناثر عارف ثاقب المذهب، إمام الفرائض والحساب والأدب والتوثيق، ذاكرًا للتاريخ واللغة، شارك في الفلسفة والتصوف، كلف بالعلوم الإلهية^(٥٧). والحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي ت ٦٩٩هـ، كان متفنتاً في عدة معارف، أخذ من كل علم سنى بحظ وافر، حافظاً للحديث والتفسير، ذاكرًا للأدب واللغة والتواريخ، شديد العناية بالعلم، حسن اللقاء لطلبة العلم^(٥٨).

ويُعد القاضي محمد بن يحيى الملقى، صاحب هذه الدراسة من الموسوعيين أيضاً ، فقد كان من صدور العلماء عارفاً بالأحكام والقراءات عرافاً بالحديث تاريخاً وإسناداً وجرحاً وتعديلاً ، حافظاً للأنساب والكنى، قائماً على العربية، مشاركاً في الأصول والفروع واللغة والعروض والفرائض والحساب (٥٩).

دراسة المؤلف

اسمه ونسبه (٦٠):

هو أبو عبدالله محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن أبي بكر (٦١) بن سعيد الأشعري الملقى (٦٢). ويعرف بابن أبي بكر، من ذرية بلج بن يحيى بن خالد بن عبد الرحمن بن يزيد بن أبي بردة، واسمه عامر بن أبي عامر بن أبي موسى، واسمه عبدالله بن قيس صاحب رسول الله ﷺ ، وقد ذكره الإمام ابن حزم (٦٣) في جملة من دخل الأندلس من العرب (٦٤).

ولادته ونشأته :

ولد محمد بن يحيى في أواخر ذي الحجة من عام أربعة وسبعين وستمائة (٦٥). وقد لازم - قبل سن التكليف - صهره الشيخ الفقيه الوزير أبا القاسم بن محمد بن الحسن، وقد قرأ عليه بمنزله القرآن الكريم وتأدب معه (٦٦). إن هذا كله يعطينا تصوراً عن نشأته بين أحضان العلم والعلماء فنول ما سمعت أذنيه كتاب الله عز وجل ، وأول ما شبّ تأدب في بيت علم وسلطان ، وشمله أهل العلم بعنايتهم ورعايتهم .

رحلاته وشيوخه :

منذ نعومة أظفاره قرأ ببلدة «مالقة» القرآن الكريم على الوزير أبي القاسم بن محمد بن الحسن وتأدب معه وكان يقرأ بمنزله ثم أخذ عن الراوية أبي عبدالله محمد بن عباس الخزرجي، والخطيب الولي أبي الحسن بن فضيلة ، والأستاذ أبي الحسن بن اللباد المدني، ورحل إلى مدينة «سبته» فأخذ بها عن أبي علي بن أبي النقي طاهر بن ربيع، وأبي فارس عبد العزيز الهواري، وأبي إسحاق التلمساني وأبي عبدالله بن الخضار والمقرئ أبي القاسم بن عبد الرحيم، والأستاذ أبي بكر بن عبيدة، كما رحل إلى أهل المشرق فأجازته الإمام شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي بمصر، كما سمع الراوية المحدث أبا المعالي أحمد بن إسحاق القوصي بمصر مع جماعة من المصريين والشاميين وغيرهم.

ثم رحل وعاد إلى بلده «مالقة» وقد سار سباق الحلقات معرفة بالأصول والفروع العربية واللغة والتفسير والقراءات^(٦٧).

مكانته العلمية:

مما لا شك فيه أن المنزلة العلمية والمكانة الاجتماعية التي تبوأها الوزير أبو القاسم بن محمد بن الحسين من جهة، وعنايته بالقاضي محمد بن يحيى ورعايته منذ البداية وتأديبه له من جهة أخرى، كان لها أكبر الأثر وأوضحه في تكوين شخصية القاضي محمد بن يحيى المالقي العلمية، ونبوغه مبكراً، مما جعله يحتل مكانة رفيعة بين أقرانه من العلماء في العصر الذي عاش فيه مما يدل على مدى اتساع ثقافته ونبوغه في فنون العلم المختلفة والمتعددة، التي برع فيها، فنال بها إعجاب شيوخه والمتعلمين والمستمعين وغيرهم، فهو عارف بالأحكام والقراءات، وفي الحديث تاريخاً وإسناداً وتعديلاً وتجريحاً حافظاً للأنساب والأسماء والكنى.

وكان قائماً على العربية مشاركاً في الأصول والفروع، واللغة والعروض والفرائض والحساب، وكان مخفوض الجناح، حسن التخلق، عطوفاً على الطلبة، محباً للعلم والعلماء، مجلداً لأهله^(٦٨).

تصدر في فنون العلم، وكان حريصاً على الاستفادة فنفع وأدب وخرج وهذب، لم يزل ملازماً أيام قضائه للإقراء مع التعليم. وكان لا يتكلم بغير العلم إلا عن ضرورة، وبقي كذلك زماناً، ويدرس بالمسجد القريب من منزله احتساباً، ثم تقدم ببلاده للوزارة ناظراً في أمور العقد والحل، ومصالح الكافة^(٦٩).

مكانته الاجتماعية:

إلى جانب المكانة العلمية التي تمتع بها القاضي محمد بن يحيى المالقي، كانت له مكانته الاجتماعية المرموقة في نفوس معاصريه، وكل من عرفه أو ارتبط معه بوشيجة من علم أو عمل، فقد أثنى عليه مترجموه، ووصفوه بكثير من عبارات المدح والثناء والتخلق بجميل الصفات، والإكثار من النصيح للآخرين، والصبر على الإسماع من غير ملل ولا ضجر، هذا، بجانب الإشادة بأخلاقه وفضله وزهده وورعه وديانته، والحق كذلك، فقد كان - رحمه الله - قاضياً وعالماً فاضلاً، فقد ذكره القاضي المؤرخ أبو الحسن بن الحسين فقال: كان أبو عبد الله بن أبي بكر صاحب عزم ومضاء، وحكم صانع وقضاء.

كان له مع كل قرار صولة، وعلى كل رابع لا يعرف ذرة، فأنحرق قلوب الحسدة والصب، وأعز الخطة بما أزال عنها من الشوائب، وذهب وفضفض كواكب الحق بمعارفه، ونفذ في المشكلات، وثبت في المؤهلات واحتج وبكت وتفقّه ونكّت^(٧٠).

توليه القضاء:

تولى محمد بن يحيى الأحكام الشرعية ، وهو ملقب بكلمة الإمام العلم الأوحى ، خاتمة الفقهاء ، وصدر القضاة العلماء ، فاستمر فى منصبه طيلة تولى الأمير محمد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد فى الدولة النصرىة بالأندلس ، واستمر له الحكم إلى تمام مدته ، وصدرًا من أيام أخيه بعده ، يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف (٧١) .

لقد ولى القضاء ببلده «مالقة» فأعز الخطة ، وترك العداوة وإنفاذ الحق (٧٢) . ملازمًا للقراءة محافظًا للأوقاف ، حريصا على الإفادة.

ثم ولى القضاء والخطابة بقرنطة ، فى العشر الأول لحرم عام سبعة وثلاثين وسبعمائة ، فقام بالوظائف وصدع بالحق وجرح الشهود فزيف منهم ما يتيف على السبعين عددا ، واستهدف بذلك إلى معاداة ومناضلة خاص ثبجها وصارم تيارها ، غير مبال بالمغبة ، ولا حافل بالتبعة ، فناله لذلك من المشقة والكيد العظيم ما نال مثله .

وربما نحا فى بعض أحكامه أنحاء مصعب بن عمران ، أحد القضاة قديما بقرطبة ، فكان لا يقلد مذهباً ، ويقضى بما يراه صوابا ، وإذا قلنا عن القاضى محمد بن يحيى المالىق إنه كان فى شدائد أحكامه أشبه علماء وقته بسحنون بن سعيد ، لم يكن فى ذلك ببعيد ، فإنه أدب الناس على الحلف بالإيمان اللازمة ، وأنكر سوء الحال فى الملابس ، وفرق مجتمعات أرباب البدع ، وشدد على أهل الأهواء بالسجن والأدب ، على سبيل فى ذلك كله من اتباع السنة وإطراح الهوى له ، وخفض الجناح لأهل الخير (٧٣) .

وفاته :

فُقد القاضى محمد بن يحيى فى مصاب المسلمين يوم المناجزة «بطريف» شهيداً محرصاً (٧٤) . تلك الموقعة العظيمة التى نشبت بين الجيوش الأسبانية المتحدة بقيادة الفونس الحادى عشر ملك «قشتالة» وبين الجيوش المغربىة بقيادة السلطان أبى الحجاج يوسف الأول سلطان غرناطة بالقرب من «طريف» وعلى ضفاف نهر «سالادو» الصغير (٧٥) . وقد زعموا (٧٦) أن بغلة كان عليها كبٌ به ، وأفاق رابط الجأش ، مجتمع القوى ، وأشار عليه بعض المنهزمين بالركوب فلم يكن عنده قوة عليه . وقال : انصرف هذا يوم الفرح ، إشارة إلى قول الله عز وجل ، فى الشهداء : «فرحين بما آتاهم الله من فضله» (٧٧) ، وذلك ضحى يوم الاثنين السابع من جمادى الأول عام واحد وأربعين وسبعمائة (٧٨) .

مجهودات القاضي محمد بن يحيى فى الكتابة التاريخية

يعتبر كتاب «التمهيد والبيان فى مقتل الشهيد عثمان» من أعظم مجهودات القاضي محمد ابن يحيى المالى، حيث قصد بهذا الجهد وجه الله عز وجل دفاعاً عن الصحابى الجليل عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، ورد كيد الكائدين وحقد الحاقدين فى نحورهم ، وإبطال كل افتراءاتهم.

فرغ القاضي محمد بن يحيى من جمع هذا الكتاب وتأليفه فى يوم الثلاثاء خامس عشر ذى القعدة من سنة تسع وتسعين وستمائة (٧٩).

فكلمة «التمهيد» تعنى التهيئة للحديث عن مقتل الشهيد عثمان بن عفان رضى الله عنه وبسط الأمور المحيطة به ، وذلك بذكر أبواب عدة عن حياة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه، متمثلة فى ستة أبواب، ويأتى الحديث عن مقتله فى الباب السابع. أما كلمة «البيان» فتعنى إظهار الحق وكشف حقائق الأمور حول مقتل الشهيد عثمان بن عفان رضى الله عنه.

وقد جاء التصريح فى مقدمة المخطوطة بموضوعها ، فقال المؤلف : فهذا كتاب أذكر فيه مصرع الإمام عثمان بن عفان ، وأحواله وبعض سيرته، وقد جاء التصريح فى الصفحة الأخيرة من المخطوطة ببيان باسم الكتاب بنصه المعروف المثبوت وهو «التمهيد والبيان فى مقتل الشهيد عثمان» وهذه هى النسخة الوحيدة للمخطوطة ، وهى مزيدة، وليس بها صفحة العنوان، ولكن فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية قد اعتمد على هذا الاسم وذكره (٨٠).

وبعد الاطلاع على مصادر ومراجع متعددة تبين صحة نسب كتاب «التمهيد والبيان» للقاضى محمد بن يحيى، فقد ذكره البغدادى، «صاحب هدية العارفين» (٨١). والزركلى صاحب كتاب «الأعلام» (٨٢). كما ذكره عمر رضا كحالة فى كتابه «معجم المؤلفين» (٨٣) والبغدادى فى كتابه «إيضاح المكنون» (٨٤)، وكارل بروكلمان فى تاريخه (٨٥).

الدأى إلى تأليف الكتاب:

أوضح المؤلف فى مقدمة الكتاب أنه ألف هذا الكتاب لى يذكر مصرع الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، وأحواله وسيرته، بمنهج يتوخى فيه العدل من غير ميل أو تعصب (٨٦). خاصة أن هذا الموضوع يمس خليفة من الخلفاء الراشدين، وصحابياً جليلاً من العشرة المبشرين بالجنة ، وصحابياً عظيماً تزوج اثنتين من بنات النبى محمد صلى الله عليه وسلم، وصحابياً من الصحابة الذين اعتمد عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فى كتابة الوحى.

إن كثيراً من البحوث قد تردّد خلافات عفى عليها الزمن، وتوجه اتهامات باطلة تجاه الخليفة عثمان بن عفان ، فى حين أن الصحابة الكرام أسمى أخلاقاً وأصدق إخلاصاً لله، وترفعاً عن خسائس الدنيا من أن يختلفوا للدنيا . خاصة وأن الأيد الخبيثة فى العصر الأول قد عملت على إيجاد الخلاف وتوسيعه ، وهذه الأيد الخبيثة ما زالت فيما بعد تصور الوقائع بغير صورتها الحقيقية، بل تلبسها ثوباً غير ثوبها الحقيقى، مما يشوه صورة هؤلاء الأنجم فى سماء العظمة والشموخ والقوة الحسنة التى قال عنها النبى صلى الله عليه وسلم : «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».

لقد كتب المؤلف كتابه هذا- وكأنى به- ليكون بياناً لما كان عليه هذا الصحابى الجليل من صفات الكمال، وإدحاضاً لما ألصق به ، وليكون صيحة مدوية من صيحات الحق، توقظ المسلمين إلى هذه الدسيسة التى دسها عليه أعداؤه ومبغضوه من اليهود ومن الذين ضلوا الطريق وساروا خلفهم.

محتوى الكتاب وتنظيمه :

تعتبر المادة العلمية لكتاب « التمهيد البيان » سيرة للخليفة عثمان بن عفان، وعرض للاتهامات التى ألصقت به ، ومناقشتها وبيان وجه الحق والصواب والتعرض لمصرعه وقوى الشر التى دبرت المؤامرات فلودت بحياة الخليفة عثمان رضى الله عنه . وقد سار المؤلف فى عرض مادة الكتاب متوخياً العدل ، كما قال وكما اشترط فى مقدمة الكتاب بلا ميل أو تعصب ، وكانت مادته على النحو التالى:

اشتملت مادة الكتاب على نقول من المصادر والمراجع التى سبقت المؤلف، وأحياناً من ثقافته بدون مصدر، ويظهر ذلك فى كثير من عرضه لمادته ، حيث عرض باباً موجزاً تحدث فيه عن نسب الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وذكر أولاده وزوجاته ، ونسب كل أبنائه وبناته إلى كل أم ينسبون لها .

كما تعرض لبعض المواقف التى صحبته فى زواجه من ابنتى النبى صلى الله عليه وسلم ، وذكر بعض الآيات التى نزلت فى ذلك، مثل قوله عز وجل: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ»^(٨٧)، وذكر أخباراً عن إسلامه رضى الله عنه وعن هجرته، أحياناً يذكرها بسندها عن الكتاب الذى نقل منه، وأحياناً بدون سند، كما ذكر كيف تمت له البيعة بالخلافة، وقصة الشورى التى أعدها سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقد مهد لذلك بالحديث عن مقتل سيدنا عمر بن

الخطاب رضى الله عنه، من بين روايات كتب الحديث الستة الصحيحة خاصة صحيح البخارى ذاكراً خبر قتله على يد أبى لؤلؤة المجوسى ، غلام المغيرة بن شعبة واسمه «فيروز» .

كما أتى بمادة علمية فى هذا الأمر من بعض المصادر التى أصبحت فى هذه الأيام بعيدة عن أيدي الباحثين، بسبب فقدانها ، مثل كتاب الفتوح الكبير لسيف بن عمر التميمى.

ولم ينس المؤلف أن يذكر لنا مادة علمية تحتوى على فضائل سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه، من أوصح الكتب كالبخارى ومسلم. فذكر بشارة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالشهادة ، وقد بشره بذلك كعب الأحبار ، ولا ينسى أن يزين مادته بأبيات الشعر، كما زينها من قبل بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، والأقوال الماثورة عن الصحابة الكرام.

كما ذكر ما قد صنعه سيدنا عثمان رضى الله عنه حين ولى أمر الخلافة معتمداً فى ذلك على المادة العلمية التى ذكرها سيف بن عمر فى كتابه «الفتوح الكبير» من ذكر للولاة فى الكوفة وخراسان وما وراء النهر وغير ذلك. وتعرض أيضاً لذكر الكتب التى كتبها سيدنا عثمان رضى الله عنه إلى عماله فى أول خلافته ، وكذلك إلى أمراء الجنود، وإلى عمال الخراج، وإلى العامة. وذكر أيضاً من الأمور التى اتخذها عثمان رضى الله عنه- وكان أول من فعل ذلك- دور الضيافة بالكوفة.

كما اشتمل الكتاب الذى بأيدينا على الأمور التى خاض فيها أصحاب النفوس المريضة، والتى تقموا بها على سيدنا عثمان رضى الله عنه كاستعمال عبدالله بن أبى سرح على مصر، وإتمام سيدنا عثمان رضى الله عنه الصلاة «بمنى» والزيارة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمنافرة بين سعد بن أبى وقاص وعبدالله بن مسعود، وولاية الوليد بن عقبة على الكوفة، وتعرض أيضاً لمن قدح فى أمر الوليد بن عقبة ، وحديث المصاحف وتحريفها ، وغير ذلك من الأمور التى تقمها هؤلاء المغرضون على الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه.

واشتمل هذا الكتاب أيضاً على مادة علمية تعدّ من أهم ما يكون، وهى التحرك الأول لقوى الشر فى شأن سيدنا عثمان رضى الله عنه من بين أفرادها: مالك الأشتر، والأسود بن يزيد ، وعلقمة بن قيس، وصعصعة وعبدالله بن سبأ اليهودى وأصحابه ، وبداية نشر فكره اليهودى الذى هو بمثابة الشرارة الأولى فى إحداث الفتنة الكبرى، التى حصدت أعداداً كبيرة من المسلمين وعلى رأسها مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، والحديث عن خبر بعض هؤلاء الفسقة الفجرة كخبر يزيد بن قيس ، والأشتر والكميل بن زياد وعسير بن ضابئ ،

وحكيم بن جبلة وحميران بن أبان. ثم تحدث عن أبي ذر رضى الله عنه وخروجه إلى الريدة، وما دار حوله من أقوال مختلفة وما دار من نقاش حول بعض الآيات القرآنية وبيان وجه الصواب فيها.

وتحدث أيضا عن الفتنة التي طلت برأسها ونشبت في مصر بقدم ابن السوداء - عليه لعنة الله- إلى مصر ويث سُمه الناقع فيها. ثم ذكر بعض الأخبار عن انحراف محمد بن أبي حذيفة ، وعمار بن ياسر، ومحمد بن أبي بكر من الخليفة عثمان رضى الله عنه.

ومن المادة العلمية المهمة أيضا في هذا الكتاب ما ذكره المؤلف حول الذين ساروا إلى سيدنا عثمان رضى الله عنه وحاصروه ، نتيجة لما بعثه ابن السوداء من دعاة الفساد إلى البلد، وقلب بهم الرعية ويث فيهم الحقد والضعينة.

وذكر أيضا مكاتبة السبئية لأشياعهم من أهل الأمصار بالثورة والتمرد على أمرائهم ، ثم ذكر ما كتبه الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى الأمصار من كتب تحثهم على السمع والطاعة، وذكر المؤلف في ذلك ثلاثة كتب .

كما احتوى الكتاب أيضا على خبر حصار سيدنا عثمان رضى الله عنه، وخروج أهل مصر، وخروج أهل الكوفة ، وخروج أهل البصرة، وما دار بين الخليفة عثمان رضى الله عنه وبين الثوار الخارجين على الشرعية والمفارقين للجماعة والشاقيين عصي الأمة. كما تعرض للأحداث التي تمت أثناء حصار سيدنا عثمان رضى الله عنه كمنع الماء عنه، وتعرض أيضا لذكر الاختيار الصعب الذي اختاره سيدنا عثمان رضى الله عنه وهو بذل نفسه بون دماء المسلمين ، ثم تعرض بعد ذلك لحادث القتل وما دار حوله من أقوال وما دار حوله من خلاف حول من قتل الخليفة ومن اشترك في قتله، والصلاة عليه ودفنه، والتعرض لذكر من قُتل معه من العبيد ، وما أصاب الناس من ندم بعد قتله .

كما احتوت المادة العلمية الحديث عن عمره ومقدار خلافته، وبيان الوجه الصحيح في ذلك، وولاة البلاد في زمانه ، والحديث عن صفته ولباسه وخضابه وتختمه، يث يستطرد المؤلف الحديث عن سيرته وفضائله، والمواقف التي تشهد له بالصالح وعمل الخير، وبذل ما في وسعه لخدمة الإسلام والمسلمين كتزويجه من ابنتي النبي صلى الله عليه وسلم، وشرائه بئر رومة للمسلمين، ومبايعة النبي عنه يوم بيعة الرضوان، وبيان السبب في تخلفه عن هذه البيعة .

ثم تحدث عن حياته واحترام النبي صلى الله عليه وسلم إياه، ومناشدة الخليفة رضى الله عنه طلحة والزبير وهو محصور ، ومحاوره الخليفة لابن مسعود وعمار رضى الله عنهم جميعاً.

كما تحدث عن بشارة النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان رضي الله عنه بالجنة والحديث عن فضل عثمان بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهم، وذكر مصاهرة عثمان رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم، والحديث عن تجهيزه رضي الله عنه لجيش العسرة، والحديث عن أن عثمان رضي الله عنه يرى من الفتن وأنه يُقتل مظلوماً .

يتناول الحديث أيضاً ذكر الخلاف في أمر قتل سيدنا عثمان وخاذه، وينقل لنا هذا الأخبار عن الجاحظ مستنداً إلى كثير من أبيات الشعر لمختلف الشعراء، ويتناول عذر سيدنا عثمان رضي الله عنه عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كما تحتوي المادة العلمية لهذا الكتاب على أمور قلّ من سبق المؤلف في ذكرها ، وهي الجواب على الأسباب التي نقمها المفسدون على سيدنا عثمان رضي الله عنه، والاعتذار لسيدنا عثمان - عليه رضوان الله .

تناول القاضي محمد بن يحيى في مادته الحديث عن الأخذ بثأر عثمان رضي الله عنه ، ممن باشر قتله أو أعان عليه، فذكر لنا مقتل مالك بن الأشتر ومقتل محمد بن أبي بكر، وكتانة ابن بشر التجيبي.

تعرض المؤلف لمقتل طلحة بن عبيدالله ، والزبير بن العوام رضي الله عنهما وقتل عمار بن ياسر ومقتل عمرو بن الحمق الخزاعي ، وعمير بن ضابي، وكميل بن زياد ، وجماعة ممن غزا عثمان رضي الله عنه ، وقتل حرقوص بن زهير.

وذكر أيضاً تعظيم شأن قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وما روى في ذم قتل عثمان رضي الله عنه.

كما تناول في حديثه عن موقف الرافضة من قتل سيدنا عثمان ، وجعل يوم قتله عيداً لعنهم الله. ثم ختم مادته العلمية بالحديث عن الرافضة ومعائبهم والرد على الفلاة منهم، وبيان إفراطهم في علي بن أبي طالب رضي الله عنه. كما ذكر أقوال كثير من العلماء في كفر الرافضة من وجوه كثيرة، وأنهم يتعاطون أشياء خارجة عن الشريعة ، كما ذكر أقوال العلماء في أن الرافضة يشبهون اليهود في كثير من الأعمال والأقوال. وذكر باباً في معائب الرافضة، وقبح مذهبهم، مستعيناً في ذلك بكتب الجاحظ ، وكذلك مكابرتهم وادعائهم التقية ، وغلوهم في علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفي ذريته، وقولهم بتناسخ الأرواح وغيره، وكذبهم على أهل البيت وتحريفهم للقرآن، وتفسيرهم له بأرائهم الفاسدة وخرافاتهم ، وذكر أمثلة من تفسيرهم

لآيات الله عز وجل واستخدام آرائهم المنحرفة . ثم ذكر أيضا مناظرة الرافضة واختلافهم في الإمام، وختم كتابه بقوله «إن هوامم كله كفر بالله العظيم وغلوهم وإفراطهم».

هذه هي مادة الكتاب التي صنفها القاضي محمد بن يحيى في مجملها ، أما عن حيث المحتوى فقد احتوت على مادة تاريخية من أقوال المؤرخين المشهورين ، ومادة حديثية من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن أقوال الصحابة والتابعين رضى الله عنهم وأبيات ليست بالقليلة من الشعر العربي ، وزين ذلك كله بذكر آيات كريمات من كتاب الله عز وجل في كثير من صفحات الكتاب .

النسق التعبيرى للكتاب :

لم يبتدع القاضي محمد بن يحيى أسلوباً خاصاً للكتابة، وإنما جرى التدوين ضمن الأسلوب المرسل الأدبي في عرض الأخبار والروايات والتعليقات، وتحليلاته للمواقف التي تحتاج إلى تدخل منصف منه، فاختر العبارة المناسبة للتعبير وتميز عرضه بالسهولة واليسر، ولم يعن بالصنعة البيانية والألفاظ الصعبة ، وقد تنوق الشعر وأورد منه، عدداً كثيراً من الأبيات.

قد يختلف القاضي محمد بن يحيى في عرض مادته عن الموارد التي نقل منها وقد دفعه هذا الأمر في أغلب الأحيان إلى إعادة صياغة المادة التاريخية المنقولة عن المؤلفات السابقة عليه بأسلوبه الخاص ، ولم ير في ذلك ضيراً طالما قد توخى الدقة والأمانة في نقل معاني الأقوال لاسيما تلك التي تؤثر في قيمتها إعادة الصياغة. ألزم المؤلف نفسه بنقل النصوص بالفاظها في الحالات التي تستحق ذلك وتتطلبها كالفوائد الحديثية في أواخر الأحاديث مثل: أخرجه مسلم في صحيحه ، أو أخرجاه البخاري ومسلم، أو هذا حديث قريب من هذا الوجه (٨٨) .

كما نقل الرسائل التي بعث بها الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى عماله في أول خلافته ، وكذلك إلى أمراء الجنود، وإلى عمال الخراج وإلى العامة (٨٩) . وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة ، وبعض القطع النثرية التي هي من أقوال الصحابة رضى الله عنهم ، والقصائد الشعرية كما في رثاء سيدنا عثمان رضى الله عنه . وكذلك المناقشات والحوار الذي دار بين سيدنا عثمان وبين الثائرين عليه من أهل مصر والكوفة والبصرة. والروايات المسندة التي نقلها عن ابن سعد، والتي نقلها عن الآجري من كتاب الشريعة.

وكذلك فى أبيات الشعر وبورها يذكر أصحاب الأبيات كأن يقول : قال حسان بن ثابت^(٩٠).
أو روى كعب بن مالك الأنصارى، أو قال الوليد بن عقبة^(٩١). وقليلًا ما يمتنع عن ذكر صاحب
الأبيات ولكن يذكر المتمثل بها، وقليلًا ما يسوق أبياتًا على لسان الهاتف أو الجن أو صوت
الجن^(٩٢). كما أتى بشعر على لسان بعض النساء مثل: عاتكة بنت زيد^(٩٣). فى رثائها للزبير
بن العوام رضى الله عنه.

قليلًا ما نجد من العلماء من صنّف كتابًا فى سيرة سيدنا عثمان رضى الله عنه منفردة
دون أن يشركه مع باقى الخلفاء أو يشرك باقى الخلفاء معه فتكون سيرة ذاتية محيطة به من
شتى الجوانب، ورغم قلة من كتبوا- وأنهم لم يتجاوزوا أصابع اليد الواحدة- إلا أن أكثر
مصنفاتهم قد فقدت وكلهم سابقون على المؤلف ، ومعظم من كتب عن سيدنا عثمان ، كتب عنه
ضمن شخصيات الخلفاء أو الصحابة رضوان الله عليهم.

يعتبر هذا الكتاب سجلًا خالدًا يخلد سيرة سيدنا عثمان رضى الله فى المجتمع الإسلامى،
التي قد ضاعت عند كثير من أفراد هذا المجتمع ، بسبب ما أحدثه اليهود من فتنة كان سيدنا
عثمان رضى الله عنه هو ضحيتها ، فالكتاب يعطى القارئ الحقيقة الناصعة حول موقف
اليهود من الإسلام والمسلمين ، ويظهر حقيقة هذه الفتنة ويوضح الصواب فى كثير من الأمور
التي غمضت على كثير من المسلمين وغيرهم، فيما يقرب من اثنتى عشرة نقطة ، أو فرية قد
ألصقها اليهود بسيدنا عثمان رضى الله عنه، وتبعهم فى ذلك ضعاف النفوس وضعاف
الإيمان من المسلمين .

وقد ألزم المؤلف نفسه فى كثير من المواضع بتعريف أسماء البلدان، أو تفسير بعض
معانى الكلمات أو بيان المقصود من بعض الكلمات مثل كلمة «السبئية» فيقول : هم قوم
يسبون عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وينسبون إلى عبدالله بن سبأ^(٩٤)، كما يذكر معنى
كلمة «نهاير» أى شدائد، وذلك داخل المتن وليس آخره^(٩٥). كما ألزم القاضى محمد بن يحيى
نفسه فى بعض المواضع أن يُعترف لنا ألقابًا لأعلام وردت فى النص الذى نقله أو فى أبيات
الشعر التى نقلها ، كما ورد فى بيت كعب بن مالك الذى يقول فيه:

ورفاة العمرى وابن معاذهم وأخو المشاهد من بنى العجلانا

فيقول محمد بن يحيى القاضى : والعمرى: رفاة بن عبد المنذر، وابن معاذ أسعد بن
معاذ، وأخو المشاهد معن بن عدى^(٩٦). كما فسّر لنا بعض الأماكن مثل: «حش كوكب» فيقول
: وهو حائط لرجل من أهل المدينة اسمه «كوكب»^(٩٧).

أهمية المخطوطة :

إن إخراج أى مخطوطة إلى حيّز الطباعة والدراسة والتحقيق من كتب العلماء السابقين، الذين هم على قدر وافر من العلم، يُعد في ذاته هدفاً يجب أن يحرص عليه من يسر الله له أن يعمل في مثل هذا المجال، كما يُعتبر إيجاداً للصلة بين حاضرتنا المتوثب وماضيها التليد.

إن دراسة مثل هذه الكتب وتحقيقها واستخراجها ، هو استخراج لفوائد عديدة، تلقي الضوء على ماضى الأمة، أو تثير السبيل أمام مستقبلها ومستقبل أبنائها ، وخاصة إذا كان موضوعها من الموضوعات التى لاكتها الألسنة وشوهها المفرضون ، ووضعوا فيها سُمهم ليضللوا شباب الأمة .

هذه المخطوطة تعتبر وعاءً لبعض الكتب والمصادر التى نقل منها القاضى محمد بن يحيى، واستمد منها مادة كتابه، وهذه الكتب قد أضاعتها يد الحدثان مثل كتاب الفتوح الكبير لسيف ابن عمر التميمى (٩٨)، وكتاب تاريخ الجورقانى (٩٩)، وكتاب المقتل لعبد الرزاق الرسعنى (١٠٠). وكتاب السنة لمحمد بن نصر المروزي (١٠١). فإن وجود نصوص هذه الكتب بين دفتى كتاب «التمهيد والبيان» يعطيه الأهمية من حيث المحافظة على نصوص كتب مفقودة.

تكمن أهمية هذه المخطوطة فى أنها تعكس حالة من حالات الإفك والافتراء التى وجهها لليهود وعلى رأسهم عبدالله بن سبأ تجاه الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، وتعدد المطاعن التى وجهت إليه، ومدى الردود التى ردّ بها المؤلف على كل فرية قدمها اليهود افتراء على سيدنا عثمان رضى الله عنه (١٠٢). إنها ردود مقنعة مستندة على أدلة ومستنبطة بعقل واع وبقلب عامر بالإيمان، محب لصحابة النبى صلى الله عليه وسلم، لا يقوم بمثلها إلا قاض عُرِضت عليه الأقوال المتضاربة ، ثم يأتى هو فيبين بعلمه وحسه الحقيقة من الزيف والصواب من الخطأ.

تأتى أهمية هذه المخطوطة ومكانتها الفريدة فى أن مؤلفها قاض مسلم لديه القدرة على بيان الغث من السمين ، عارف بالأحكام والقراءات وفى الحديث تاريخاً وإسناداً ونقادة من أهل الجرح والتعديل، حافظاً للأنساب والكنى، مشاركاً فى الأصول والفروع واللغة والعروض والفرائض والحساب (١٠٣).

توخى المؤلف فى كتابه هذا العدل والإنصاف من غير ميل ولا تعصب ذاكراً ما نقله الأئمة والعلماء فى كتبهم وتواريخهم، ولم ينته الأمر على ذلك بل أنه تدخل بعد ذلك فى بيان الصحيح

من غيره، وبيان ما هو حق وما هو باطل ، مما يصح أن يُقال وما لا يصح ، وقد التزم بما ألزم به نفسه في مقدمة الكتاب من توخي كل أمر فيه عدل وإنصاف من غيره (١٠٤).

ومما يزيد هذا الكتاب أهمية، أن من تناول أمر سيدنا عثمان بن عفان وقتله كالقاضي أبي بكر بن العربي، لم يفرد له كتاباً بذاته وإنما جعله ضمن ربوده على أفعال اليهود ومؤامراتهم ضد الإسلام منذ خلافة الإمام على بن أبي طالب رضى الله عنه، وأن القاضي ابن العربي لم يقنعه الرد المستفيض في إبطال مزاعم اليهود وإفكهم تجاه سيدنا عثمان رضى الله عنه، أما القاضي محمد بن يحيى صاحب كتاب التمهيد والبيان فقد استفاض في ربوده على الطاعنين في سيدنا عثمان رضى الله عنه .

كما تظهر أهميته أيضاً في أن القراء يجدون فيه مثلاً عالياً يعزّ وجودها في دنيا الواقع، لأن الإنسان يجب أن يعيش ولو لمدة يسيرة في مستوى رفيع من الخلق والإيمان، وإن لم يتيسر له ذلك، فهو حريص على أن يقرأ أخبار سيدنا عثمان رضى الله عنه، ويصغى إلى كلماته ويتبصر أفعاله، وينهل من بحر حلمه وكرمه وتضحياته في سبيل الله.

أما من حيث ردّ القاضي محمد بن يحيى على الأسباب التي تقمها الرافضة والملحدون قال: اعلم رحمك الله أن الرافضة والملحدة قد طعنوا على عثمان رضى الله عنه وتعللوا عليه بأشياء فعلها لا تثبت لهم عليه بها حجة ، مثل افتراءهم أن ابن مسعود رضى الله عنه أنكر على عثمان رضى الله عنه في أمر المصاحف وتحريفها، فالجواب : أن ابن مسعود بونه في الفضل والمرتبة ، فكان عثمان رضى الله عنه أعلم بما فعل، ولأن الرجل كان يقول للرجل، قراءتنا خير من قراءتك ، فأزال عثمان رضى الله عنه هذا الخلاف وجمعهم على قراءة واحدة، وكان زيد بن ثابت قد تولى أمر المصاحف ، ولو كان ذلك متوجهاً إلى عثمان رضى الله عنه لكان ذلك طعنًا على من قبله من الصحابة.

وقد روى أن علياً رضى الله عنه قال : عن ملام نا- أصحاب رسول الله - فعل ذلك عثمان- ولو كان هذا الفعل منكراً ، لكان الإمام على قد غيره وما صار الأمر إليه، فلما لم يغيره علم أن عثمان رضى الله عنه، كان مصيباً فيما فعل . فإن قيل : إنه اعتدى بتوليده الوليد بن عتبة ، وإن الوليد سكر فضلى بالناس الفجر ركعتين ثم التقت فقال: أزيدكم؟ فالجواب : أنه قد ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الناس على الصدقة ففسق فأنزل الله «إن جاعكم فاسق بنياً فتبينوا» فليس يلحق عثمان رضى الله عنه إلا ما لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدامة بن مظعون «البحرين» فشرب الخمر متولوا ، فجلده عمر رضى الله عنه وقدامة بدرى من أولى السابقة والفصل وكذلك عثمان رضى الله عنه.

وولى على رضى الله عنه المختار بن أبى عبيد «المدائن» فأتاه بصرة، فقال : هذه من أجور المومسات ، فقال على رضى الله عنه: قاتله الله ، لو شق عن قلبه لو وجد ملء حب اللات والعزى، وهو أفسق من الوليد فأخذ المختار المال ولحق بمعاوية رضى الله عنه . وكان الإمام على رضى الله عنه يلقي من ولاته وعماله الأمر الشديد فكان يقول : وليت فلانا فأخذ المال، ووليت فلانا فخاتني إلى غير ذلك ذكر . هذا الكلام أبو نعيم فى «كتاب الإمامة».

فإن قيل أن عثمان أتم الصلاة أربعاً بمنى وأنكر ذلك ابن مسعود وأبو ذر ، فالجواب أنه قد اعتذر عن ذلك ، قال : ذاك رأى رأيته ، ثم لو كان فعله خلاف الحق لما تبعاه ووافقاه ، فقليل لهما فى ذلك، فقالا: الخلاف شر. وقد روى عن جماعة من الصحابة إتمام الصلاة فى السفر، منهم عائشة وسلمان وأربعة عشر من الصحابة رضوان الله عليهم. والذى حمل عثمان على إتمام الصلاة أنه بلغه أن قوماً من الأعراب شهدوا الصلاة معه بمنى فرجعوا إلى قومهم ، فقالوا: الصلاة ركعتان كذلك صليناها مع عثمان بمنى، فلأجل ذلك صلاها أربعاً ليعلمهم ما بتوا به الخلاف والاشتباه .

وكذلك فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أمر الحج، وأن يجمعوا بين الحج والعمرة فى أشهر الحج، وخالفه ابنه عبدالله وقال: سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن تتبع ، وتابعه أبوموسى وجماعة من الصحابة على ترك الجمع بين الحج والعمرة مع علمهم بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وإقامته على الإحرام حتى يخل مكة معتمراً حتى فرغ من المناسك ، ولم ينكروا ذلك على عمر رضى الله عنه، ولو كان منكراً لما تابعوه على رأيه .

فإن قيل : إن عثمان رضى الله عنه أعطى من مال الصدقة ووفر أقرباءه، فالجواب : أن عثمان رضى الله عنه أعلم ممن أنكر عليه، والإمام إذا رأى المصلحة فى فعل شئ فعله، فلا يكون إنكار من جهل المصلحة فى ذلك حجة على من عرفها ، فإنه لا يخلو زمان من قوم يجهلون وينكرون الحق من حيث لا يعرفونه، فقد فرق الرسول صلى الله عليه وسلم غنائم خيبر فى المؤلفة قلوبهم يوم الجعرانة وترك الأنصار لما رأى فى ذلك من المصلحة، حتى قالوا: نقسم غنائمنا فى الناس وسيوفنا تقطر من دمائهم، وجهلوا ما رآه النبى صلى الله عليه وسلم من

المصلحة وذلك أعظم مما فعله عثمان رضى الله عنه، ولأن مال المؤلفة قلوبهم من الغنيمة. فلا يلزم عثمان رضى الله عنه من أنكر عليه إلا ما لزم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى المصلحة فيما فعل اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإن قيل الذى أعطى رسول الله كان من الخمس ، قيل له : لو كان من الخمس لما أنكرت الأنصار ذلك، ولما قالت : غنائمنا ، ولقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أعطيتهم من مال الله.

ألا تراه استمال قلوبهم بقوله : ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون برسول الله إلي بيوتكم ؟ قالوا رضينا والحديث مشهور .

فإن قيل : بأن عثمان رضى الله عنه ضرب عماراً ، قيل : هذا لا يثبت ولو ثبت فإن للإمام أن يؤدب بعض رعيته بما يراه وإن كان خطأ .

ألا ترى أن النبى صلى الله عليه وسلم اقتص من نفسه وأقاده، وكذلك أبوبكر وعمر رضى الله عنهما أدباً رعيتهما باللطم والدرة وأقاده من أنفسهما وذلك لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بطن رجل بخشبة فجرحه ، فرفع قميصه وقال : تعال فاقتص ، فعفا عنه .

وجاء رجل إلى أبى بكر رضى الله عنه يستحمله فلطمه ، فأنكر ذلك الناس فقال أبوبكر رضى الله عنه، إنه استحملنى فحملته ، فبلغنى أنه باعه ، ثم قال له: بونك فاستقد ، فعفا عنه. وضرب عمر رضى الله عنه جارية لسعد بالدرة فساء ذلك سعداً فناولوه عمر رضى الله عنه الدرة وقال له : اقتص فعفا .

فإن قيل عثمان رضى الله عنه لم يقد من نفسه، قيل له : كيف ذلك، وقد بذل من نفسه مالم يبذله أحد خصوصاً يوم الدار، فإنه قال : يا قوم ، إن وجدتم فى كتاب الله أن تضعوا رجلئى فى قيد فضعوهما ، وقد ذكرنا أن عماراً تقاذف هو ورجل آخر فجلدهما عثمان رضى الله عنه حد القذف. فإن قيل : أعطى عثمان رضى الله عنه من بيت المال من ليس له فيه حق ، قيل : لا يثبت ذلك عنه . وكيف نقبل هذا وعثمان رضى الله عنه من أكثر الناس مالاً، وأكثرهم عطية ومعروفاً ، مع أن العصر لا يخلو من جهال يقولون ما لا يعلمون ، فقد قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً قسماً ، فقال له رجل : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فغضب ثم قال : رحم الله موسى، لقد أودى بأكثر من ذلك فصبر.

وقسم صلى الله عليه وسلم يوم حنين تبرأ ، فقال له رجل: أعدل يا محمد فقال له : ويحك ومن يعدل إذا لم أعدل! فهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلقي من الجهال هذا، فكيف بعثمان رضى الله عنه ؟ .

فإن قيل : إنه ولى أقواماً لا يستحقون الولاية ، منهم الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص وعبدالله بن عامر وغيرهم، قيل : فمن أين لكم أن هؤلاء لم يعدلوا ؟ ولئن جاز لكم ادعاء الفسق فى ولاية عثمان رضى الله عنه لجاز ذلك فى ولاية عمر وعلى رضى الله عنهما . فقد ولى عمر رضى الله عنه المغيرة بن شعبة البصرة فرمى بما لا يثبت وولى أبا هريرة البحرين، فقالوا : خان مال الله ، وولى قدامة البحرين فشرب الخمر متولوا ، وولى على الأشتر وأمره ظاهر ، وولى أبا مخنف فأخذ المال وهرب .

فلم خصصتم عثمان رضى الله بالظعن مع أن النبى صلى الله عليه وسلم ولى زيد بن حارثة فظعن الناس فيه حتى قام خطيباً منكرأ عليهم فيما طعنوا عليه، وقالوا فيه وفى أسامة ابنه ، والحديث مشهور.

وإنما ظعن الناس على عثمان على أنه لئن وحى، وكثر فى أيامه من لم يصطحب النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن جهل فضل الصحابة . فإن قيل : فقد نفى أبا ذر إلى الربذة فردأ، قيل لم يكن ذلك نفيأ ، وإنما كان ذلك تخييراً له ، لأنه كان كثير الخشونة ، ولم يكن يدارى من الناس ما يدارى غيره، فخيرته عثمان رضى الله عنه، بعد استئذانه فى الخروج من المدينة ، فاختر الربذة ليبعد عن الناس ومعاشرتهم، وذلك أنه كان بالشام، فجرى بينه وبين معاوية مناظرة فى هذه الآية : «والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله ، فقال معاوية : هى فى أهل الكتاب، وقال أبو ذر : هى فيهم وفينا، فكتب معاوية رضى الله عنه إلى عثمان رضى الله عنه فى ذلك، فكتب إلى أبى ذر : أن أقدم على، قال فقدمت عليه فانتال على الناس كأنهم لم يعرفونى. فشكا ذلك إلى عثمان رضى الله عنه، واستأذنه فى الخروج من المدينة فخيرته ، فاختر نزول الربذة لما يلقي من الناس واجتماعهم عليه، فخاف الافتتان بهم، وهذا هو الصحيح.

فأما الرافضة فيضعون عليه أشياء لا أصل لها ، فإن جعل إشخاص أبى ذر رضى الله عنه من الشام وحبسه بالمدينة طعناً على عثمان رضى الله عنه ، قيل : الأئمة إذا حثوا الفتنة والاختلاف فلهم أن يبادروا على حسمه.

وقد فعل عمر رضى الله عنه مثل ذلك ، فقد حبس جماعة من الصحابة عنده بالمدينة لأجل أحاديث حدثوا بها الناس، ومنعهم من الخروج ، ومنعهم من لبس أشياء كانت لهم مباحة خوفاً أن يتأسى بهم من لا علم له ولا ورع عنده، فمرتكب بذلك ما ليس له ، مع أن للإمام أن ينفى أقواماً إذا خاف الافتتان بهم، فقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه نفى نصر بن حجاج لما خاف أن يفتتن به النساء لحسن صورته وقصته مع أم الحجاج بن يوسف مشهورة ، حين قالت : هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

ونفى الإمام على رضى الله عنه النعمان عن ملا من الصحابة ، ونفى حسان أيضاً والله أعلم.

فإن قيل: إن جماعة وافقوا على حصره وقتله ، فقد روى أن حذيفة وعماراً قالاً : قتلناه كافراً ، وأن طلحة كان فيمن حصر، وأن علياً أعان على قتله، وأن الناس خذلوه وأسلموه ، إلى غير ذلك من الأمور ، قيل : هذا لا يصح عن حذيفة ، وإنما المنقول عنه خلاف ذلك، وإنما هذا من كلام الرافضة وإن نقل ذلك فإنه لا يخلو أحد من الصحابة من حاسد وممن يبغضه ، فكيف بعثمان رضى الله عنه وهو من أهل السابقة والفضل والكمال !

والطعن على عثمان طعن على من تقدمه ، وأما طلحة فإنه كان يقول يوم الجمل: اللهم خذ لعثمان منى حتى ترضى .

وأما على رضى الله عنه فإنه قال غير مرة : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان . وقال : والله ما قتلت عثمان ولا مالات على قتله . ولما بلغه قتله قال : اللهم إني لم أرض بقتله ولم أمر به .

وقال فيه : كان عثمان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين .

وسئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن عثمان رضى الله عنه فقالت : قُتل مظلوماً ، لعن الله قاتله، أقاد الله من ابن أبى بكر، وساق الله إلى أغر بنى تميم هوانا، وأهريق الله دماء ابن بديل ، وساق الله إلى الأشتر سهما من سهامه ، فوالله ما من القوم أحد إلا أصابته دعوتها.

وأما ترك الصحابة الإنكار على من حصره ، فلقد ناضحوا عنه ولم يظنوا أن الأمر يبلغ إلى قتله ، وإنما ظنوا أنها تكون معيبة، ومع ذلك فإن عثمان رضى الله عنه كان يعزم عليهم

ليكفوا عن القتال ، ولقد ، أنكروا وبالفوا في الإنكار، منهم على، وزيد بن ثابت ، وعبدالله بن سلام، وابن عمر، وأبو هريرة، والمغيرة والزبير، وابن عامر، وحمل الحسن بن علي يومئذ جريحاً ، ولبس ابن الزبير الدرع مرتين، رضى الله عنهم أجمعين.

وعن أبي عون: لقد قتل عثمان رضى الله عنه وإن في الدار لسبعمائة رجل منهم، والحسن وابن الزبير رضى الله عنهما، ولو أذن لهم لضربوهم حتى أخرجوهم من المدينة، وأما طلحة بن عبيد الله، فإنه انصرف ولم يكن فيمن حصره ، كيف وهو يلعن قاتله مع عائشة رضى الله عنها صباحاً ومساءً ، وكان هو والزبير وعائشة ومعاوية يطلبون بدمه، فكيف يعينون عليه ويطلبون بدمه ! هذا خلف . ومع هذا فينبغي الكف عما شجر بين الصحابة ، والاستغفار لهم والإمسك عما نسب إليه من الرذائل، وكذلك أتباع الأنبياء، إنما تذكر محاسنهم التي مدحوا عليها ويمسك عما سواها .

فإن قيل : إن عثمان رضى الله عنه حمى الحمى ومنع منه الناس.

قيل : إن المصريين جاءوا إلى عثمان رضى الله عنه، فقالوا : ادع بالمصحف فدعا به ففتحوا سورة يونس هذه الآية (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً) فقالوا له : أرأيت ما حميت من الحمى ، الله أذن لك؟ أم على الله تفتري؟ فقال : هذه الآية نزلت في كذا وكذا، وأما الحمى فقد حمى الأئمة قبلى لإبل الصدقة ، فلما زادت إبل الصدقة زدت في الحمى ، فجعلوا لا يأخذونه بأية إلا قال : نزلت في كذا وكذا حتى أخذ عليهم ألا يشقوا عصا المسلمين، فاقبلوا راجعين إلى بلادهم راضين، فرأوا في الطريق غلاماً معه كتاب فرجعوا إليه، فقال : إني لم أمر به ولا شعرت به فحاصروه باغين عليه ظالمين له.

وقد حمى النبي صلى الله عليه وسلم نقيع الخضعات لخیل المسلمين . وقال البخارى: بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم حمى النقيع ، وحمى عمر رضى الله عنه السرف والريذة، واستعمل على الحمى مولى له يدعى هنيئاً فلم يثبت على عثمان رضى الله عنه ذنب ، ولو ثبت لما استحق بذلك القتل وانتهاك الحريم وشق العصا وتقريق الجماعة ، ولكن الله أكرمه بالشهادة وألحقه بالنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه في الجنة، حافظاً لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، في خلع القميص.

لقد حظى قاتلوه بالخزي واللعنة وانتهاك حرمة المدينة في الشهر الحرام ، فإن قيل: فقد رويتم عن النبي أنه ذكر فتنة تكون بعده، وقال في عثمان رضى الله عنه : فاتبعوا هذا

وأصحابه فإنهم على هدى، فأخبرنا من أصحابه . قيل: أصحابه أصحاب رسول الله المشهود لهم بالجنة، المذكور بعضهم في التوراة والإنجيل، الذين من أحبهم سَعِدَ ومن أبغضهم شقى، مثل على بن أبى طالب، وطلحة والزبير، وسعد وسعيد وغيرهم، من الصحابة ممن كان في وقتهم رضى الله عنهم ، فإنهم كلهم أنكر قتله، وكلهم استعظم ما جرى على عثمان رضى الله عنه، وشهدوا على قتلته أنهم في النار، وهم الذين تجمعوا وتآلبوا عليه مثل عبدالله بن سبأ وأصحابه الذين أشقاهم الله بقتله ، حسداً منهم له، وبغياً عليه وإرادة الفتنة، وأن يوقعوا الضغائن بين أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، لما سبق عليهم من الشقاء في الدنيا وما لهم في الآخرة من العذاب الأليم.

واجتهد الصحابة في نصرته والذب عنه، وبذلوا أنفسهم بونه ، فأمرهم بالكف عن القتال، وقال : إني أحب أن ألقى الله سالماً مظلوماً ولو أذن لهم لقاتلوا عنه.

مصادر الكتاب

أولاً أنواع المصادر:

تعدّ المؤلفات السابقة على المؤلف البنية الأساسية والمورد الرئيسى لمادة الكتاب، خاصة وأن المؤلف لم يعاصر الأحداث، مما يدل على مدى تأثره بالسابقين ومدى استفادته منهم. فعند الحديث عن مصادر المؤلف نستشعر سعة اطلاعه وكثرة علومه ، ونلاحظ أن هذه المصادر تتمثل فى نوع معروف متداول بين أيدي الباحثين على مدى العصور.

ونوع آخر يتمثل فى المصادر أو الكتب السابقة منها ما هو عام ومنها ما هو خاص . أما النوع المعروف المتداول على مر العصور ، كصحيح البخارى وصحيح مسلم^(١٠٥) وقد نقل عنهما المؤلف فى عدة مواضع، وهما أصبح كتابين بعد كتاب الله عز وجل وينقل عنهما المؤلف دون أن يتصرف أو زيادة أو نقصان ، وهذا أمر مسلم به عند الأخذ من أحاديث النبی صلى الله عليه وسلم، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : «من جهّز جيش العسرة فله الجنة»^(١٠٦). وأمثال هذين الكتابين من كتب السنة مثل كتاب المسند للإمام أحمد بن حنبل^(١٠٧)، وكتاب السنن لأبى داود^(١٠٨)، وجامع الترمذی^(١٠٩)، وكتاب السنن للنسائى^(١١٠).

فقد نقل المؤلف على سبيل المثال من كتاب المسند للإمام أحمد بن حنبل حديث ذكره سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : رجل كفر بعد إسلامه، وأو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً فيقتل بها، فوالله ما أحببت أن لى بدينى بدلاً بعد أن هدانى الله، ولا زنيت فى جاهلية ولا إسلام قط، ولا قتلت نفساً، فبم تقتلوننى؟^(١١١).

أما النوع المتمثل فى الكتب السابقة التى تتصل بموضوع الكتاب منها ما هو متداول، ومنها ما ليس متداولاً، ومنها ما هو متخصص فى نفس الموضوع، ومنها ما هو شامل للموضوع وموضوعات أخرى شتى ، وكثيراً ما أثبت المصادر التى نقل منها فى متن الكتاب، وتعد طريقة من طرق تسجيل المصادر المنقول منها . فقد صرح فى نقله من تلك المصادر: مثل كتاب الفتوح لسيف بن عمر مصرحاً بهذا النقل حتى وصل عددها إلى أربعة عشر موضعاً، وذلك غير الروايات والأخبار التى نقلها منه دون أن يصرح بذلك.

ومثل كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد حيث نقل منه فى سبعة عشر موضعاً ، وذلك على سبيل المثال لا الحصر. وقد صرح أيضاً فى نقله من مصادر عامة أخرى ضمت فى طياتها الحديث عن سيدنا عثمان رضى الله عنه وعن سيرته وخلافته وقتله، وغير ذلك مثل : كتاب الكامل فى التاريخ لابن الأثير الجزرى، وكتاب الإرشاد لأبى عبدالله محمد بن محمد بن المعروف بالمفيد فيه الشيعة، وقد نقل منه ليقيم على الشيعة - من كتابهم- الحجة ويدحضهم بمنطوقهم.

وقد صرح أيضاً فى نقله من كتاب البيان والتبيين فى عدة مواضع متفرقة . أما الكتب المتخصصة فى الكتابة حول الخليفة عثمان بن عفان وحول قتله تكاد تكون ناقصة ولم يصرح بالنقل منها إلا من خلال كتابين اثنين وهما: كتاب المقتل لعمر بن شبة النميرى ٢٦٢هـ ، وكتاب المقتل لعبد الرزاق الرسعنى ت ٦٦٠هـ، وقد نقل منها فى عدة مواضع.

فالتأخر فى مصادر القاضى محمد بن يحيى التى استفاد منها يجد بالفعل مدى هذه الاستفادة ، خاصة وإن منها ما ضاع ولم يعد بين أيدينا الآن، فقد استفاد القاضى محمد بن يحيى من المصادر الآتية:

كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (١١٢)، والفتوح الكبير لسيف بن عمر (١١٣) ، وكتاب الشريعة للأجرى (١١٤)، وتاريخ الجورقانى (١١٥) وتاريخ الطبرى ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير (١١٦) وكتاب الإرشاد لابن عقيل (١١٧)، وتفسير الزمخشري (١١٨)، وكتب الجاحظ (١١٩) وكتاب الأمة لأبى نعيم (١٢٠) وصحيح البخارى وصحيح مسلم (١٢١) وجامع الترمذى (١٢٢)، وسنن أبى داود (١٢٣) وسنن النسائى (١٢٤) والجمع بين الصحيحين للحميدى (١٢٥) ومسنن الإمام أحمد بن حنبل (١٢٦) وجامع المسانيد لابن الجوزى (١٢٧)، وكتاب الأطراف لأبى مسعود الثقافى (١٢٨)، وكتاب المقتل للرسنى (١٢٩) وكتاب المقتل لابن شبة (١٣٠)، وكتاب السنن للإلكائى (١٣١) وكتاب السنة للمروذى (١٣٢).

ثانياً : الإسناد إلى المصادر:

لم تكن طريقة القاضى محمد بن يحيى فى الإسناد إلى المصادر واحدة، وإنما كانت متنوعة ، كأن يصرح بعنوان الكتاب واسم مؤلفه، أو يصرح باسم المؤلف دون عنوان الكتاب، أو يصرح بعنوان الكتاب دون اسم المؤلف ، أو يهمل الإسناد إلى المصدر وينقل متتابعاً دون أن يصرح ، وذلك على النحو التالى:

أ- الإسناد إلى المصدر مصرحاً بعنوان الكتاب واسم مؤلفه : كأن يقول : ذكر سيف بن عمر في كتاب الفتوح (١٣٣)، وروى محمد بن سعد في كتاب الطبقات (١٣٤)، وروى أبوبكر محمد بن الحسين الآجري في كتاب الشريعة (١٣٥)، وذكر الإمام أحمد في المسند (١٣٦)، وذكر عمر بن شبة في مقتله (١٣٧)، وروى الإمام البخاري في صحيحه (١٣٨) وروى مسلم في صحيحه (١٣٩)، وذكر ابن الأثير في تاريخه (١٤٠)، وذكر الحافظ ابن الجوزي في جامع المسانيد (١٤١)، قال ابن عقيل في كتاب الإرشاد (١٤٢)، وذكر الحميدي في الجمع بين الصحيحين (١٤٣)، وذكر أبو نعيم في كتاب الأمة (١٤٤).

ب- الإسناد إلى المصدر مصرحاً باسم المؤلف دون ذكر الكتاب كأن يقول : روى سيف بن عمر التميمي (١٤٥)، وروى ابن سعد ، أو قال ابن سعد (١٤٦)، وروى أبوبكر الآجري، أو قال محمد بن الحسين الآجري (١٤٧)، وروى الإمام أحمد بإسناده (١٤٨)، وروى البخاري بإسناده (١٤٩) وقال الجاحظ (١٥٠).

ج- الإسناد إلى المصدر مصرحاً بعنوان الكتاب دون اسم مؤلفه ويمثله قوله : روى صاحب «الفتوح» عن خلود بن زفر ومجالد قالا : استخلف عثمان رضى الله عنه لثلاث مضي من المحرم سنة أربع وعشرين (١٥١). وقوله أيضاً : «هكذا ذكر صاحب الفتوح»، فالمؤلف يذكر قوله السابقة هذه بعد الانتهاء من ذكر الرواية (١٥٢)، فيتضح لنا أن هذه الطريقة في الإسناد إما أن يذكر اسم الكتاب في أول الرواية أو يذكره في آخرها .

د- وفي إسناده إلى المصدر أيضاً نجد أنه يهمل الإسناد إلى المصدر فلم يصرح في مواضع كثيرة بالنقل عن مصدر معين ، وإنما نجده ينقل في كثير من المواضع عن مصدر معين نقلاً متتابعاً ، وذلك من خلال متابعته في المادة العلمية نلاحظ ذلك جيداً، فلا يذكر اسم الكتاب ولا اسم المؤلف وإنما ينقل دون التنويه عن ذلك كما حدث في نقله من كتاب تاريخ الطبري، حيث وجدت كثيراً من الروايات التي قال بها القاضي محمد ابن يحيى قد نقلها من الطبري (١٥٣)، وكذلك نقل من كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (١٥٤) وكتاب الشريعة للآجري (١٥٥).

ثالثاً : طرق النقل من المصادر :

١- سلك المؤلف طريقة ذكر الخبر أو الأثر أو الحديث بأسانيده في كثير من الأحيان ، وقد يذكر تخريجه كأن يقول : رواه مسلم في صحيحه (١٥٦)، أو أخرجاه يقصد بذلك الإمام

مسلم والإمام البخارى فى صحيحيهما ، أو أخرجه البخارى فى صحيحه (١٥٧)، وفى بعض الأحيان يذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم دون ذكر درجته.

٢- كما أنه ينقل عن الكتب السابقة عليه نقلاً إذا أردنا وصفه نقول: إنه ينقل الخبر أو الرواية بسندهما إلى صاحب الكتاب الذى نقل منه أو إنه ينقل الخبر أو الرواية من غير سند، وقد جعل له بصمة واضحة فى كتابه حيث شارك برأيه فى المقارنة بين الأحداث والأخبار واختلاف الروايات والتواريخ، ولهذا ليس بصعب عليه كرجل ممارس لمنصب القضاء عنده القدرة على فحص الآراء واستنباط الحقائق والوصول إلى رأى صائب صحيح.

٣- من طريقته فى النقل عن الكتب السابقة عليه والتي صرح بالنقل منها، فبالمقارنة بين النص الأصلي والنص الذى نقله نلاحظ أنه أحياناً يسقط من النص الأصلي بعض الكلمات، وأحياناً يزيد عليه ، فنص ابن الأثير فى تاريخه الكامل فى التاريخ (١٥٨) يقول: «واقبل علىّ وطلحة والزبير فدخلوا على عثمان رضى الله عنه يعوونه من صرعته ويشكون إليه ما يجدون ، وكان عند عثمان رضى الله عنه نفر من بنى أمية فيهم مروان ابن الحكم، فقالوا: كلهم لعلّ: أهلكنا وصنعت هذا الصنيع ، والله لئن بلغت الذى تريد لتمرن عليك الدنيا فقام مغضباً وعاد هو والجماعة إلى منازلهم ، وصلى عثمان بالناس بعدما تزلوا به فى المسجد ثلاثين يوماً، ثم منعوه الصلاة، وصلى بالناس أميرهم الغافقى، وتفرق أهل المدينة فى حيطانهم ولزموا بيوتهم لا يجلس أحد ولا يخرج إلا بسيفه ليتمنع به ، وكان الحصار أربعين يوماً ومن تعرض لهم وضعوا فيه السلاح».

أما نص المؤلف الذى نقله عن ابن الأثير هو : «وذكر ابن الأثير فى تاريخه أنه لما جاء علىّ وطلحة والزبير إلى عثمان رضى الله عنه يعوونه من صرعته ويشكون إليه ما يجدون ، وكان عنده نفر من بنى أمية ، فقال كلهم لعلّ رضى الله عنه: أهلكنا وصنعت هذا الصنيع ، فقام مغضباً ، وعاد هو والجماعة إلى منازلهم، وصلى عثمان رضى الله عنه ثلاثين يوماً ثم منعوه الصلاة، وصلى بالناس أميرهم الغافقى وتفرق أهل المدينة ولزموا بيوتهم ودام الحصار أربعين يوماً، ومن تعرض لهم وضعوا فيه السلاح ومنعوه الماء (١٥٩).

فبمقارنة النصين نلاحظ أن المؤلف في الأسطر الأولى حاول أن يصوغ لنا معنى نص ابن الأثير ودون أن يتقل نقلاً حرفياً، ثم حذف جملة كاملة وهي: «والله لئن بلغت الذي تريد لتمرن عليك الدنيا»، ثم حذف بعد ذلك: «بالتناس بعد ما نزلوا به في المسجد»، ثم في نهاية النص حاول اختصاره أيضاً كما حدث في أوله وفي نهاية نصه نجد أنه أضاف «ومنعه الماء» وهي لم تكن في النص الأصلي لابن الأثير.

٤- وفي نقله من طبقات ابن سعد لم يكن مطابقاً للأصل، بل تصرف في بعض الكلمات، وذلك على النحو التالي: جاء في نص ابن سعد (١٦٠): «فجاء رويجل كأنه ذئب، فاطلع من باب ثم رجع، فجاء محمد بن أبي بكر في ثلاثة عشر رجلاً حتى انتهى إلى عثمان فأخذ بلحيته، فقال بها حتى سمع وقع أضراسه فقال: ما أغنى عنك معاوية، ما أغنى عنك ابن عامر، ما أغنت عنك كتبك، فقال: أرسل لي لحييتي يا ابن أخي، أرسل لي لحييتي يا ابن أخي، قال: فأنا رأيت استعداد رجل من القوم بعينه، فقام إليه بمشقص حتى وجأ به في رأسه، قال: ثم قلت: ثم ما؟ قال: ثم تغاوروا والله عليه حتى قتلوه رحمه الله».

وجاء في نص القاضي محمد بن يحيى (١٦١): «إنهم لما دخلوا على عثمان رضى الله عنه جاء رويجل كأنه ذئب، فاطلع في الباب ثم رجع فجاء محمد بن أبي بكر في ثلاثة عشر رجلاً حتى انتهى إلى عثمان رضى الله عنه، فأخذ بلحيته فقال بها حتى سمعت وقع أضراسه، فقال:

ما أغنى معاوية، ما أغنى عنك ابن عامر، ما أغنت عنك كتبك، فقال: أرسل لي لحييتي يا ابن أخي، أرسل لي لحييتي يا ابن أخي، قال: فاستعدى عليه رجل من القوم بعينه فقام إليه بمشقص حتى وجأ به في رأسه، ثم اعتوروا عليه فقتلوه».

بالنظر في النصين السابقين نلاحظ مدى تصرف القاضي محمد بن يحيى وعدم دقته في النقل كما في كلمة «من باب» عند ابن سعد، ومقابلها عند القاضي محمد بن يحيى «في الباب» وفي كلمة «سمع وقع أضراسه» عند ابن سعد، ومقابلها عند القاضي «سمعت وقع أضراسه» وفي كلمة «فأنا رأيت استعداد رجل» عند ابن سعد، ومقابلها عند القاضي محمد بن يحيى «فاستعدى عليه»، وفي كلمة «ثم تغاوروا والله عليه حتى قتلوه» ومقابلها عند القاضي «ثم اعتوروا عليه فقتلوه».

٥- وفى نقله من كتاب الشريعة للأجرى يختصر النص بما لا يخل بمعناه أو ترتيبه ، فقد جاء فى نص الأجرى (١٦٢): «لما قُتِل عثمان رضى الله عنه، بكى عليه كثير من الصحابة ، ورثاه كعب بن مالك الأنصارى، وقد تقدم ذكرنا له ولزم قوم بيوتهم ، فما خرجوا إلا إلى قبورهم ، وبكت الجن، وناحت عليه».

وجاء فى نص القاضى محمد بن يحيى (١٦٢) : «لما قُتِل عثمان رضى الله عنه، بكى عليه كثير من الصحابة ولزم قوم بيوتهم، فما خرجوا إلا إلى قبورهم» .

وبالنظر فى النصين نجد القاضى محمد بن يحيى فى نقله لم يلتزم الدقة بل اختصر النص من الأجرى فحذف منه : «ورثاه كعب بن مالك الأنصارى» وحذف أيضا «وبكت الجن وناحت عليه».

٦- وفى بعض نقوله التزم القاضى محمد بن يحيى الدقة فى النقل دون نقص أو زيادة أو تغيير فى اللفظ واختلاف فى الترتيب من كتاب الشريعة للأجرى، فقد جاء فى نص الأجرى (١٦٤): «عن ابن المبارك عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب قال : بلغنى أن عامة الركب الذين ساروا إلى عثمان رضى الله عنه جئوا ، قال ابن المبارك: وكان الجنون لهم قليلاً . وفى نص القاضى محمد بن يحيى (١٦٥): «عن ابن المبارك عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب قال : بلغنى أن عامة الركب الذين ساروا إلى عثمان رضى الله عنه جئوا ، قال ابن المبارك : وكان الجنون لهم قليلاً». فبالنظر فى النصين نجد أن القاضى محمد بن يحيى التزم الدقة فى النقل.

النقد التاريخى عند القاضى محمد بن يحيى

القارئ لكتاب التمهيد والبيان للقاضى محمد بن يحيى يرى أنه مؤرخ على درجة كبيرة من الوعى لما يثبت فى مؤلفه عن مصادره ، وإنه رُزِق من الله عز وجل حساً تاريخياً مرهفاً ، كانت له انعكاساته النقدية فى ثنايا ما عالجه فى كتابه من موضوعات والكشف عن مواطن العبرة والعظة، ونقد الاتهامات التى وجهت للخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وبيان سبب هذه الاتهامات ، كما تظهر معالجاته فى وصف الحوادث واستحسانه لبعض التصرفات والإفصاح عن مدى عاطفته تجاه الصحابة الكرام خاصة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه، كما يظهر حسه التاريخى من خلال بيان مواطن العبرة والعظة من خلال كتاباته، وكذلك بيان

مواطن السخرية من بعض التصرفات التي لا تتفق ومنهج الإسلام، بحيث يمكن تصنيف النقد التاريخي على النحو التالي:

١- الكشف عن العامل الرئيسي في توجيه الحوادث : فعلى سبيل المثال يمثل قوله (١٦٦) : «اعلم رحمك الله ، أن الرافضة والملحدة قد طعنوا على عثمان رضى الله عنه، وتعللوا عليه بأشياء ، أن الرافضة لهم عليه بها حجة ، تذكر منها طرفاً ونذكر الجواب عنها بحسب الإمكان فنقول : فإن قيل : إن ابن مسعود أنكر على عثمان رضى الله عنه فى أمر المصاحف وتحريقها .

فالجواب : أن ابن مسعود بونه فى الفضل والمرتبة ، فكان عثمان رضى الله عنه أعلم بما فعل ، ولأن الرجل كان يقول للرجل : قراءتنا خير من قراءتك، فأزال عثمان رضى الله عنه هذا، ولو كان ذلك متوجهاً إلى عثمان رضى الله عنه لكن ذلك طعننا على من قبله من الصحابة. وقد روى أيضاً : أن علياً رضى الله عنه قال : فعل ذلك عثمان. ولو كان منكراً لكان على غيره لما صار الأمر إليه ، فلما لم يغيره علم أن عثمان رضى الله عنه كان مصيباً فيما فعل.

وهكذا فإن القاضى محمد بن يحيى قد كشف وجه الحق فيما وجّه إلى الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه من تهمة باطلة ، وكشف النقاب عن العامل الرئيسى وراء هذه التهمة وغيرها ، وهو الطعن الموجه من الرافضة والملحدة. وعلى سبيل المثال أيضاً: يكشف لنا القاضى محمد بن يحيى الطعن الموجه من الرافضة ضد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، يمثل فى ذلك قوله الرافضة (١٦٧): إن إشخاص أبى ذر رضى الله عنه من الشام وحبسه بالمدينة طعنًا على عثمان رضى الله عنه .

والجواب فى ذلك : الأئمة إذا خشوا الفتنة والاختلاف فلهم أن يبادروا إلى حسمه ، وقد فعل مثل ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه، حين حبس جماعة من الصحابة عنده بالمدينة لأجل أحاديث حدثوا بها الناس، ومنعهم من الخروج ، ومنعهم من لبس أشياء كانت لهم مباحة خوفاً أن يتأسى بهم من لا علم له ولا ورع عنده، فيرتكب بذلك ما ليس له ، مع أن للإمام أن ينفى أقواماً إذا خاف الاقتتان بهم ، فقد نفى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، نصر بن حجاج لما خاف أن يفتن به النساء لحسن صورته .

وعلى سبيل المثال أيضاً: يكشف لنا القاضى محمد بن يحيى عن نقده التاريخي فى كشف العامل الرئيسى فى توجيه الأحداث حيث قال: اعلم رحمك الله أن شأن قتل عثمان عظيم ،

وأساس الفتنة التي جرت من بعده من الحرب بين علي رضي الله عنه وبين عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم، وما بين علي رضي الله عنه وبين معاوية بن أبي سفيان إلى غير ذلك من الفتن والاختلاف (١٦٨).

٢- وصف الحوادث : يتمثل ذلك في وصف الحوادث بأمانة مطلقة رغم تزيف الروافض لها، ولكنه بعد عرضها يقوم ببيان مدى البهتان والتزيف في تلك الحوادث والرد عليها، ويمثل ذلك: ما نَقَمُوهُ عَلَى عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي حَدَّثَتْ فِي خِلَافَتِهِ مِثْل: اسْتِعْمَالِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ عَلَى مِصْرٍ (١٦٩)، وإتمام عثمان رضي الله عنه الصلاة «بمنى» (١٧٠) وذكر المناقرة بين سعد وابن مسعود (١٧١). وذكر ولاية الوليد بن عقبة «الكوفة» (١٧٢) وحديث المصاحف وتحريفها (١٧٣) وغيرها من الافتراءات كثير.

٣- استحسان التصرف : ويتمثل هذا الاستحسان على سبيل المثال في جواب القاضي محمد بن يحيى الذي ردَّ به على الطاعنين في عثمان رضي الله عنه، عندما أنكروا عليه أمر المصاحف وتحريفها .

فقال: إذا كان ابن مسعود أنكر على عثمان رضي الله عنه في أمر المصاحف، فإن ابن مسعود دون عثمان رضي الله عنه في الفضل والمرتبة فكان عثمان رضي الله عنه أعلم بما فعل (١٧٤) ولما جاء على في مركز الخلافة ولم يغير ما فعله عثمان ، علم أن عثمان رضي الله عنه كان مصيباً فيما فعل (١٧٥).

ويتمثل هذا الاستحسان في ردِّه على من أنكر إعطاء عثمان من مال الصدقة ووفر أقرابه، فقال القاضي محمد بن يحيى (١٧٦)، إن عثمان رضي الله عنه أعلم ممن أنكر عليه ، والإمام إذا رأى المصلحة في فعل شيء فعله، فلا يكون إنكار من جهل المصلحة في ذلك حجة على من عرفها فقد فرَّق رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم خيبر، في المؤلفة قلوبهم يوم الجعرانة ، وترك الأنصار لما رأى في ذلك من المصلحة ، فلا يلزم عثمان رضي الله عنه من أنكر عليه إلا ما لزم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى المصلحة فيما فعل اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤- الإفصاح عن عاطفته : وهي عاطفة دينية قوية ، تقف وراءها عقيدة إيمانية سليمة، تقدر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتأسف لما يلصق بهؤلاء الصحابة الكرام من اتهامات وافتراءات ، ولكنه لا يتوانى في أن يرد كيد الكائدين . ومن ذلك : رده على من قال إن عثمان أعطى من بيت المال من ليس له فيه حق ، فقال : لا يثبت ذلك . وكيف تقبل هذا وعثمان رضي الله عنه من أكثر الناس مالاً، وأكثرهم عطية ومعروفاً؟ (١٧٧).

وتتمثل العاطفة الدينية عند القاضي محمد بن يحيى فى الدفاع عن مقتل سيدنا عثمان رضى الله عنه متهماً أصحاب الفتنة وعلى رأسهم عبدالله بن سبأ حيث قال: وهم الذين تجمعوا وتآلبوا عليه مثل عبدالله بن سبأ وأصحابه الذين أشقاهم الله بقتله حسداً منهم له، ويفياً عليه وإرادة الفتنة، وأن يوقعوا الضغائن بين أمة محمد صلى الله عليه وسلم (١٧٨) ..

كما تتجلى عاطفته الدينية فى إيمانه بأن السمع والطاعة لأمير المؤمنين وظيفه المسلمين أمر واجب ، وذلك عندما يدافع عن المسلمين الذين منعهم عثمان رضى الله عنه من أن يدافعوا عنه، يقول القاضي محمد بن يحيى فى ذلك: إن القوم كانوا أهل طاعة لإمامهم، وقد وفقهم الله تعالى للصواب من القول والعمل، وقد فعلوا ما يجب عليهم بقلوبهم وألسنتهم ، وعرضهم لنصرتهم على حساب طاعتهم، فلما منعهم من نصرتهم علموا أن الواجب عليهم السمع والطاعة له ولايسعهم مخالفتهم، وكان الحق عندهم فيما رآه عثمان رضى الله عنه (١٧٩).

إن عاطفة القاضي محمد بن يحيى لتقوده إلى الدفاع عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن صحابته الكرام، حيث تقول الرافضة عن اليوم الذى قُتل فيه عثمان رضى الله عنه هو يوم عيد الغدير الذى أخى فيه النبى بين الصحابة وأخى بين نفسه وبين على رضى الله عنه، فردّ القاضي محمد بن يحيى ذلك بقوله ، قلت : ليس الأمر كما زعموا ، فإن اليوم الذى أخى النبى صلى الله وسلم فيه بين الصحابة كان حين قدم المدينة مهاجراً فى صدر الإسلام ، فأخى بين المهاجرين والأنصار ليؤلف بينهم فيتحابوا (١٨٠).

كما تتمثل عاطفته الدينية فى قوله : اعلم رحمك الله إنه يجب على كل مسلم أن يحب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ويترحم عليهم ويستغفر لهم، ويتوسل إلى الله تعالى بهم، ويشكر الله على توفيقه لذلك، ويمسك عما شجر بينهم فإنه لايبحت عن ذلك إلا مبتدع جاهل منكب عن طريق الرشاد (١٨١).

هـ- السخرية من التصرف : يتمثل ذلك فى قول القاضي محمد بن يحيى عن الثوار الذين ثاروا على الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه : هؤلاء القوم كانوا بغاة» (١٨٢).

كما يسخر القاضي محمد بن يحيى من الرافضة عندما ذكروا أموراً شنيعة فى سبب خروج أبى ذر الغفارى من المدينة إلى الربرة ، يقول القاضي محمد بن يحيى: كل ما قاله الرافضة فى ذلك هو من أكاذيبهم ، قبحهم الله تعالى (١٨٣). ويرد القاضي محمد ابن يحيى على بعض أقوال الشيعة : «بأن علياً رضى الله عنه ضرب البحر بقضيب فى يده ففاض الماء حتى بدت الحيتان فى قعر الفرات». فيقول القاضي محمد بن يحيى: وهذا خبر كذب محال

قط، ما جرى (١٨٤). ويقول القاضي محمد بن يحيى: وهذا خبر كذب محال قط، ما جرى (١٨٤).

ويقول القاضي محمد بن يحيى : اعلم أن الغالبة من الرافضة ينتحلون أشياء يخالفون فيها إجماع الأمة في الأصول والفروع وينسبونها إلى أهل البيت، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويفسرون بما تهوى أنفسهم وإنهم في ذلك كاليهود الذين بدلوا التوراة ، وحرفوها واشتروا بها ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون (١٨٥).

٦- مواطن العبر والعظات : يأتي على رأس مواطن العبر والعظات قول القاضي محمد بن يحيى: ينبغي الكف عما شجر بين الصحابة ، والاستغفار لهم والإمساك عما نسب إليه من الرذائل ، وكذلك أتباع الأنبياء ، وإنما نذكر محاسنهم التي مدحوا عليها ويمسك عما سواها. ومن بين هذه العبر أيضا قول القاضي محمد بن يحيى في أمر الصلاة خلف المصريين الذين ثاروا على الخليفة عثمان رضى الله عنه، فقد كره الناس الصلاة خلفهم ما خلا سيدنا عثمان رضى الله عنه، وقد ذكر أكثر من خبر في ذلك، وهذه الأخبار تدل على جواز الصلاة خلف البغاة والمتغلبين ، لأن هؤلاء القوم كانوا بغاة (١٨٦). ومن بين العبر والعظات أيضا: أنه يجوز انتفاع الواقف بوقفه لأن سيدنا عثمان رضى الله عنه كان يستقى من بئر نومة ويشرب منها وهو الذي أوقفها للمسلمين (١٨٧).

٧- التعليل والترجيح : ويتمثل ذلك في ترجيح الأمور وذكر الصحيح منها، واستنباط الأحكام ، كما ذكر القاضي محمد بن يحيى في قضية قتل الهرمزان فقال: والصحيح أن عبيد الله بن عمر لم يقد منه (١٨٨). كما يتمثل ذلك في قول القاضي محمد بن يحيى أمام اختلاف الروايات كالاختلاف الذي حدث حول تاريخ مقتل سيدنا عثمان رضى الله عنه، فقال: قتل عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة بعد العصر، ودفن ليلة السبت هذا هو الصحيح (١٨٩).

وفي نهاية الخبر الذي يتحدث عن مقتل كنانة بشر الذي كان ممن دخل على عثمان رضى الله عنه وياشر قتله ، فرأى يقول : إنه قتل يوم لقاء جيش محمد بن أبى بكر وعلى مقبمته كنانة بن بشر، وجيش عمرو بن العاص ، ورأى آخر يقول : إنه قتل يوم الدار، والقاضى محمد بن يحيى يرجح الرأي الأول على الثانى فيقول : والأول أصح (١٩٠).

وصف المخطوطة

توجد نسخة واحدة لهذه المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢ تاريخ م ، في ٢٤٨ صفحة، ولم يصل لعلنا أى خبر عن وجود نسخة أخرى. وهى نسخة قديمة فى مجلد بقلم معتاد قديم ليس عليها تاريخ نسخ، ولكن من ورقها ونوع خطها يبدو أنها قديمة فى

مجلد، كتبت منذ أكثر من مائتي سنة عن النسخة الأصلية وقد تم مراجعتها وتصحيحها على الأصل وقد صرح بذلك من راجع النسخة التي بين يدي في هامش الصفحة ٩٨، حيث قال : بلغ سماعا ومقابلة وتصحيحاً بنسخة الأصل نفعا الله تعالى، وكذلك في هامش الصفحة ١٤٢ حيث قال : بلغ مقابلة وتصحيحاً بنسخة الأصل.

النسخة كاملة من المقدمة إلى الخاتمة، جاء في الصفحة قبل الأولى ختم كبير في وسط الصفحة مكتوب فيه: الكتبخانة الخديوية المصرية، وفي أسفل الصفحة استصحاب للكتاب حيث مكتوب : استصحبه الحقيير عقب ... الله له . ومكتوب بأسفل الصفحة من جهة الشمال: ثم انتقل إلى ... العبد الفقير إلى الله السيد ... سعد ... عفى الله عنه .

وبأعلى من جهة اليمين مكتوب ثمانية أسطر تحوز على نصف الصفحة من الجهة اليمنى مكتوب فيها : عن ابن أخى عبدالله بن سلام، فقال عثمان رضى الله عنه : ما جاء بك ؟ قال : جئت في نصرك قال: «أخرج إلى الناس، فقال «أيها الناس إن لله سيفاً مغموراً وإن الملائكة قد جاورتكم في بلدكم بهذا الذى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالله الله في هذا الرجل، إن تقتلوه ، فوالله إن قتلتموه ليطيرون جيرانكم الملائكة وليسكن الله سيفه المغمور عليكم فلا يغمده إلى يوم القيامة، قالوا : «اقتلوا اليهودي فقتلوه» أخرجه الترمذى.

فما قتل نبي قط إلا قتل به سبعون ألفاً، ولاخليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفاً ... تفسير ... في سورة النور.

أما الورقة الأولى فقد بدأت بالبسملة دون العنوان أو ذكر له أو للمؤلف ، ولكن العنوان والمؤلف ذكرا في الصفحة الأخيرة.

كتبت النسخة بخط قديم معظمه معجم يسير على الرسم الإملائي العثماني (فالهزمة) يكتبها (ياء) كما في كلمة «عائشة» يكتبها «عائشة» وأحيانا يحذف الألف الزائدة كما في كلمة «معاوية» يكتبها «معوية» كما أنه يكتب الاسم المقصور الذى نهايته ألف لازمة في النطق وتكتب ياء يكتبها ألفاً كما في كلمة «الذى» يكتبها «الذا» .

ضُبط الكتاب بالنقط في الفصل بين الأقوال، وبالشكل لبعض الكلمات المشككة وغيرها ، كما نجد ما يلتبس من الأعلام والبلدان.

العناوين وأسماء الأبواب والفصول بقلم معتاد بنفس درجة قلم باقى الكتاب غير أنه بالمداد الأحمر.

على هامش المخطوطة تعليقات ومعانى كلمات واستدراكات واستكمال لبعض الكلمات الساقطة من المتن وهى بمداد يخالف مداد المتن من حيث نوع الخط وجودته، ويضع المصحح فوق تلك الكلمات رمز (صح)، كما فى هامش الصفحة ١٦، ٣٨، ٤٤، ٤٧، ٧٧ وذلك على سبيل المثال.

كما يوجد شطب لبعض الكلمات داخل المتن سواء كانت مكررة أو خطأ أو حدث بها سبق قلم فنجد المصحح يتداركها فيشطبها ويكتب الصحيح فوقها كما فى الصفحة ١٨، ١٩، ٢١، ٢٥، ٢٩، ٣٣، ٦٩، ٧٥، ٨٢، ١٠٣.

فى معالجة السقط من أصل الكتاب من بين السطور فيكتبه المصحح فى الهامش سواء كان السقط فى أول السطر أو وسطه أو آخره، فيكتب خطأ بموضع النقص صاعداً إلى تحت السطر الذى فوقه ثم ينعطف جهة الهامش المسجل عليه السقط، ويعد أن يذكر السقط سواء كان كلمة أو مجموعة كلمات فإنه يكتب بعده كلمة (صح) كرمز للتصحيح .

وفى نهاية الكتاب بالصفحة رقم ٢٤٨ يقول المؤلف : آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأتباعه وسلم تسليماً دائماً كثيراً كثيراً.

ومكتوب بأسفل الصفحة : «وفرغ من جمعه وتأليفه الفقير إلى الله محمد بن يحيى بن أبى بكر، غفر الله له ولوالديه ، ولجميع المسلمين، وذلك فى يوم الثلاثاء خامس عشر ذى القعدة من سنة تسع وتسعين وستمائة ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

أما السطر الأخير فمكتوب فيه عنوان الكتاب وهو «نجر كتاب التمهيد والبيان فى مقتل الشهيد عثمان بن عفان رضى الله عنه.

الخاتمة

تمخض هذا البحث عن نتائج كشفت النقاب عن الكتابة التاريخية والنقد التأريخي عند القاضي محمد بن يحيى الأندلسي من خلال كتاب التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان بن عفان ، وهذه النتائج من الممكن أن تنقسم إلى قسمين : قسم يتعلق بالجانب المنهجي عند المؤلف، وقسم يتعلق بالمادة العلمية التي تحتوى عليها المخطوطة.

القسم الأول: يتضح لنا أن المؤلف قد ألزم نفسه بمنهج عادل يتوخى فيه العدل من غير ميل أو تعصب أو هوى وقد صدق مع نفسه في التزامه بالمنهج الذي صرح به.

استطاع المؤلف أن يعرض مادته العلمية بعبارة مناسبة ، وسهولة في العرض ولم يكن صاحب اهتمام بالصنعة البيانية أو الألفاظ الصعبة.

استطاع هذا المؤلف أن يخلد سيرة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه حيث يعطى حقيقة ناصعة لحياة الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه.

نوع المؤلف في مصادره فجاءت مصادر معروفة ومشهورة ككتب الحديث الشريف ، ومصادر تتمثل في الكتب السابقة عليه، ومصادر عامة.

كما أن المؤلف استطاع أن يستفيد بمصادر كثيرة تحت يده فجاء الإسناد عنده متنوع كأن يصرح باسم الكتاب بون ذكر مؤلفه ، أو ينقل من المصادر السابقة بون أن يصرح مع إهمال الإسناد.

أما طرق النقل فقد توصلنا إلى أن المؤلف قد نقل مادته العلمية بعدة طرق كأن ينكر الحديث أو الأثر بأسانيده ، وأحياناً يذكر تخريج الحديث. كما ينقل عن الكتب السابقة مصرحاً به أحياناً وخافياً له أحياناً أخرى. وأما من حيث النص المنقول فإحياناً ينقله بأكمله بون نقص أو زيادة ، وأحياناً أخرى يتصرف في النص عن طريق الحذف أو الاختصار.

لقد استطاع المؤلف أن يكشف عن العامل الرئيسي في توجيه الأحداث الصعبة التي أدت إلى قتل الخليفة عثمان رضى الله عنه فكانت الرفضة وراء الأحداث .

وصف الأحداث وبين الحقيقى منها والمزيف على يد لسان الرفضة. كما كان حسن التصرف في الرد على الروافض والملاحدة وهم يطعنون في سيرة الخليفة عثمان بن عفان .

كان المؤلف فى بعض المواقف يظهر سخريه من تصرف الرافضة وأقوالهم الأثمة الموجهة ضد الخليفة عثمان رضى الله عنه.

كما استطاع أن يظهر لنا مجموعة من العبر والعظات من خلال هذا الكتاب. كذلك استطاع المؤلف أن يعلل ويرجح فى كثير من الأمور، ويستنبط الأحكام.

القسم الثانى: ويتناول العديد من النتائج التى ظهرت من خلال الحديث عن كتاب التمهيد والبيان ومن خلال معاشيتى له وقراءته قراءة جيدة والقيام على تحقيقه وهى:

إن هذه الفتنة التى قتل فيها سيدنا عثمان بن عفان قد صبح الإخبار بها عن رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه دعا الناس إلى أن يكونوا مع الخليفة عثمان بن عفان ، وذكر أن عثمان على الهدى والحق هو وأصحابه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم بين أن عثمان رضى الله عنه مقتول فيها، وهو وقتها على الحق صابراً على القتل الذى هو قضاء الله وقدره. إن ما تناقلته المصادر من معائب ألصقت بعثمان ، ما صبح صدره من الخارجين عليه ومنها ما لم يصح، ومنها ما اشتهر.

إن شخصية عبدالله بن سبأ شخصية حقيقة دلت على وجودها الروايات الصحيحة.

إن عقيدة أهل السنة والجماعة عدم الخوض فى أحداث هذه الفتنة ويجب الدفاع عن الصحابة الكرام بالحق والعدل .

إن سيدنا عثمان بذل أقصى ما وسعه حتى يقنعهم ويرجعهم عما كانوا يصرون عليه، وكذلك الصحابة بذلوا الكثير والكثير للدفاع عن عثمان رضى الله عنه .

إن محمد بن أبى بكر لم يشترك فى التحريض وأنه لم يقتل عثمان رضى الله عنه وكل ما روى فى اتهامه باطل لا صحة له .

قد ترتب على قتل عثمان رضى الله عنه فتن ومحن كثيرة، وأن الخروج على إمام المسلمين مضارة كثيرة ويترتب عليها الكثير من المفساد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رَبِّ يُسْرِعْ بِكَ أَحْمَدُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 وَفَعَلَ اللَّهُ الْبَحْرَ طَائِفَةً مِنَ الْبَحْرِ وَالْأَلْبِطِينَ الطَّاهِرِينَ وَهُوَ فِي أَعْوَالِهِ
 الْمُنْتَحِينَ وَأَزْوَاجُ الطَّائِفَاتِ أَهْلًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَتِلْكَ كَثْرَةُ الْأَهْلِ
 أَمَّا بَعْدُ فَهَذَا كِتَابٌ أَذْكُرُ فِيهِ مَقَرَّعَ الْأَنْفَامِ الشَّهِيدَ ذِي الْوَقَارِ
 عِثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وَأَحْوَالَهُ وَبَعْضَ سِيرَتِهِ مُتَوَحِّيًا لِلْعَجَلِ الْهَيَّ
 ذِكْرُكَ مِنْ بَيْنِ بَيْنٍ وَتَعْظِيمُكَ بِأَذْكُرَ مَا نَقَلَهُ الْأَمِينُ الْعَلَمَاءُ مِنْ
 شِكَايَتِهِمْ وَتَوَارِيخِهِمْ مِثْلَ طَبَقَاتِ آلِ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ بَعْدِ طَوَارِكِ الْفَتْحِ
 لِسَيِّدِ بَنِي إِسْرَافِيلَ وَكِتَابُ الشَّرِيعَةِ لِأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٍ وَحُسَيْنِ الْأَحْمَرِيِّ
 وَكِتَابُ الْأَقْلَامِ لِلْحَرَنِ شَيْخِ الْفَيْسِ وَكِتَابُ التَّارِيخِ لِلشَّيْخِ
 عَبْدِ الْكَرِيمِ الْمَعْدُونِيِّ ابْنِ الْأَثِيرِ الْكُورِيِّ وَبَعْضُ بَعْضٍ مِنْ أَكْثَرِ الشُّعْرِ
 الْمُتَوَقِّفِ بَعْدَهَا وَنَزَّاهُ تَعَالَى اسْتَمَدُ الْمَعْنَى بِنَا بِقُدْرَةِ الْوَقْفِ
 جَسِيٍّ وَفَعَلَ الْوَكْلَ وَقَدْ قَعْلَتْهُ اثْنِ عَشَرَ بَابًا أَبْيَا الْأَوَّلُ
 لَمْ يَذْكُرْ سَبَبَ رَأْيِهِ وَأَزْوَاجُ الْمَبَادِ الثَّانِي لَمْ يَذْكُرْ سَبَبَ
 وَهْمِهِ ثَلَاثَةُ أَبْيَاتٍ لَمْ يَذْكُرْ بَعْثَهُ وَنَقَصَ الشُّرُوزِ أَرْبَعَةُ
 الرَّابِعُ لَمْ يَذْكُرْ الْخَوْضَ لِأَمْرِهِ وَمَا نَقَرَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي خَدَّيْتَهُ
 لَمْ يَذْكُرْ فِيهِ الْبَابُ الْخَامِسُ لَمْ يَذْكُرْ مِنْ سَابِقِهِ وَهَرَّةً أَيْ دَابَّةً مِنْ الْأَنْعَامِ
 الْثَانِي لَمْ يَذْكُرْ مَا قَبْلَ لَمْ يَذْكُرْ مَا قَبْلَ لَمْ يَذْكُرْ مَا قَبْلَ لَمْ يَذْكُرْ
 دَكَرْتُ لَهُ وَمَوْضِعُ فَرْقِ الْبَابِ الثَّانِي لَمْ يَبْلُغْ سَبَبَهُ وَخَلَا فِيهِ
 الْبَابُ الثَّالثُ لَمْ يَذْكُرْ صِفَتَهُ وَبَابُ سَبَبِ الْبَابِ الْخَامِسُ لَمْ يَذْكُرْ

لَمْ يَذْكُرْ

الصفحة الأولى من المخطوطة

منك قال محبة مدونا واربح محبة تهدينا الى السبيل الى الهدى
 فدواهم كله كبرياؤه العظيمة ونمازهم واطراظهم
 نغوداؤه من الكافرواؤه ايمانه
 ... خرافاته ... ومحمد بن عبد الله بن الحسن
 واسلام بن خيرة فانه محمد بن الحسن بن الحسين
 وازواجه وذراريه واتباعه ولم
 تليها وانما كبرياؤه اتيه راحة

وفرغ من عمله وتأليفه الفقير الى الله محمد بن الحسين بن أبي بكر فوافقه له وادله له
 بجميع المسئلة ذلك في يوم الثالث خامس عشر من الشهر من سنة
 تسع وثمانين وستمائة ومثل على سنة محمد بن الحسين وآله وسلم
 ٦٦٦ هـ

بجزائره التهديد والبيان في مقتل الشهيد عثمان بن عفان رضي الله عنه

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

الهوامش

- ١- محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ص ٨٧-٨٨ .
- ٢- محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ص ٤٩ .
- ٣- لسان الدين بن الخطيب : الدولة النصرية ص ٣٨ .
- ٤- لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ١ / ٥٦٥ ؛ والمقرئ : نفح الطيب ١ / ٤٤٩ ، ٤ / ٣٨٥ .
- ٥- القاسى : على بن أبى ذرع : النخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ص ١٤٨ .
- ٦- سورة التوبة: من الآية (١١١) .
- ٧- سورة آل عمران: من الآية (٢٠٠) .
- ٨- القاسى على بن أبى ذرع : النخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ص ١٤٩ ، ١٥٠ .
- ٩- القاسى على بن أبى ذرع: النخيرة السنية ص ١٥٩ .
- ١٠- لسان الدين بن الخطيب : الدولة النصرية ص ٤٥ .
- ١١- المقرئ: نفح الطيب ٤ / ٣٨٥ ؛ لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ٢ / ١٦ ، ٣٨ ، وابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٧ / ٧٧١ .
- ١٢- محمد عبدالله عنان: نهاية الأندلس ص ١٠٤ .
- ١٣- ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٤ / ٣٩٣ ؛ لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ١ / ٥٦٤ .
- ١٤- ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٤ / ٣٩٣ ، لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ١ / ٥٦٣ ؛ ومحمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ص ١٠٦ .
- ١٥- عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسى ، ص ٥٤١ .
- ١٦- لسان الدين بن الخطيب : الدولة النصرية ص ٤٥ .
- ١٧- الخرثى : متاع البيت .
- ١٨- لسان الدين بن الخطيب : الدولة النصرية ص ٥٠ ، ٥٤ .
- ١٩- محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ص ١١٨ ، ١٧١ .
- ٢٠- لسان الدين بن الخطيب : الدولة النصرية ص ٧٧ .
- ٢١- عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسى ص ٥٤٣ .

- ٢٢- لسان الدين بن الخطيب : الدولة النصرية ص ٨٢ .
- ٢٣- لسان الدين بن الخطيب : الدولة النصرية ص ٨٤ .
- ٢٤- محمد عبدالله عنان: نهاية الأندلس ص ١٢٥ .
- ٢٥- محمد عبدالله عنان: نهاية الأندلس ص ١٢٥ ؛ لسان الدين بن الخطيب : أعمال الأعلام ٢ / ٣٠٤ .
- ٣٠٦ ؛ والإحاطة في أخبار غرناطة ١ / ٥٤١ ، والمقرئ : نفح الطيب ٥ / ٨٠ .
- ٢٦- محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ص ١٢٧ .
- ٢٧- محمد عبدالله عنان : الآثار الأندلسية ص ٢٨٢ .
- ٢٨- النباهي: تاريخ قضاة الأندلس ص ١٨٣، ١٨٤ .
- ٢٩- النباهي : المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ص ١٤٦، ١٤٧ .
- ٣٠- المقرئ : نفح الطيب ٥ / ١٧ .
- ٣١- المقرئ : نفح الطيب ٥ / ٥١٦ ، ٥٢٦ ، وأزهار الرياض ٣ / ١٨٧ .
- ٣٢- المقرئ : نفح الطيب ٥ / ٣٩٠ .
- ٣٣- ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته ص ٤٩ .
- ٣٤- المقرئ : نفح الطيب ٥ / ٣٩١ .
- ٣٥- النباهي : تاريخ قضاة الأندلس، ص ١٧٩ .
- ٣٦- النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ص ١٨٣-١٨٤ .
- ٣٧- لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ١ / ٣٨٨ .
- ٣٨- لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ١ / ٣٨٨ .
- ٣٩- لسان الدين بن الخطيب : الدولة النصرية ص ٧١ .
- ٤٠- لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ١ / ١٣٤ - ١٣٧ .
- ٤١- لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ١ / ١٣٩ .
- ٤٢- غرستاف لويون : حضارة العرب، ص ٢٧٤ ، ٥٤٣ .
- ٤٣- غرستاف لويون: حضارة العرب ص ٢٧١ .
- ٤٤- لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ٣ / ٢٣٤ .
- ٤٥- لسان الدين بن الخطيب : الدولة النصرية ٥٧ .
- ٤٦- لسان الدين بن الخطيب: الدولة النصرية ص ٩٦ .

- ٤٧- لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ١ / ٥٥٧ .
- ٤٨- لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ١ / ٥٤٥ .
- ٤٩- محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ص ١٢٥ .
- ٥٠- لسان الدين ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ١ / ١٦٤ .
- ٥١- لسان الدين ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ٣ / ١٩١ .
- ٥٢- محمد عبدالله عنان: مقدمة الإحاطة في أخبار غرناطة ١ / ١٧ .
- ٥٣- لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ٢ / ١٧٦ .
- ٥٤- لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ١ / ١٥٧ ، ١٥٨ .
- ٥٥- المصدر السابق : ١ / ١٦٤ .
- ٥٦- المصدر السابق ١ / ١٨٠ .
- ٥٧- المصدر السابق ١ / ٢٢٢ .
- ٥٨- المصدر السابق ١ / ٤٦٤ .
- ٥٩- المصدر السابق ٢ / ١٧٦ .
- ٦٠- انظر ترجمته عند: لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ٢ / ١٧٦-١٨٠؛ واللحمة البدرية في الدولة النصرية ص ٨٢ ، ٩١ ؛ وابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة ٤ / ٢٨٤ ، وأبو الحسن النباهي الأندلسي : تاريخ قضاة الأندلس ص ١٧٧-١٨٤ ؛ والتبكتي أحمد بن بابا: نيل الابتهاج ص ٢٣٤ ، وابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ص ٢٣٤ ؛ والسيوطي: بغية الوعاة ص ١١٤ ؛ وابن العماد: شذرات الذهب ٦ / ١٣٢ ؛ والزركلي: الأعلام ٨ / ٩؛ والبغدادي : هدية العارفين ٢ / ١٥٠ ؛ وعمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ٣ / ٧٧٠ .
- ٦١- عند النباهي : في تاريخ قضاة الأندلس «محمد بن بكر» ص ١٧٨ .
- ٦٢- نسبة إلى بلدة «مالقة» وهي مدينة بالأندلس عامرة ، من أعمال «مرية» سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٥ / ٤٣ .
- ٦٣- ابن حزم الأندلس : جمهرة أنساب العرب ص ٣٩٨ .
- ٦٤- لسان الدين ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ٢ / ١٧٦ .
- ٦٥- لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ٢ / ١٨٠ .
- ٦٦- النباهي: تاريخ قضاة الأندلس ص ١٧٨ .
- ٦٧- النباهي: تاريخ قضاة الأندلس ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

- ٦٨- لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ٢ / ١٧٦ .
- ٦٩- النباهى: تاريخ قضاة الأندلس ص ١٧٨ ، ١٧٩ .
- ٧٠- لسان الدين ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ٢ / ١٧٧ ، ١٧٨ .
- ٧١- لسان الدين بن الخطيب: اللحة البدرية فى الدولة النصرية ص ٨٢ ، ٩١ .
- ٧٢- المقصود : ترك إهدار الحق، أو بعبارة أخرى: الحرص على إقامته.
- ٧٣- لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ٢ / ١٧٦ ، ١٧٧ .
- ٧٤- لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ٢ / ١٨٠ .
- ٧٥- بد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ص ٥٤٣ ، ٥٤٤ .
- ٧٦- المقرئ : نفح الطيب ٥ / ٢٨٧ .
- ٧٧- سورة آل عمران ، من الآية (١٧٠) .
- ٧٨- لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ٢ / ١٨٠ .
- ٧٩- المخطوطة : الصفحة الأخيرة جاء بها هذا التاريخ الذى يثبت الوقت الذى فرغ فيه المؤلف من كتابة هذه المخطوطة.
- ٨٠- فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية رقم ٢٢ / م تاريخ .
- ٨١- البغدادى : هدية العارفين ٢ / ١٥٠ .
- ٨٢- الزركلى: الأعلام ٨ / ٩ .
- ٨٣- عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ٢ / ٧٧٠ .
- ٤- البغدادى : ايضاح المكنون ١ / ٣٢٢ .
- ٨٥- كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ٢ / ٢٥٩ ، ٢٩٠ .
- ٦- انظر الصفحة الأولى من المخطوطة.
- ٧- سورة المسد: من الآية الأولى.
- ٨٨- انظر المخطوطة ص ١٠ ، ١١ ، ١٥ .
- ٨٩- المخطوطة ص ٢٣ ، ٢٤ .
- ٩٠- المخطوطة، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .
- ٩١- المخطوطة ص ١٩٣-١٩٥ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ .
- ٩٢- المخطوطة : ص ٢٠٤ .

- ٩٣- المخطوطة ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .
- ٩٤- المخطوطة ص ٦١ .
- ٩٥- المخطوطة ص ١١٧ .
- ٩٦- المخطوطة ص ١١٢ .
- ٩٧- المخطوطة ص ١٤٠ .
- ٩٨- المخطوطة ص ٧ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ٤٣ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ١٠٧ ، ١١٧ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٣ .
- ٩٩- المخطوطة ص ٢٢٠ .
- ١٠٠- المخطوطة ص ١١ ، ٢٢٤ .
- ١٠١- المخطوطة، ص ١٦٢ ، ١٦٤ .
- ١٠٢- المخطوطة ص ١٧٥ ، ١٩٢ .
- ١٠٣- لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ٢ / ١٧٦ .
- ١٠٤- المخطوطة الصفحة الأولى.
- ١٠٥- المخطوطة ص ٣٥ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٨٢ .
- ١٠٦- الحديث رواه البخارى في صحيحه باب فضائل عثمان بن عفان رضى الله عنه .
- ١٠٧- المخطوطة ص ٣٥ ، ٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٩-١٥١ ، ١٥٣-١٥٦ ، ١٥٩-١٦٤ ، ٢٢٢ ، ٢٤٠ .
- ١٠٨- المخطوطة ص ١٦١ .
- ١٠٩- المخطوطة ص ١٤٩ .
- ١١٠- المخطوطة ص ١٤٨ .
- ١١١- الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ١ / ٦١ ، ٦٥ .
- ١١٢- المخطوطة ص ٤ ، ١٠٥ ، ١١٤ ، ١٢٢-١٢٥ ، ١٣٢-١٣٧ .
- ١١٣- المخطوطة ص ٧ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ٤٣ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ١٠٧ ، ١١٧ ، ١٣٤ .
- ١١٤- المخطوطة ص ١٢-١٦ ، ١٤٧ ، ١٦٢ ، ٢٠٣ ، ٢١٨-٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٣٦ .
- ١١٥- المخطوطة ص ٢٢٠ .
- ١١٦- المخطوطة ص ١٠٥ ، ١٣٧ .
- ١١٧- المخطوطة ص ٢٢١ .

- ١١٨- المخطوطة ص ٢٤٥ .
- ١١٩- المخطوط ص ١٦٩ ، ٢١٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١-٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ .
- ١٢٠- المخطوطة ص ١٧٦ .
- ١٢١- المخطوط ص ١٠ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٨٢ .
- ١٢٢- المخطوطة ص ١٤٩ .
- ١٢٣- المخطوطة ص ١٦١ .
- ١٢٤- المخطوطة ص ١٤٨ .
- ١٢٥- المخطوطة ص ١٧٤ .
- ١٢٦- المخطوطة ص ٢٦ ، ٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠-١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦١-١٦٤ ، ٢٢٢ .
- ١٢٧- المخطوطة ص ٢٦ .
- ١٢٨- المخطوطة ص ١٧٤ .
- ١٢٩- المخطوطة ص ١١ ، ٢٢٤ .
- ١٣٠- المخطوطة ص ٢٠٣ .
- ١٣١- المخطوطة ص ٢٢٩ ، ٢٣٣ .
- ١٣٢- المخطوطة ص ١٦٢ ، ١٦٤ .
- ١٣٣- المخطوطة ص ١٩ .
- ١٣٤- المخطوطة ص ١٠٥ ، ١٣٢ ، ١٣٦ .
- ١٣٥- المخطوطة ص ١٢ ، ٢٠٣ ، ٢١٨ ، ٢٢٦ .
- ١٣٦- المخطوطة ص ٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ٢٢٢ ، ٢٤٠ .
- ١٣٧- المخطوطة ص ٢٠٣ .
- ١٣٨- المخطوطة ص ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٦٠ .
- ١٣٩- المخطوطة ص ٣٥ .
- ١٤٠- المخطوطة ص ١٠٥ ، ١٣٧ .
- ١٤١- المخطوطة ص ٢٦ .
- ١٤٢- المخطوطة ص ٢١١ .
- ١٤٣- المخطوطة ص ١٧٤ .

- ١٤٤- المخطوطة ص ١٧٦ .
- ١٤٥- المخطوطة ص ٧، ١٧، ٤٣، ٦٢، ١٠٧، ١١٧، ١٣٤، ١٣٩، ١٤٣ .
- ١٤٦- المخطوطة ص ٤، ١٢٢، ١٣، ١٢٥، ١٣٧ .
- ١٤٧- المخطوطة ص ١٣، ١٤، ١٦، ١٤٧، ٢٠٤، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٦ .
- ١٤٨- المخطوطة ص ٢٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٤، ١٥٥ .
- ١٤٩- المخطوطة ص ١٤٩، ١٥٢، ١٥٨، ١٥٩، ١٨٢ .
- ١٥٠- المخطوطة ص ٢١٢، ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٤٠-٢٤٧ .
- ١٥١- المخطوطة ص ٢١ .
- ١٥٢- المخطوطة ص ٢٥ .
- ١٥٣- المخطوطة ص ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٣، ٣٤، ٣٦، ٣٧ .
- ١٥٤- المخطوطة ص ٦، ٧، ١٠، ١١ .
- ١٥٥- المخطوطة ص ١٢، ١٣، ١٤ .
- ١٥٦- المخطوطة ص ٢٥، ١٥١ .
- ١٥٧- المخطوطة ص ١٠، ١١، ١٥ .
- ١٥٨- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢ / ١٦١ .
- ١٥٩- المخطوط ص ١٠٤-١٠٥ .
- ١٦٠- ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣ / ١ / ٥١ .
- ١٦١- المخطوطة ص ١٣٢ .
- ١٦٢- الأجرى : كتاب الشريعة ٢ / ١٧١ .
- ١٦٣- المخطوطة ص ٢٠٣ .
- ١٦٤- الأجرى: كتاب الشريعة ٢ / ١٧٧ .
- ١٦٥- المخطوطة ، ص ٢١٨، ٢١٩ .
- ١٦٦- المخطوطة ص ١٧٥-١٧٦ .
- ١٦٧- المخطوطة ص ١٨٠ .
- ١٦٨- المخطوطة ص ٢١٧ .

- ١٦٩- المخطوطة ص ٢٦ .
- ١٧٠- المخطوطة ص ٢٦ ، ٢٧ .
- ١٧١- المخطوطة ص ٢٧ ، ٢٨ .
- ١٧٢- المخطوطة ص ٢٩ .
- ١٧٣- المخطوطة ص ٤٢ ، ٤٣ .
- ١٧٤- المخطوطة ص ١٧٥ .
- ١٧٥- المخطوطة ص ١٧٦ .
- ١٧٦- المخطوطة ص ١٧٧ .
- ١٧٧- المخطوطة ص ١٧٨ ، ١٧٩ .
- ١٧٨- المخطوطة ص ١٨٣ .
- ١٧٩- المخطوطة ص ١٨٥ .
- ١٨٠- المخطوطة ص ٢٢٢ .
- ١٨١- المخطوطة ص ٢٢٧ .
- ١٨٢ المخطوطة ص ١١٣ .
- ١٨٣- المخطوطة ص ٦٨ .
- ١٨٤- المخطوطة ص ٢٣٢ .
- ١٨٥ المخطوطة ص ٢٤٢ .
- ١٨٦- المخطوطة ص ١١٣ .
- ١٨٧- المخطوطة ص ١٤٩ .
- ١٨٨- المخطوطة ص ١٩ .
- ١٨٩- المخطوطة ص ١٣٧ .
- ١٩٠- المخطوطة ص ٦-٢٠ .

قائمة المصادر والمراجع

- ١- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير ت ٦٣٠هـ: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٩٨٢م.
- ٢- الإدريسي: أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الحمودي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة بدون تاريخ.
- ٣ بروكلمان: كارل تاريخ الأدب العربي، ترجمة د. عبد الحليم النجار، طبعة دار المعارف سنة ١٩٨٣.
- ٤- البغدادي: إسماعيل باشا ١٢٣٩هـ: هدية العارفين، طبعة وكالة المعارف الجليلة، استامبول ط٣، سنة ١٩٥١م.
- ٥- التتبيكتي: أبو العباس سيدي أحمد: بهامش كتاب الديباج المذهب لبرهان الدين اليعمرى المدني المالكي، طبعة الفحامين، مصر ت ١٣٥١هـ.
- ٦- ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد بن علي ت ٨٥٢هـ: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، طبعة حيدر آباد، الهند، ت ١٣٥٠هـ.
- ٧- الحجى: د. عبد الرحمن علي: التاريخ الأندلسي، طبعة دار الاعتصام، القاهرة ١٩٨٣.
- ٨- ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت ٤٥٦هـ: جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف سنة ١٩٨٢.
- ٩- ابن الخطيب: لسان الدين محمد بن عبدالله بن سعيد ت ٧٧٦هـ: الإحاطة في أخبار غرناطة، حققه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبدالله عتات، طبعة مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٤.
- وأعمال الأعلام فيمن ببيع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام القسم الثاني، تحقيق الأستاذ إ. ليفي بروفنسال، طبعة دار المكشوف، بيروت ١٩٥٦.
- واللمحة البدرية في الدولة النصرية، تصحيح محب الدين الخطيب، طبعة القاهرة ت ١٣٤٧هـ.
- ١٠- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ: العبر وسبوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، طبعة دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١.

- ١١- الزركلى : خير الدين ت ١٣٩٧هـ : الأعلام، طبعة دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠ .
- ١٢- السيوطى: عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١هـ: بغية الوعاة، طبعة القاهرة ١٣٢٦هـ .
- ١٣- د. شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ، طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٨ .
- ١٤- عنان : محمد عبدالله : نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، القاهرة ١٩٦٦م.
- ١٥- غوستاف لوبون : حضارة العرب ، نقله إلى العربية عادل زعيتر ، طبع ، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، بدون تاريخ.
- ١٦ الفاسى: على بن أبى زرع : النخيرة السنية فى تاريخ الدول المرينية، طبعة الرباط، ١٩٧٢ .
- ١٧- ابن فرحون : برهان الدين إبراهيم بن على بن محمد ت ٧٩٩هـ : الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب ، طبعة مصر، ١٣٥١هـ .
- ١٨- كحالة : عمر رضا : معجم المؤلفين ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣ .
- ١٩- المقرئ: أحمد بن محمد المقرئ التلمسانى ١٠٤١هـ: أزهار الرياض فى أخبار عياض، تحقيق الأساتذة مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٠-١٩٤٢ .
- ونفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، ١٩٦٨ .
- ٢٠- النباهى: على بن عبدالله بن محمد بن محمد الجزامى الملقى أبو الحسن ت ٧٩٢هـ: تاريخ قضاة الأندلس، ضبط وشرح وتعليق الدكتورة مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٥ .
- والمرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشر ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٤٨ .
- ٢١- ابن النديم : محمد بن إسحاق البغدادى ت ٣٨٥هـ : الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت سنة ١٩٧٨ .
- ٢٢- ياقوت : شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموى ت ٦٢٦هـ : معجم البلدان، طبعة دار الفكر، دار صادر ، بيروت بدون تاريخ .

د. خليفة بن عبد الرحمن المسعود (*)

نظرة خادم الحرمين الشريفين ودعمه لمجلس التعاون الخليجي

(١٤٠٢-١٤٢٢ هـ / ١٩٨٢-٢٠٠٢ م)

مقدمة :

أنهى مجلس التعاون لدول الخليج العربية عشرين عاماً من مسيرته الحافلة بالأحداث والمنجزات حظى خلالها بدعم كبير من قبل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، مما ساهم بشكل كبير في مواصلة المجلس لمسيرته ووصوله إلى درجة كبيرة من النمو والعطاء، ولم يكن ذلك الدعم إلا وليد النظرة التفاؤلية للملك فهد تجاه المجلس والأهداف المتوخاة منه؛ من هنا فقد حاولت إبراز تلك النظرة وذلك الدعم من خلال موضوع هذا البحث.

وقد بدأت البحث بإعطاء لمحة سريعة عن ظروف إنشاء المجلس والعوامل التي أدت وساهمت بذلك ، ومن ثم حاولت إبراز نظرة الملك فهد تجاه المجلس والأهداف المؤمل تحقيقها لدول الخليج بل والأمة العربية بأسرها وتتضح تلك النظرة عبر أقواله وتصريحاته المتعلقة بالمجلس منذ تأسيسه حيث تم الحديث عن هذه النظرة عبر جوانبها المختلفة سياسياً وأمنياً وعسكرياً واقتصادياً .

وبعد ذلك تحدثت عن دعم الملك فهد للمجلس عبر عقدين من الزمن؛ هذا الدعم الذي كان له الأثر الأكبر في مسيرة المجلس جاء من خلال محاور متنوعة منها المادى والسياسى والأمنى والعسكرى والاقتصادى وخدمة الإنسان وبيئته بالإضافة إلى المحور الثقافى.

* أستاذ التاريخ الحديث المساعد ورئيس قسم العلوم الاجتماعية بكلية المعلمين فى الرس.

ثم تناول البحث بعد ذلك النظرة المستقبلية للملك فهد تجاه المجلس وهي نظرة دقيقة صادقة شاملة قوامها النقد والتقييم المتجرد من الأهواء سعياً للوصول بالمجلس إلى درجة أكبر من النمو والتكامل .

نبذة تاريخية عن ظروف إنشاء المجلس:

مجلس التعاون لدول الخليج العربية تجمع عربى إقليمى وجد فى عالم اتسم بالمتغيرات الحادة، وجاء ليضاهى تجمعات مماثلة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً ، ومما ساهم بإيجاد هذه المنظومة وجود مسيرة وحدوية لدى دول المجلس تعود فى جذورها إلى الفترة التى أعقبت استقلال دول الخليج العربية وبداية مواجهتها المعترك السياسى العالمى.

ومن هنا فقد أدركت دول الخليج العربى أهمية وحدتها كسبيل لبقائها ومواجهة التحديات المحيطة بها من كافة الجوانب لاسيما السياسية والعسكرية والاقتصادية ولاشك أن وجود تشابه فى التكوين الاجتماعى لدول الخليج العربى وصلات القربى بين الغالبية العظمى من قبائلها وأسرهم قد زاد من الشعور بالرغبة الملحة للوحدة، وفوق ذلك وجود رابطة الدين واللغة والعادات والتقاليد والمصير المشترك.

ومن المؤكد أن الظروف السياسية التى شهدتها منطقة الخليج العربى فى مطلع الثمانينيات من القرن العشرين حيث ظهرت المتغيرات السياسية فى إيران وما سبق ذلك من الغزو الروسى لأفغانستان ؛ بالإضافة إلى اشتعال فتيل الحرب العراقية الإيرانية كان لذلك كله دوراً مهماً فى مسارعة دول الخليج العربية لإتمام الوحدة، كما أن وجود اتفاقيات ثنائية بين هذه الدول خلال الفترة السابقة لقيام المجلس قد سهل من مهمة قيامه، وذلك بتحويل الاتفاقيات الثنائية إلى جماعية بين تلك الدول، بالإضافة إلى أن وجود بعض المؤسسات والمنظمات الاقتصادية والإعلامية والثقافية المشتركة قد زاد من الروابط بين دول المنطقة وسهل من وحدتها (١).

وحين أسهمت العوامل الداخلية والخارجية عربية وإقليمية فى تدعيم تلك الوحدة بدأت بوادر ظهور منظومة تضم تحت لوائها دول الخليج العربى فجاءت خطوات متتابعة أبرزها احتضان مدينة الرياض مؤتمراً ضم وزراء خارجية المملكة العربية السعودية والكويت والإمارات العربية المتحدة وقطر والبحرين وعمان ، وذلك فى رجب ١٤٠١هـ / فبراير ١٩٨١م، تم خلاله الاتفاق على قيام مجلس التعاون الخليجى، وبعد ما يقارب ثلاثة أشهر من ذلك الحدث شهدت مدينة أبو ظبى عاصمة دولة الإمارات العربية المتحدة ميلاد المجلس وذلك بتوقيع قادة

دول الخليج العربى الست على النظام الأساسى للمجلس ؛ فكان ذلك بداية فعلية لقيامه ؛ خاصة أن البيان الختامى للمؤتمر المنعقد فى أبوظبى قد أوضح ما يربط دول المجلس من روابط تجعل وحدتها أمراً حتمياً، وقد تكون النظام الأساسى للمجلس من اثنتين وعشرين مادة، كما تم تشكيل أجهزة المجلس ومؤسساته الإشرافية والتنفيذية ، وصاحب ذلك إصدار النظام الداخلى للمجلس الأعلى الذى تكون من تسع عشرة مادة، وتكون النظام الداخلى للمجلس الوزارى من تسع وثلاثين مادة، كما تم عقد اتفاقية اقتصادية موحدة؛ وبذلك ظهر مجلس التعاون لدول الخليج العربى كنموذج من نماذج العمل العربى المشترك على المستوى الإقليمى، ومنذ ذلك الوقت أصبح المجلس تنظيماً دولياً رسمياً حيث تم إيداع وتسجيل نسخ من نظامه لدى الجامعة العربية والأمم المتحدة بقرار من المجلس الوزارى أحد أجهزة مجلس التعاون لدول الخليج العربى^(٢).

نظرة خادم الحرمين الشريفين تجاه المجلس والأهداف المنوطة به:

كانت المملكة العربية السعودية من أبرز الدول التى دعمت إنشاء المجلس ورعت المؤتمر الذى شهد بواكر ظهوره لحيز الوجود، وكان للملك فهد الذى كان آنذاك ولياً للعهد دور مهم فى تذليل الصعاب التى لازمت ظهور المجلس ، وحين تولى مقاليد الحكم حرص على ترؤس وفد بلاده لاجتماعات دول المجلس وإثراء جلساته بالنقاش الصريح والحوار البناء وذلك تأكيداً لنظريته تجاه المجلس وفكرة إنشائه والأهداف المؤملة منها والتى أوجزها بقوله : «لقد جاء إنشاء هذا المجلس ترجمة صادقة وأمينة لتعاون حقيقى قائم بارز بين الدول الست تجسيدا للروابط العميقة والثيقة بين هذه الدول استجابة لرغبات وتطلعات شعوبها نحو التعاون والتكاتف والتعاقد، والعوامل الكفيلة بنجاح التعاون بين هذه الدول هى عوامل راسخة ومتأصلة فى التربة الخليجية فالأصول الدينية والحضارية والثقافية واحدة، والامتداد الجغرافى والتاريخى واللغوى واحد ، كل ذلك يجعل من التعاون والتنسيق منطلقاً أساسياً نحو تحقيق الأهداف النبيلة التى وضعها المجلس، وأن استمرار الدول الست فى السير على هذا الطريق بخطى واثقة سيحقق فى النهاية وبمشيئة الله الوحدة الحقيقية المترسخة فى وجدان كل مواطن فى هذه المنطقة ...» ، كما أدرك أهمية المرحلة والظروف التى دعت لتكوين المجلس ليكون مصدر قوة ودعم للدفاع عن البلاد العربية بأسرها حيث قال: «إن صحة وسلامة هذا العضو من الجسم العربى الواحد هى مصدر قوة وعزة ومنعة لذلك الجسم ولاسيما فى هذه المرحلة

الدرجة التي تمر بها أمتنا العربية وقد أحاطت بها التحديات من كل جانب وتقاذفتها أمواج المخاطر من كل حدب وصوب ...»^(٣).

وقد ركز الملك فهد على مسألة أمن دول المجلس باعتباره الوسيلة الحقيقية لتوفير الرخاء لشعوب دوله، والأمن في مفهوم الملك فهد أمن شامل للجوانب الاجتماعية والعسكرية والسياسية والاقتصادية والفكرية ويتضح ذلك بقوله :

«ومما لا شك فيه أن تحقيق رخاء شعوب المنطقة يتطلب من دولها توفير عناصر أساسية أخرى لا بد منها وهي الأمن والاستقرار والسلام للمنطقة كلها مع ما يتطلبه ذلك من حرص مستمر على إيجاد الوسائل الكفيلة بالدفاع عن منجزاتها ومكتسباتها وفق سلم الأولويات التي تتطلبها أهمية المرحلة التي تم التوصل إليها على هذه الأصعدة جميعها تشكل إضافة قيمة من أجل تحقيق الأهداف المنشودة ..»^(٤). ثم يعود ليؤكد أن المجلس ليس بمعزل عن وحدة العالمين العربي والإسلامي : «إننا نعمل مع أشقائنا في الخليج العربي وفي العالمين الإسلامي والعربي من منطلق حرصنا الدائم على أن تظل هذه المنطقة منطقة أمن وسلام ورخاء بعيداً عن التيارات الهدامة والمبادئ المنحرفة التي طالما جرت على الشعوب الويلات ...»^(٥).

ويحدد الملك فهد نظريته الداعمة لمهام المجلس لا تنظيراً بل كواقع فعلي إذ يطبق مبادئ ومهام المجلس على الأحداث التي تشهدها الساحة وذلك لتحقيق الغاية المنشودة من تأسيس المجلس من الجوانب المختلفة.

أ- نظريته لدور المجلس في أمن وسلامة المنطقة:

يرى الملك فهد بأن الأمن الخليجي كل لا يتجزأ ، وأن مجلس التعاون قد بدأ مسيرته وسط أجواء عاصفة وفي مواجهة تحديات فرضت على المنطقة وحولتها إلى بؤرة توتر وصراع إقليمي؛ ولذلك فلا بد من تظافر جهود دول المجلس لتحقيق انطلاقة تمكنها من احتواء الأزمات التي تواجهها منطقة الخليج والقضاء على الحروب المحيطة بها أو المشاكل التي نشبت بين بعض دول المجلس من جهة ودول الجوار الأخرى كما حدث في الحرب العراقية الإيرانية أو خلال أزمة الخليج الناجمة عن غزو العراق لدولة الكويت، أو كما حدث من منازعات بين دولة الإمارات العربية المتحدة وإيران بشأن بعض الجزر وغيرها من المشاكل^(٦)، ولذلك يؤكد الملك فهد بأنه : «لا بد من وضع مسألة أمن المنطقة في مكان الصدارة وإن اهتمام دولنا يدفعنا صوب التعاون في هذا المجال الذي يعتمد كياننا وحياتنا وتوطيد الأمن والاستقرار في بلداننا

والسلام في منطقتنا فلا بد من أن يتحقق مزيد من التنسيق العسكري والأمني بين دول المجلس...»^(٧).

ويبين الملك فهد من منظور أمني عميق وخلال كلمة ألقاها في جمادى الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م بمناسبة انعقاد الدورة الثامنة للمجلس في الرياض بأن مبدأ القوة ليس حلاً للمشاكل التي تقع بين دول المنطقة وجيرانها لأن المقياس للقوة في العصر الحديث ليس بعدد السكان ، ولا بد أن يسود مبدأ المنطق والعقل والحكمة والتعقل، كما يرى أن من حق كل دولة الدفاع عن نفسها بما تملك من قوة «وربما تستعين بدول أخرى ومن حقها أن تستعين بدول ولكن لا أريد أن يصل الأمر لهذا الحد ...»^(٨).

وهذه المقولة أكدت بلاشك سلامة فكر الملك فهد السياسي وحكمته في اتخاذ قرار الاستعانة بالدول الصديقة بعد سنتين من حديثه هذا حينما اعتدت العراق على دولة الكويت وحشدت حشودها على حدود المملكة العربية السعودية؛ فكان لذلك القرار دور في إخراج المنطقة من ذلك الخطب الذي ألم بها وإعادة الحكومة الشرعية للكويت.

وفي الوقت ذاته شدد الملك فهد على أن بناء القوة الدفاعية لبلدان المجلس، أمر في غاية الأهمية ولذلك فإنه أولى اهتمامه لتطوير قوات درع الجزيرة وتعزيزها عدة وعدداً بحيث تصبح قوة في إطار أمني متكامل فضلاً عن إنشاء نظام للإنذار المبكر وتنسيق العمل بين شبكات الرادار في جميع دول مجلس التعاون^(٩).

ب- نظرتة لدور المجلس من الجانب الاقتصادي:

يتبين منظور الملك فهد لمجلس التعاون الخليجي في الجانب الاقتصادي من خلال تأكيده على ضرورة إيلاء هذا الجانب اهتماماً كبيراً لتحقيق الرخاء لشعوب بلدان المجلس وضرورة إعطاء مزيداً من الجهد ليتحقق استكمال تنفيذ الاتفاقية الاقتصادية الموحدة وإزالة أية عقبات تعترض تطبيقها ، وتعميق وتوسيع ممارسة مواطني دول المجلس لحقوق المواطنة الاقتصادية وإقامة السوق الخليجية الموحدة^(١٠).

ويرتفع الملك فهد بفكره ونظرتة الكبيرة تجاه اقتصاديات المجلس حينما يلغى الفوارق ويتخلى عن حب الذات فيرى دول المجلس دولة واحدة اقتصادياً حين يقول: «أنا من الناس الذين يفضلون أن يروا مصنفاً مكتوباً عليه مصنع دول الخليج في جدة، وأرى مصنفاً مكتوباً عليه أيضاً ذلك في الكويت وفي الإمارات وعمان وقطر والبحرين .. ونرى رأس مال وطنياً مشتركاً من جميع دول الخليج ليس من الحكومة وإنما من المواطنين . هذه الروابط المالية

دائماً تدعم الصلات بين مواطني دول الخليج وتدفعها للأمام^(١١). ومما لا شك فيه أن هذه العبارات تؤكد النظرة الشمولية تجاه اقتصاديات المجلس وضرورة العمل لاندماج دوله في تجمع اقتصادي موحد.

ج- نظرتة لدور المجلس من الجوانب الاجتماعية والثقافية:

لقد أكد الملك فهد أن الجانب الاجتماعي والثقافي لدول المجلس هو جزء أساسي من اهتماماته بل هو محور مركزي تنبني عليه قوة دول المجلس ونموها ويتبين هذا بقوله إن الجانب الاجتماعي والثقافي هو : «محور اهتمامنا منذ قيام المجلس فإنتنا نأمل أن يحظى بمزيد من العناية بعد أن تم السير بخطوات نافعة في مجالات التعاون والتبادل الثقافي وتمتع الطلبة في دول المجلس بمعاملة المواطنين ، وكذلك الحال بالنسبة لشؤون التعاون في مجالات الصحة والعلاج وشؤون التعاون في المجالات المتعددة الأخرى....»^(١٢).

ويخلص الباحث من خلال ما سبق إلى أن نظرة الملك فهد تجاه مجلس التعاون تنطلق من أسس عظيمة الأهمية من أبرزها .

- أن الإسلام هو متبع التفكير وهو العروة الوثقى لوحدة دول المجلس ولكل أعماله التعاونية.

- أن التعاون الخليجي هو جزء لا يتجزأ من التضامن العربي والتآخي الإسلامي.

- أن هناك عوامل وحدة جمعت شعوب منطقة الخليج منها الدين واللغة والأصول العرقية والعادات الاجتماعية الواحدة، والتاريخ المشترك والجوار الجغرافي، وأن المجلس جاء ليكرس تلك العوامل ويرسخها .

- أن قيام المجلس ما هو إلا تلبية لآمال وتطلعات وطموحات شعوب المجلس لرغبتها وميولها الحققة نحو التعاون المثمر في كافة الجوانب.

- أن مجلس التعاون يجب أن يكون اسماً على مسمى بحيث تكون صفة التعاون ملازمة لكل ما يتخذ من قرارات مع ضرورة التشاور في كل أمر تطبيقاً لمبدأ الشورى في الإسلام.

- أن شعوب مجلس التعاون هي حجر الزاوية في كل ما يتخذ من قرارات إذ أن الهدف من إنشاء المجلس حفظ مصالح وحقوق هذه الشعوب.

- أن مجلس التعاون يجب ألا يغفل على نفسه بل لابد أن يكون حلقة داخل منظومة

التكتلات الإقليمية والدولية الهادفة إلى إسعاد الشعوب وحفظ أمنها ورخائها واستقرارها ، وأن لا يقتصر دور المجلس على حل مشاكل دولة بل لا بد من مساهمته بحل مشاكل الشعوب العربية والإسلامية ، وكذلك المشاكل الدولية ومنها على سبيل المثال قضية فلسطين.

- أن وجود بعض المشاكل فيما بين دول المجلس أمر وارد ولذلك فإن دور المجلس هو المعول عليه في القضاء على تلك المشاكل والخلافات ، وضرورة حصر هذه المشاكل داخل نطاق المجلس.

- أن دول المجلس تقف على قدم المساواة مع بعضها البعض من حيث حقوقها وواجباتها المنوطة بها في هذا المجلس وما تمثله من دور في المنطقة.

- أن دور المجلس يجب أن يتصف بالشمولية في رعاية جوانب الحياة المختلفة دون استثناء ولهذا لا بد من عناية كاملة بالجوانب الأمنية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية إذ أن جميع تلك الجوانب تصب في مصلحة شعوب دول المجلس ولاغنى لهم عن أي منها، كما أن شمولية دور المجلس يجب أن تنعكس على الأمة العربية والإسلامية باعتبارها الهدف الأسمى لكل وحدة^(١٣).

دعم الملك فهد لمجلس التعاون في المجالات المختلفة :

إزاء هذه النظرة التفاؤلية للملك فهد تجاه المجلس ، فقد عمل الكثير لدعمه ومساندته مادياً ومعنوياً لتحقيق أهدافه وتحويل الأسس النظرية إلى واقع ملموس للوصول إلى المبتغى؛ فبالإضافة إلى ما تقدمه المملكة العربية السعودية من دعم مالى سنوى للمجلس مقاسمة مع دول المجلس الأخرى ، فإن هناك جوانب دعم إدارية ومالية للمجلس اختص بها الملك فهد، ولقد أوضح السيد عبدالله بشارة أمين عام المجلس عام ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ذلك الموقف الداعم بقوله : «إن الملك فهد يطبق المثل القائل إذا اصطنعت المعروف فاستره ، وإذا اصطنع إليك فانشره...»، حيث أشار الأمين العام إلى الدعم اللا محدود من قبل الملك فهد للمجلس وقال : «باسم الجميع أحييكم يا خدام الحرمين الشريفين لعطائكم ووفائكم ورعايتكم للمجلس منذ ولادته حتى انطلاقته ، أعبر لكم ولسمو ولي عهدكم الأمين وحكومتم الرشيدة عن الامتنان الذى لا يوصف والتقدير الذى لا يقاس.. يقول العرب من هان عليه المال تعلقت به الآمال، وكنا فى الأمانة العامة نسأل فنعطى ونطمع فنرضى، جزى الله من أعطى كل خير...»^(١٤).

ولعل أبرز الشواهد التاريخية على الدعم المادي السخي من قبل الملك فهد للمجلس هو ذلك الصرح العظيم الذي تبرع به ليكون مقراً للمجلس في الرياض؛ حيث شيد المبنى على مساحة مائة وستة وعشرين ألف متر مربع ومساحة مبانيه أربعة وثلاثين ألف متر مربع وصمم بشكل هندسي إسلامي وفاءً للبيئة واحتراماً للتراث ، وقسم إلى أربعة أجزاء: الأول : قاعة كبرى للاجتماعات وقاعات تستوعب اثني عشر اجتماعاً في وقت واحد ، وتسهيلات ممتازة، وغرف للقاءات الجانبية . الثاني: مبنى يضم المكتبة ، وقاعة الكمبيوتر على أحدث طراز ، يفي بحاجة الأمانة لأجيال قادمة. الثالث : مبنى مكاتب الموظفين ، رائع في مظهره ، يفي بحاجة الأمانة حتى أربعين سنة قادمة . الرابع: سكن الأمين العام يغطي حاجة من يسكنه ويوفر له امتيازات رائعة^(١٥).

ولأن الملك فهد لم يرغب بإعلان التكلفة المالية للمشروع ، فقد خلت كلمة الأمين العام آنذاك من ذكر المبلغ حيث اكتفى بالقول «والتكلفة سخاء...»^(١٦). والواقع أن تنفيذ المشروع قد تكلف نحو أربع مائة مليون ريال قدمها خادم الحرمين الشريفين ، كهدية إلى المجلس وأبناء الخليج، وتم تنفيذ المشروع بزمن لم يتجاوز تسعة وعشرين شهراً^(١٧).

وقد تم افتتاح المبنى يوم الأحد السابع من جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ الموافق ٢٧ ديسمبر ١٩٨٧م بحضور قادة دول المجلس، حيث ألقى الأمين العام للمجلس آنذاك السيد عبدالله بشار كلمة أشاد فيها بذلك الدعم السخي من قبل الملك فهد حيث قال: «يشرفني أن أتحدث باسم المجلس كأمين عام طوقه يا خادم الحرمين الشريفين سخاؤكم .. لقد وعدتم فتوفيتهم وعملت مع إخوانكم قادة دول المجلس لتطوير حلم القدماء إلى أمل الآباء ليتوج عملاً شامخاً وهو منحتكم للأبناء...» ثم أضاف قائلاً : «... والمبنى هو هدية خادم الحرمين الشريفين إلى جيل المجلس ومنحة من المملكة العربية السعودية تودعها بثقة في جيل الوفاء الذي يعي سخاء هذه الأرض وهو سخاء ينير الأمل بأن الغد يفوق الحاضر .. لقد قلنا بأن المجلس هو كائن تكبر قامته كل يوم هذا المقر يعطى لمن يراه فكرة عن قامة المجلس بعد جيلين وبرهاناً على أنه بالهمة وحدهما يصبح الحلم واقعاً ... هذه مناسبة أدخلت المجلس حقبة جديدة من التاريخ، أشكركم على كل شيء...»^(١٨).

وانطلاقاً من ذلك الدعم المادي السخي، والذي صاحبه دعم معنوي ، فقد قدر للمجلس وعلى مدى عقدين من الزمن ومن العمل الخليجي المشترك أن يخطو خطوات واسعة ، ويقفز

قفزات كبيرة نحو تحقيق أهدافه فى مختلف المجالات السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والقانونية والإعلامية والتعليمية.

أ- جهود الملك فهد فى دعم المجلس من الجانب السياسى والأمنى:

عمل الملك فهد جاهداً من خلال مجلس التعاون لإنهاء حالة الحرب بين العراق وإيران ، والتي استمرت طوال الثمانينيات من القرن العشرين، ورغم إدراكه لصعوبة التوفيق بين البلدين المتحاربين بشكل أعجز العديد من الهيئات الدولية والبعثات الإسلامية والأمن العام للأمم المتحدة إلا أنه لم ييأس وكان من خلال جلسات مجلس التعاون يحاول طرح الوساطات بين الجانبين لإدراكه لخطورة تلك الحرب التى ستكون كما قال: «خسارة على الجميع إن كانت الدولتين المتجاورتين أو ربما دولنا الخليجية ودولنا العربية والإسلامية كل ما أتمناه أن يوفقنا رب العزة والجلال لأفضل الطرق وأنسبها لإنهاء هذه الحرب بأسرع وقت ممكن إذا أمكن ذلك...»^(١٩).

وحين قامت العراق باحتلال جارتها الكويت مع مطلع التسعينات من القرن العشرين كان لخادم الحرمين الشريفين دور بارز فى إخراج منطقة الخليج بل والعالم بأسره من تلك الأزمة وذلك باتخاذ قراره التاريخى بالاستعانة بالدول الشقيقة والصديقة للدفاع عن المملكة وشقيقتها الكويت، ورغم أن هذا الموضوع واسع البحث إلا أننا نشير إلى أن ذلك القرار كان له دور مهم جداً فى الحفاظ على مسيرة مجلس التعاون الذى أكد قدرته على التحدى حين التفق قايته وشعوبهم للدفاع عن بلدان الخليج؛ ولهذا فإن أول قمة عقدت بعد إزالة الاحتلال العراقى للكويت قد عقدت على الأرض المحررة للربط بين مسيرة المجلس وعودة أحد أعضائه إليه؛ ولقد أعرب الملك فهد عن تفاؤله بمناسبة عقد تلك القمة قائلاً: «ومن حسن الطالع أن يأتى هذا الاجتماع للقمة الثانية عشرة فى الكويت المحررة وطبيعى أن تطفئ مشاعر التفاؤل بما ينتظر أن تسفر عنه هذه القمة وهى تنعقد فى أجواء مابعد التحرير والقضاء على العدوان، فلتكن هذه القمة إذن قمة الانطلاقة الجديدة لمسيرة التعاون لدول الخليج العربية، انطلاقة فى كل الاتجاهات التى حددتها المسيرة من خلال مواثيقها الأساسية...»^(٢٠).

ومنذ أن أقدمت إيران على احتلال الجزر الثلاث أبو موسى وطنب الصغرى وطنب الكبرى المتنازع عليها مع دولة الإمارات العربية المتحدة فإن الملك فهد وجه ندائاته المتكررة من خلال المجلس إلى إيران بالقبول بحل النزاع بالطرق السلمية من خلال الحوار الجاد والمباشر مع دولة الإمارات العربية المتحدة أو القبول بإحالة القضية إلى محكمة العدل الدولية ونيل سياسة

فرض الأمر الواقع بالقوة المتنافي مع أمن واستقرار المنطقة ومع مبادئ القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة ومبادئ حسن الجوار واحترام سيادة ووحدة أراض دول المنطقة^(٢١).

ولأن خادم الحرمين الشريفين يؤمن بأن القضية الأساسية للعرب والمسلمين هي قضية فلسطين فقد حرص من خلال مجلس التعاون لدول الخليج العربي على بذل المساعي لإيجاد حلّ يحفظ للفلسطينيين حقوقهم المسلوبة ؛ فبعد أن أعلن مشروعه للسلام ودعى لتوحيد الصف العربي خلال مقررات القمة العربية الثانية عشر المنعقدة في مدينة فاس في المغرب سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ولقى موافقة القادة العرب بالإجماع على ذلك المشروع كأساس لسلام شامل في الشرق الأوسط لم يلبث الملك فهد أن سارع الخطى لمناقشة الموضوع الفلسطيني خليجياً في قمة المنامة، ثم جاءت القمة الخليجية في مدينة الدوحة ليواصل فيها دوره مع قادة دول مجلس التعاون للمساهمة بحل قضية فلسطين وتوحيد الصف العربي لدعم الشعب الفلسطيني^(٢٢)، وهو ما عاد ليؤكدده في القمة الرابعة عشر في الرياض عام ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م حيث عبر عن أمله الكبير في أن تكون اتفاقية أوسلو الموقعة بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل خطوة أولى صحيحة في سبيل التوصل إلى حل عادل ودائم وشامل للنزاع العربي الإسرائيلي^(٢٣) موضحاً ذلك بقوله : «قضيتنا الأولى تحرير القدس تنتظر منا الاعتصام بحبل الله جميعاً كي يعود أبناء فلسطين إلى وطنهم مع حقهم في تقرير المصير...»^(٢٤). واستمر الملك فهد مصراً على أن قضية العرب والمسلمين الأولى هي قضية فلسطين متخذاً من مجلس التعاون أداة فاعلة لحل تلك القضية.

ومع انعقاد القمة الثانية والعشرين للمجلس في سلطنة عمان عام ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م أوضح أن من أبرز اهتمامات المجلس قضية فلسطين وأن «دول المجلس ستتواصل جهودها- بحول الله وقوته- عبر كل القنوات من أجل حفز الإرادة الدولية لتفعيل دورها لتطبيق الشرعية ذات الصلة وإن شاء الله لن يضيع حق ورامه مطالب سواء طال الزمن أم قصر...»^(٢٥).

وفي الوقت الذي عمل الملك فهد من خلال مجلس التعاون لإيجاد الحلول الناجحة للقضية الفلسطينية فإنه لم يتجاهل المشاكل السياسية الناشئة داخل البيت الخليجي نفسه ويحاول بكل قوة إقناع أطرافها باللجوء للحكمة والتفاهم وحلها داخل إطار المجلس، ومنها ذلك الخلاف الذي نشب بين دولتي قطر والبحرين على بعض المناطق الحدودية حيث قال عن هذا الخلاف : « بالنسبة لدول الخليج وإن كان هناك بعض المشاكل الطارئة مثل ما هو موجود بين البحرين وبين قطر فهي مشكلة موجودة ولكن اعتقد أن الحكمة بالنسبة للقادة في البحرين

والقادة في قطر جديرة أن تحل هذه المشكلة بالطرق المحببة للنفوس...» ثم يحاول التقريب بين وجهات نظر أطراف الخلاف مبيناً أن «أى مشاكل تطرأ بالنسبة لدول الخليج مع بعضها البعض دائماً تحل بالطرق الودية، ولدول الخليج سياسة معينة هي ألا تتدخل في شؤون أحد ولا تسمح لأحد أن يتدخل في شؤونها...»^(٢٦). ولقد أثمرت تلك الجهود عن حل ذلك الخلاف وعودة الصفاء إلى العلاقات بين الدولتين.

غير أن الدعم السياسى الأبرز الذى يمثله الملك فهد لمجلس التعاون هو ذلك التعامل المرن مع الدول أعضاء المجلس فيما يتعلق بترسيم الحدود، إذ أنه يدرك تماماً حساسية وضع الحدود غير المرسومة بين الدول، واحتمال كونها مصدر نزاع مستقبلى بين الجيران، وإذا كان وجود الملك فهد فى قمة الهرم السياسى للمملكة العربية السعودية كفيل بتذليل كل مشكلة حدودية مع دول المجلس لما عرف عنه من حكمة وقدرة على احتواء الأزمات إلا أنه أيقن أن ترك الأمر عائماً أمراً محذوراً، ولذلك فإنه ركز جهوده بالتعاون مع أشقائه فى الكويت وعمان والإمارات العربية المتحدة وقطر من أجل تحقيق إنجاز غير مسبوق بالاتفاق على ترسيم الحدود فيما بين المملكة وتلك الدول.

وتبرز نظرة الملك فهد حول هذا الأمر من خلال الابتعاد عن التصعيد الإعلامى المرتبط بالحدود والتركيز على العمل بصمت وتجاوز العقبات التى تواجه طريقه للوصول إلى الهدف المنشود إذ لم يكن هدفه الاحتفاظ بهذا الجزء أو ذاك من الأرض بقدر ما كان هدفه الوصول إلى حل يرضى الجميع مع ضمان حقوق شعبه وعدم التفريط بمكتسباته.

وتبعاً لهذا التوجه فقد تم الانتهاء من ترسيم الحدود السعودية العمانية بعد أن ظل موضوع الحدود مقلقاً للبلدين وبقية بلدان المنطقة لمدة طاولت القرن العشرين غير أن قادة البلدين أدركوا ضرورة التفاهم والانتهاى من ترسيم الحدود، وقد تم ذلك عبر اتفاقية حفر الباطن الموقعة فى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م بين الملك فهد والسلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان^(٢٧)، وكان لتلك الاتفاقية دور كبير فى ترسيخ العلاقات بشكل أكبر بين الطرفين وجعلها تنمو من حسن إلى أحسن^(٢٨).

وواصل الملك فهد جهوده للانتهاى من ترسيم الحدود وحل إشكالاتها مع بقية دول المجلس حيث شهد العام ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م عقد قمة ثنائية سعودية قطرية فى المدينة المنورة تم خلالها الاتفاق على ترسيم الحدود بين البلدين بعد أن بقيت تلك المشكلة تلقى بظلالها على العلاقة بين الجانبين مدة طويلة، وتتابع بعد ذلك التفاهم الودى بين الملك فهد وقادة دول المجلس

الأخرى لانتهاه من المشاكل الحدودية المعلقة حيث شهد العام التالى اتفاقاً بين المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة على إجراء بعض التعديلات الحدودية بما يرضي الطرفين^(٢٩).

وتلاشت المشاكل الحدودية مع دولة الكويت حينما تم توقيع اتفاقية ترسيم الخط الحدودى فى المنطقة المغمورة المحاذية للمنطقة المقسومة سابقاً بين البلدين حيث وقع الطرفان ممثلان بوزيرى خارجيتيهما على الاتفاقية وذلك فى ربيع الأول ١٤٢١هـ / يوليو ٢٠٠٠م فى مدينة الكويت، وقد صادق مجلس الشورى السعودى على الاتفاقية بعد سبعة أيام من توقيعها ثم وافق مجلس الوزراء عليها فى اليوم التالى مما يدل على ترحيب الجهات السياسية الرسمية فى المملكة بتلك الاتفاقية ، وفى الثامن من شهر جمادى الأولى ١٤٢١هـ أصدر الملك فهد مرسوماً ملكياً يوافق بموجبه على الاتفاقية المبرمة وملحقها الأول الذى يوضح ملكية البلدين للثروات الطبيعية فى المنطقة المغمورة^(٣٠).

والحقيقة التى لا بد من إثباتها أن تلك الاتفاقات لم تكن لتتم لولا حرص الملك فهد ومرونته وتجاوزه لكثير من العقبات والإشكالات التى كانت سبباً فى بقاء المشاكل الحدودية بين المملكة وشقيقاتها دول المجلس معلقة لفترة طويلة؛ يتضح ذلك من خلال تتبع ملفات مشاكل الحدود وسبب بقائها معلقة كل تلك الفترة وكيف كان للملك فهد الدور الأكبر فى الوصول إلى حل يرضى جميع الأطراف ليصل فى نهاية الأمر إلى إنهاء مشكلة تاريخية، وكل ذلك نابع من إيمانه بأن مجلس التعاون يجب أن يتجاوز تلك الإشكالات ولأنه ركيزة من أهم ركائز العمل المشترك فى سبيل تحقيق آمال وطموحات شعوب الخليج نحو مستقبل أفضل^(٣١).

ب- جهود الملك فهد فى دعم المجلس من الجانب الأمنى :

أما فى مجال التعاون الأمنى فقد أولى خادم الحرمين الشريفين عنايته واهتمامه بموضوع الأمن على كافة الأصعدة وتفاعل مع التطورات التى يشهدها العالم وكان له السبق بإعلان نبذه لظاهرة الإرهاب وسبق الجميع بتوجيه دعوة فى عام ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م لعقد مؤتمر دولى لمناقشة ظاهرة الإرهاب مع عدم الخلط بينه وبين حقوق الشعوب فى الدفاع عن وجودها^(٣٢).

وقد أثبتت وقائع الزمن صدق مرثياته حول هذا الجانب بما عاتته كثير من دول العالم خلال السنوات التالية من هذه الظاهرة، ولذلك فإنه أعاد دعوته لمحاربة الإرهاب من خلال مجلس التعاون خلال دورته الثانية والعشرين فى مسقط عام ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م حين قال : «إن

الإرهاب فى المصطلح السياسى الإعلامى المعاصر هو فى حقيقته إفساد فى الأرض وديننا يحرم ذلك .. ولذا فمن الطبيعى التعاون من أجل اجتثاث جذوره تفادياً لشروبه وهذا ما كنا ومازلنا نطالب به ونلج فى طلب التعاون لمعالجته حتى لا يستفحل خطره والمملكة العربية السعودية وأخوتها دول مجلس التعاون تسهم بكل ما تستطيعه لدعم وتعزيز الجهود الدولية فى هذا الصدد على شرط أن يتوافق ذلك مع شريعتنا الإسلامية السمحة ومع ما توصى به الشرعية الدولية ليتسنى المضى قدماً لما فيه خير البشرية..» (٣٢).

ولقد أولى الملك فهد موضوع التعاون الأمنى أهمية كبيرة بالتعاون مع قادة دول المجلس مدركاً أن الخطط التنموية والتطور والازدهار لا يمكن أن تتحقق إلا فى ظل من الأمن والاستقرار ؛ ولذا عمل المجلس على تأسيس لجنة وزراء الداخلية فى دول المجلس والتي تتابع عبر اجتماعاتها الدورية المهام والمسؤوليات الأمنية فى دول المجلس، وقد أثمرت تلك اللجنة عن بعض الإنجازات ومنها : إقرار الاتفاقية الأمنية لدول المجلس وكذلك الاستراتيجية الأمنية الشاملة التى شكلت الإطار العام للتعاون الأمنى بين الدول الأعضاء، بالإضافة إلى كثير من الإنجازات الجماعية والثنائية حول الجوانب الأمنية المختلفة (٣٤).

ج- جهود الملك فهد فى دعم المجلس من الجانب العسكرى:

فى الشأن العسكرى اعتبر الملك فهد الاعتداء على دولة خليجية هو اعتداء على كل دول المجلس ولذا فإن موقفه التاريخى من العدوان العراقى على دولة الكويت خير مثال لهذا التوجه ، وتبعاً لذلك حرص الملك فهد على وضع ترتيبات عسكرية من شأنها تحمل مسؤولية الدفاع عن دول المجلس فتم إقرار العديد من الوثائق والدراسات المتعلقة بالسياسة الدفاعية والتصور الاستراتيجى ومجالات التعاون العسكرى الأخرى، ومن هنا برزت فكرة إنشاء قوة درع الجزيرة (التدخل السريع) سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م لإجراء التمارين العسكرية بين دول المجلس، وتم تكوين لجنة عسكرية عليا من قبل وزراء الدفاع لمتابعة موضوع الدفاع الجماعى مع التركيز الشديد على تطوير قوة درع الجزيرة وبنائها؛ حيث وضعت تحت إشراف قيادة جيش المملكة العربية السعودية ، وقد بدأت تلك القوة تؤتى أكلها مع مطلع التسعينات من القرن العشرين حيث ساهمت بحرب تحرير الكويت والدفاع عن الأراضى السعودية ضد الغزو العراقى ، كما تم العمل على إيجاد حزام التعاون العسكرى، وتوحيد موضوعات المساحة العسكرية (٣٥)، بالإضافة إلى متابعة تنفيذ مشروع التغطية الرادارية والإنذار المبكر بين مراكز عمليات القوة الجوية والدفاع الجوى لدول المجلس وتوحيد عدد كبير من مناهج الدورات

العسكرية وتبادل الزيارات والخبرات والتدريب بين الكليات والمعاهد والمدارس العسكرية في دول المجلس (٣٦).

د- جهود الملك فهد في دعم المجلس من الجانب الاقتصادي:

لأن الاقتصاد هو عصب الحياة فإن الملك فهد إضافة إلى ما سبق أن طرحه من رؤى وجهود لدعم اقتصاديات دول المجلس اتبع القول بالعمل من خلال جهوده الكبيرة في هذا الجانب ؛ منها على سبيل المثال إعلانه عن تخصيص حصص من أسهم شركة سابك السعودية للمساهمة بها من قبل دول الخليج والهدف من ذلك إيجاد التصاق مالى بين دول المجلس إذ أنه يرى «أن الالتصاق المالى أقوى من الالتصاقات السياسية والاجتماعية لأن رأس المال إذا اشترك مع بعضه ربط الأمم بعضها ببعض برباط قوى جداً وأصبحت كلها تدافع عن رأسمالها...» (٣٧).

وهذه النظرة الاقتصادية الكبرى للملك فهد يكرسها لا لخدمة حكومات دول المجلس فحسب بل لأفراده فيطرح نفسه الفكرة قائلاً وهو يعبر عن أمله بأن : «... نرى رأسمال مشترك وطنى من جميع دول الخليج ليس من الحكومات وإنما من المواطنين ، هذه الروابط المالية دائماً تدعم الصلات بين مواطنى دول الخليج وتدفعها إلى الأمام.. فلا شك أنه من العمليات المفيدة جداً أن يوجد ترابط بين دول الخليج من الناحية الاقتصادية...» (٣٨).

وإذا كانت هذه نظرة الملك فهد لخدمة اقتصاد دول المجلس فليس من المستغرب أن يسعى المجلس بكل السبل للعمل الاقتصادي المشترك خلال عقدين من الزمن ولهذا فإن المجلس وضع من أولوياته وعبر نظامه الأساسى تحقيق العديد من الأهداف الاقتصادية (٣٩)، كما هدف المجلس إلى إيجاد الاتفاقية الاقتصادية الموحدة والتي تم التوقيع عليها فى الرياض فى ١٥ / ١ / ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م وضمت سبعة فصول وثمانية وعشرين مادة تهدف فى مجملها إلى الرقى بالجانب الاقتصادى والتنسيق المشترك فيما بين دول المجلس بهذا الشأن وهى شاملة لجميع الجوانب الاقتصادية (٤٠).

وقد بين الملك فهد حرصه على دعم هذه الاتفاقية ومتابعة مراحل تنفيذها معبراً عن هذا الاهتمام بقوله : «لقد خطت الاتفاقية الاقتصادية الموحدة، خطوات واسعة نحو التنفيذ فى مجالات التعاون الاقتصادى بما يجعل منطقتنا منطقة اقتصادية موحدة ونموذجاً للتكامل الاقتصادى ومن الأمثلة على ذلك رفع الحواجز الجمركية وحرية انتقال رؤوس الأموال وانتقال

الأشخاص والعمالة وإعطاء الأفضلية في المشروعات الحكومية في الدول الأعضاء للمنتجات الوطنية وغير ذلك من مجالات التعاون الاقتصادي»^(٤١).

كما تم وضع استراتيجية تنموية شاملة بعيدة المدى لدول المجلس تمتد لخمس وعشرين سنة تبدأ من عام ٢٠٠٠م وحتى ٢٠٢٥م، وتهدف إلى تحقيق التنمية في المحاور المتعددة ومنها المحور الاقتصادي والتعاون في مجاله بين دول المجلس لكي يتم تحقيق النمو الاقتصادي بشكل متصاعد عبر سنوات هذه الاستراتيجية ، وقد تم اعتماد هذه الاستراتيجية في الدورة التاسعة عشر للمجلس الأعلى المنعقد في أبوظبي عام ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م^(٤٢).

وكذلك تم إيجاد الاستراتيجية الموحدة للتنمية الصناعية والإطار العام للاستراتيجية السكانية لدول المجلس وكذلك السياسة الزراعية المشتركة لهذه الدول، وتعمل تلك الاستراتيجيات والسياسات لتحقيق المساواة بين مواطني المجلس في كثير من المجالات الاقتصادية كالمعاملات الضريبية والجمركية والتجارية وغيرها^(٤٣)، ولا مجال للحديث عن منجزات اقتصادية للمجلس لكن أبرز ما تحقق في هذا الشأن بدء العمل بالاتحاد الجمركي لدول مجلس التعاون اعتباراً من العام ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م بدلاً من العام ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م، حسبما كان مقرراً من قبل، إضافة إلى العمل على إيجاد عملة خليجية موحدة بدءاً من عام ١٤٣٠هـ / ٢٠١٠م^(٤٤)، وقد أشاد الملك فهد بالتقدم الذي تم في هذا الشأن خلال القمة الخليجية الثانية والعشرين في مسقط والمنعقدة في شوال ١٤٢٢هـ / ديسمبر ٢٠٠١م معتبراً إياه «.. نقلة نوعية ومهمة وضرورية في إطار سعي الدول الأعضاء لتحقيق التكامل الاقتصادي بينها ونحن على ثقة- إن شاء الله- أننا سنتمكن جميعاً من التخلص من المعوقات أولاً بنول وسنصل بإذنه تعالى إلى التكامل المنشود في الوقت المناسب...»^(٤٥).

د- جهود الملك فهد في دعم المجلس من الجوانب الإنسانية والعلمية والإعلامية:

بدعم مباشر من الملك فهد حقق المجلس العديد من الإنجازات على صعيد خدمة شؤون الإنسان والبيئة ، والشؤون القانونية المختلفة ، والشؤون الإعلامية ومراكز المعلومات خاصة فيما يتعلق بالحاسب الآلي والإحصاءات الرسمية للدول الأعضاء وإصدارها عبر نشرات سنوية شاملة ، وكلها إحصاءات شاملة لجوانب حياة الإنسان الخليجي، ولا يبتعد ذلك عن الجانب الثقافي والعلمي ، الذي حرص مجلس التعاون على الرفع من مكانته وشأنه ، ولذا فقد تم العمل على إيجاد مكتبة متخصصة في شؤون مجلس التعاون وغير ذلك من كتب ودوريات

عربية وأجنبية ومطبوعات حكومية ودوريات متخصصة وفقاً لاحتياجات العمل والباحثين في الأمانة العامة لدول المجلس، مع توفير المعلومات على أقراص ممغنطة وفقاً لاحتياجات القطاعات والإدارات المعنية في الأمانة العامة إضافة إلى استخدام الشبكة الدولية (الانترنت) في أعمال البحث ، وفي الإطار الثقافي والعلمي أيضاً فإن الأمانة العامة وبدعم من دول المجلس قد رعت ونظمت الكثير من الندوات والمؤتمرات العلمية والثقافية (٤٦)، كما تمت مساواة طلاب دول المجلس في الاستفادة من التعليم قبل الجامعي واعتبار الشهادات والوثائق الدراسية الصادرة من كل دولة خليجية ماثلة للشهادات الصادرة من بقية دول المجلس، إضافة إلى مساواة طلاب دول المجلس في الاستفادة من التعليم العالي بحيث تكون أفضلية القبول لمواطني دول المجلس بعد مواطني الدولة نفسها ، والمساواة في المعاملة بعد الدراسة، وكذلك في خدمة الطلاب فيما يتعلق بالعلاج والسكن والرسوم والمكافآت وغيرها (٤٧)، وإلى جانب ذلك فهناك المنح الدراسية المتبادلة بين جامعات دول المجلس لأبناء تلك الدول حيث تقدم الجامعات والكليات والمعاهد السعودية العديد من المنح الدراسية لأبناء دول المجلس.

غير أن من أبرز جوانب دعم الملك فهد للمجال العلمي خليجياً هو العمل على إيجاد الجامعة الخليجية الموحدة متمثلة بجامعة الخليج العربي ومقرها البحرين حيث تعتبر تلك الجامعة وحدة علمية ثقافية لأبناء دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ضمن منظومة الوحدة بين أبناء دوله التي تشترك في دعم الميزانية المالية للجامعة التي حظيت بدعم كبير من الملك فهد وكان له الفضل - بعد الله - في استمرارية الجامعة وذلك حينما عصفت بها أزمة مالية كادت أن تؤدي إلى إلغاء مشروعها الأساسي سنة ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م مما دعا المسؤولين في الجامعة لإبلاغ الملك فهد بمعاناتها المالية ؛ ورغم ما كانت تعيشه المنطقة آنذاك من ظروف تمثلت بالاحتلال العراقي للكويت وما تطلبه الموقف حينذاك من إجراءات اقتضت مبالغ ونفقات مالية كبيرة هددت اقتصاد المنطقة بأسرها إلا أنه سارع بدعم الجامعة وإخراجها من أزمتها (٤٨).

وإزاء ذلك الدعم المتواصل من خادم الحرمين الشريفين تجاه الجامعة ، فقد خصصت كرسيًا علميًا يحمل اسمه، ولاشك أن هذا الكرسي العلمي يعطى عراقة للجانب الأكاديمي والعمل في هذه الجامعة (٤٩).

نظرة خادم الحرمين المستقبلية تجاه المجلس:

عرف عن الملك فهد بن عبد العزيز تفاؤله بمستقبل مجلس التعاون يوماً بعد يوم وسنة بعد أخرى ، بل أنه راهن على المستقبل المشرق الذي ينتظر المجلس وفي ذلك يقول : «أن صيغة مجلس التعاون كمجتمع ليست مهددة بعدم الاستمرار لأن الشأن الخليجي لشعوب هذه المنطقة هو شأن يدرس ويهيأ جيداً من قبل الأجهزة المختصة في الدول الأعضاء ثم يأتي القادة ليجددوا في لقاءاتهم مشاعر الألفة والمحبة بينهم... نعم إن مجلس التعاون مستمر ومتطور بإذن الله تعالى وهدفنا أن نصل فيه إلى الأهداف التي اتفقت عليها الدول المؤسسة له ولا شك أنها حريصة عليها .. وسنؤكد للعالم أجمع أن هذا التجمع أقوى من ظنون الذين لا يريدون له الاستمرار...»^(٥٠).

لقد رأى الملك فهد أن الأزمات التي حلت بالمنطقة قد أثبتت تماسك المجلس ودوله وأن مسؤولية الحفاظ على هذا المجلس منوطة بجميع دوله فيقول : « .. إتنا جميعاً مسؤولون عن هذا الصرح الذي بنيناه والذي نطالب اليوم بترسيخه والحفاظ عليه...»^(٥١).

وابتعد الملك فهد عن المفهوم الضيق لعلاقات دول المجلس حين أكد أن التباين في وجهات النظر بينها تجاه بعض القضايا لايعنى أنه خلاف، وأن الاختلاف في الرأي داخل المجلس لا يصل إلى الطرق المسدودة، كما أكد على ضرورة احترام آراء الدول ووجهات نظرها في أي قرار ، وأن يترك الوقت الكافي لاقتناع الجميع وتشاورهم في أي أمر، ودأى أن التباين في الرأي قد يؤدي إلى تصحيح المسار بشكل أفضل مطبقاً بذلك مبدأ (اختلاف الرأي لايفسد للود قضية)، ومن هنا فإنه قطع الطريق على إثارة الخلافات بين دول المجلس فيؤكد قائلاً : «من الخطأ أن يتصور أحد أنه قادر على المتاجرة بخلافاتنا أو النفخ فيها لأنها خلافات الأشقاء داخل البيت الواحد .. فَمَنْ يظن أنه قادر على المتاجرة بها أستطيع أن أقول بأنه مخطئ ... إتنا لانريد أن نتبع أي فرصة لأي أجنبي خارج لُحْمَتنا أن يستغل رؤيتنا للصورة التي يجب أن نحل بها خلافاتنا في هذه المنطقة .. فتباين وجهات نظرنا سيبرز بين حين وآخر وبين طرف وآخر وهي تباينات تنحصر فقط بين المختلفين حولها ولا تصيب كيان تجمعنا...»^(٥٢).

ومن المؤكد أن تمسك الملك فهد بهذا التكتل وعمله الدؤوب لتطويره منبثق من إيمانه العميق بأن العصر عصر التكتلات الاقتصادية مهما كانت المستجدات السياسية والهدف الأبعد لهذا التكتل الخليجي أن يكون درعاً للأمة العربية والإسلامية وحماية لها من الابتزاز والاحتكار والتجويع^(٥٣).

كما أكد أن إقامة هذا التكتل دليل على حكمة الرأي وحسن التقدير ، وأنه جاء فى الوقت المناسب، وأن المستقبل سيكون أفضل عن طريق الأخذ بالطرق العلمية المدروسة باعتبار المجلس: «كيان حيوى يأخذ بالأسباب لكل ما يندرج فى مفهوم التطوير الإيجابى ، وأن المجالس الوزارية المتخصصة ذات الصلة تخصص حيزاً عريضاً من خلال اجتماعاتها الدورية المنتظمة لتفعيل آليات عمل المجلس والاستفادة من التجارب العملية والمستجدات وما يستتبط من طروحات العلماء والمفكرين ، ومن ضمن أولئك ما ينبثق عن المجلس الاستشارى الأعلى الذين هم صفوة من نوى رأى الحصيف ، ولذا فإن عملية تطور آليات عمل المجلس مستمرة...». ولذا فإنه أكد على ضرورة التفاوض بمستقبل المجلس موضعاً أن هناك العديد مما ينتظر شعوب دوله من البرامج والفرص الاستثمارية والاقتصادية التى يعول عليها ضمن برنامج الشراكة الاقتصادية ، وإذا توفرت لدول المجلس تلك القفزة الاقتصادية تيسر لها النهوض بكل أعبائها، مع ضرورة تجنب تلك الدول الوقوع فى الأخطار الناجمة عن سوء التقدير وضرورة الالتزام بالسياسات الرشيدة ، ورغم هذا التفاوض الذى أبداه الملك فهد بمستقبل المجلس ودوله ، إلا أنه أوضح بأن التقويم الناجح هو أساس البناء ، لذلك فهو وينقد موضوعى وبشفافية هادفة أكد أن المجلس لم يتمكن بعد من تحقيق أحلام أبناء الخليج ، ولكنه يراهن بأن قادة دول المجلس ، لن يدخروا وسعاً فى سبيل تحقيق تلك الأحلام وذلك بالمضى فى نهج قويم مصدره توجيه سياسى معتدل ومنهج أخلاقى رفيع^(٥٤).

وقد أكد سياسة الملك فهد تلك الأمير عبدالله بن عبد العزيز فى كلمته التى ألقاها بمناسبة انعقاد القمة الثانية والعشرين للمجلس فى مسقط حيث بين أن هناك تلخّر فى منجزات المجلس خاصة فيما يتعلق بتحقيق الوحدة الاقتصادية ، ومعاهدة الدفاع المشترك ، اللتين يعول عليهما قادة دول المجلس لاتخاذهما منطلقاً للدفاع المشترك عن الأمة العربية وقضاياها وتخليص الفلسطينيين مما يلحق بهم من قمع دموى على يد إسرائيل، كما أكد الأمير عبدالله أيضاً على ضرورة محاسبة النفس وتوجيه اللوم لها قبل غيرها، وحث دول المجلس على الاستفادة من أخطاء الماضى والابتعاد عن الشكليات والعمل للمستقبل عبر قنوات اقتصادية ومناهج دراسة موحدة وقنوات عربية وإسلامية ، تستطيع مجتمعة معالجة مشاكل الأمة بأسرها^(٥٥).

إن ذلك النقد الذاتى الموضوعى الصريح هو الطريق السليم لمواصلة مسيرة المجلس وهو ما آمن به الملك فهد ليكون النهج الذى يجب السير فيه لتحقيق الأهداف المرسومة التى اتفقت

عليها الدول المؤسسة له، ومن هذا المنطلق عاد الملك فهد للتأكيد بأن المجلس «مستمر ومتطور- بإذن الله- حتى نؤكد للعالم أن هذا التجمع أقوى من ظنون الذين لا يريدون له الاستمرار وإياذن الله سنحافظ على هذا التجمع حتى لو اختلفنا حول بعض القضايا لأن الخلاف يزِيل في بعض الأحيان الشوائب ويطور القرار حول الشأن المطروح وسنسير لتأكيد أن هذا التجمع وجد ليبقى وأنه سيستمر...»^(٥٦).

الخاتمة

من المؤكد أن تلك الانطلاقة القوية لمجلس التعاون لدول الخليج العربية لم تكن وليدة الصدفة بل كانت ثمرة لتخطيط مدروس ساهم بإبرازه خادم الحرمين الشريفين منذ أن كان ولياً للعهد في بلاده، وحين تولى الحكم حمل على عاتقه دعم المجلس وتحقيق مطالبه المادية والسياسية رغبة بإبرازه ككيان وتكتل منبثق من الوحدة العربية وعاملاً لتحقيق مصالح الأمة العربية بأسرها خاصة أن الملك فهد قد أكد بأن المجلس ليس موجهاً ضد أحد وأنه مرحلة تعاون ضمن التعاون العربي عامة وسيكون سنداً ودرعاً للامتين الإسلامية والعربية ومتعاوناً مع المجتمع الدولي للمحافظة على الأمن والسلم الدوليين وتجنب مجتمعاته كل ما يؤثر على رخائها واستقرارها .

وبما أن الملك فهد قد أولى أمن الخليج الأهمية القصوى فإنه رأى في هذا التكتل دعامة أساسية لتحقيق ذلك الأمن، ولأنه حريص على توفير الرخاء الاقتصادي لأبناء دول الخليج العربي فقد رأى أن المجلس طريق لتكتل اقتصادي يقنى بلدان الخليج وشعوبها عن الغير ويكفل لها الحياة الهانئة، ومن هذين المنطلقين وما يتفرع عنهما من جوانب لم يكن مستغرباً أن يعلن «أن المملكة العربية السعودية تضع كل قدراتها لخدمة دول المجلس ونتطلع معها إلى بناء العنصر الخليجي البشرى القادر على الاستفادة من كل معطيات العصر بما يتلائم مع عقيدته الإسلامية الصحيحة وعاداته وتقاليده.. وقد بذلنا من الجهود والمساعى مع إخواننا قادة دول مجلس التعاون ما هو معلوم للجميع ...»^(٥٧). وإذا كان المجلس بهذا الدعم من قبل الملك فهد قد حقق الكثير من المنجزات فإن المشوار لا يزال طويلاً لتحقيق المزيد بالتعاون والدعم من كافة قيادات دول المجلس مع إخلاص النية ووحدة الصف والهدف.

ورغم بعض الآراء التي تقلل من دور المجلس إلا أن الواقع يؤكد أنه وعبر عمره القصير قد حقق كثيراً من الإنجازات خاصة في المجالات الإدارية والاقتصادية والتنمية بشكل عام، و لا

بـخير المجلس إن تأخر فى متابعة ما خطط له من أهداف فى المجال العسكري إذ أن هذا الجانب تحديداً يجب التعامل معه بحذر ومرونة حسب مقتضيات الظروف السياسية والعسكرية المحيطة بالمنطقة، والعالم عامة مع الابتعاد عن المجازفة وسوء التوقيت الذى قد يؤدى إلى نتائج وخيمة على بلدان المنطقة ووحدتها .

وينظرة فاحصة لمسيرة المجلس بعد عقدين من الزمن- هما أيضاً مسيرة الملك فهد فى حكم بلاده- نرى أن هناك تلازماً بينهما أدى إلى أن يكون اهتمام الملك فهد موجهاً بشكل كبير لدعم هذا المجلس الذى ولد متزامناً مع تحمله لأعباء الحكم ومسؤولياته فى المملكة العربية السعودية.

الهوامش

١- مجلس التعاون لدول الخليج العربية- نظامه وهيكله التنظيمي وإنجازاته من إصدارات الأمانة العامة للمجلس في الرياض : ط٢ ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ١٨-٢٠ : محمد حسن العيدروس ، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط١ ، القاهرة : عين للدراسات والبحوث ، ١٩٩٦ م، ص ٣٠٩-٣١١ .

٢- انظر: النظام الأساسي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية الصادر عن الأمانة العامة للمجلس ، إصدار الأمانة العامة للمجلس في الرياض : ط٦ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م، ص ٥ وما بعدها ، وكذلك : مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، نظامه وهيكله - مصدر سابق، ص ٢١-٨٥ .

٣- من كلمة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الخامس لدول الخليج العربية بدولة الكويت سنة ١٤٠٥ هـ ، انظر : المنظور الفكري لخادم الحرمين الشريفين (المواقف) ، إصدار وزارة الإعلام، ط١ ، الرياض، الوكالة الاملية للإعلام، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م، ص ٩٧ .

٤- من كلمة خادم الحرمين الشريفين قبيل انعقاد القمة السادسة لمجلس التعاون عام ١٤٠٦ هـ . انظر : خالد بن محمد القاسمي : فهد بن عبد العزيز قائد ومسيرة . ط١ . دمشق : دار الجيل للطباعة والنشر، ١٩٩٥ م، ص ١٤ .

٥- من حديث خادم الحرمين الشريفين بمناسبة اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية جدة ١١ / ٢ / ١٤٠٩ هـ . موقع دارة الملك عبد العزيز على الانترنت : WWW.darah.org.sa

٦- من حديث خادم الحرمين الشريفين بمناسبة انعقاد القمة الثانية عشر لدول مجلس التعاون في الكويت ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م . موقع كلمات الملك فهد على شبكة الانترنت : WWW.mypag.ayna.com. وكذلك عادل رضا : فهد بن عبدالعزيز الإنسان- الملك . القاهرة: دار أخبار اليوم. د.ت.ن، ص ٢٤٦ .

٧- موقع كلمات الملك فهد على شبكة الانترنت : WWW.mypag.ayna.com

٨- نفس المصدر .

٩- عادل رضا: المصدر السابق، ص ٢٤٦، وللمزيد عن النظرة السعودية تجاه أمن الخليج وسبل تحقيقه ، انظر : الأمير خالد بن سلطان بن عبد العزيز : أمن الخليج العربي من منظور وطني، ط١ أبو ظبي . مركز الإمارات للدراسات والبحوث ، ١٩٩٧ م، ص ٥-٢٨ .

١٠- من حديث الملك فهد للقمة الثانية عشر ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م . موقع كلمات الملك فهد على شبكة الإنترنت : WWW.mypag.ayna.com.

- ١١- جريدة المدينة المنورة العدد ٦٧٣٩ ، ٧ / ١ / ١٤٠٦ هـ .
- ١٢- موقع كلمات الملك فهد على شبكة الإنترنت : WWW.mypag.ayna.com
- ١٣- من تصريحات خادم الحرمين الشريفين، جريدة أم القرى، السنة (٦٠) العدد (٢٩٤٠) ٢٦ / ١ / ١٤٠٢ هـ، ص ١، ٢٤ .
- ١٤- نص كلمة الأمين العام عبدالله بشاره في افتتاح مبنى الأمانة العامة لمجلس التعاون في الرياض، الأحد ٧ جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ ، من إصدارات الأمانة العامة، ص ٦، ٤ .
- ١٥- المصدر السابق، ص ٦ .
- ١٦- نفس المصدر والصفحة .
- ١٧- هاشم عبده هاشم : الدور السعودي في الخليج . ط ١ . دم الإسراء للخدمات الإعلامية، ١٤١٤ هـ، ص ١٥٠ .
- ١٨- كلمة الأمين العام عبدالله بشاره. مصدر سابق، ص ٣-٧ وانظر ملحق رقم (١) .
- ١٩- من كلمة خادم الحرمين الشريفين في الدورة الثامنة للمجلس في الرياض ١٤٠٨ هـ:
- موقع كلمات الملك فهد على شبكة الإنترنت : WWW.mypag.ayna.com
- ٢٠- من كلمة خادم الحرمين الشريفين في الدورة الثانية عشر للمجلس في الكويت ١٤١٢ هـ نفس المصدر السابق.
- ٢١- موجز إنجازات مجلس التعاون لدول الخليج العربي، إصدار الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية . الرياض ٢٠٠٠ م، ص ١٤ .
- ٢٢- كمال الكيلاني: فهد بن عبدالعزيز ومسيرة نولة . ط ١ ، الرياض : شركة الطباعة العربية السعودية، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، ص ١٠١-١١٨ .
- ٢٣- من كلمة خادم الحرمين الشريفين في افتتاح الدورة الرابعة عشر للقمّة الخليجية ، رجب ١٤١٣ هـ/ ديسمبر ١٩٩٢ م . المنظور الفكري لخادم الحرمين الشريفين ص ١٠٤ .
- ٢٤- من كلمة وجهها الملك فهد إلى الأمة الإسلامية بمناسبة عيد الفطر المبارك عام ١٤٠٧ هـ .
- موقع دارة الملك عبد العزيز على الإنترنت : WWW.darah.org.sa
- ٢٥- من حديث خادم الحرمين الشريفين لوكالة الأنباء العمانية ١٤ شوال ١٤٢٢ هـ . جريدة الرياض، السنة ٢٨ العدد ١٢٢٤٢ ، الأحد ١٥ شوال ١٤٢٢ هـ، ص ١ .
- ٢٦- من حديث خادم الحرمين الشريفين إلى مركز تليفزيون الشرق الأوسط في لندن ، ٩ / ٥ / ١٤١٢ هـ. المنظور الفكري، مصدر سابق، ص ١٣٧ .

٢٧- مشارى بن عبد الرحمن النعيم : الحدود السياسية السعودية البحث عن الاستقرار. ط١ . بيروت : دار الساقى ، ١٩٩٩م، ص ص ٨٧-٩١ .

٢٨- من حديث خادم الحرمين الشريفين لوكالة الأنباء العمانية ١٤ شوال ١٤٢٢هـ . جريدة الرياض، السنة ٣٨ العدد ١٢٤٢، الأحد ١٥ شوال ١٤٢٢هـ، ص ١ .

٢٩- مشارى النعيم: المرجع السابق، ص ٨٥-٨٦ .

٣٠- المرسوم الملكى رقم ٢٠ وتاريخ ٨ / ٥ / ١٤٢١هـ، وقرار مجلس الوزراء رقم ٨٨ وتاريخ ٨ / ٤ / ١٤٢١هـ ، وكذلك نص الاتفاقية المبرمة وملحقها حول الثروات الطبيعية والمرفقة بالمرسوم الملكى. المصدر: معهد الإدارة العامة . قسم الوثائق.

٣١- من تصريحات خادم الحرمين الشريفين . جريدة أم القرى. السنة (٦٠) العدد (٢٩٤٠) ٢٦ / ١ / ١٤٠٣هـ، ص ١ .

٣٢- من خطاب ألقاه خادم الحرمين الشريفين فى الأمم المتحدة بنيويورك ٢٠ / ٢ / ١٤٠٩هـ .

موقع دارة الملك عبد العزيز على شبكة الانترنت : WWW.darah.org.sa

٣٣- من حديث خادم الحرمين الشريفين لوكالة الأنباء العمانية ١٤ شوال ١٤٢٢هـ . جريدة الرياض، السنة ٣٨ العدد ١٢٢٤٢، الأحد ١٥ شوال ١٤٢٢هـ، ص ١ .

٣٤- موجز إنجازات مجلس التعاون لدول الخليج العربية، مصدر سابق، ص ص ٢٦-٢٩ .

٣٥- حىي جمعة الهاملى «التعاون العسكرى فى دول مجلس التعاون لدول الخليج العربى»، ضمن كتاب مستقبل مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ط١ . أبو ظبى: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ١٩٩٩م، ص ٤٩ : البيانات الختامية لدورات المجلس الأعلى. إصدار الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية فى الرياض. ط٤ . د.ت.ن، ص ١٩٦ .

٣٦- موجز إنجازات مجلس التعاون، ص ٣٦ .

٣٧- حوار خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز مع أساتذة وطلبة جامعة الملك عبد العزيز. انظر وثائق للتاريخ من إصدار وزارة الاعلام، ط١، الرياض شركة العبيكان ١٤٠٥هـ، ص ١١٦ .

٣٨- المصدر السابق، ص ١١٧ .

٣٩- انظر المادة الرابعة من النظام الأساسى لمجلس التعاون. النظام الأساسى. من إصدار الأمانة العامة لمجلس التعاون فى الرياض، ص ٦ .

٤- THE UNIFIED ECONOMIC AGREEMENT . Cooperation Council for the Arab States of the Gulf- Secretariat General Riyadh, 1988. pp. 3-10 .

- ٤١- هاشم عبده هاشم : المرجع السابق ، ص ٩٢ ؛ من حديث لخادم الحرمين الشريفين جريدة الشرق الأوسط، العدد ٢١٩٤، ٨ / ٣ / ١٤٠٥ هـ .
- ٤٢- استراتيجية التنمية الشاملة بعيدة المدى لنول مجلس التعاون (٢٠٠٠-٢٠٢٥) إصدار الأمانة العامة للمجلس، الرياض، ١٩٩٩ م ، ص ص ٢١-٢٩ .
- ٤٣- موجز إنجازات مجلس التعاون، مصدر سابق ص ٣٧ وما بعدها .
- ٤٤- جريدة الرياض السنة ٢٨ ، العدد ١٢٢٤٣ ، الاثنين ١٦ شوال ١٤٢٢ هـ ، ص ١ .
- ٤٥- من حديث خادم الحرمين الشريفين لوكالة الأنباء العمانية . جريدة الرياض، السنة ٢٨ ، العدد ١٢٢٤٣ ، ١٦ شوال ١٤٢٢ هـ ، ص ١ .
- ٤٦- موجز إنجازات مجلس التعاون ، ص ص ٧٢ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢ - ١٣٤ .
- ٤٧- هاشم عبده هاشم : المرجع السابق، ص ٨٣ .
- ٤٨- لقاء مع رئيسة جامعة الخليج الكتورة رفيعة غباش، جريدة الرياض (٢) ، السنة ٢٨ العدد ١٢٢٤٨ ، السبت ٢١ شوال ١٤٢٢ هـ ، ص ١ .
- ٤٩- وقد افتحت الجامعة بعد ذلك (كراسى علمية) باسم بقية قادة نول مجلس التعاون ، المصدر السابق، ص ١ .
- ٥٠- هاشم عبده هاشم : المرجع السابق، ص ١٠٥ ، نقلاً عن حديث لخادم الحرمين الشريفين فى جريدة السياسة الكويتية العدد ٨٦٢٩ فى ٢٨ / ٥ / ١٤١٣ هـ .
- ٥١- هاشم عبده هاشم : المرجع السابق ، ص ١٠٦ ، من حديث خادم الحرمين الشريفين لجريدة الشرق الأوسط العدد ١٩ ، ٧٧٥ ، ٤ / ٦ / ١٤١٢ هـ .
- ٥٢- هاشم عبده هاشم : المرجع السابق ، ص ١١٠-١١١ .
- ٥٣- وفاة فايد : الأمة الإسلامية فى عصر خادم الحرمين الشريفين، د.م.ن، د.ن ١٤٠٩ هـ، ص ٨٠ .
- ٥٤- من حديث خادم الحرمين الشريفين لوكالة الأنباء العمانية. جريدة الرياض، السنة ٢٨ ، العدد ١٢٢٤٣ ، ص ١ .
- ٥٥- من كلمة الأمير عبد الله بن عبدالعزيز إلى القادة الخليجيين فى قمة مسقط ١٤٢٢ هـ . جريدة الرياض، السنة ٢٨ العدد ١٢٢٤٣ ، الاثنين ١٦ شوال ١٤٢٢ هـ ، ص ١ .
- ٥٦- هاشم عبده هاشم : المرجع السابق ، ص ٩٢ ؛ من حديث لخادم الحرمين الشريفين. جريدة الندوة، العدد ١٠٣٣٨ ، ٢٧ / ٦ / ١٤١٣ هـ .
- ٥٧- هاشم عبده هاشم : المرجع السابق، ص ٩٥ ؛ من حديث لخادم الحرمين الشريفين. جريدة الرياض ، العدد ٧١٢٠ ، ٣ / ٥ / ١٤٠٨ هـ .

مصادر البحث

أ- وثائق :

- مرسوم ملكي رقم م / ٢٠ بتاريخ ٨ / ٥ / ١٤٢١ هـ .
- قرار مجلس الوزراء رقم ٨٨ وتاريخ ٨ / ٤ / ١٤٢١ هـ .
- نص الاتفاقية الحدودية بين المملكة العربية السعودية والكويت ٢٠ / ٣ / ١٤٢١ هـ .
- اللوحة التذكارية لمقر الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية.

ب- الدوريات :

- جريدة أم القرى.
- جريدة الرياض .
- جريدة الشرق الأوسط.
- جريدة المدينة .
- جريدة الندوة.

ج- مصادر مطبوعة (بالعربية) :

- استراتيجية التنمية الشاملة بعيدة المدى لدول مجلس التعاون (٢٠٠٠-٢٠٢٥م) إصدار الأمانة العامة لمجلس التعاون في الرياض، ١٩٩٩م.
- البيانات الختامية لدورات المجلس الأعلى (من الدورة الأولى حتى الحادية والعشرين) إصدار الأمانة العامة لمجلس التعاون في الرياض ، ط٤، ٢٠٠١م .
- رضا ، عادل : فهد بن عبد العزيز الإنسان .. الملك، القاهرة: دار أخبار اليوم، د.ت.ن.
- آل سعود، الأمير خالد بن سلطان بن عبد العزيز: أمن الخليج العربي من منظور وطني . ط١ . أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، ١٩٩٧م.
- العبدروس ، محمد حسن: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط١، القاهرة ، عين للدراسات والبحوث، ١٩٩٦م.
- فايد ، وفاء : الأمة الإسلامية في عصر خادم الحرمين الشريفين. د.م.ن.د.ن، د.ت.ن.
- القاسمي ، خالد بن محمد : فهد بن عبد العزيز قائد ومسيرة ، ط١ . دمشق: دار الجيل للطباعة والنشر، ١٩٩٥م.

- ١- الكيلاني ، كمال : فهد بن عبد العزيز ومسيرة دولة . ط ١ . الرياض : شركة الطباعة العربية السعودية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- مجلس التعاون لدول الخليج العربية- نظامه وهيكله التنظيمي وإنجازاته- من إصدار الأمانة العامة لمجلس التعاون في الرياض، ط ٢ ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.
- المنظور الفكري لخادم الحرمين الشريفين (المواقف) . إصدار وزارة الإعلام في المملكة العربية السعودية، الرياض، ط ١ . الرياض : الوكالة الأهلية للإعلام، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٢م.
- موجز إنجازات مجلس التعاون لدول الخليج العربية. إصدار الأمانة العامة لمجلس التعاون في الرياض، ٢٠٠٠م.
- نص كلمة الأمين العام عبدالله بشاره في افتتاح مبنى الأمانة العامة لمجلس التعاون في الرياض . إصدار الأمانة العامة، الأحد ٧ جمادى الأولى ١٤٠٨هـ .
- النظام الأساسي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية. إصدار الأمانة العامة في الرياض، ط ٦ ، ١٩٩١م.
- النعيم ، مشاري عبد الرحمن: الحدود السياسية السعودية (البحث عن الاستقرار) ط ١ . دم.ن، الإسراء للخدمات الإعلامية ، ١٤١٤هـ .
- وثائق للتاريخ . من إصدار وزارة الإعلام، ط ١ ، الرياض ١٤٠٥هـ .
- د- البحوث :
- الهاملي، حبي جمعة : «التعاون العسكري في دول مجلس التعاون» ضمن كتاب: مستقبل مجلس التعاون لدول الخليج العربية. ط ١ . أبوظبي : مركز الإمارات للدراسات والبحوث ، ١٩٩٩م، صص ٤٩-٥٢ .
- هـ- مواقع إنترنت :

- WWW. mypag. ayna . com.
 - WWW. darah . org. sa.

و- مصادر بغير العربية:

- THE UNIFIED ECONOMIC AGREEMENT. . Cooperation Council for the Arab States of the Gulf - Secretariat General, Riyadh, 1988 .

د. يسرى أحمد زيدان (*)

دور الهنود فى الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين زمن سلاطين المماليك

مقدمة :

ارتبطت شبه القارة الهندية منذ بداية الفتح الإسلامى لها بعلاقات وثيقة ببلاد الحرمين الشريفين ، وأخذت هذه العلاقات فى نمو دائم، وازدياد مستمر، حتى بلغت الذروة زمن سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٤٩-١٥١٧م) ^(١) وإشرافهم على الحرمين الشريفين ^(٢).

وقد كان لحكام الهند وعلمائها يوما دور ثقافى فى مكة المكرمة ^(٣) والمدينة المنورة ، أثروا من خلاله الحياة العلمية والثقافية بهاتين المدينتين المقدستين إثراء ملموساً ، وصل مداه أثناء تبعيتها لحكم سلاطين المماليك .

ولم يقف التأثير الثقافى للهنود عند حدود الحرمين الشريفين ، وإنما تعدى ذلك إلى باقى المدن والبلاد الإسلامية الأخرى مثل : مصر ^(٤) والشام ^(٥)، وغيرهما . لكنه ظهر واضحاً فى الحرمين بسبب مكانتهما الدينية، وارتباط مكة المكرمة بشعيرة الحج ويسنة مجاورة البيت العتيق ، الأمر الذى أدى إلى تدفق علماء الهند إليها بأعداد كبيرة ؛ مساهمين فى الحياة الثقافية والتعليمية ، فكان منهم القضاة ، والأئمة ، ومعلمو الحديث النبوى الشريف، والفقه، والقراءات واللغة والبلاغة بجمع فروعها، وغير ذلك. وكان منهم أيضاً المؤدبون والنساخ ، وغيرهم.

* الأستاذ المساعد بقسم التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة.

ولم تقتصر مشاركة الهنود فى الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين زمن سلاطين المماليك على العلماء فحسب، وإنما ساهم فيها حكام الهند أنفسهم من خلال إنشاء المدارس والوقف عليها، وبناء الأربطة . وهكذا فإن للهنود دوراً مهماً فى الحياة الثقافية بمكة والمدينة زمن المماليك، ذلك الدور الذى توزعت أخباره وتفرقت مادته بين بطون الكتب التاريخية، وبخاصة كتب التراجم منها، وجاء هذا البحث ليظهر هذا الدور ، وليجمع شتات ما تفرق فى المصادر التاريخية متصلاً بهذا الموضوع.

أولاً : إسهامات ملوك الهند فى الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين:

شارك ملوك الهند مشاركة فاعلة فى الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين، وكانوا هم أنفسهم من المتلقين للعلم، القارئ له، النابغ فيه، ومن ثم أدركوا أهمية تنشيط الحياة العلمية وتوفير احتياجاتها ومقوماتها الأساسية. ومن أبرز المشتغلين بالعلم من الملوك: أعظم شاه غياث الدين بن اسكندر شاه بن شمس الدين ملك الهند بينجالة ، (ت ٨١٤هـ / ١٤١١م) وكان له حظ فى العلم والفهم والخير^(٦) . ومحمد بن هند ملك بينجالة^(٧) وتوفى سنة ٨٣٧هـ / ١٤٢٣م . كما كان ملوك كلبرجه^(٨) من بلاد الهند يقرأون العلم على أساطينه الهنود ومنهم: علاء الدين محمد البخارى الهندى الذى أقرأ بعض ملوك الهند العلم^(٩)، وراجع ابن داود الهندى وقرأ عليه العلم صاحب كلبرجه^(١٠) . كما أن صاحب كتابيه بالهند كان يستمع إلى الحديث النبوى من أحد المحدثين لسنين عديدة^(١١).

وهكذا كان لعلماء الهند صلة وثيقة بالعلم وأهله، ومن ثم فلا غرابة فى أن تتجه أنظارهم صوب مركز من مراكز الثقافة فى العالم الإسلامى زمن المماليك مساهمين فى تنشيط الحياة الثقافية به من خلال عدة أمور منها :

إنشاء المدارس بالحرمين الشريفين:

عرفت بلاد الحرمين الشريفين عدداً كبيراً من المدارس زمن سلاطين المماليك نذكر منها : المتصورية والمجاهدية والأفضلية^(١٢) والرسولية^(١٣)، وغيرها^(١٤).

أ- المدرسة البنجالية الغياثية بمكة المكرمة :

يعود إنشاء هذه المدرسة البنجالية الغياثية بمكة المكرمة إلى صاحب بينجالة الملك أعظم شاه بن اسكندر شاه بن شمس الدين، غياث الدين أبو المظفر سنة ٨١٢هـ / ١٤١٠م حيث أرسل فى هذه السنة هدية طائلة لصاحب مكة مع رسوله ياقوت الغياثى ومعه رسالة تتضمن

نية ملك الهند فى بناء مدرسة بمكة المكرمة ، وشراء وقف لها . وقد اشترى ياقوت الغياثى دارين متلاصقتين مجاورتين للمسجد الحرام لبناء المدرسة فى مكانهما ، كما اشترى ياقوت الغياثى من أمير مكة السيد حسن بن عجلان^(١٥) حديقتين لتكونا وقفاً على المدرسة ، «وما رضى فى ذلك إلا باثنى عشر ألف مثقال»^(١٦) . وقد انتهى من العمل فى بناء هذه المدرسة فى جمادى الأولى سنة أربع عشرة وثمانمائة من الهجرة^(١٧) .

وقد تم تدريس الفقه على المذاهب الأربعة فى هذه المدرسة ، وكان مدرسوها عند الفراغ منها هم القضاة الأربعة بمكة المكرمة : القاضى الشافعى جمال الدين محمد بن عبدالله بن ظهيرة ، والقاضى الحنفى شهاب الدين أحمد بن الضياء الهندى^(١٨) ، والقاضى المالكى تقي الدين محمد بن أحمد الحسنى الفاسى ، والقاضى الحنبلى سراج الدين عبد اللطيف بن أبى الفتح الفاسى^(١٩) .

أما عن أوقافها فقد قسمت خمسة أقسام : قسم للمدرسين الأربعة بالسوية بينهم ، وثلاثة أقسام للطلبة ، وهم ستون نفرًا : عشرون من الشافعية ، وعشرون من الحنفية ، وعشرة من المالكية ، وعشرة من الحنابلة بالسوية بينهم ، والقسم الخامس يقسم أثلاثًا : قسمان لسكان المدرسة وهم عشرة رجال ، وقسم لمصالحها من العمارة والزيت والمياه وغير ذلك . وأوقف أيضا على مصالح المدرسة دار مقابلة اشترت بخمسمائة مثقال^(٢٠) .

وقد أعيد بناء المدرسة البنجالية عام ٨٩٤هـ / ١٤٨٨م . وكان بناؤها مرتفعًا لكنه لم يعل على بيت الله المعظم . والسخاوى ثناء على هذه المدرسة ضمنه كتابه «وجيز الكلام»^(٢١) .

ومن أبرز من درس بهذه المدرسة البنجالية الغياثية بمكة المكرمة إضافة إلى ما سبق^(٢٢) : عبد الوهاب تاج الدين بن ظهيرة^(٢٣) (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) وعبد القادر بن محمد الفاسى المكي الحنبلى^(٢٤) (ت ٨٢٧هـ / ١٤٢٣م) ، ومحمد الجلال أبو السعادات بن ظهيرة^(٢٥) .

أما أبرز طلبة المدرسة البنجالية : محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عطية الملقب بالجمال ، وهو من الطلبة الشافعية بالمدرسة^(٢٦) . وعلى بن أحمد الماردينى^(٢٧) . وهذان الطالبان كانا من سكان هذه المدرسة .

ب- المدرسة البنجالية الغياثية بالمدينة المنورة :

بنى هذه المدرسة بالمدينة المنورة باني المدرسة البنجالية بمكة المكرمة غياث الدين أبو المظفر صاحب بنجالة بالهند فى عام ٨١٢هـ / ١٤١٠م نفسه . وكان هذا السلطان قد ندب

حاجى إقبال مولى خان جهان^(٢٨) وزير صاحب الهند غياث بصدقة لأهل المدينة النبوية وهدية لأميرها جمان بن منصور، وأمر حاجى إقبال بعمارة مدرسة للسلطان الهندى بالمدينة المنورة، وشراء وقف لها بها^(٢٩). وكانت هذه المدرسة بمكان يقال له: الحصن العتيق عند باب السلام^(٣٠). وكان هذا الحصن العتيق منزلاً لأمراء المدينة ثم انتقل إلى السلطان غياث الدين شراء ؛ حيث أقيم فيه المدرسة البنجالية^(٣١).

جـ - المدرسة الكبرى بمكة المكرمة:

أنشئت هذه المدرسة سنة ٨٢٠ هـ / ١٤٢٦ م مكان دار لأمير مكة الشريف بركات بن حسن الحسنى عند باب الصفا أحد أبواب المسجد الحرام^(٣٢) بأمر من سلطان كبرجه شهاب الدين أبى المغازى أحمد شاه^(٣٣).

وقد استمر العمل فى هذه المدرسة حتى سنة ٨٣١ هـ / ١٤٢٧ م بدليل قول ابن فهد فى هذه السنة : «وفىها شرع الهند فى عمارة المدرسة الكبرى، واستمرار فى عمارتها طوال السنة»^(٣٤)، وأوقف على هذه المدرسة الكبرى بيت بقعيقعان^(٣٥)، وأثبت وقفية المدرسة الكبرى والنظر عليها للشيخ علاء الدين البخارى الهندى بشهادة الهند على صاحب كبرى، وولى الشيخ علاء الدين تدريس المدرسة الكبرى وصحبته الشيخ جلال الدين عبد الواحد المرشدى ، وأن يقرر الشيخ عبد الواحد فيها أربعين طالباً من أى مذهب كان ، وتدرس أى فن أراد ، من تفسير وفقه ونحو وغير ذلك بالمدرسة المذكورة ، وطلب الشيخ علاء الدين القضاة والفقهاء والطلبة لحضور إجلاس الشيخ عبد الواحد بالمدرسة المذكورة ، فحضرُوا . وخلص على الشيخ عبد الواحد خلعة . وبعد الفراغ من الدرس فرق على الحاضرين بعض الأزر^(٣٦).

ومن العلماء الذين قاموا بالتدريس فى هذه المدرسة : عبد الواحد بن إبراهيم بن أحمد المكي الحنفى (ت ٨٣٨ هـ / ١٤٢٤ م)^(٣٧) . كما أن أحد المقادسة وهو ناصر الدين المقدسى نزل مكة وأدب الأطفال بها مدة ، وناب فى المدرسة الكبرى فى إقراء عشرة من القراء كل يوم^(٣٨) . وتوفى سنة ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦ م. كما أن بعض الهند الكيرجيه نزلوا مكة وسمعوا بها العلم^(٣٩).

وقد قام ملك كبرجه بالاهتمام بطلبة هذه المدرسة وأرسل إليهم المال والهدايا ، ومن ذلك إرساله بالهدايا إلى الفقيه علاء الدين البخارى ليفرقها على الطلبة الملازمين له وغيرهم^(٤٠). وهناك أخبار أخرى عن هداياه وعطاياه للعلماء^(٤١)، ولذلك لاستبعد أن يكون ملك كبرجة قد اهتم أيضاً بطلبة وأساتذة مدرسته بمكة المكرمة من حيث العطاء والإهداء.

د- المدرسة البنجالية بمكة المكرمة:

ذكرت بعض مصادرنا^(٤٢) التاريخية أن هناك مدرسة كبيرة بمكة المكرمة بناها ملك بنجاله من الهند وهو محمد بن قننوالجلال أبو المظفر (ت ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) ولم ترد معلومات أخرى سوى هذا الخبر الذي يشير إلى هذه المدرسة.

هـ- المدرسة الكلبرجية^(٤٣) بالمدينة المنورة:

أنشأ هذه المدرسة بالمدينة المنورة سلطان كلبرجه بالهند شهاب الدين أبو المغازي أحمد شاه في السنة التي توفي فيها ، أي سنة ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م، وبنيت في موضع دار كانت لجعفر بن يحيى البرمكي.

و- المدرسة الخليجية^(٤٤) بمكة المكرمة :

بنى هذه المدرسة صاحب مننوه من الهند محمود بن مغيث الخلجي بمكة المكرمة عند باب أم هانئ ، وقرر في مشيخة التدريس والحديث بها إمام الحنفية الشمس البخاري. ولدينا خبر عن أحد الذين تولوا مشيخة المدرسة الخليجية للخلجي محمود صاحب مننوه^(٤٥). ويبدو أن هناك أموالاً كانت مخصصة لهذه المدرسة للإنفاق على مصالحها ، ويفهم هذا مما ذكره السخاوي من أن رجلاً يدعي مفتاح الحبشي الكمالى بن ظهيرة توفي تحت العقوبة الزائدة سنة ٨٨٧هـ - ١٤٨٢م بسبب ما أشيع من اختلاسه للأموال الخليجية التي كان أميناً عليها.

ز- المدرسة الكنبايتية في مكة المكرمة :

ورد خبر واحد عن هذه المدرسة ذكره ابن فهد^(٤٧) هو : «فيها- سنة ٨٦٧هـ / ١٤٦٢م- كملت عمارة المدرسة الكنبايتية» وجاء هذا الخبر في أثناء حديثه عن مكة المكرمة وتاريخها.

وكتبايه بلد هندي له ملك مسلم، قرأ عليه الحديث النبوي أحمد بن محمد المعروف بابن المرجاني ، عندما توجه إليها من مكة سنة ٨٢٨هـ / ١٤٣٤م فأقام بكتبايه وقرأ الحديث عند ملكها ، وأثابه عليه^(٤٨) إلى أن توفي هذا العالم المحدث هناك سنة ٨٦٧هـ / ١٤٦٢م كما ورد خبر عن سفر علي بن محمد ابن الكريم من مكة سنة ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م إلى كتبايه^(٤٩). كما عُمِل سنة ٧٨٦هـ / ١٢٨٤م باب بكتبايه من بلاد الهند وأهدى إلى أمير مكة أحمد بن عجلان^(٥٠). وقد قدم صاحب كتبايه هدية لأمير مكة حسن بن عجلان سنة ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م، وأرسل في الوقت نفسه خياماً لتتصب حتى يستظل بها المصلون يوم الجمعة الذين لم يكونوا يستظلون بشيء عند سماع الخطبة بالمسجد الحرام^(٥١).

ومما سبق يتبين وجود صلة بين مكة المكرمة وبين مدينة كنبايه الهندية، مما يؤكد أن المدرسة التي عرفت بالكنبايتيه تعود إلى ملك كنبايه المسلم الذي بناها سنة ٨٦٧هـ / ١٤٦٢ بمكة المكرمة .

وهكذا بنى ملوك الهند عدداً من المدارس بمكة المكرمة والمدينة المنورة ، وإن كانت مدارس مكة المكرمة قد فاقت مدارس المدينة المنورة. وما من شك في أن هذه المدارس قد قامت بدور مهم في إثراء الحياة العلمية والثقافية بمكة المكرمة والمدينة المنورة ، ويعود الفضل في ذلك إلى الهنود الذين أسسوا هذه المدارس.

ثانياً - إسهامات الهنود في إنشاء الأربطة :

عرفت بلاد الحرمين الشريفين عدداً كبيراً من الأربطة خلال تبعيتها لحكم المماليك ، وشهدت هذه الأربطة حركة علمية واسعة، كما ضمت خزائن للكتب أوقفها العلماء على هذه الأربطة. ومن أبرز هذه الأربطة : رباط رامشت (٥٢)، ورباط ربيع (٥٣)، ورباط المسدرة (٥٤) ورباط غزى (٥٥) ، ورباط الموفق (٥٦)، ورباط الخوزى (٥٧)، وغيرها (٥٨) من أربطة بمكة المكرمة. وقد أدت هذه الأربطة دورها في إقراء الطلبة العلم (٥٩). ومن أبرز أربطة المدينة. رباط دكالة (٦٠) وغيره (٦١).

وقد عرف أحد الأربطة بمكة باسم رباط الهنود (٦٢). كما كان بها رباط نسب إلى سعيد الهندي (٦٣). وهو أحد الفقهاء الهنود الذين درسوا الفقه على المذهب المالكي، وكان له تلاميذ (٦٤). كما أن صاحب كلبرجه أحمد بن شاه، شهاب الدين أبو المغازى قد أنشأ بمكة «رباطاً هائلاً» (٦٥).

على أن هناك خبراً لا بد من إيراده هنا لاتصاله بالهنود بمكة، وهو أن محمد بن إسحاق الشيرازي المعروف بغياث الدين الأبرقوهي قد أنشأ رباطاً بمكة قبالة باب الصفا سنة إحدى وسبعين وسبعمائة للهجرة لسيد السلطان شاه شجاع صاحب بلاد فارس ، وأوقف عليه الأوقاف «وفى هذا الرباط حجر مكتوب فيه : أن الواقف شرط أن يسكنه الفقراء الأعاجم المجربون المتقون دون الهنود ومن لا سكن له بمكة» (٦٦). ولم أجد في المصادر التي اطلعت عليها ما يفسر عدم سكنى الهنود لهذا الرباط ، فلعل ذلك يرجع إلى كثرة الأربطة المخصصة للهنود بمكة والتي انشأوا هم أنفسهم بعضها منها. أما بالمدينة المنورة فقد أقام بها الخادم

الهندي ربحان أحد خدمة المسجد النبوي رباطين حسنين عم النفع بهما. وكان ربحان الهندي مشهوراً بكثرة المعروف والمآثر الحسنة بالمدينة المنورة^(٦٧).

ثالثاً : إسهامات الهنود في العلوم الدينية:

شهدت الهند خلال فترة البحث نشاطاً علمياً واسعاً ، دلّ عليه نبوغ عدد كبير من العلماء الهنود في كافة المجالات: الدينية واللغوية والأدبية والتجريبية وغيرها. فعلى سبيل المثال برع محمود بن محمد المقرئ في النحو والصرف والأصليين والمنطق والعروض، واعتمد عليه في تدريس هذه العلوم في الهند^(٦٨). كما اشتهر مخدوم بن برهان الدين الهندي الأحمد آبادي بالعلم في المعاني والبيان ، وأقرأ الطلبة في بيته الذي جعله مدرسة^(٦٩). كذلك عُرف محمد بن التاج الحنفي بالتقدم في علم الهيئة والكلام^(٧٠). ولعل قول السخاوي عن أحد علماء الهند راجح بن داود : «اشتغل في بلاده بنفسه على أكابر علمائه في فنونهم»^(٧١). مما يؤيد ما ذهبت إليه^(٧٢) من وجود نشاط علمي واسع بالهند خلال فترة البحث.

وقد تبوأ العلماء الهنود مكانة علمية مرموقة في المشرق الإسلامي واشتهروا بتدريس العلوم الدينية وغيرها. فعلى سبيل المثال كان بمصر منهم خلال فترة البحث : محمود الهندي^(٧٣)، والبرهان الهندي^(٧٤) والسراج الهندي^(٧٥) والجلال الهندي^(٧٦) وغيرهم^(٧٧) وكان منهم بالشام : عطاء الله الدروالي الهندي^(٧٨) والبدر الهندي^(٧٩) وعبد الرحمن بن علي الهندي^(٨٠) والسراج الهندي^(٨١) وغيرهم^(٨٢).

أما في مكة المكرمة فقد أدى هؤلاء العلماء الهنود دوراً مهماً في تدريس العلوم الدينية للمكيين وغيرهم، وبرزت أسرة هندية في هذا المجال هي أسرة بني الضياء، وكان نبوغها في مجال الفقه وأصوله بصفة خاصة. وتعود هذه الأسرة الهندية إلى محمد بن محمد بن سعيد ابن عمر بن علي الهندي الحنفي الملقب بضياء الدين (ت ٧٨٠هـ / ١٣٧٧م) وكان قد نزل المدينة المنورة أولاً ، وأقام بها مدة يدرس، ثم سكن مكة المكرمة وتولى تدريس الفقه على المذهب الحنفي «وكان عارفاً بمذهبه وأصوله ، مع مشاركة في العربية وغيرها»^(٨٣). ومن أبرز تلاميذه محمد بن محمد، ضياء الدين الهندي في مكة إمام الحنفية بها : عمر بن محمد أبي بكر المكي الملقب بالسراج ، المتولى لإمامة الحنفية بمكة من سنة ٧٧٣هـ / ١٣٧١م إلى ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م وقد أخذ الفقه^(٨٤) عن الشيخ ضياء الدين الهندي. ومحمد بن علي بن محمد بن داود المكي المعروف بالزمزمي^(٨٥) (ت ٨٣٧هـ / ١٤٢٣م) .

والشيخ ضياء الدين الهندي ابن هو الشهاب بن الضياء، أحمد بن محمد بن محمد ابن سعيد الهندي الحنفى الذى تولى قضاء مكة على المذهب الحنفى^(٨٦) سنة ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م وعرف بابن الضياء الهندي (ت ٨٢٥هـ / ١٤٢١م). وقد اعتنى ابن الضياء الهندي بالعلم كثيراً، وكانت له فى الفقه نباهة، ودرس، وأفتى، وكان يدرس الفقه بالمسجد الحرام وبالمدرسة البنجالية والزنجيلية^(٨٧) والأرغونية^(٨٨)، وناب عن عقود الأنكحة عن العز التنويرى، ثم فى الأحكام عنه أيضاً سنة ٨٠٢هـ / ١٤٠٠م إلى أن استقل بقضاء مكة ، وكان أول حنفى استقل بها^(٨٩). ومن بين الذين تلقوا العلم عن ابن الضياء من المكين: القاضى الشافعى أحمد بن محمد بن الجلال أبو السعادات، وكان يتولى أموال الأيتام والغائبين بمكة، ثم أضيف إليه النظر فى الحرم، إلى غير ذلك من وظائف^(٩٠).

ومن أسرة ابن الضياء أيضاً: محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن الشهاب، المعروف كآبيه بابن الضياء (ت ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م) وكان متقدماً فى العلوم الدينية واللغوية، وضرب فيها بنصيب وافر وناب فى القضاء بمكة، ثم استقل به بعده، وأضيفت إليه نظر الحرم والحسبة^(٩١) وصنف عدة مؤلفات فى الفقه والتفسير ، وفى فضائل المسجد الحرام، وفى شعيرة الحج وغير ذلك^(٩٢). «وكان إماماً علامة متقدماً فى الفقه والأصول والعربية، مشاركاً فى فنون حسن الكتابة والتقييد، عظيم الرغبة فى المطالعة والانتقاء بحيث بلغنى - السخاوى - عن أبى الخير بن عبد القوى أنه قال : أعرف أزيد من خمسين سنة، وما دخلت إليه قط إلا ووجنته يطلع أو يكتب »^(٩٣). وقد حدث ودرس وأفتى وصنف ، وأخذ عنه بعض الأئمة^(٩٤).

ومنهم محمد الرضى أبو حامد بن الضياء الحنفى (ت ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م) شقيق السابق، تفقه بأبيه، وأخذ النحو عنه ، وعن غيره ، ودرس الأصول والمعانى والبيان ، وناب فى القضاء عن أبيه ثم عن أخيه ثم بعد موته استقل به، وكتب فى الفقه، ودرس أفتى ، وممن أخذ عنه المحيوى المالكى أيضاً^(٩٥).

وهناك غيرهم^(٩٦) ممن ساهموا فى تدريس العلوم الدينية وغيرها بمكة الكرامة ، وأخذ المكين وغيرهم^(٩٧) هذه العلوم عن هؤلاء الهنود من هذه الأسرة العلمية.

ومن العلماء الهنود الذين نبغوا فى أصول الفقه بمكة:

العز أبو بكر بن عطا الله الهندي وأخذ عنه الفقيه المكي محمد بن إبراهيم الحنفى^(٩٨) . كما أخذ عالم الحجاز ورئيسه إبراهيم بن علي الملقب بابن ظهيرة أصول الفقه عن أحد العلماء

الهنود^(٩٩). وممن كان لهم دور بها أيضاً حسين بن أحمد بن ناصر الحنفى، وكان يدرس بالمسجد الحرام، مقابل مدرسة عز الدين عثمان الزنجبيلى، ودرس بالمدرسة المذكورة، وتولى وقفها، وناب فى الحكم عن قاضى مكة جمال الدين بن ظهيرة وعنه فى العقود أيضاً، وكان يُذكر بمسائل من مذهبه^(١٠٠). ومنهم، أبو على محمود بن على الهندى الأصل، ويعرف بالهندى، وهو عن تصدر فى القراءة والرواية^(١٠١). والمحِب محمد بن محمد الهندى الحنفى (ت ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م) وكان شديد التعصب للمذهب الحنفى على حساب الشافعى^(١٠٢). وبرز مكى بن سليمان الهندى فى تأديب الأطفال بمكة^(١٠٣) من سنة ٨٢٩هـ / ١٤٣٥م، فعلم نورا بعد دور، وكان حافظاً للقرآن الكريم، والشاطبيه والقراءات^(١٠٤)، وتوفى سنة ٨٩٨هـ / ١٤٩٢م.

أما عن دور العلماء الهنود بالمدينة المنورة، فلقد كان للعلامة ضياء الدين الهندى الحنفى دور بالمدينة قبل مكة، حيث أقام بالمدينة سنين «يدرس ويفتى»^(١٠٥) وكذلك كان للبهاء الهندى الحنفى دور فى تدريس الفقه والأصول والعربية بالمدينة النبوية المباركة، وقد كان ينقطع فى الحرم الشريف غالب نهاره للتدريس والإفادة، مع محبته للطلبة، والحرص على إفادتهم، حتى إنه إذا تأخر مجئ الطالب، جاءه فى بيته، وقد قرأ عليه بعض الطلبة جميع الكافية لابن الحاجب بحثاً فى بيته ليلاً «وكان فى الأصلين والفقه والعربية إمام زمنه مع حلم وعقل راجح وحسن خلق»^(١٠٦). وقد قيل عن العالم الهندى راجح بن داود الأحمد ابادى الحنفى : «اشتهرت بالمسجد الشريف فضيلته وتقررت أوصافه وفطنته»^(١٠٧) مما يبين دوره العلمى بمسجد النبى ﷺ.

وبعد فهؤلاء أهم من كان لهم دور فى تدريس العلوم الدينية بالحرمين الشريفين، وتبين من خلال العرض السابق الدور المهم لعلماء الهنود فى تدريس الفقه على المذهب الحنفى بصفة خاصة، وظهر أن هؤلاء العلماء علموا العلوم الدينية لمكيين ومدنيين تبرأوا مناصب علمية مرموقة بالحجاز بعد تلقيهم العلم على أساطينهم، ومن بينهم العلماء الهنود.

وكان لهؤلاء العلماء الهنود وظائف دينية مهمة فى الحرمين الشريفين منها : القضاء واشتهرت أسرة بنى الضياء بهذا المنصب الجليل بمكة المكرمة حتى قيل عنهم : «قضاة مكة»^(١٠٨). كما نبغ هنود آخرون فى القضاء من غير هذه الأسرة الهندية، ومنهم : شاذى الهندى قاضى الحنابلة بمكة^(١٠٩). وناب بعضهم عن القضاة فى الحكم فى بعض القضايا وفى

عقود النكاح (١١٠). كما ناب آخرون في الإمامة بالحرم المكي (١١١) بل أم بعضهم بمقام الحنفية به ومنهم محمد بن محمد الهندي الكابلي الحنفي ، «كان شيخاً مباركاً كتب بخطه كثيراً ووقف جملة» (١١٢). بل إن هندي الأصل هو أحمد بن سعد ناب بمكة عن أميرها السيد بركات ثم عن ولده (١١٣).

رابعاً : إسهامات الهنود في العلوم اللغوية والبلاغية:

بالرغم من أن الهنود أعاجم إلا أن بعضهم برز في العلوم اللغوية والبلاغية بصفة خاصة، حتى أن أحدهم وهو عبد الرحمن بن علي الهندي وصف بأنه كان فصيحاً مفوهاً (١١٤). ولذلك عندما كان يمتنع مقرئ الحرم المكي العفيف الدلاصي عن إقراء العجم لكونهم - في نظره - لا يخرجون الحروف من مخارجها، اجتمع به هندي وصف بالعلامة ، وقرأ عليه (١١٥). ومن أبرز العلماء الهنود في هذين المجالين: أحمد بن محمد الشهاب بن الكمال الهندي الحنفي (ت ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م) وكان عالماً بالنحو والصرف وآداب البحث ، والهندسة والحساب أيضاً (١١٦). والبرهان الهندي وكان ماهراً في النحو والمعاني والبيان، وتلمذ عليه في هذه العلوم عالم الحجاز ورئيسه إبراهيم بن علي المكي الملقب بابن ظهيرة (ت ٨٩١هـ / ١٤٨٦م) الذي انتهت إليه رئاسة الحجاز ديناً، وفضلاً وعقلاً وشهاماً (١١٧). وإبراهيم الهندي الحنفي، الذي أخذ عنه بمكة البرهان بن ظهيرة العربية والمعاني والبيان (١١٨).

هذا بالإضافة إلى الضياء الهندي والبهاء الهندي وقد سبق الحديث عن دورهما بمكة والمدينة في المجال الديني، وكانا في الوقت نفسه من علماء العربية الأفاضل.

خامساً : إسهام الهنود في نسخ الكتب :

نكرت مصادرنا التاريخية اثنين من الهنود كان لهما دور كبير في نسخ الكتب بمكة المكرمة عن أصحابها ، الأول منهما: محمد بن محمد بن محمود الهندي وكان يخدم الشيخ عبدالله اليافعي، ويكتب له تصانيفه ، كما خدم القاضي أبا الفضل النووي ولازم درسه ومجالسه وقرأ عليه (١١٩). والثاني منهما: نجيب الدين الهندي وكتب بخطه كثيراً من كتب العلم (١٢٠). وتوفي بمكة بعد التسعين وسبعمائة بيسير. وهناك هندي ثالث بمكة هو محمد بن محمد بن عمر الهندي وقيل عنه «كتب بخطه كثيراً» (١٢١).

ويعد ... فهؤلاء هم أبرز العلماء الهنود الذين كان لهم دور فعال ومؤثر في الحياة الثقافية والتعليمية بالحرمين الشريفين إبان تبعيتها لسلطين المماليك. وبالإضافة إلى هؤلاء العلماء كان هناك عد آخر من الهنود تلقوا العلم على أساطينه بالحرمين الشريفين دون أن يكون لهم بهما

دور ثقافى أو تعليمى (١٢٢)، وإنما كانوا جزءاً من الحركة العلمية بمكة المكرمة والمدينة المنورة فى هذه الفترة التاريخية.

وقد كان للعلماء الهنود وجود دائماً فى المناسبات الثقافية، ومنها بيع خزائن الكتب، وحدث هذا الأمر مرة بمكة (١٢٣). كما اقتضت العلاقة الثقافية بين بلاد الحرمين الشريفين أن تتبادل أخبار وفيات العلماء بين الجانبين (١٢٤)، بل وربما امتد ذلك ليشمل وفيات التجار المترددين على الهند من الحجاز (١٢٥).

والارتباط بين الحرمين الشريفين والهند كان يجد من يغذيه ويقويه عن طريق رسم وكتابة صفة الكعبة المشرفة وإهدائه للناس بالهند (١٢٦). الأمر الذى كان يزيد من الارتباط العاطفى الروحى بمكة المكرمة بصفة خاصة.

ومن الملاحظ أن جل العلماء الهنود كانوا على المذهب الحنفى، وأن بعضهم (١٢٧) تعصب له تعصباً جعله يذم باقى المذاهب وعلى رأسها المذهب الشافعى، وهذا - بدون شك - مما يؤخذ على هؤلاء العلماء. كما يتضح أن دور هؤلاء العلماء الهنود بمكة المكرمة كان أشد وضوحاً منه بالمدينة المنورة، والسبب واضح كل الوضوح وهو ارتباط مكة المكرمة بشعيرة الحج والعمرة وبسنة مجاورة البيت العتيق، ولذا فإن العلماء الهنود كانوا أكثر عدداً بمكة عن المدينة، ومن ثم ظهر دورهم بمكة أشد وأقوى وأوضح.

الخلاصة

قام الهنود (ممثلون في الملوك والعلماء) بدور مهم بالحرمين الشريفين زمن سلاطين المماليك، وتمثل هذا الدور في إقامة المدارس التي بلغ عددها سبعة : خمس منها بمكة المكرمة واثنان في المدينة المنورة، وظهر هذا الدور أيضاً من خلال إنشاء الأربطة التي لعبت دوراً علمياً وثقافياً كدور المدارس، وكانت هذه الأربطة تحتوى على خزائن الكتب ، ويقيم بها طلبة العلم والمدرسون . ونبغ العلماء الهنود في العلوم الدينية واللغوية والبلاغية بصفة خاصة، وكان دورهم بالحرمين الشريفين يتمثل في تدريس هذه العلوم والمعارف بالحرمين وبالمدارس وبالأربطة ، وأحياناً في بيوتهم أو بيوت طلبة العلم وقد قام بهذا أحد الهنود بالمدينة المنورة . إضافة إلى ذلك فقد اشتهر بعض طلبة العلم من الهنود بنسخ الكتب . وتبوأ العلماء الهنود مناصب دينية عديدة منها: القضاء وإمامة الحرم المكي. واتضح من خلال المصادر أن دور الهنود بمكة المكرمة كان أقوى وأظهر منه بالمدينة المنورة ، ويرجع ذلك إلى ارتباط بارتباط مكة المكرمة بفريضة الحج أو بشعيرة العمرة، ويسنة مجاورة البيت العتيق.

ولم يقتصر دور العنصر الهندي على الجانب الثقافى والعلمى بالحرمين الشريفين، بل كانت له أدوار أخرى^(١٢٨) تمت الإشارة إليها في ثنايا البحث.

الهوامش

١- تعاقب على الحكم بالهند خلال فترة البحث عدد من الأسر المسلمة هي ممالك الغوريين (٦٠٣-٦٨٩هـ / ١٢٠٦-١٢٩٠م) والخلجسيون (٦٨٩-٧٢٠هـ / ١٢٩٠-١٣٢٠م) وآل تغلق (٧٢٠-٧٩٩هـ / ١٣٢٠-١٣٩٦م) والمغول الذين اجتاحتها الهند سنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م وحكموها لمدة ثلاثة قرون، وفي أيامهم استقلت إمارات عن حكمهم في دلهي حاضرة المسلمين بالهند، وأبرز هذه الإمارات والولايات المنفصلة عن حكم المغول: إمارة البنغال والكجرات والدكن وغيرها . وقد ارتبطت هذه الإمارات المستقلة بالعلاقات الثقافية مع بلاد الحجاز وغيرها، كما أن سلاطين هذه الإمارات المستقلة هم الذين ساهموا في إثراء الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين . وللوقوف على ملوك «بنجالة» راجع الفاسي العقد الثمين ج٤ ص ١٠٤ و ١٠٨ : الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ج٢ ص ٢٩٧ ، وص ٣٦٣ : ابن حجر : إنباء الفجر ج٢ ص ٤٩٦ : السخاوي : وجيز الكلام ج٢ ص ٥٢٤ و ٥٤٢ والضوء اللامع ج٢ ص ١٦٦ و ٣١٣ ، ج٨ ص ٢٨٠ و ٢٩٣ ، ج١٠ ص ٢١٤ : التحفة اللطيفة ج١ ص ١٩٢ : السمهودي : وفاء الوفاء ج١ ص ٧٠٢ . ولعرفة أمراء كجرات راجع السخاوي : الضوء اللامع ج٢ ص ٩١ وج ١٠ ص ١٤٤ . ولعرفة ملوك كلبرجه راجع السخاوي : الضوء اللامع ج٢ ص ١٨٢ و ٢٢٢ ، ج١٠ ص ١٤٤ و ١٤٧ والتحفة اللطيفة ج١ ص ١٦١ : السمهودي : وفاء الوفاء ج١ ص ٦٩٦ : الصيرفي : نزهة النفوس ج٢ ص ٣٢٤ . وراجع أيضا ابن قاضي شعبة : تاريخ ابن قاضي شعبة ج٢ ص ٢٨-٢٩ وابن أيبك : كنز الدرر ج٩ ، ص ٢٢ و ٢٩٩ و ٣٤٥ : القلقشندي : صبح الأعشى ج٥ ، ص ٦١-٩٨ وج ١٠ ص ١٢٩ .

٢- وللوقوف على العلاقات التجارية بين مكة والهند بصفة خاصة راجع النجدي : السحب ج٢ ص ٨٨٢ : السخاوي : الضوء اللامع ج٤ ص ٣٢١ وج ٨ ص ١٠٣ وراجع ج٥ ص ١٧٥ وج ٧ ص ١٢٥ ، وراجع أيضا الفاسي : العقد الثمين ج٢ ص ٧٨ وج ٤ ص ١٤٥ : ابن حجر : إنباء الفجر ج٤ ص ٨٤٢ . عن التجارة مع الهند بصفة عامة راجع السخاوي : الضوء ج١ ص ٦٩ ، ج٧ ص ١٢٣ ، ج١٠ ص ١٢٦ و ١٥٤ : وجيز الكلام ج٢ ص ١٢٤٨ : الصيرفي : نزهة النفوس ج٢ ص ١٤٥ : السلفي : معجم السفر ص ٤٣ و ١٩٨ : ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ج٨ ص ١٨٦ : السيوطي : بغية الوعاة ج١ ، ص ٦٦ .

٣- كان هذا التأثير قديماً قبل فترة البحث بقرون، والدليل على ذلك دور عدد من العلماء الهنود بمكة ، ومنهم على سبيل المثال : محمد بن إبراهيم اللبيلي (ت ٣٢٢٢هـ) ووصف بأنه محدث مكة . راجع الفاسي : العقد الثمين ج١ ص ٣٩٦-٣٩٧ : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٥ ص ٩ ، وبديل وقف الملك

العادل بهاء الدين محمد ملك الفور والهند سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م رباط ابن غنایم بمكة المكرمة علي الصوفية . راجع الفاسي : العقد الثمين ج ١ ص ١٢٣ وج ٢ ص ٢٢٣ وابن فهد: اتحاف الوری بأخبار أم القرى ج ٢ ص ٥٧٠-٥٧١ .

٤- انظر السخاوی: الضوء اللامع ج ١ ص ١٥ و ٣٦٧ ، ج ٢ ص ٤٤ ، ٢٣١ ، ج ٣ ص ٣٠٢ ، ج ٤ ص ١٥٠ ج ٥ ص ٦٩ ، ج ٨ ص ٨٤ ، ٨٥ ص ١٢٧ ، ج ١٠ ص ٥٢ .

٥- راجع السخاوی : الضوء اللامع ج ٤ ص ٥٩-٦٠ ، ١٠٣ ، ج ٧ ص ٢٣٣ ، ج ٩ ص ٢١٨ ، ج ١٠ ص ٣٠ ص ٦٩ . وراجع النعیمی: الدارس ج ١ ص ١٣٠ .

٦- ابن حجر : إنباء الفجر ج ٢ ص ٤٩٦ والسخاوی: الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١٢ ، وجیز الکلام للسخاوی ج ٢ ص ٤١٧ والتحفة اللطيفة ج ١ ص ١٩٢ .

٧- عندما توفي أعظم شاه غياث الدين ملك بنجالة سنة ٨١٤هـ / ١٤١١م ملك ابنه حمزة بعده، فثار عليه مملوكه شهاب وقتله، فتسلط عليه ملك غير مسلم اسمه فنندو قتل شهابا، وثار ابن فنندو على أبيه فقتله، وأسلم وتسمى بمجد ، وتلقب بجلال الدين، وأقام هذا السلطان الهندي المسلم محمد بن فنندو شعار الإسلام في بلده، وجدد ما خربه أبوه من المساجد ونحوها، واختار مذهب الإمام أبي حنيفة مذهباً له، وارتبط بعلاقات سياسية مع المماليك بمصر، واعتنى بمكة المكرمة ، فبنى بها مدرسة ، وتصدق بأموال على أهلها سنة ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م . راجع ابن حجر : إنباء الفجر ج ٢ ص ٤٩٦ ؛ الصيرفي : نزهة النفوس ج ٢ ص ٢٩٧ والسخاوی : الضوء اللامع ج ٨ ص ٢٨٠ وراجع ج ٢ ص ١٦٦ ؛ وجیز الکلام ج ٢ ص ٥٢٤ . ونكر السخاوی في «الضوء اللامع» ج ٨ ص ٢٩٣ أنه رأى شيئاً من كتبه.

٨- من أبرز ملوك كبرجه السلطان شهاب الدين أحمد أبو المغازی (ت ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م) الذي أقام في المملكة أربع عشرة سنة، وقام من بعده ابنه ظفر شاه واسمه أحمد، ووصف بأنه من خير ملوك زمانه، وكان لهذين الملكين وزير قائم بدولتهما هو خلف بن حسن بن مهيوف واشتهر بحب العلماء والإحسان إليهم، ووصفته المصادر بأنه أحد أفراد العالم في زمانه لما عليه من دين وورع وكرم وشجاعة . راجع الصيرفي: نزهة النفوس ج ٢ ص ٢٢٤ ؛ السخاوی : الضوء اللامع ج ٣ ص ١٨٣ ؛ الفاسي : العقد الثمين ج ٨ ص ٢١٠ .

٩- السخاوی : الضوء اللامع ج ٩ ص ٢٩١ ، ص ٢٩٤ .

١٠- السخاوی : الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٢٢ ، ص ٢٢٣ .

- ١١- السخاوى: الضوء اللامع ج ٢ ص ١٠٥ .
- ١٢- راجع الفاسى : العقد الثمين ج ١ ص ٣٠١ - ٣٠٧ ، ص ٤٣١ ، ٤٣٢ ؛ السخاوى: الضوء اللامع ج ٢ ص ١٣٥ .
- ١٣- راجع الفاسى : العقد ج ١ ص ٤٢١ .
- ١٤- الفاسى : العقد ج ١ ص ٣٠١ ، ٤٢١ ، ص ٤٥٤ ، ج ٦ ص ٣٤ ؛ السخاوى: الضوء اللامع ج ٥ ص ٩٣ ، ج ٩ ص ٢٢٣ ، ج ١٠ ص ١٦٠ ؛ التحفة اللطيفة ج ١ ص ٩٤ و ١٠٦ و ١١١ و ١١٢ و ١٤٦ و ١٧٧ و ٢٤٩ و ٤٢٤ و ٤٥٨ و ج ٢ ص ٦٦ و ٨٦ و ١٧١ و ١٩٨ ، ٤٦٣ و ٥٦٢ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ج ٤ ص ٣٦ .
- ١٥- راجع ترجمته عند الفاسى: العقد الثمين ج ٤ ص ٨٦-١٣٨ ، ج ٣ ص ١٣٤ . وعن بعض الأمراء الآخرين لمكة زمن البحث راجع ج ٤ ص ١٦٦-١٧٤ ، ٤٠٣-٤٢٤ ، ج ٦ ص ٥٨-٧٢ ، ٢٠٦-٢١٦ كما ترجم السخاوى فى «التحفة اللطيفة» لأمراء المدينة.
- ١٦- الفاسى: العقد الثمين ج ٤ ص ١٠٨ ، راجع ج ١ ص ١١٧ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ج ٢ ص ٤٨٥-٤٨٦ ؛ السخاوى : الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١٢ وذكر أنه صرف على المدرسة وأوقفها اثنى عشر ألف مثقال مصرية انظر ج ١٠ ص ١٦٤ . ومن هذه المدرسة راجع ابن حجر : إنباء الغمر ج ٢ ص ٤٩٦ وابن تفرى بردى: المنهل الصافى ج ٢ ص ١٨٢ ؛ الفاسى : شفاء الغرام ص ٢٢٨ و ٢٢٩ .
- ١٧- راجع الفاسى: العقد الثمين ، ج ١ ص ١١٧ .
- ١٨- القاضى الحنفى شهاب الدين أحمد بن الضياء الهندى تولى قضاء مكة سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م وفى السنة نفسها تولى قضاء المالكية القاضى تقي الدين محمد بن أحمد الفاسى راجع ابن حجر : إنباء الغمر ج ٢ ص ٢٩٨ .
- ١٩- راجع ابن فهد: اتحاف الورى ج ٢ ص ٤٨٥-٤٨٦ ، السخاوى: الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١٢ ؛ الفاسى : العقد الثمين ج ١ ص ١١٧ .
- ٢٠- ابن فهد : اتحاف الورى ج ٢ ص ٤٨٦ .
- ٢١- السخاوى : وجيز الكلام ج ٣ ص ١٠٧٤-١٠٧٥ .
- ٢٢- راجع الفاسى : العقد الثمين ج ٢ ص ٥٥-٥٧ ؛ السخاوى: التحفة اللطيفة ج ١ ص ١٤٦ وابن تفرى بردى : المنهل ج ٢ ص ١٨٢ .

- ٢٣- السخاوى : الضوء اللامع ج ٥ ص ١١٣ .
- ٢٤- السخاوى : الضوء اللامع ج ٤ ص ٢٨٧ .
- ٢٥- السخاوى : الضوء اللامع ج ٩ ص ٢١٤ .
- ٢٦- السخاوى: الضوء اللامع ج ٨ ص ٧٤ ؛ الفاسى : العقد الثمين ج ٢ ص ١٢٤ .
- ٢٧- الفاسى: العقد الثمين ج ٤ ص ١٣٨ ؛ انظر السخاوى : الضوء اللامع ج ٥ ص ١٧٤ .
- ٢٨- عنه راجع السخاوى : الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٤٠ .
- ٢٩- الفاسى: العقد الثمين ج ٤ ص ١٠٩ .
- ٣٠- السخاوى : الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١٣ .
- ٣١- السمهوى: وفاء الوفا ج ١ ص ٧٠٢، و ٧٠٣ ؛ ابن حجر : إنباء الفهر ج ٢ ص ٣٦٨ ؛ السخاوى: التحفة اللطيفة ج ١ ص ١٩٢ .
- ٣٢- راجع ابن فهد : اتحاف الورى ج ٢ ص ٦٤٢ ، ج ٤ ص ٤٥ .
- ٣٣- راجع ترجمته عند السيرفى: نزهة النفوس والابدان ج ٢ ص ٢٢٤ ؛ الفاسى : العقد الثمين ج ٨ ص ٢١٠ ؛ السخاوى: الضوء اللامع ج ١٠ ص ١١٧ .
- ٣٤- ابن فهد : اتحاف الورى ج ٤ ص ٢٤ .
- ٣٥- قعيقعان : جبل بمكة يشرف على المسجد الحرام من جهة الشمال والشمال الغربى ، ويعرف بأسماء عدة ، فالجزء المشرف على المعللة يسمى بجبل العبادى، وجبل السليمانية، أما الجزء الجنوبي فيسمى بجبل هندی. ومن هذه الاسماء جبل القرارة وجبل فلقة من جهة الشامية ، وكل هذه الأجزاء تمثل جبل فعيقعان . هامش (٢) ص ٢٥ ج ٤ من كتاب ابن فهد: اتحاف الورى .
- ٣٦- راجع ابن فهد : اتحاف الورى ج ٤ ص ٢٥-٢٦ .
- ٣٧- السخاوى : الضوء اللامع ج ٥ ص ٩٣ .
- ٣٨- السخاوى : الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٣ .
- ٣٩- راجع السخاوى: الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٠٣ ، ج ٢ ص ١٢٧ ، ج ٥ ص ٥٧ .
- وبالعكس هناك مكيون سافروا إلى كلبرجه من بلاد الهند . راجع السخاوى : الضوء اللامع ج ١ ص ٢٨١ وج ٥ ص ١٧٥ ؛ الفاسى : العقد الثمين ج ٢ ص ٧٨ وج ٤ ص ١٣٧-١٣٨ ، راجع النجدى : السحب الوايلة ج ٢ ص ٥١٢ . كما أن هناك علماء مصريين دخلوا كلبرجه من الهند . راجع

- السخاوى: وجيز الكلام ج ٢ ص ٤٨٢ .
- ٤٠- السخاوى : وجيز الكلام ج ٢ ص ٤٩٨ .
- ٤١- راجع السخاوى: الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٢٢ .
- ٤٢- راجع السخاوى : الضوء اللامع ج ٨ ص ٢٨٠ ؛ وجيز الكلام ج ٢ ص ٥٣٤-٥٣٥ .
- وربما عرفت هذه المدرسة بالبنجالية الجديدة تمييزاً لها عن البنجالية الغياثية . راجع السخاوى: الضوء ج ٨ ص ٧٤ ؛ الفاسى : العقد الثمين ج ٢ ص ١٢٤ .
- ٤٣- راجع السمهودى : وفاء الوفاء ج ١ ص ٦٩٦ والسخاوى: التحفة اللطيفة ج ١ ص ١٦١ وهناك حديث عن القناديل التى أرسل بها صاحب كبرى المسجد النبوى .
- ٤٤- راجع السخاوى : الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٤٨ . وذكر أن صاحب منتهى من الهند توفى سنة بضع وسبعين وثمانمائة من الهجرة ، وأنه كان مشهوراً بالكرم والصدقة وبديشية هائلة له بمكة انقطعت بعد موته . راجع ص ١٤٩ .
- ٤٥- السخاوى : الضوء اللامع ج ٩ ص ٢٢٣ . وهو محمد بن محمد الحسنى الحنفى .
- ٤٦- راجع السخاوى: الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٦٦ .
- ٤٧- ابن فهد : اتحاف الورى ج ٤ ص ٤٤٢ .
- ٤٨- السخاوى: الضوء اللامع ج ٢ ص ١٠٥ .
- ٤٩- السخاوى: التحفة اللطيفة ج ٢ ص ٣٧٦ ، راجع خبراً آخر عند السخاوى: السابق ج ٥ ص ١١٣ .
- ٥٠- ابن فهد : اتحاف الورى ج ٣ ص ٢٤٥ ويذكر هنا أن هناك علاقة تجارية قد قامت بين كنيابة وميناء مكة المكرمة ، ميناء جدة، راجع السخاوى: وجيز الكلام ج ٢ ص ١٢٤٨ .
- ٥١- الفاسى: العقد الثمين ج ٤ ص ١٠٤ .
- ٥٢- راجع الفاسى : العقد الثمين ج ٢ ص ٢٥٠ ، ٤١٤ ج ٤ ص ١٥٥ ، ٢٥٤ ، ٢٨٥ والسخاوى: الضوء ج ١٠ ص ٤٥ .
- ٥٣- راجع الفاسى: السابق ج ٦ ص ٢٢١ ، ٤٥٦ والسخاوى: الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٠٥ و ص ٢١٠ و ٢٣٠ ج ٥ ص ٧٦ ، ٢٣٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ج ٦ ص ١٤٦ ، ج ٧ ص ١٠٥ ، ج ٩ ص ٢٢ . ونصت المصادر على احتواء هذا الرباط على الكتب الموقوفة على العملية التعليمية به .
- ٥٤- راجع الفاسى : السابق ج ٤ ص ٣١٨ ، ج ٦ ص ١٢١ ؛ السخاوى: الضوء اللامع ج ٨ ص ٥٨ .

- ٥٥- الفاسي: السابق ج ٦ ص ٤٥٦ .
- ٥٦- الفاسي : السابق : ج ١ ص ٤٥٤ ، ج ٦ ص ٢٠٤ . ونصت المصادر على وجود كتب به فهرسة .
الضوء اللامع ج ٣ ص ٣١٢ : السخاوي: الضوء اللامع ج ٣ ص ٢١٧ ، ج ٥ ص ١٤٣ ، ج ٧ ص ٢٥٢ ،
ج ١٠ ص ٥٥ ، ١٢٣ .
- ٥٧- السخاوي: الضوء اللامع ج ٥ ص ١٧٤ ، ج ٧ ص ٢٥٢ ونصت المصادر على وجود كتب به .
- ٥٨- ومنها رباط الصفا وبه كتب حسنة . السخاوي: الضوء اللامع ج ١ ص ١١٥-١١٦ ورباط الخرازين.
الفاسي : السابق ج ٤ ص ١٧٤ ، وراجع للوقوف على كل هذه الأربطة الفاسي : السابق ج ١
ص ١١٧-١١٨ ، ص ١٢١-١٢٣ .
- ٥٩- راجع السخاوي: الضوء اللامع ج ١ ص ٢٤٨ .
- وينذكر هنا أن كثيراً من الفقهاء كانوا يسكنون هذه الأربطة ، راجع على سبيل المثال السخاوي: السابق
ج ١ ص ٢٠٨ ، ج ٥ ص ١٧٤ ، ص ٢٣٦ ، ج ٧ ص ١٠٥ والفاسي: العقد الثمين ج ٢ ص ٤١٨ ، ج ٦
ص ١٣٩ .
- ٦٠- السخاوي: الضوء اللامع ج ٨ ص ٨٨ .
- ٦١- راجع السخاوي: التحفة اللطيفة ج ١ ص ٨٤ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٦٤ ، ١٨٤ ، ٢٨٥ ، ج ٢
ص ١٨٣ ، ٢٢٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٣٠٩ ، ٣٥٨ ، ٣٧٩ ، ٤٧٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٩ .
- ٦٢- الفاسي: العقد الثمين ج ٦ ص ٢٤ .
- ٦٣- الفاسي: العقد الثمين ج ١ ص ١٢١ .
- ٦٤- راجع السخاوي: الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٥٧ و ٣٠٣ .
- ٦٥- الفاسي : العقد الثمين ج ٨ ص ٢١٠ .
- ٦٦- راجع الفاسي: العقد الثمين ج ١ ص ٤٠٩-٤١٠ .
- وينذكر هنا أن للشيخ غياث الدين معرفة بالطب ، وله فيه مؤلفات حسنة، وقد انتفع به الناس في ذلك
بمكة كثيراً ، وكان يقدم الأدوية للناس، وتوفي بمكة سنة ٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م . راجع الفاسي: السابق
ص ٤١٠ .
- ٦٧- السخاوي : التحفة اللطيفة ج ١ ص ١٦١ .
- ٦٨- راجع السخاوي: الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٢٢ وراجع ج ١ ص ١٤٨ .

- ٦٩- راجع السخاوى: السابق والصفحة نفسها وج ١٠ ص ١٥٠ .
- ٧٠- راجع السخاوى: السابق ج ٢ ص ٢٢ .
- ٧١- السخاوى: السابق ج ٢ ص ٢٢ ؛ راجع الفاسى: العقد الثمين ج ٤ ص ١٧٦ ؛ الكتبى: فوات الوفیات ج ١ ص ٢٥٩ .
- ٧٢- راجع السخاوى : السابق ج ١٠ ص ٢٩٨ ؛ راجع ج ٢ ص ١٦٦-١٦٧ .
- ٧٣- راجع السخاوى : السابق ج ٥ ص ٦٩ ، ج ٨ ص ٨٤ ، ج ١٠ ص ٥٢ .
- ٧٤- راجع السخاوى: السابق ج ١ ص ٣٦٧ ، ج ٨ ص ٨٥ .
- ٧٥- راجع ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٥ ص ٢٤٨ وإنباء الفمر ج ١ ص ٢٧ والسخاوى: السابق ج ١ ص ٣٢٥ ، ج ٢ ص ٢٣١ ، ج ٤ ص ١٥٠ ، ج ١٠ ص ٢٠ .
- ٧٦- راجع السخاوى: السابق ج ٨ ص ١٢٧ .
- ٧٧- راجع السخاوى: السابق ج ١ ص ١٥ ، ج ٢ ص ٤٤ ، ج ٢ ص ٣٠٢ وراجع الصفدى: الوافى ج ٢ ص ٢٣٩ ؛ المقرئى: المقفى ج ٦ ص ٦٨ ؛ درر العقود ج ١ ص ٢١٩ ، ٤٢٠ .
- ٧٨- السخاوى: الضوء اللامع ج ٤ ص ٦٠ .
- ٧٩- السخاوى: السابق ج ١٠ ص ٦٩ .
- ٨٠- السخاوى : السابق ج ٤ ص ١٠٢ وقد وصف هذا الصفدى بأنه كان فصيحاً مفوهاً .
- ٨١- السخاوى : السابق ج ٧ ص ٢٣٢ وج ١٠ ص ٢٠ . ويذكر هنا أن هناك عالين هنديين عرفا بالسراج . راجع الضوء اللامع ج ٩ ص ٢١٨ .
- ٨٢- راجع التميمى : الدارس فى تاريخ المدارس ج ١ ص ١٣٠ .
- ٨٣- راجع الفاسى : العقد الثمين ج ٢ ص ٢٩١-٢٩٢ ؛ السخاوى: وجيز الكلام ج ١ ص ٢٤١ .
- ٨٤- الفاسى : العقد الثمين ج ٦ ص ٢٥٥-٢٥٦ .
- ٨٥- السخاوى: الضوء اللامع ج ٩ ص ١٥ .
- ٨٦- ابن حجر : إنباء الفمر ج ٢ ص ٢٩٨ .
- ٨٧- تنسب هذه المدرسة إلى الأمير فخر الدين المعروف بالزنجبيلى، أحد أمراء السلطان صلاح الدين الأيوبي، وكانت هذه المدرسة عند باب العمرة . راجع الفاسى : العقد الثمين ج ٦ ص ٢٤ ؛ السخاوى : الضوء اللامع ج ٢ ص ١٣٧ .

- ٨٨- راجع الفاسي: العقد الثمين ج ١ ص ١١٧-١١٨ .
- ٨٩- السخاوي: التحفة اللطيفة ج ١ ص ١٤٦ ؛ الضوء اللامع ج ٢ ص ١٧٩ ؛ والمقرئ: ندر العقود ج ٢ ص ٤٢٩-٤٣٠ ؛ راجع ابن تفرى بردى: المنهل الصافي ج ٢ ص ١٨٢ .
- ٩٠- السخاوي : الضوء اللامع ج ٢ ص ١٩١ .
- ٩١- السخاوي: الضوء اللامع ج ٧ ص ٨٥ .
- ٩٢- راجع هذه الكتب المؤلفة في المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .
- ٩٣- السخاوي: الضوء اللامع ج ٧ ص ٨٥ .
- ٩٤- السخاوي: السابق نفسه والصفحة نفسها ، ج ٩ ص ١٩١ .
- ٩٥- السخاوي : الضوء اللامع ج ٧ ص ٨٦ .
- ٩٦- راجع السخاوي : السابق ج ٧ ص ٨٦ .
- ٩٧- راجع السخاوي: السابق ج ٢ ص ١٦٧ ، ج ٢ ص ١٣٧ ، ج ٤ ص ١٨٧-١٨٨ .
- ٩٨- راجع السخاوي: السابق ج ٦ ص ٢٤٢ .
- ٩٩- السخاوي: الضوء اللامع ج ١ ص ٨٨ .
- ١٠٠- راجع الفاسي: العقد الثمين ج ٤ ص ١٨٧-١٨٨ ؛ السخاوي: الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٧ .
- ١٠١- السخاوي : وجيز الكلام ج ٢ ص ٧٤٢ .
- ١٠٢- السخاوي: وجيز الكلام ج ١ ص ٢٨٣ .
- ١٠٣- كان تعليم الأطفال وتأديبهم معروفًا بمكة على نطاق واسع زمن الماليك ، وكان يتم بالحرم الشريف تحت مآثنه وعند أبوابه راجع الفاسي: العقد الثمين ج ١ ص ٤١٣ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥ ، ج ٢ ص ٣١٤ ، ج ٤ ص ٨٥ ، ج ٨ ص ١٧ ، ص ٩٥ ؛ السخاوي: الضوء اللامع ج ٢ ص ١٠٩ ، ج ٣ ص ١٠٢ وج ٥ ص ٨٩ ، ج ٩ ص ١٣٤ ، ١٦٦ ، ١٨٣ كذلك عُرِفَ هذا التعليم للأطفال بالمدينة المنورة . راجع السخاوي: الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٣-٢٤ . والتحفة اللطيفة ج ١ ص ٩٤ ، ٤٥٣ ، ج ٢ ص ١٣٥ ، ٣٥٩ ، ٥٠٥ .
- ١٠٤- السخاوي: الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٦٩ .
- ١٠٥- الفاسي: العقد الثمين ج ٢ ص ٢٩١ .

١٠٦- السخاوى: التحفة اللطيفة ج ٢ ص ٣٥٢-٣٥٣ ؛ راجع ترجمة مختصرة له عند الفاسى : العقد الثمين ج ٦ ص ٣٥٤ .

١٠٧- راجع السخاوى: الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٢٣ . ونذكر هنا أن هنئياً كان أحد خدام المسجد النبوى، وكان فى الوقت نفسه عالماً. راجع السخاوى: الضوء اللامع ج ٢ ص ١٧٣ .

١٠٨- السخاوى: وجيز الكلام ج ١ ص ٢٤١ .

١٠٩- السخاوى: الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٩٠ .

١١٠- راجع السخاوى: الضوء اللامع ج ٢ ص ١٧٩ ، ج ٢ ص ١٣٧ ، ج ٣ ص ٥٣ ؛ التحفة اللطيفة ج ١ ص ١٤٦ .

١١١- راجع السخاوى: الضوء اللامع ج ٨ ص ٥٦ ؛ الفاسى: العقد الثمين ج ٨ ص ٢٨ ، ج ٨ ص ١٦٣ .

١١٢- الفاسى: العقد الثمين ج ٢ ص ٢١٩ .

١١٣- السخاوى: الضوء اللامع : ج ١ ص ٣٠٤ .

١١٤- السخاوى: الضوء اللامع ج ٤ ص ١٠٣ .

١١٥- راجع الفاسى : العقد الثمين ج ٢ ص ٣٤٠-٣٤٢ .

١١٦- راجع السخاوى: الضوء اللامع ج ٢ ص ١٦٧ ، ١٧٥ .

١١٧- راجع السخاوى: الضوء اللامع ج ١ ص ٨٩ وراجع من ص ٨٨-٩٩ .

١١٨- الفاسى : العقد الثمين ج ٨ ص ١٩٠ .

١١٩- راجع الفاسى: العقد الثمين ج ٢ ص ٢٢١ .

١٢٠- راجع الفاسى: السابق ص ٣٤٠-٣٤٢ .

١٢١- الفاسى: العقد الثمين ج ٢ ص ٢١٩ .

١٢٢- راجع السخاوى : الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٠٧ ، ٢٢١ ، ج ٣ ص ١٢٧ ، ١٣٤ ، ص ٢٣٢ ، ج ١٠ ص ٢١

ص ٢٠٣ ؛ الفاسى: العقد الثمين ج ٢ ص ٢٢٠-٢٢١ ، ص ٢٢٢ ، ص ٢٣٢ .

١٢٣- راجع الفاسى: العقد الثمين ج ٢ ص ٢٩٢ .

١٢٤- راجع ابن فهد: اتحاف الورى ج ٢ ص ٢٤٧ وفيات سنة ٧٨٦هـ / ١٢٨٤م.

١٢٥- السخاوى: الضوء اللامع ج ٨ ص ١٠٣ .

١٢٦- الفاسى: العقد الثمين ج ١ ص ٤١٢ ؛ السخاوى: الضوء اللامع ج ٧ ص ١٣٣ .

١٢٧- منهم الضياء الهندى. راجع الفاسى: السابق ج ٢ ص ٢٩٢ ؛ السخاوى: وجيز الكلام ج ١ ص ١٤١ .
والمحب محمد الهندى. راجع السخاوى: وجيز الكلام ج ١ ص ٢٨٣ . وتجب الإشارة هنا إلى أن أحد
حكام الهند من المشهورين بالعدل وتقريب العلماء وهو غياث الدين الفورى الملقب بقسيم أمير المؤمنين
كان يكره التعصب المذهبى ويقول : «التعصب فى المذاهب قبيح». الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ٢١
ص ٣٢١ . الأمر الذى يؤكد ظهور هذا التعصب بالهند على نطاق واسع مما جعل حاكم الهند الفورى
ينمّه .

١٢٨- منها على سبيل المثال ما قام به الملوك الهنود من إرسال الأموال لأهالى الحرمين الشريفين ، فضلا
عن إرسال الهدايا لأمراء مكة وأئمة الحرم وقضاة مكة . راجع فى ذلك الفاسى: العقد الثمين ج ٤
ص ١٠٤ و ١٠٨ ؛ السخاوى: الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١٣ ؛ ج ٢ ص ١٨٣ ، ٢٢٢ و ج ٨ ص ٢٨٠ ؛ وجيز
الكلام ج ٢ ص ٤٩٨ وابن فهد: اتحاف الوردى ج ٤ ص ٤٤ . وجدير بالذكر هنا إلى أن هناك إشارات
فى المصادر عن أنوار العامة من الهنود بالحرمين الشريفين ومنها إشارة السخاوى (الضوء اللامع
ج ٢ ص ١٥٢) إلى أحد الهنود البنائين الذين مارسوا هذه الصناعة بمكة وهو حسين بن عمر الهندى
وتوفى سنة ٨٦٠ هـ / ١٤٥٥ م إلى غير ذلك من إشارات عديدة لم يعرض إليها الباحث لأنها خارج
نطاق بحثه .

المصادر

ابن أيبك (أبويكر بن عبدالله ت ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م) :

- ١- كنز الدرر وجامع الغرر ج ٩ تحقيق هانس روبرت . المعهد الألماني للآثار بالقاهرة.
ابن تغرى بردى (جمال الدين يوسف ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) :
- ٢- المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ج ٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب .
ابن حجر (شهاب الدين أحمد بن على ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م):
- ٣- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة. تحقيق محمد سيد جاد الحق . دار الكتب الحديثة.
- ٤- إنباء الغمر بأبناء العمر . تحقيق د. حسن حبشى . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) :
- ٥- سير أعلام النبلاء. تحقيق عدة محققين مؤسسة الرسالة - بيروت .
السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ / ١٣٩٦م) :
- ٦- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . دار مكتبة الحياة . بيروت .
- ٧- وجيز الكلام فى الذيل على دول الإسلام . تحقيق بشار عواد وعصام الحرسى
وأحمد الخطيمى. مؤسسة الرسالة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م.
- ٨- التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة. دار الكتب العلمية . بيروت. لبنان ١٤١٤هـ/
١٩٩٢م.
- السلفى (الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد . ت ٥٧٦هـ / ١١٨٠م) :
- ٩- معجم السفر . تحقيق عبدالله البارودى. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت
١٩٩٢م / ١٤١٤هـ .
- السمهودى (نور الدين على بن أحمد ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)
- ١٠- وفاء الوفا بنخبار دار المصطفى. تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد. دار إحياء
التراث العربى. بيروت . لبنان .
- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م):
- ١١- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . المكتبة العصرية.
صيدا ، بيروت .
- الصفدى (صلاح الدين خليل ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م):
- ١٢- الوافى بالوفيات ج ٣ اعتناء س. ديدرينغ.

ابن الصيرفي (على بن داود ت ٩٠٠هـ) :

١٣- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان تحقيق د. حسن حبشي. دار الكتب ١٩٧٠م.

الفاسي (محمد بن أحمد الحسن ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م) :

١٤- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام . تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

١٥- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين . تحقيق عدة محققين مطبعة السنة المحمدية.

ابن الفرات (محمد بن عبد الرحيم ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) :

١٦- تاريخ ابن الفرات ج ٨ تحقيق د. قسطنطين زريق ود. نجلاء عز الدين.

ابن الفهد (محمد بن محمد بن محمد بن فهد ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) :

١٧- اتحاف الوري بأخبار أم القرى. تحقيق د. عبد الكريم علي بار. السعودية ، جامعة أم القرى. مركز إحياء التراث الإسلامي. مكة المكرمة.

ابن قاضي شهبه (قاضي الدين أبو بكر أحمد ت ٨٥١هـ / ١٤٤٨م) :

١٨- تاريخ ابن قاضي شهبه . تحقيق عدنان درويش دمشق ١٩٧٧م.

القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) :

١٩- صبح الأعشى في صناعة الانشا . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م.

الكتبي (محمد بن شاكر ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) :

٢٠- فوات الوفيات . تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر بيروت .

المقريزي: (أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ) :

٢١- المقفى الكبير تحقيق الأستاذ محمد اليعلاوي دار الغرب- بيروت.

٢٢- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة. دراسة وتحقيق د. محمد كمال الدين عز الدين. عالم الكتب - بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

النجدي (محمد بن عبدالله بن حميد) :

٢٣- السحب الوايلة على ضرائح الحنابلة . تحقيق بكر عبدالله أبوزيد ود. عبد الرحمن العثيمين. مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

النعمي (عبد القادر بن محمد ت ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م) :

٢٤- الدارس في تاريخ المدارس. تحقيق جعفر الحسني .

د. محمد بهاء الدين محمد متولى (*)

المعاهدة السعودية البريطانية

(جدة ١٩٢٧م)

مقدمة :

يتحفظ بعض الباحثين في دراسة المعاهدات ، بزعم أنها مجرد وثائق منشورة تحمل في ثناياها كل ما يمكن أن يقال بشأنها ، لكن الأمر يختلف جوهريا عن هذه الرؤية ، فالمعاهدات رغم كونها وثائق منشورة تشير في ذاتها إلى مضمونها ، فإنها تشغل ركنا أساسيا في الدراسات التاريخية، لما تمثله من أهمية مستمدة من قيمتها كعهود أو مواثيق تنظم العلاقات بين الدول في مراحل تاريخية حاسمة؛ وتتحكم بدرجة أو بأخرى في نواح هامة من مجالات العمل الداخلي والخارجي. كما أن الظروف التي تدفع التفكير في بلوغ معاهدة ما، والتفاوض الذي يلي ذلك، وما يتزامن معه من مناورات سياسية أو عسكرية ونشاط دبلوماسي مكثف في مناقشة مواد وشروط المعاهدة المزمعة هي أمور توجب بدورها التركيز على دراسة المعاهدات ، إذ تأتي بمثابة مرآة تعكس أسلوب تفكير كل طرف وتعبير عن حقيقة نواياه واتجاهاته . ليس ذلك فحسب بل أن تتبع المعاهدة في مجال التطبيق أمرا يستحق الرصد، ولا يجب أن تقل النظرة إليه عن النظرة إلى المعاهدة ذاتها ، فهو يدخل المعاهدة في النسيج العام للأحداث ، ويظهر حيويتها وتأثيرها . من ثم ، فإن هذه الأهمية متعددة الجوانب يجب أن تدفع إلى دراسة المعاهدات وتقييمها ، كي تحتل المكانة التي تليق بها في الدراسات المتخصصة ، وتسد نقص هام تعاني منه المكتبة التاريخية العربية.

* كلية التربية - العريش - جامعة قناة السويس.

من هذا المنطلق تأتي دراسة المعاهدة السعودية البريطانية المعروفة باسم «معاهدة جدة ١٩٢٧» تلك المعاهدة التي كانت محور العلاقات السعودية البريطانية في مرحلة ما بعد ضم الحجاز ١٩٢٥، وهي من أدق مراحل قيام الدولة السعودية الحديثة، التي أثر الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل سعود على عاتقه أن ينهض بأعبائها. وقد اتسمت تلك العلاقات بخصوصية شديدة بسبب هيمنة بريطانيا على معظم المنطقة العربية؛ بما في ذلك الخليج العربي من جهة، وحاجة النظام السعودي لاعتراف ودعم دولي من جانب هذه القوة العظمى؛ يساعده في اجتياز العقبات التي تعترض سبيله من جهة أخرى. ونصت المعاهدة لأول مرة في التاريخ السعودي الحديث على اعتراف صريح باستقلال الدولة الناشئة استقلالاً تاماً، بجانب بنود أخرى عبرت عن درجة كبيرة من الاستقلالية والسيادة في إدارة شؤون البلاد. فأشاع ذلك جواً من الثقة والاستقرار داخلياً، وانعكس خارجياً في اعتقاد المجتمع الدولي بقدرة الدولة السعودية على البقاء، فتمهد السبيل للتقدم بخطوات راسخة نحو التحديث. وقد وصفت المعاهدة بكونها مبالغة بأنها شهادة ميلاد للدولة السعودية في محيط الأسرة الدولية، وخطوة هامة في مرحلة تحول تاريخية حاسمة نحو بناء دولة عصرية. بالإضافة إلى ذلك، فقد أمنت المعاهدة مصالح بريطانيا في دولة باتت تسيطر على طريقين من أهم طرق المواصلات للهند؛ ضمت الحجاز الذي يطل على البحر الأحمر وبه الأماكن الإسلامية المقدسة؛ والإحساء ذات الموقع الاستراتيجي المتميز على الخليج؛ ونجد ذات الثقل البشري والاقتصادي. وجاء ذلك خلال فترة عصيبة كانت فيها الجزيرة العربية موضع تنافس دولي قوي. ونظراً للدور الهام الذي اضطلعت به المعاهدة، فقد جددت مرتين لمدة سبع سنوات الأولى في ١٩٣٦ والثانية في ١٩٤٣. بذلك تكون قد ظلت في حيز التنفيذ حتى بداية عهد العلاقات السعودية الأمريكية المتميزة.

تتبع أهمية المعاهدة أيضاً من أنها المرة الأولى في تاريخ العرب المعاصر التي يتفاوض فيها جانب عربي مع بريطانيا في جو تسوده ندية وتكافؤ. فكل طرف كان على نفس القدر من الحاجة للآخر، ورغم الهوة الساحقة بينهما عند بدء التفاوض. وسبقت المفاوضات وتزامنت معها مشاورات مكثفة من كافة الأجهزة السياسية البريطانية المعنية على اختلاف ميولها واهتماماتها، مما دل على أهمية المعاهدة للجانب البريطاني. كما أن المفاوضات ذاتها اشتملت على تبادل واسع لوجهات النظر بين الطرفين، فالقي الضوء على فكر كل طرف وحقيقة نواياه، والمصالح الأساسية التي سعى إليها. وتسببت المفاوضات في تنازلات متتالية

من الجانب البريطانى نزولا إلى مطالب ابن سعود ، ومثلت فى مرحل ما قبل التوقيع نموذجا لحالة نشاط غير عادى استهدفت فرض شروط التفاوض التى حملها كل طرف . فى مجال التطبيق كان تأثير معاهدة جدة ملموسا فى معظم الأحداث الجسام التى مرت بها الدولة السعودية. وقد نفعت حيناً وأخرت حيناً، لكن يبقى أنها باتت جزءا لیتجزأ من التاريخ السعودى وأخيرا ، فإنه رغم تلك الأهمية المتنوعة قلما تلقى المراجع والبحوث التى تناولت تاريخ المملكة العربية السعودية بضوء كاف على المعاهدة ربما اقتناعا برؤية المتحفزين من الباحثين ، أو بسبب التركيز على مراحل نمو وتطور المملكة خلال الحقبة التى وقعت فيها .

معاهدة دارين ١٩١٥

فى صيف ١٩١٤ وجدت بشبه الجزيرة العربية ثلاث قوى محلية رئيسة : الحكم السعودى فى نجد بوسط الجزيرة ، آل الرشيد فى جبل شمر، الشريف الحسين بن على فى الحجاز . ووقعت جميعها فى دائرة السيادة التركية. غير أن تركيا لم تمارس نفوذا قويا سوى على ابن رشيد ، الذى كان أقربهم خضوعا إليها وتحالفا معها. بينما كان عبد العزيز آل سعود نسبيا أقوى هؤلاء الحكام وأكثرهم استقلالا نظرا لاستقرار سلطته، وتمتعه بتأييد قبلى واسع النطاق^(١).

كانت بريطانيا الأقوى فى منطقة الخليج، بتفوق بحرى وتجارى وعسكرى ملموس؛ وسلسلة من معاهدات وقعت مع مشايخ وحكام المنطقة ، أطلق عليها معاهدات الحماية، لأنها نصت على توفير الحماية لأطرافها مقابل التبعية لبريطانيا، وآخرها مع الشيخ مبارك آل الصباح حاكم الكويت ١٨٩٩^(٢). ولم يكن وسط الجزيرة العربية يهم بريطانيا بنفس الدرجة نظرا لعدم وجود مصالح استراتيجي أو اقتصادية تسترعى الاهتمام، ولأنها قدرت ترك شئونها لتركيا حرصا على حسن العلاقات^(٣).

بنشوب الحرب العالمية الأولى فى خريف ١٩١٤ تبنت الدوائر السياسية البريطانية فكر تشجيع الحكام المحليين على دخول الحرب ضد تركيا . وأبدت حكومة الهند اتجاهها أكيدا نحو توطيد العلاقات مع ابن سعود باعتباره صاحب ثقل سياسى واضح فى منطقة الخليج ، ورفعت إلى إمكانية مشاركته على نحو فعال فى الحرب ، بينما ناشدته الدولة العثمانية العون، فارتفعت أسهمه بسبب هذا التنافس، وأصبح فى وضع يسمح له بتحديد الاتجاه السياسى المناسب . ثم لعبت ظروف الحرب دورا فى اتجاه بريطانيا للاستفادة من جهود ابن سعود

أثناء الحملة على العراق، بينما خشي الأخير من احتلال موانئ الإحساء باعتبارها أملاكا تركية لو أبدى تقاعسا في التعاون مع بريطانيا . لكن ابن سعود رأى قبل أن يقدم على قبول فكرة التعاون أنه بحاجة إلى معاهدة تقرر فيها بريطانيا بأن الإحساء ونجد بلاد مستقلة تحت حكمه، مع ضمان بحمايته من أي اعتداء يقع عليه من أية دولة أخرى، وأبدى نوكس S.Knox المقيم السياسي في الخليج استعداد بلاده لعقد معاهدة بالمفهوم السابق مقابل تعاون في عملية الاستيلاء على البصرة . غير أن ابن سعود لم يشأ أن يقحم نفسه في الحرب دون ترو، كما أن الاعتبارات الإقليمية صعبت المهمة التي كلف بها، فتوقفت الاتصالات فترة بهدف كسب الوقت وانتظار ما سوف تسير إليه الأمور^(٤).

في منتصف ديسمبر ١٩١٤ التقى شكسبير Shakespeare الوكيل السياسي في الكويت بابن سعود، بهدف التأكد من استجابته لمطلب المشاركة في الحرب. واتخذ الأخير موقف المساومة، وحاول تحقيق أهداف ذاتية؛ مثل مهاجمة الحجاز أو حائل . وفي أوائل ١٩١٥ كتب شكسبير تقريراً مستفيضاً ، احتوى على شرح للموقف السياسي في نجد؛ مصحوباً ببعض التوصيات ، أهمها توقيع معاهدة حماية وتحالف صريحة توفر لابن سعود على المدى الطويل الأمن ضد أية محاولات انتقامية من جانب تركيا . وتضمن التقرير مقترحات ابن سعود بشأن المعاهدة ؛ التي لم تخرج عن ضمان باستقلال نجد والإحساء تحت الحكم السعودي؛ مع تحديد للحدود النجدية وضمان بسلامة تلك الحدود؛ مقابل عدم التعامل مع أية قوة أجنبية غير بريطانيا ؛ وتعهد بمقاومة عمليات تهريب السلاح والدفاع عن الرعايا البريطانيين في نجد وملحقاتها^(٥).

في تلك الآونة ، أشارت التطورات إلى قرب طرد الأتراك من الخليج والجزيرة العربية، وتيقن المسؤولون البريطانيون في الهند ولندن على حد سواء بأن تلك المسألة سوف تجعل ابن سعود حاكماً قوياً ذا سلطة راسخة في هاتين المنطقتين؛ وأنه لا يجب تقييم العلاقة معه في ضوء ما يمكن أن يقدمه من خدمات في ظل الظروف الراهنة التي تواكب مرحلة الحرب؛ إنما إلى مدى ما يمثله من تهديد أو فائدة للمصالح البريطانية في مرحلة السلام المقبلة. وطبقاً لهذا التصور ولتقتضيات الأمن في الخليج بدا مهماً أن تجري ترتيبات محددة مع ابن سعود، أهمها إخاله في نظام معاهدات الحماية . فوضع اللورد هاردينج Lord Hardinge نائب حكومة الهند مسودة معاهدة اختلفت عن نظيرتها التي وضعها ابن سعود في عدة أمور هام ، منها :

أ. جعل وراثته العرش بإشراف وموافقة بريطانية . ب) رهن المساعدة البريطانية حالة وقوع اعتداء خارجي بعدم وجود اعتداء مسبق من جانب ابن سعود . ج) تأجيل بحث مسألة الحدود إلى وقت لاحق (٦).

في فبراير ١٩١٥ شرع كوكس Sir Percy Cox المقيم السياسي الجديد في الخليج وضابط الاتصال السياسي للقوات الهندية المشاركة في الحملة على الخليج في التفاوض مع ابن سعود، وتمكن الأخير من رد بعض ما ورد بمسودة هاردنج فألقى شرط موافقة بريطانيا المسبق على من يتولى الحكم واقتصر فقط على الاعتراف بمن تختاره الأسرة المالكة السعودية، كما جعل مساعدة بريطانيا دون قيد، بينما فشل في إلزام بريطانيا بوضع حدود سياسية معترف بها لنجد (٧). وأخيرا وقعت معاهدة في جزيرة دارين أو تاروت المواجهة للقطيف في ٢٦ ديسمبر ١٩١٥ ، وهي معروفة باسم «معاهدة دارين أو القطيف ١٩١٥» (٨). ولاشك أن المعاهدة كانت جزءاً من تدابير بريطانية مختلفة لمواجهة تقلبات الحرب، لكنها ظلت محورا للعلاقات السعودية- البريطانية حتى معاهدة جدة ١٩٢٧ ، وكانت نواة نفوذ بريطاني متزايد بوسط الجزيرة العربية.

العلاقات السعودية- البريطانية ١٩١٥-١٩٢٥ :

على أي حال ، لم يصبح ابن سعود رهنا للسياسة البريطانية ، فثقتة لم تكن كاملة . والثابت أنه كان يعمل على رعاية مصالحه في كل الاحتمالات . كذلك كان يخشى موقف الشريف حسين بعد انتهاء الحرب ، خاصة وأنه لمس بوضوح قدر المعاملة الممتازة التي يلقاها من الجانب البريطاني (٩). وربما لهذا السبب لم يقدم على محاربة ابن رشيد حتى لايفضب تركيا حليفته أو يتخذ منه سنداً لو هاجمه الحسين. وقد ذكر فليبي Philby في مذكراته ، أنه وجد صعوبة شديدة في إقناع ابن سعود بمهاجمة ابن رشيد (١٠). ومع يناير ١٩١٧ تلقى ابن سعود معونة مالية قدرت بنحو ٥٠٠٠ جنيه استرليني شهرياً ، بجانب كميات من الأسلحة ، استعداداً للمشاركة في خطة طموحة للتخلص من كافة القوى الموالية لتركيا خاصة ابن رشيد في حائل (١١).

أثر انتهاء الحرب، جرت اتصالات ومشاورات مكثفة بين ابن سعود والمسؤولين البريطانيين في الخليج حول أطماع الملك حسين في نجد ، والتنافس حول المواقع الاستراتيجية الحدودية ، ومشكلات القبائل في مناطق الحدود، وسبل التعاون في الحملة ضد ابن رشيد . وفي أثناء ذلك

تبين أن تيارا قويا داخل الإدارة البريطانية يؤيد ابن سعود . وذكر جورج كيستون George K من الخارجية ، أن المسئولين بمكتب الهند «زرعوا كراهية شديدة لحسين وعدم ثقة به وتأييدا كبيرا لابن سعود في الأوساط اللندنية»^(١٢) وفي نهاية ١٩٢١ حسم ابن سعود مسألة القضاء على آل الرشيد في حائل بعد أن ظلت معلقة ما يقرب من سبعة أعوام . واعترفت بريطانيا رسميا به حاكما على نجد وملحقاتها ، وأقرنت اسمه بلقب «سلطان نجد»^(١٣).

لم يكد ابن سعود يفرغ من آل الرشيد حتى واجهته مشكلات حدودية مع العراق بعد أن تقاربت خطوط التماس . وجرت مفاوضات بإشراف بريطاني لوضع حدود ثابتة والقضاء على أسباب الخلافات والنزاعات بين القبائل . وتعرض ابن سعود لضغوط من جانب كوكس، الذي كان يعمل بإيحاء من شركات رأسمالية في لندن اهتمت بالتنقيب عن البترول في جنوب العراق. وأخيرا وقعت اتفاقية المحمرة نهاية ١٩٢٢ بين العراق وسلطنة نجد، جاءت مطابقة في شروطها لوجهة نظر بريطانيا . ونظرا لأنها لم تبحث في صميم مشكلات القبائل لم توقف النزاعات الحدودية^(١٤).

تفاقت الأمور بين نجد والحجاز مع بداية ١٩٢٣ ، بينما شهدت الحدود بين نجد وكل من العراق وشرقي الأردن توترا شديدا بسبب تحركات القبائل، وربما بسبب تفاقم العداء بين الملك حسين وبين ابن سعود. واعتقدت بريطانيا أن بالإمكان وضع تسوية شاملة لمشاكل المنطقة . فدعت إلى عقد مؤتمر بالكويت تحت إشرافها ، يحضره ممثلون عن كل من نجد والعراق وشرقي الأردن والحجاز، ووضع منذ البداية ، أن بريطانيا تهتم بمشكلات الحدود بين العراق وشرقي الأردن مع نجد ، وترنو إلى ترسيم ثابت لها أكثر من حرصها على إيجاد حل للمشكلات المعقدة بين نجد والحجاز . لهذا فهي لم تكن جادة في دعوة حسين بينما بدت أكثر جدية عند دعوة ابن سعود. وفي حين قبل ابن سعود- بعد بضغط شديد وعلى مضض- المشاركة في المؤتمر بوفد رسمي ، رفض حسين كل الدعوات التي وجهت إليه، ولما عاد وقبل كان وقت بحث المشكلات قد فات ، ولم يعد لتمثيله في المؤتمر أهمية تذكر^(١٥).

انعقد المؤتمر بصور متقطعة على ثلاث مراحل، وأنهى أعماله أوائل مايو ١٩٢٤، ولم يسفر عن نتائج محددة على كافة الأصعدة نتائج ، بسبب تمسك وفدا العراق وشرقي الأردن بحل المشكلات المعلقة بين نجد والحجاز، ولم ينجح المسئولون البريطانيون رغم تدخلهم في صميم المشكلات القبلية والحدودية في التوصل إلى اتفاق وظلت مسألة الحدود معلقة. بيد أن إصرار

الملك حسين على عدم الحضور عمق من اتجاه بريطانيا نحو ترك مصيره لابن سعود، ووقف أى دعم أو مساندة له. كما أن المؤتمر ذاته أظهر بوضوح استحالة التعايش السلمى بين نجد والحجاز، وأنه لم يبق إلا القتال كى يحسم النزاع (١٦).

ومنذ احتدام النزاع بين ابن سعود وحسين أعلنت بريطانيا الحياد، ثم لم يلبث أن امتد هذا المبدأ إلى كل ما يتعلق بمستقبل حكم حسين. وكان حياد بريطانيا يعنى التخلي عن حماية الحجاز فى وقت تفاقمت فيه مبررات الصدام مع نجد . وقد تمسكت بريطانيا بموقفها الحيادى السلبى حتى أواخر عهد الملكة الحجازية ، ولم يشفع عندها أى من الالتماسات التى قدمها كل من له رغبة فى بقاء الملكة الحجازية رغم علاقاتهم الوطيدة بها. ثم قامت بقطع المعونة عن كل من حسين وابن سعود فى أبريل ١٩٢٤ . وجاءت تلك الخطوة إيذاناً لابن سعود للإعداد للزحف على الحجاز ، فقد كان بحاجة إلى موارد مالية تعوض ما فقده بسبب قطع المعونة (١٧). هكذا كانت الظروف كلها مواتية لابن سعود للقضاء على الحكم الهاشمى فى الحجاز ليس فقط لموقف بريطانيا الحيادى، إنما أيضاً لتفوق عسكرى وسياسى وإدارى واضح امتاز به الجانب السعودى .

تثبيت الحدود بين نجد وكل من العراق وشرقى الأردن

أثناء سير العمليات العسكرية فى الحجاز، أصدر ابن سعود تعليمات إلى الفرقة الثانية من قوات الإخوان (١٨) التى كانت ترابط على حدود شرقى الأردن بالتوغل داخل وادى السرحان الواقع شمال الحجاز . ونجحت القوة السعودية فى امتلاك ممر على شكل رأس حربة ، يفصل بين الأردن والعراق وعلى مقربة من الحدود السورية (١٩) وفى ١٠ أكتوبر ١٩٢٥ زار جليبرت كلايتون G. Clayton الرئيس السابق للمكتب العربى بالقاهرة مسرح العمليات على رأس بعثة خاصة، حيث التقى بابن سعود، وأجرى معه مباحثات مكثفة استغرقت ما يقرب من شهر على مدار ١١ جلسة ، تناولت مسألة الجلاء عن وادى السرحان ، وأوضاع القبائل النجدية الحدودية، والتوصل إلى اتفاق بشأن حدود ثابتة ونهائية مع العراق وشرقى الأردن . وقد سمح كلايتون بإقليم الكاف ، واشترط ألا يتم تحويله إلى قاعدة عسكرية . ولم يكن إقليم الكاف يحتل نفس الأهمية الاستراتيجية لوادى السرحان ، فهو يحقق سيطرة محدودة على الممر الرئيسى الذى يربط بين العراق وشرقى الأردن ، وعندما أصر ابن سعود فى الجلسة الأخيرة على الاحتفاظ بوادى السرحان هدد كلايتون بوقف المفاوضات (٢٠).

وربما تبين لابن سعود أن تأزم العلاقات مع بريطانيا في تلك المرحلة الحاسمة من حصار ما تبقى من مدن الحجاز الهامة خاصة جدة أمر غير مرغوب ، فما كان منه إلا أن وافق على مقترحات المبعوث البريطاني، وتعهد بالانسحاب من وادي السرحان ، وعدم المطالبة بالعقبة بوصفها جزءا من الأراضي الحجازية ، على أن يبحث مصيرها في مفاوضات مقبلة ، وتعهدت بريطانيا بدورها بعدم إثارة مسألة استيلاء ابن سعود على الحجاز. وتناولت المفاوضات كذلك إمكانية وضع معاهدة جديدة بين البلدين ، تؤكد ما تم التوصل إليه . وتشير التقارير البريطانية أن ابن سعود هو الذي طلب ذلك ، وأنه أبدى حرصاً على أن تشمل المعاهدة بندا يجيز له استيراد الأسلحة «لأنها ضرورة من ضروريات الحياة في نجد» . وأنه طلب مساعدة مالية لتعويض القبائل التي منعت من التحرك في مناطق الحدود (٢١).

فور انتهاء المحادثات في أول نوفمبر ١٩٢٥ ، وقعت اتفاقية بحرة بين نجد والعراق، كامتداد لاتفاقية المحمرة. وأشرف كلايتون على وضع بنودها . وذكر في ديبلوماسيتها ضمان بريطانيا تنفيذ ما ورد بها . ووقع عليها بصفته مندوبا عن حكومة العراق (٢٢) .

في اليوم التالي وقعت اتفاقية جدة على غرار الاتفاقية السابقة بين نجد وشرق الأردن وركزت الاتفاقية بدورها على ترسيم دقيق للحدود، والزام نجد بعدم الاعتداء على أراضي شرق الأردن. كما اهتمت بتنظيم علاقة الدولتين في وادي السرحان وحقوقهما فيه، وتجارة نجد مع سورية (٢٣). والاتفاقيتان، رغم ما اعتراهما من سلبيات أثرت على قوة سلطنة نجد، كانتا خطوة هامة في طريق إنشاء الدولة السعودية الحديثة، وأظهرتا بجلاء أسس المصالح المتبادلة بين نجد وبريطانيا .

ضم الحجاز وتكوين دولة جديدة:

نجم عن ضم الحجاز نهاية ١٩٢٥ تغير جوهري في وضع ابن سعود، إذ جاء بمثابة أهم خطوة على الإطلاق في تكوين الدولة السعودية الحديثة، وتنمية علاقاتها الخارجية ، لاسيما مع بريطانيا . ومع بداية العام التالي أعلن ابن سعود ملكا على الحجاز وسلطانا على نجد وملحقاتها ، وسارعت بريطانيا إلى الاعتراف رسميا بالمملكة الجديدة، كما اعترفت بها دول أخرى مثل: فرنسا والاتحاد السوفيتي وسويسرا (٢٤).

في مارس ١٩٢٦ وقع ابن سعود اتفاقية تجارة وصدقة مع فرنسا بصفتها الدولة المنتدبة على سورية ولبنان ، نظمت العلاقات التجارية مع هذين البلدين (٢٥). ويتأثير ضم الحجاز ،

توطد الحكم السعودي في عسير ، فوقع الملك عبد العزيز بن سعود اتفاقية مكة في ٢١ أكتوبر مع حاكم عسير حسن الإدريسي، مكونة من ١١ مادة ، وتشبه في نصوصها معاهدات الحماية التي وقعتها بريطانيا مع حكام الخليج^(٣٦).

ثم أعلن ابن سعود أوائل ١٩٢٧ ملكا على نجد، ولقب «ملك الحجاز ونجد وملحقاتها»^(٣٧). ومن ثم أصبح قادرا من الناحية الرسمية على تمثيل مصالح المملكة بشقيها الحجازي والنجدي، وأضفى طابعا من الشرعية على جهوده الرامية إلى إحداث طفرة اجتماعية واقتصادية وبناء مؤسسات دولة متماسكة ومستقرة^(٣٨). لكن ظل نشاط الإخوان السياسى والدينى مشكلة مزمنة ونقطة ضعف فى حكم ابن سعود حتى توقيع معاهدة جدة ١٩٢٧ . وقد وافقت بريطانيا على كافة التطورات الداخلية بالنسبة لمشكلة الإخوان^(٣٩)، وتسببت المشكلة فى خلق ظروف صعبة لابن سعود أثناء المفاوضات التى سبقت توقيع المعاهدة .

اعتبارات توقيع معاهدة جديدة:

لاشك، أن هذه التطورات جعلت ابن سعود يعتقد أن الوقت أصبح مناسباً كي يسعى إلى معاهدة جديدة مع بريطانيا تنهى علاقة التبعية والخضوع التى فرضتها معاهدة دارين ١٩١٥ فبقاء تلك المعاهدة ربما يعنى أنها تطلق على الحجاز كما تطبق على نجد ، ومن غير المناسب أن يكون حاكم الأراضى الإسلامية المقدسة يتعامل مع بريطانيا بهذه الدرجة من الخضوع. كما بدا لابن سعود أن تلك المعاهدة تحد من قدرته على إقامة علاقات دبلوماسية مع الدول الأخرى ، فى ظل مرحلة تقتضى توسيع دائرة اتصالاته وعلاقاته، ليس فقط بسبب قنوم رعايا مسلمين من كافة الدول إلى الحجاز فى أعداد كبيرة لأداء مناسك الحج إنما لأهمية تلك الاتصالات فى تنمية العلاقات الاقتصادية^(٤٠). فضلا عن أنه باعتباره حاكما جديدا لبلاد واسعة النطاق ويواجه مشكلات داخلية وحدودية تتزايد بسرعة كان بحاجة إلى إعادة صياغة علاقاته الودية مع بريطانيا بأسلوب يؤمن وضعه الجديد الذى اكتسبه بضم الحجاز ويناسب متطلبات المرحلة المقبلة.

أما بالنسبة للجانب البريطانى، فقد تعددت الاعتبارات التى دعت إلى إنهاء معاهدة دارين واستبدالها بأخرى تتفق وظروف التغير الذى طرأ على الدولة السعودية . فالوضع الجيوبوليتيكي الناشئ عن سيطرة ابن سعود على طريقين من أهم طرق المواصلات البحرية والجوية إلى الهند (الخليج العربى والبحر الأحمر) حتم إعادة تأمين المصالح البريطانية فى

بولته١. كما أن امتداد حدود تلك الدولة إلى بلاد تخضع للحماية البريطانية مثل : شرقى الأردن والعراق والكويت، وما شكله هذا التماس الحدودى من تحديات أمام الإدارة البريطانية مثل: التوتر الناجم عن الخلافات السياسية ، وغارات قبائل الحدود، ومحاولات التدخل السعودى فى شئون هذه البلاد، تطلب وضع معاهدة جديدة تمثل قيذا إضافيا ملزما بعدم الاعتداء أو التدخل فى الشئون الداخلية لهذه البلاد، وتأكيدا للاتفاقيات السابقة سواء بشأن الحدود السياسية أو لضمان هدوء القبائل (٣١).

ورغم أن البترول لم يكن قد اكتشف فى منطقة نجد أو فى أى مكان آخر على طول سواحل الجزيرة العربية على الخليج العربى فإن الاحتفاظ بصداقة ابن سعود كان مهما لبريطانيا لوجود شواهد تشير إلى وجود النفط بكميات كبيرة فى بلاده، ولأن هذه البلاد وقعت قريبة من مناطق هامة فى إنتاج البترول فى كل من العراق وإيران (٣٢).

وأصبح من المهم عقد معاهدة جديدة لوقف انجذاب ابن سعود نحو دول أوروبية أخرى مثل: إيطاليا والاتحاد السوفيتى، وكلتاهما ازدادتاهما اهتماما بالتطورات الأخيرة فى جزيرة العرب. وكان واضحا منذ أبريل ١٩٢٥ أن إيطاليا تحاول دعم مركز الإمام يحيى باليمن ، وجرت بالفعل مفاوضات حول توقيع معاهدة بين روما وصنعاء ، فى نفس الوقت الذى راح فيه الإمام يزيد من ضغطه على الإدريسى فى محاولة لإخضاعه (٣٣). بينما ازداد القلق مع بداية عام ١٩٢٦ إزاء إمكانية تأسيس علاقة وطيدة بين ابن سعود والاتحاد السوفيتى بسبب الأعداد الكبيرة التى يستقبلها الحجاز من البلاد الإسلامية الواقعة تحت السيادة السوفيتية ، مما يعنى تحوله إلى بؤرة متاونة للغرب وساحة للدعاية القوية ضد الاستعمار (٣٤). ويذكر أن الاتحاد السوفيتى قام خلال هذا العام بمحاولات مدروسة لتوثيق صلاته بابن سعود، وزعزعة ثقته فى الحكومة البريطانية (٣٥).

وأخيرا ، فإن معاهدة جديدة تغير وضع ابن سعود من خاضع إلى حليف من شأنها أن تخفف حساسية الموقف الذى أصبحت عليه بريطانيا، التى ستبدو فى نظر العالم الإسلامى ، لو استمر العمل بالمعاهدة السابقة ، دولة تفرض حمايتها على الأماكن الإسلامية المقدسة مما يشكل إهانة لرعاياها المسلمين لاسيما فى الهند، ويؤدى إلى إثارة مشاعرهم (٣٦).

لقد تناولت المشاورات والاتصالات المكثفة التى سبقت التوصل إلى المعاهدة الجديدة مجمل الاعتبارات التى أدت إليها . لكن تبقى الاعتبارات السابقة الأساس فى حسم الموقف تماما،

وبعضها لم ينل نصيبا كافيا من الضوء رغم أهميته، لأنه تعلق بمصالح سعودية أو بريطانية محضة ، لم تكن تهم الطرف الآخر ، ومن ثم لم تشكل نقاط اتصال بين الطرفين أثناء التفاوض . منها على سبيل المثال: للجانب السعودي: تأمين ما تحقق من مكاسب ميدانية ، تنمية العلاقات الخارجية . للجانب البريطاني: مستقبل التنقيب عن البترول، وقف تغلغل النفوذ الأجنبي ، الارتكاز على الدولة السعودية في التصدي لمخططات الدول الاستعمارية في الجزيرة العربية ومدخل البحر الأحمر والخليج العربي.

الدخول في أجواء معاهدة جدة ١٩٢٧ :

كان ضم الحجاز أهم خطوة في اتجاه التفكير الجدى في وضع معاهدة جديدة. ففي أوائل ١٩٢٦ كتب اللورد أيروين Irwin نائب الهند «... لاشك أن امتلاك ابن سعود للحجاز جعله في مركز جديد مختلف تماما عن ذلك الذي كان عليه وقت أن وقعت معاهدة ١٩١٥، وأن ما كان ملائما آنذاك لم يعد ملائما الآن ... وأن ثمة شعور بالخطر ينتاب ابن سعود بالسماح لأية قوة مسيحية بأى شكل من الامتياز أو بوضع حماية لها في الحجاز، مثل ذلك الذى تجيزه مواد تلك المعاهدة... وأن هذا الأمر على وجه الخصوص يفكر فيه ابن سعود ويضعه ضمن الاعتبار التى تدفعه إلى تغيير تلك المعاهدة .. كذلك يجب أن يدفعنا انتقال ملئية الحجاز إلى ابن سعود إلى التفكير فى مشاعر مسلمى الهند، الذين قد يشيرون وجود حماية بريطانية على الحجاز حال استمرار تطبيق معاهدة ١٩١٥ . «وأضاف أيروين أن كلايتون قد أشار فى رسالة عاجلة فى منتصف ديسمبر ١٩٢٥ فى أعقاب لقائه بأبن سعود وإبداء الأخير رغبته للمرة الأولى فى وضع معاهدة جديدة ... أن معاهدة ١٩١٥ لا تنطبق إلا على إقليم نجد فقط .. وحمل ابن سعود على الإبقاء عليها بعد ضم الحجاز بسبب له مشكلات تفوق قدراته .. وبقاؤها قد يحدث قلقا فى الهند تنجم عن سوء فهم بأن شروطها تمتد إلى إقليم الحجاز .. وحكومة الهند معنية تماما بمنع سوء الفهم» (٣٧).

وأعدت وزارة المستعمرات فى ١١ أغسطس مسودة معاهدة تضمنت كافة الأمور التى يمكن أن تشملها المعاهدة المزمع عقدها ، غير أن ثلاثة منها أثير حولها جدل عميق : توفير الحماية للحجاج البريطانيين، أمن الخليج، الامتيازات الأجنبية فى الحجاز (٣٨).

كتب أيروين إلى بيركنهد Birkenhead سكرتير الدولة لشئون الهند حول انطباعاته بشأن النقطتين الأولى والثانية قائلا «... نحن هنا ندرك أن من الصعب إن لم يكن مستحيلا أن يقبل

ابن سعود شرطاً يقضى بضمان حرية ممارسة الشعائر الدينية لرعايانا من الحجاج المسلمين، بل أن من الصعب حال افتراض قبول هذا الشرط أن يكون قيد التنفيذ الفعلى. ولكن بالنظر إلى حالة السخط والألم التى تنتشر فى الهند بسبب تعصب الوهابيين أثناء الحج فإنه يجب علينا أن نشدد على أهمية إدراج مثل هذا الشرط .. ويبدو أمراً خطيراً لو أن حكومة بريطانيا فى ظل ما حدث فى حج هذا العام تجاهلت تأمين حرية ممارسة الشعائر الدينية . وأنه دون ورود مثل هذه المادة أو العبارة أو على الأقل تبادل خطابات مؤكدة على مضمونها وقت التوقيع أو أى شئ آخر يمكن لنا نشره على الملأ فإن توقيع المعاهدة مع ابن سعود ربما يكون ذا تأثير سيئ على مسلمى الهند. واتفق معك بوجوب أن تشمل المعاهدة الجديدة مادة تضمن استقلال مشيخات الخليج التى لها ارتباطات معنا بما فيها «مسقط» ... وأشعر مثلك بأن حذفها قد يعنى تشجيع ابن سعود على الاعتداء، وبأن ابن سعود لن يمانع فى إدراجها إذ لم تتجاوز حدود المادة ٦ من معاهدة ١٩١٥ ... والرأى فى الهند أن الاستفاضة فى المادة الخاصة بأمن الخليج أمر غير ضرورى..» (٢٩) هكذا شغل موضوعا توفير حماية للحجاج البريطانيين وأمن الخليج جزءاً من تفكير المسؤولين قبل غيرهما . وبالنسبة للأول بدا الحرص أكثر وضوحاً على ضرورة أن يتم ذلك فى شكل معلىن يطمئن الرأى العام فى كل من بريطانيا والهند.

ثم فى ٦ أكتوبر ١٩٢٦ عقد اجتماع هام بوزارة المستعمرات شغل جانباً منه موضوع المعاهدة ، وظهر اهتمام خاص ببحث المادة ٦ من مسودة المعاهدة المنوه عنها آنفاً، وتتعلق بموضوع تطبيق الامتيازات الأجنبية على الحجاز، وكانت قد صيغت بأسلوب متشدد للغاية؛ منح السلطات البريطانية امتيازات واسعة ؛ إلى حد أنها جعلت تنفيذ الأحكام التى تصدر ضد رعايا بريطانيين رهن بموافقة الحكومة البريطانية. وتوقع جوردان S.R. Jordan القنصل البريطانى العام فى جدة الذى حضر الاجتماع معارضة جادة من ابن سعود على مادة بهذه الصياغة ، وأشار أنها موضع خذى لا يستطيع أن يقبله ، واقترح كإجراء عملى يحقق ما تصبو إليه المادة ٦ «أنه حالما يتعرض أى بريطانى لخطر التقاضى أو المحاكمة أمام القضاء المحلى وفقاً لأحكام الشريعة، فبإمكان القنصل البريطانى الإسراع بالاتصال بابن سعود وتسوية الأمر بأن يتم وقف الإجراءات لفترة ما تكفى لقيامه ببحث الموضوع. ثم يتم تدبير الأمر على نحو يوقف المحاكمة تماماً». مع ذلك فقد خيم على الاجتماع اقتناع بأن هذه المادة تمثل الحد الأدنى، وأن أية تنازلات تطرأ عليها تشكل سابقة خطيرة ، قد تدفع بلاد

أخرى مثل مصر وإيران تمارس فيها الامتيازات على نطاق واسع إلى محاولة القضاء عليها. ثم خيم قلق واضح على المجتمعين لاحتمال فشل المفاوضات بسبب هذه المسألة^(٤٠).

خلال الشهر ذاته قام الأمير فيصل بن عبد العزيز بزيارة إلى بريطانيا لبحث المصالح المتبادلة ، صحبه خلالها عبد الله الملوجي القائم بأعمال الخارجية السعودية وجوردان، استغرقت ما يقرب من ثلاثة أسابيع ، اجتمع خلالها بملك بريطانيا الذي أحسن استقباله^(٤١). وأثناء الزيارة ناقشت معه حكومة لندن مسألة المعاهدة الجديدة. وقدم فيصل تصوره بشأن أهمية المعاهدة، فأشار إلى ضرورة تغيير العلاقة القائمة بما يتفق والأوضاع الجديدة التي خلقتها عملية ضم الحجاز وتنمية المصالح المتبادلة . وكشف المسئولون البريطانيون- بدورهم- عن حرصهم على إعادة تقييم العلاقات بين البلدين وتفهمهم لضرورة وضع معاهدة جديدة تناسب ظروف ضم الحجاز . لكن مشاورات فيصل في لندن لم تتطرق إلى بحث تفاصيل بنود المعاهدة لأنه لم يكن مخولا من قبل والده بذلك^(٤٢).

عدلت المسودة التي كانت قد أعدت أوائل أكتوبر ١٩٢٦ بما يتفق ووجهات النظر المختلفة ، ثم قدمت لابن سعود لأول مرة في نوفمبر التالي. وتضمنت ثلاثة مطالب هامة. الأول: الاعتراف بضم كل من العقبة ومعان إلى شرقى الأردن، وورد ذكره ضمن ملحق خاص في مسودة المشروع . الثانى : الاعتراف بوضع بريطانيا في فلسطين والعراق وشرقى الأردن بموجب نظام الانتداب . الثالث : الامتناع التام عن الاعتداء أو التدخل فى شئون إمارات الخليج العربى الخاضعة للحماية البريطانية^(٤٣). والأخير وضع بهذه الصيغة بضغط من حكومة الهند ومكتب الهند بلندن، اللذان اعتقدا فى أهميته لحماية منطقة الخليج الاستراتيجية باعتبارها من أهم الطرق إلى الهند. وبنيت وجهة النظر الهندية على أن المصالح البريطانية تكون فى مأمن أكثر بإلزام ابن سعود باعتراف صريح بأن إمارات الخليج تحت الحماية البريطانية المباشرة؛ وتعهد صارم بعدم الاعتداء عليها ، وأن غير ذلك يتيح له حرية التعامل معها والتدخل فى شئونها ، فيصبح زعيما للمنطقة . أما الخارجية فقد بدت متساهلة نسبيا فى هذا الأمر. إذ لم تر أن باستطاعة ابن سعود تهديد أمن الخليج لقلة إمكاناته وحرصه على صداقة بريطانيا^(٤٤).

تضمنت المسودة البريطانية أيضا مادة تطالب بوقف تجارة الرقيق، والاعتراف بالسلطات الممنوحة للقنصل البريطانى فى جدة بمتابعة أحوال العبيد، وحمايتهم ، وعق من يرغب منهم فى التخلص من العبودية ، وتوفير حياة كريمة لهم. والسماح للأسطول بتفتيش السفن التى

تحمل العلم السعودي لمراقبة تجارة الرقيق . احتلت تلك النقطة أهمية أخرى لدى الجانب البريطاني لما تمثله من أهمية اقتصادية فى إطار الفكر الاستعماري القائم على الاستغلال، وفحواه إبقاء العناصر البشرية بمواطنها الأصلية حتى تستخدم فى عمليات الاستثمار المقدرة فيها . وما تعكسه من مظاهر الهيمنة والسيادة . ولما لها من تأثير على الرأى العام الذى يعارض بقوة مسألة الرق . وعزز ذلك الموقف أن بريطانيا وقعت فى سبتمبر ١٩٢٦ على معاهدة فى إطار عصبة الأمم تلزم الدول الأعضاء على التعاون فى مقاومة الرق، وبذل الجهود للقضاء التام على الرق فى كل أشكاله . وقد ذكر شكبيرجن Shackburne سكرتير الدولة للشئون الخارجية «.. أن حق عتق الرق كان مهماً، لأن كثيراً من الناس الذين أصبحوا أرقاء كانوا حجاجاً وفدوا من نيجيريا المستعمرة البريطانية . وقد مارسه القنصل فى جدة بشكل فعال خلال الأثنى عشر شهراً الماضية (من سبتمبر ١٩٢٥ إلى أغسطس ١٩٢٦) وتمكن من عتق ٩٧ عبداً» (٤٥) .

وأخيراً فإن المسودة البريطانية فى مادتها رقم ٦ ركزت على ما أسمته الرغبة فى الاعتراف المتبادل للطرفين بالوضع الدولى لرعايا كلا منهما، ولم يكن لرعايا ابن سعود وضع دولى متميز أو على الأقل مساو للوضع الدولى لرعايا بريطانيا، وعموماً ، كان المقصود بهذه المادة ، أولئك الأشخاص الذين يتمتعون بامتيازات تفرضها الحماية ، ويتصادف وجودهم على أرض الطرف الآخر . ووضعت هذه المادة بدلا من نظيرتها، الخاصة بالامتيازات الأجنبية التى وردت فى مسودة أكتوبر ١٩٢٦ . ووضح أنه قد طرأ عليها تعديل جوهري رغم أنها اعتبرت طبقاً لاجتماع أكتوبر ١٩٢٦ تمثل الحد الأدنى . ويلاحظ أنها لم تشتمل على بنود معينة تجسد الامتيازات ، ولم ترد فى شكل شرط يلزم قبوله على غرار ما حدث بالنسبة للشروط الثلاثة الأولى، إنما كمجرد رغبة . ويعزو السبب فى ذلك - من وجهة النظر البريطانية - إلى الاعتقاد برفض ابن سعود لأى تلميح لهذه الامتيازات ، والثقة فى قدرة القنصل البريطانى بجدة على ضمان وحماية الوضع المتميز للرعايا البريطانيين فى الحجاز ؛ حتى ولو افتقرت المعاهدة إلى بنود امتيازات ذات طابع رسمى ؛ وهو ما يشير إلى الأخذ بوجهة نظر جوردان بالاعتماد على النفوذ الشخصى للقنصل فى هذه المسألة . هذا بجانب استقرار الرأى على أن أى شكل من أشكال الإعلان الرسمى للامتيازات فى معاهدة ذات طابع دولى وإقليمى هام قد يثير دولا أوروبية أخرى ترغب فى ممارسة حقوقا سيادية فى الحجاز، كما أن الحكومة البريطانية أرادت أن تترك الباب مفتوحاً لإمكانية تأكيد الحقوق السيادية فى الحجاز فى المستقبل . ومع ذلك فالمادة رغم التعديل تأتى بإشارة ضمنية إلى الامتيازات التى كانت تمارسها بريطانيا فى الحجاز قبل ضمه (٤٦) .

مفاوضات ابن سعود- جوردان :

فى أوائل نوفمبر ١٩٢٦ كلفت الحكومة البريطانية جوردان. بالتفاوض مع ابن سعود، وسلمته نسخة من مسودة المعاهدة للاسترشاد بها، وزود بتعليمات واضحة ؛ بأنه ليس مطالباً بالالتزام التام بالشروط الدقيقة الواردة بها سوى فى أمرين: الأول: حق القنصل فى تحرير وعق الرقيق ؛ الثانى: عدم المساس بمسألة الحدود بين شرقى الأردن والحجاز، ويقصد بذلك موضوع العقبة ومعان. بجانب أمر صريح بعدم التعهد بدفع أية أموال فى شكل معونة أو قروض لابن سعود لاعتبارات تتعلق بأزمة مالية تمر بها بريطانيا وخشية أن يفسر تقديم الأموال لابن سعود خاطئاً من العناصر المعادية بأنه محاولة بريطانية تستهدف تعزيز السيطرة على الأراضى الإسلامية المقدسة^(٤٧).

جرت نهاية نوفمبر مفاوضات مكثفة فى وادى العقيق حضرها ممثلون عن الجانبين . وأعلن الجانب السعودى رسمياً فيما بعد أن المفاوضات كانت للنظر فى بعض الأمور المعلقة بين جلالة الملك والحكومة البريطانية ، وفى جملتها المنهويات التى نهبتها قبائل شرقى الأردن من رعايا سعوديين ، فى محاولة واضحة لنفى أية صفة سياسية هامة عنها ^(٤٨).

على أى حال، لم تكن المفاوضات سهلة. فقد رفض ابن سعود الاعتراف رسمياً بأى وضع متميز لبريطانيا فى فلسطين وشرقى الأردن والعراق، أو التنازل عن العقبة ومعان أو عن أية قبائل وأراض تطالب بها حكومة شرقى الأردن وتقع فى نطاق أراضى الحجاز أو نجد^(٤٩) . وسعت مصادر بريطانية إلى تبرير موقف ابن سعود فنكرت ، أن معارضته لنظام الانتداب لم تستند إلى إنكار لحقوق السيادة البريطانية ، إنما لأن توقيع اتفاقيتى بحرة وجدة كفيلتان بضبط العلاقات مع العراق وشرقى الأردن، وأن قبوله الإشراف البريطانى على الاتفاقيتين كان بمثابة اعتراف بوضع بريطانيا المتميز فى كلتا البلدين ، وأنه لايفند أو يناقش امتلاك شرقى الأردن للعقبة ومعان، لكن ليس لديه النية أن يقبل هذا الموقف رسمياً ، حتى لايبدر وكأنه يسلم أجزاء من أراضى إسلامية مقدسة إلى دولة مسيحية^(٥٠).

رفض ابن سعود البند الذى يمنعه من الاعتداء أو التدخل فى إمارات الخليج الخاضعة للحماية البريطانية ، وذكر أن هذه العبارة غير مناسبة ، وتتعارض مع وضعه وهيئته كحاكم مستقل ، وأن لفظ «التدخل» يحتمل أكثر من تفسير واسع ، وفعلياً يتعذر تنفيذه.

رفض أيضاً السماح للقنصل البريطانى فى جدة بتحرير العبيد، لأنه امتياز يجحف

بحقوقه السيادية في بلاده ويؤثر على مركزه ووضع كحاكم مستقل. كما أبدى اعتراضاً قوياً على السماح للأسطول البريطاني بتفتيش السفن السعودية ومراقبة السواحل، واعتبر أن ذلك انتقاصاً صارخاً للسيادة الداخلية في بلاده^(٥١).

كما اعترض على تلك المادة التي تطلب الاعتراف المتبادل بالوضع الدولي للرعايا المشمولين بالحماية. وقد فهم بسهولة، أن هذا الشرط يعنى إقراراً ضمنياً أو تأكيداً مستتراً على شرعية الامتيازات الأجنبية وقانونيتها في بلاده. وأبدى استعداده لقبول هذه المادة في ظل شرط أساسي يؤكد خضوع رعايا كلتا الدولتين للقوانين المحلية والتزامهم بأحكام القضاء المحلي أثناء إقامتهم في مقاطعات تابعة للدولة الثانية^(٥٢). وكان ابن سعود قلقاً إزاء مسألة الامتيازات في الحجاز، لأن نسبة كبيرة من المسلمين الهنود نوى الرعوية البريطانية يترددون عليه باستمرار، وبقاء الامتيازات يجعلهم خارج سلطته. وقد قاسى منهم كثيراً منذ ضم الحجاز، خاصة وأنهم تدخلوا في عدة أمور سياسية؛ مثل محاولة إقامة حكومة مستقلة للحجاز تمثل فيها مختلف القوى الإسلامية.

بجانب هذه الاعتراضات طالب ابن سعود بإدخال أربعة بنود صريحة لم يشملها المشروع البريطاني. الأول: ينص بوضوح على استقلاله التام كحاكم لكل من نجد والحجاز. والثاني: ألا تعترض بريطانيا أو تعوق شراءه للسلاح والذخيرة. وقد كان ابن سعود مهتماً بهذه المسألة لتوطيد دعائم حكمه وحماية بلاده، خاصة أن بريطانيا وبعض الدول الأوروبية الأخرى خلال صراعه الأخير مع الملك حسين قامت بفرض نوع من الحظر على تصدير السلاح والذخيرة إلى الجزيرة العربية. الثالث: أن تساعد بريطانيا في الحصول على أموال وقف الحرمين في مصر وفلسطين والعراق والهند. الرابع: الاعتراف بسيادة بلاده على ذلك الجزء من سكة حديد الحجاز الواقع في فلسطين وشرقي الأردن، باعتبار أنه من الأمور التي تخص العالم الإسلامي، وأن حكومة الحجاز هي السلطة الوحيدة التي ينبغي أن تشرف على هذا الطريق الحديدي الهام. وطالب بريطانيا بالمساهمة بما قيمته ٥٠ ألف جنيه استرليني، بجانب كميات معقولة من الأنواع والمعدات الحديدية، حتى يكون قادراً على إصلاح الأجزاء المعطلة منها؛ والإسراع بالبداية في تنظيم حركة القطارات استعداداً لموسم الحج القادم^(٥٣).

الواقع أن معظم ما ورد بمشروع المعاهدة عبر عن مصالح استعمارية سافرة، لا يمكن لأي حاكم وطني قبولها. فالشرط الأول قصد به منع ابن سعود عن توجيه أية انتقادات ضد

بريطانيا بسبب نظام الانتداب عامة، والوضع في فلسطين وتأييد الحركة الصهيونية خاصة، وهو بمثابة اعتراف بالأمر الواقع وبالمركز المتميز لبريطانيا في هذه البلاد مما يجعله خائفا لقضية استقلال العرب. والثاني أثار مسألة العقبة ومعان، اللتان أصر ابن سعود على عدم الاعتراف بتبعيتهما لشرق الأردن. والثالث يقيد حركة ابن سعود في منطقة الخليج، ويمنعه من الدفاع عن مصالحه الحيوية.

وواضح ، أن ابن سعود سعى من جانبه إلى بلوغ أقصى فائدة ممكنة من التفاوض دون تقديم تنازلات جوهرية . ولم يكن من المتوقع أن تستجيب بريطانيا إلا لمسألة الاعتراف به حاكما مستقلا . بيد أن هذا التفاوض المبكر كشف عن وجود هوة ساحقة بين الطرفين. وربما كان المشروع البريطاني مجرد عملية جس نبض للوقوف على مدى صلابة ابن سعود ومعارضته للأمور الجوهرية التي تحرص بريطانيا على تحقيقها .

بيد أن المفاوضات فشلت بسبب المغالاة في المطالب البريطانية . لم يلبث جوردان بعد ثلاثة أسابيع أن علق المحادثات . وأعد ابن سعود مذكرة وافية حملت وجهة نظره في كل ما دار في اللقاءات التي جرت معه ، ثم قام فلبى بترجمتها وتسليمها لجوردان . ولما عاد الأخير إلى بلاده أعد تقريرا تفصيليا ضمه مذكرة ابن سعود، مع تحليلات أخرى حول أسباب فشل المفاوضات . وأثنت لندن على حسن تصرف جوردان، ورأت أن فشل المباحثات جاء أفضل من توقيع معاهدة تنسجم والموقف الذي اتخذته ابن سعود. وظهر أن الحفاظ على الوضع الراهن بصورة مؤقتة هو الأنسب (٥٥).

أدى هذا الموقف إلى تبادل مكثف لوجهات النظر بين مسئولين في الخارجية ومكتب الهند وحكومة الهند (٥٦). وبينما كان مكتب الهند يميل إلى قطع المحادثات، فإن الخارجية رغبت في الاحتفاظ بباب التفاوض مفتوحا ، وهو الاتجاه الذي حظى بتأييد قوى من جانب جوردان وأنطونيوس، والذي كانت له الغلبة بعد أن قبله على مضض مكتب الهند. ففي رسالة بعث بها بيركنهد إلى جوردان في ٢٠ فبراير ١٩٢٧ أيد وقف المفاوضات بشكل مؤقت، مع إمكانية التشاور بشكل غير رسمي مع ابن سعود لأجل الوصول إلى رأى نهائى بشأن ثلاثة أمور: أمن الخليج، موضوع الامتيازات في الحجاز، العقبة ومعان (٥٧).

احتلت اعتراضات ابن سعود جزءا كبيرا من المشاورات بحثا عن مخرج ، لاسيما بشأن مسألة العقبة ومعان ، وبحث البدائل لو سلمت المدينتان لابن سعود ، ومنها تعزيز شرق الأردن بقوات ضخمة، والذي سيكون إجراء ضروريا للدفاع عنه (٥٨). غير أن الرأى الغالب

كان ضرورة الاحتفاظ بالعقبة لأنها الميناء الوحيد لشرقي الأردن، ولأهميتها في الحفاظ على السيادة البحرية في البحر الأحمر، طبقا لما استقر عليه وقت وضع المسودة الأولى في أكتوبر (٥٩). في النهاية تقرر إدخال تعديلات للمرة الثانية على مسودة أكتوبر ١٩٢٦، لاسيما البنود التي أثارت اعتراض ابن سعود بشدة، مع الإقلال قدر الإمكان من التفاصيل، إذ قدر أنها تثير مزيدا من الصعوبات، وتطيل أمد التفاوض.

في فبراير ١٩٢٧ وضعت المسودة الجديدة، التي أصبحت بعد استطلاع رأى حكومة الهند المشروع الأساسى الذى صيغت عليه المعاهدة. وحملت المسودة تنازلات وإضافات جوهرية على أمل أن تؤدي إلى اتفاق (٦٠). يمكن تلخيصها فيما يلى:

- * وضع نص يقر بالاستقلال التام والكامل لابن سعود كحاكم لكل من نجد والحجاز.
- * حذف مطلب الاعتراف بالانتداب على فلسطين وشرقي الأردن والعراق.
- * حذف مطلب الاعتراف بملكية شرقي الأردن للعقبة ومعان، والاكتفاء فى هذا الصدد.
- حسب ما ورد بتقرير جوردان - بموافقة ابن سعود على إبقاء الوضع الراهن بالنسبة للمدينتين كما هو انتظارا لتسوية نهائية، مع الامتناع عن الدخول فى نزاع مع شرقي الأردن حول هاتين المدينتين.
- * وضع نص يلزم كل طرف بأن يستعمل كل ما لديه من وسائل وفقا لترتيبات خاصة، ليمنع مقاطعاته من أن تستخدم كقاعدة لأنشطة معادية أو غير مشروعة توجه ضد مصالح الطرف الآخر. والنص جاء بديلا ولو جزئيا عن مطلبى: ملكية شرقي الأردن للعقبة ومعان، الاعتراف بالانتداب البريطانى. واستهدف تأمين الوضع الأمنى للإدارة البريطانية فى البلدان العربية الخاضعة للانتداب وتلك الواقعة تحت الاحتلال المباشر، وهو هام لبريطانيا، لأنها خشيت روح العداء التى أبداها الإخوان الوهابيون، وتقاعس ابن سعود فى قمع أية أعمال عدائية من جانبهم.

* وضع نص يؤكد خضوع رعايا بريطانيا للقضاء المحلى إذا ما نشبت منازعات مع سكان محليين. وجاءت هذه الإضافة كمحاولة أخيرة لإرضاء ابن سعود، وحسم موضوع الامتيازات. ولأنها لا تشير صراحة إلى تطبيق القوانين المحلية فهى تبقى على شكل ولو مظهرى أو غامض للامتيازات [... الأفضل النص على المساواة التامة بين رعايا بريطانيا والوطنيين أمام القضاء المحلى وتطبيق كافة القوانين والنظم

الداخلية ؛ الجنائية وغيرها على الرعايا الذين يتصادف وجودهم في بلد الطرف الآخر] وتقرر التعويل على قدرة القنصل في ممارسة نفوذ قوى لمنع الإضرار برعايا بريطانيا، مع تذكير ابن سعود بأن بريطانيا لا تقبل المساس بحقوق رعاياها حتى ولو لم يرد بذلك بندا في المعاهدة.

* تعديل مادة وقف تجارة الرقيق ، فتضمنت تعهدا بالتعاون التام مع حكومة بريطانيا بكل الوسائل للقضاء على تجارة الرقيق، وجاءت المادة بهذا الشكل أخف وطأة من سابقتها. وألحق بالمادة اقتراحا في شكل توصية بأن يتم بحث مسألة تخويل القنصل في جدة صلاحية عتق الرقيق وتحريرهم بمشاورات جانبية بغية التوصل إلى اتفاق مناسب . وألغى بذلك موضوع تفتيش السفن، ومراقبة السواحل (٦١).

تبقى بعد وضع المسودة استطلاع رأى حكومة الهند في المادتين ٦،٢ (الأولى تتعلق بأمن الخليج ، والثانية تتعلق بموضوع الامتيازات في الحجاز) بالإضافة إلى موضوع أموال الوقف حتى تصبح مشروعا نهائيا. تأخر رد الهند ما يقرب من شهر، إذ بعث أيروين إلى بيركنهد برسالة مستفيضة في ٢٢ مارس ١٩٢٧ تبين بدقة موقف حكومته. فبالنسة إلى المادة ٣ قبلتها الهند كما وردت بالمسودة . أما المادة ٦ المتعلقة بالامتيازات فقد أبدت تفهمها للصعوبات التي تعترض وضع نص واضح بشأنها في معاهدة رسمية، وترى أن مثل هذا النص (الوارد بالمسودة) لا يمثل عمليا قيمة كبيرة، ومع ذلك فإنها تقبله. وبشأن أموال الوقف قدرت الهند أن وضع تعهد يلزم بريطانيا بها أمر لا يمثل أدنى فائدة ، بل هو مجرد تسليم بطموحات ابن سعود دون مصوغ منطقي، وأوصت بحذف هذا التعهد . أخيرا أفصح أيروين عن شعوره بأن المسودة بهذا الشكل قد لا ترضى ابن سعود ، وأنه من وجهة النظر الهندية «.. نحن نقر بوجوب استئناف المفاوضات، وإذا كتب لها الفشل إن كان مقدرا لها ذلك فيجب أن يكون من الطرف الآخر» (٦٢).

يتضح مما سبق، أن بريطانيا الأكثر حرصا على التوصل إلى معاهدة جديدة ، فقد جاء المشروع الجديد مغايرا تماما لسابقه بالتنازل عن بعض النقاط التي كانت أساسية من قبل، وإبداء مرونة في البعض الآخر. ولاغرو في ذلك، فاشتداد التنافس الدولي على مناطق النفوذ في الشرق الأدنى، وسرعة نمو الدولة السعودية؛ وتوجهها نحو عاقات خارجية مفتوحة ساعد دون شك على هذا التحول (٦٣).

مفاوضات ابن سعود - كلايتون :

تأخر التفاوض ما يقرب من شهرين، رغم إنهاء مشروع المعاهدة الجديد قرب نهاية فبراير، بسبب استطلاع رأى حكومة الهند. وربما لتسوية بعض الأمور الشائكة التي قد تعوق المفاوضات، والبحث عن شخص مناسب يتولاها، والتريث انتظارا لما ستسفر عنه التطورات الداخلية فى الدولة السعودية، حيث عانى ابن سعود من تجاوزات الإخوان خلال تلك الفترة^(٦٤).

فى أبريل ١٩٢٧ كلف جليبرت كلايتون بإحالة المشروع لابن سعود، والتفاوض، وإنهاء موضوع المعاهدة بأقصى سرعة ممكنة. وكلف بالمهمة لأن لديه سجل حافل بالنشاط والخدمة المتميزة فى الشرق الأوسط، ولأنه فى سنة ١٩٢٥ قاد بنجاح مفاوضات اتفاقية بحرة وجدة. وحمل تعليمات محددة بالتركيز على الأمور الجوهرية، وعدم الإفراط فى مناقشة المسائل الفرعية «فربما يتم تسويتها على نحو أيسر بعد توقيع المعاهدة»، ويأن هذا المشروع يمثل أدنى حد ممكن من التنازلات التى يمكن أن تقدمها الحكومة البريطانية، وأن على ابن سعود أن يقبلها أو يرفضها إجمالا^(٦٥).

فى ١٠ مايو ١٩٢٧ بدأت المفاوضات فى جدة بين ابن سعود وكلايتون. وبعد فترة وجيزة تسربت شائعات عن محاولة التأثير على موقف ابن سعود ودفعه إلى تحالف غير متكافئ، وتكتم الدوائر السياسية السعودية تفاصيل المفاوضات، وسعى ابن سعود لأخذ إعانة مالية مقابل الموافقة على عدة شروط تجعل أملاكه تحت الحماية البريطانية. ولا يمكن تجاهل دور الإخوان فى نشر الشائعات، خاصة وأنهم تشككوا فى نوايا ابن سعود وبسعيه للحصول على السلاح حتى يتمكن من السيطرة عليهم^(٦٦).

شهدت معظم مواد المشروع جدلا، جاء قويا حيناً. وتعرض بعضها لتغيير أو حذف وبدأ واضحا أن الحكومة البريطانية لاتعمل كثيرا على المعاهدة الرسمية فى حسم أمور معينة هى: عتق الرقيق، العقبة ومعان، أمن الخليج. فقد اعتبرت أنها أموراً شائكة يصعب التوصل فيها إلى التزامات نهائية أو دقيقة، وفضلت تركها لاتفاقات ثنائية أو لالتزامات أدبية تشملها مذكرات متبادلة، أو أن يتم حسمها فيما بعد حسبما تقضى إليه تطورات كل أمر منها. واعتمدت بقوة على قدرة كلايتون فى تحقيق استجابة ملائمة من جانب ابن سعود بالنسبة لهذه الأمور، واعتبر التوصل إلى اتفاق بشأنها ينسجم والرؤية البريطانية مهام جانبية مكلف بها. ولا شك

أنها استهدفت من وراء هذا الأسلوب أولا: إنهاء مسألة المعاهدة ، ثانيا : رفع الحرج عن ابن سعود داخليا وخارجيا عند حدوث أية تنازلات من جانبه .

كانت المادة الخاصة بالامتناع عن القيام بأى عمل عدائى أو تدخل فى شئون حكام إمارات الخليج الخاضعة للحماية أولى المواد التى تعرضت لتغيير. فقد سعى كلايتون إلى إقناع ابن سعود بحتمية وضع هذا التعهد، وقدم له نسخ من معاهدات الحماية الموقعة مع هؤلاء الحكام ، كمحاولة للتأكيد على أهمية الدور البريطانى فى الدفاع عن أمنهم. فأشار ابن سعود إلى مساس هذه المادة بمكانته كحاكم مستقل وهيبته فى المنطقة، وقبل كلايتون استبدال هذا النص بأخر أقل حدة وأكثر ضعفا ، يدعو ابن سعود «بأن يعمل على الاحتفاظ بعلاقات صداقة وسلام مع حكام الساحل» . حقيقة أن النص الأول كان أكثر انسجاما للمعايير الأمنية البريطانية ، إلا أن الأوضاع الإقليمية عامة ، بجانب الثقة المتوفرة فى ابن سعود ، وخصوصية العلاقات البريطانية السعودية جعلت كلايتون يتسم بالمرونة فى هذه النقطة . ومن وجهة نظره أن هذا الالتزام الأدبى تدعم ببند صريح فى المعاهدة يطلب من كلا الطرفين حظر استخدام أراضيهم كقواعد لأنشطة غير قانونية ضد الطرف الآخر. ويذكر أن كلايتون تصرف فى هذا الأمر بموجب تعليمات صريحة من الخارجية بأن يقبل هذا التعديل كملاذ أخير (٦٧). بينما ظلت حكومة الهند ومكتب الهند غير مقتنعين ، واتهما كلايتون بأنه لم يكن قادرا على تأمين حماية أكبر لإمارات الخليج، وأن قبوله وضع هذا النص قد يعرض أمن الخليج للخطر (٦٨). يذكر أن بيركنهد لم ينس إحساسه بالضيق من التعديل الذى طرأ على نص المادة، رغم مرور أكثر من شهرين على التوقيع المبدئى الذى تم فى ٢٠ مايو ١٩٢٧، فقد كتب ويكلى L.D. Wakely سكرتير الدولة للشئون الخارجية على لسان بيركنهد إلى أيروين فى ٢٢ يوليو التالى مشاركا إياه إحساسه باليأس ، لأنه كان من الصعب استبدال نص المادة ٦ من المعاهدة الموقعة بنظيره الذى ورد بالمسودة التى قدمها جوردان أو بذلك الذى ورد بالمشروع الأصلى الذى حمله كلايتون. وأضاف ويكلى «أنه بدءا من الصفحة السادسة من تقرير كلايتون عن المحادثات يستشف أنه نجح إلى حد بعيد فى توضيح موقف بريطانيا توضيحا تاما فيما يتصل بعلاقاتها بأمراء الخليج »، وأنهى رسالته بسؤال أشبه بالتمنى مفاده «.. هل بالإمكان إثارة الموضوع مرة أخرى بمناسبة التوقيع النهائى على المعاهدة!» (٦٩).

بشأن المادة المتعلقة بالاعتراف المتبادل بالوضع الدولي لرعايا كل طرف من الطرفين، وهي الشق الأول في موضوع الامتيازات الأجنبية؛ والمادة الأساسية التي قصدت من ورائها بريطانيا الاحتفاظ بجوهر هذه الامتيازات ، والتي حلت محل مادة الامتيازات في المسودة السابقة ، فقد استبدل مصطلح «الوضع الدولي» بكلمة «جنسية»، وهي أكثر تعميماً وأقل إشارة إلى الامتيازات الأجنبية . كما أضيف شرط يقضى بسريان أحكام القانون الدولي الذي ينظم العلاقات بين الدول المستقلة على العلاقة بين البلدين، هذه الإضافة أُرِضت ابن سعود لأنها - من وجهة نظره بجانب كلمة «جنسية» - تجعل حقوق رعايا كل طرف في بلد الطرف الآخر مسألة يحكمها القانون الدولي الذي بطبيعته يفرض المساواة ولا يعترف بالامتيازات . من ثم فإن أى خلاف ينشأ ماله التحكيم العادل ، وهو ما يؤدي إلى إسقاط الامتيازات إن وجدت على أرض الواقع بمرور الزمن أو بالتقادم، بينما كان كلايتون مرناً في هذه المسألة، لأن الإضافة غامضة من وجهة نظره، ولم تشر فعلياً أو يفهم منها ضمناً أنها تتعلق بالامتيازات الأجنبية (٧٠).

عند التعرض للمادة الجديدة الخاصة بموضوع خضوع رعايا بريطانيا للقضاء الوطني ؛ وهي الشق الثانى الذى أضيف إلى موضوع الامتيازات كمحاولة لإرضاء ابن سعود، طلب الأخير موافقة الحكومة البريطانية كتابة على كافة الإجراءات التى ستتخذها حكومته لإلغاء الامتيازات الأجنبية كلية، بما فى ذلك تطبيق كافة القوانين والنظم المحلية على رعايا بريطانيا الذين يتصادف وجودهم فوق أراضى سعودية ؛ ومحاكمتهم فى كل الأحوال طبقاً للقضاء المحلى. غير أن كلايتون شرح أن بلاده قدمت بالفعل تنازلاً جوهرياً ، عندما ضمنت المشروع هذه المادة التى تخضع الرعايا البريطانيين للقضاء المحلى إذا ما تورطوا فى نزاعات مع رعايا سعوديين. كما أنها لاتقبل إطلاقاً تطبيق القوانين والنظم المحلية على رعاياها أو محاكمتهم طبقاً للقضاء المحلى فى حالات لا يوجد فيها تورط مع رعايا سعوديين . عند هذه النقطة اقترح ابن سعود حذف هذا النص برمته (٧١).

بالتأكيد، كان ابن سعود يشك تماماً فى أن بريطانيا وضعت هذه المادة كمحاولة مستترة لتأكيد مبدأ الامتيازات فى ظل إيماءة بوقف جزء معين منها. وبمعنى آخر، فإنه رأى أن إيقاف العمل بأحد مظاهر الامتيازات يؤكد بمفهوم المخالفة وجود ما تبقى منها.

يذكر، أن ابن سعود أبدى تردداً واضحاً بشأن موضوع الامتيازات فى مجمله، فقد سبق

ورفض مادة الاعتراف بالوضع الدولي أثناء مفاوضاته مع جوردان إلا لو أضيف شرط خضوع رعايا بريطانيا للقضاء المحلى ، لكنه عاد ورفضه على النحو السابق، ثم قبل المادة بإضافة شرطاً جديداً يقضى بسريان أحكام القانون الدولي. ويعكس ذلك حرصاً شديداً إزاء المواد التى تتحدث عن وضع متميز لبريطانيا فى بلاده.

لعل أهم المواد التى شهدت جدلاً شديداً ، تلك الخاصة بإلزام كل طرف بأن يستعمل كل ما لديه من وسائل وفقاً لترتيبات خاصة، ليمنع مقاطعاته من أن تستخدم كقاعدة لأنشطة معادية أو غير مشروعية توجه ضد مصالح الطرف الآخر. وبينما قدم كلايتون تنازلاً فى مجال الامتيازات الأجنبية، قدم تنازلاً أهم فى إطار هذه المادة، وربما تجاوز ما كان لديه من تعليمات صريحة بوجوب موافقة ابن سعود على هذه المادة برمتها . فقد وافق على عبارة بديلة، بأن يتعهد كل من الفريقين بأن يحافظ على حسن العلاقات مع الفريق الآخر، وبأن يسعى بكل ما لديه من الوسائل لمنع استعمال بلاده قاعدة للأعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلم والسكينة فى بلاد الفريق الآخر^(٧٣). اختلفت الصياغتان فى أربع نقاط « أ) كلمة «يسعى» بدلا من كلمة «يستعمل» ، والأولى أخف إلزاماً لأن «السعى» لا يتطلب بالضرورة استخدام القوة (ب) حذف «وفقاً لترتيبات خاصة» وهى قد تفيد التشاور مع الطرف الآخر، ومن ثم فإنها تمثل قيداً (ج) حذف «أنشطة معادية» والاكتفاء «بغير مشروعة»، وجعلت المجال متاحاً أكثر فى التعامل مع قضايا الأمة العربية ذات الطابع القومى، فكلية «معادية» كلمة مطاطة قد تفسر على أكثر من وجه ، بينما «غير مشروعة» مقيدة بالأحوال التى يمنع فيها القانون أفعالاً معينة بذاتها . د. «مصالح الطرف الآخر» استبدلت بعبارة «السلم والسكينة فى بلاد الفريق الآخر» وبديورها تعطى حرية أكثر فى العمل، فقد يأتى النشاط غير ماساً بالسلم والهدوء لكنه مؤثر على مصالح الطرف الآخر. بشكل عام ، جاء التعديل، ولو أنه مقيداً إلى حد ما، فى صالح ابن سعود، إذ أتاح له حرية أكثر فى التعامل مع القضايا ذات الطابع القومى. بينما نظر كلايتون إلى التعديل على أنه قليل القيمة، باعتبار أنه لا يؤثر كثيراً على روح المادة، كما أنه رأى أن ابن سعود لا يستطيع الإضرار بمصالح بلاده فى البلدان الخاضعة لهيمنتها المباشرة وغير المباشرة ، لأنه لا يريد أن يسئ إلى علاقاته الطيبة مع بريطانيا ، ولا يملك قدرة مادية أو معنوية تكفل له القيام بذلك بشكل مؤثر^(٧٤).

كذلك شهد الاقتراح المتعلق بموضوع عتق الرقيق مباحثات مكثفة . وأوضح كلايتون أن حكومته لا تتطلب إلغاء الرق فى الأراضى السعودية ، لأنها تدرك تماماً صعوبة اتخاذ هذا

الإجراء العنيف ، الذى ربما يتسبب فى ثورة داخلية أو تمرد سياسى يصعب السيطرة عليه. ثم ذكر أن الرأى العام فى بريطانيا يعارض بشدة الرق، ويستحيل على الحكومة البريطانية أن تتخلى عن دورها الهام والثابت منذ فترة طويلة فى عتق الرقيق . وأصر ابن سعود على اعتراضه السابق بتحرير الرقيق فى بلاده عن طريق موظفى قنصلية أجنبية، ووصف ذلك بأنه تدخل غير مقبول فى شئونه الداخلية . وألح ، أنه ربما يكون أكثر استعدادا لتقبل إجراءات العتق ، لو أن بريطانيا قدمت له تعويضا ماليا مناسباً ، وتركت مسألة العتق لإجراءات داخلية تتخذها السلطات السعودية . ورد كلايتون، أن حكومته ليس باستطاعتها إطلاقاً أن تقبل مثل هذا الالتزام ، لأنه يعادل مبدأ التسامح ، ويمثل سابقة خطيرة ربما تؤدي إلى تشجيع أى نظام آخر إلى الاقتداء بها ، فى إجراءات العتق مناسبة جيدة للحصول على مساعدات . بيد أن ابن سعود قبل أن يأتى نصا فى المعاهدة، يتعهد فيه بالتعاون التام بكل ما لديه من وسائل مع حكومة بريطانيا للقضاء على تجارة الرقيق. كما قبل تخويل القنصل البريطانى صلاحية عتق الرقيق شريطة أن يلجئوا إلى القنصلية ، وألا يتعرض للرقيق الملكى بأية شكل من الأشكال، وأن يعمل القنصل طبقاً لروح الود التى تسود العلاقات المتميزة بين البلدين^(٧٤). يذكر أنه بالنسبة للشق المتعلق بصلاحيات القنصل لم يرد بشأنه نص فى المعاهدة ، طبقاً لما ورد بالمسودة.

تناولت المفاوضات أربعة أمور أخرى لم يشملها المشروع الجديد. الأول: ضمان عدم حدوث تعدى على العقبة ومعان. وكان كلايتون قد كتب رسالة لابن سعود قبل بدء المفاوضات، بين فيها وجهة نظر بلاده، واستهلها بتذكيره بأن بريطانيا كانت ولا تزال تصر على اعتبار العقبة ومعان جزءاً من شرقى الأردن، وأنها ترى أن الحدود مع الحجاز تبدأ جنوبى العقبة . وأعقب ذلك أن كتب ابن سعود خطاباً أكد على موقفه السابق بعدم الاعتراف الصريح بتبعيتهما لشرقى الأردن، ثم أقر بالإبقاء على الوضع الراهن كما هو ريثما يتم إيجاد حل نهائى للمشكلة^(٧٥).

الثانى: موضوع شراء الأسلحة. وقد وافق كلايتون على السماح لابن سعود بشراء أسلحة دون قيود محددة. ورغم أن تسليحاً جيداً للجيش سعودى قد يجعله قادراً على تهديد مصالح بريطانية هامة فى الشرق الأوسط فإن كلايتون استبعد وقوع مثل هذا التهديد. أولاً: بسبب حرص ابن سعود الدائم على صداقة بلاده. ثانياً: بموجب اعتقاد بأن السلاح لن يستخدم إلا للدفاع عن الأراضى السعودية إذا ما تعرضت لاعتداء؛ ولترسيخ سلطة ابن سعود فى الداخل،

وهي أمور تحرص عليها بريطانيا . ثالثاً : لأنه قادر على شراء السلاح من أى مكان آخر، إن لم يشتريه من بريطانيا . رابعاً : إقناع ابن سعود بشراء الأسلحة من شركات بريطانية ، وبالتالي فإنه يمكن للحكومة البريطانية أن تمارس نوعاً من الرقابة على الصفقات ، وتحقق قدراً من النفوذ مع استمرار ابن سعود فى الاعتماد على هذه الشركات فى مجال استمرار المد والتزويد بالأسلحة والنخيرة ، بجانب اعتماده على الجيش البريطانى فى مجال التدريب ولو لزم الأمر^(٧٦).

الثالث : موضوع المساعدة فى الحصول على أموال الوقف المخصصة للحرمين، ورفض كلايتون إقحام بريطانيا فى أمر كهذا باعتبار أنه موضوع إسلامى يتحتم تسويته بين الدول الإسلامية . وأضاف أن بلاده سوف تلتزم بسياستها التقليدية القائمة منذ أمد بعيد بعدم التدخل فى المسائل الدينية، وأنه لا يعقل مثلاً أن تفرض حكومته طلباً على الهند بدفع أموال الوقف لابن سعود ، كما أن إسهام بريطانيا فى جمع أموال الوقف قد يفسر على أنه تدخل فى شئون الحجاز ، فيثير رعاياها المسلمين فى الهند وخارجه . يذكر أن حكومة الهند أبدت اعتراضاً شديداً على هذا الطلب، وبموجب ذلك نصح كلايتون باتخاذ هذا الموقف^(٧٧). كما أن موقف كلايتون انسجم مع موقف فيصل ملك العراق، الذى عارض بقوة تسليم أموال الوقف العراقية لابن سعود ، لأسباب مختلفة سياسية وشخصية^(٧٨). بيد أن ابن سعود لم يتمكن من تنفيذ الذرائع التى طرحها كلايتون ، وتعين عليه قبول الموقف البريطانى .

الرابع : رفض كلايتون طلب ابن سعود باعتراف بريطانيا بسيادته على هذا الجزء من سكة حديد الحجاز الواقع فى فلسطين وشرقى الأردن. وبين أنه مسألة تهم فرنسا التى تسيطر على أجزاء من الخط الحديدى تمر عبر الأراضى السورية . ومن ثم لا يمكن أن يرد مثل هذا الأمر فى معاهدة ثنائية بين ابن سعود وبريطانيا . علاوة على ذلك، تذرع كلايتون بأن سكة حديد الحجاز كانت من أملاك الدولة العثمانية ، وأنه طبقاً لشروط معاهدة السلام الموقعة فى لوزان Lausanne عام ١٩٢٣ تؤول ملكيتها إلى كل الدول التى تقع أجزاء من الخط الحديدى فى أراضيها كل بحسب حصتها^(٧٩).

إعلان المعاهدة:

فى ٢٠ مايو ١٩٢٧ وقعت المعاهدة مبدئياً، وأطلق عليها «معاهدة جدة ١٩٢٧». وبعد أسبوع أعلنتها الحكومة السعودية فى صورة بيان مقتضب نشرته جريدة أم القرى، جاء به: «وصل السير جلبرت كلايتون والمستر جوردان المعتمد البريطانى السابق فى جدة والمستر

جورج، أنطونيوس وكيل إدارة المعارف بفلسطين إلى جدة. للبحث في وضع معاهدة تضمن الصداقة وحسن التفاهم بين الحكومتين على أساس احترام السيادة القومية والسلطان القومى المطلق. ودامت المفاوضات مدة عشرة أيام، وأنتجت معاهدة على الأساس المتقدم. وقد وقعها سمو الأمير فيصل نائب جلالة الملك باسم الحجاز ونجد وملحقاتها والسير جلبرت كلايتون باسم الحكومة البريطانية. وستكون المعاهدة مبرمة بعد توقيع ملكى بريطانيا والحجاز عليها» (٨٠).

ثم أقرت المعاهدة رسميا فى ١٧ سبتمبر ١٩٢٧ . ونشرت أم القرى نصها باللغة العربية فى العدد التالى مباشرة ، مرفقا به أربعة ملاحق، فى صورة خطابات رسمية بعث بها كلايتون إلى ابن سعود مع رد من الأخير .

الأول: يتناول الرد على اقتراح من جانب ابن سعود بوضع مادة فى المعاهدة تشترط على الحكومة البريطانية عدم الممانعة فى شراء وتوريد الأسلحة وغيرها من اللوازم الحربية . وجاء به «أن بريطانيا ترى أن هذه مسألة لاتحتاج إلى ذكر فى المعاهدة. وأن كلايتون مفوض بإبلاغه رفع الحظر المفروض على تصدير الأدوات الحربية إلى جزيرة العرب، وأن ابن سعود يستطيع أن يطلب ما يحتاج إليه من شركات بريطانية بمقتضى اتفاقية الاتجار بالأسلحة (١٩٢٥) .

الثانى : يتعلق بموضوع العقبة ومعان ويين فيه كلايتون موقف بلاده بشأن الحدود بين شرقى الأردن والحجاز، وطلب وضع رسالته ضمن ملاحق المعاهدة . وقد جاء رد ابن سعود واضحا بأن يرى أن تسوية هذه المسألة فى الظروف الراهنة أمر متعذر ، وأنه مستعد لإبقاء الحالة على ما هى عليه، مع وعد بعدم التدخل فى إدارتها إلى أن تحين الظروف المناسبة لتسوية نهائية . ثم أعلن أنه لايقبل إضافة رسالة كلايتون بشأن هذا الموضوع ضمن ملاحق المعاهدة .

الثالث : جاء بخصوص مسألة تجارة الرقيق . وقد أكد كلايتون إصرار بلاده على ممارسة حق عتق الأرقاء، وأشار إلى أنه حق قديم مارسه قناصل بريطانيون من قبل، وبموجبه يمكن للقنصل أن يطلق سراح أى عبد يتقدم إليه من تلقاء نفسه، ويطلب تحريره وإعادته إلى مسقط رأسه. وأن بريطانيا تنأى بنفسها أن يكون هدفها التدخل فى شئون المملكة الحجازية النجدية. كما أنها على استعداد أن تعيد النظر فى حق العتق إذا ما تبين للطرفين أن التعاون

المنصوص عليه في المادة السابعة من المعاهدة قد أدى إلى تدابير عملية كافية لإبطال حق الاعتاق . ورد ابن سعود أنه يثق بأن المعتمد البريطاني في جدة سيكون محافظا على روح التفاهم التي تحكم هذا الموضوع الذي قد يؤثر على الحالة الإدارية والاقتصادية، ولا يدع مجالا للمبالغة في هذا الموضوع الشائك.

الرابع : بشأن تسليم ممتلكات الحجاج من رعايا جلالة ملك بريطانيا الذين يتوفون بأرض الحجاز إلى المعتمد البريطاني في جدة، وأكد فيه كلايتون أن الغرض من إدخال هذه المادة هو : أولا: وضع المعاملة المتبعة الآن على أساس رسمي. ثانيا: أن تقدم لبريطانيا تأكيدات تمكنها من إعلان أسس المعاملة المتبعة الآن لجميع المسلمين في البلاد البريطانية . ثم أكد كلايتون أن هذه المادة لاعلاقة لها بالتصرف في مخلفات غير الحجاج، التي لاتزال تخضع لقواعد المقابلة بالمثل ، التي هي أساس التعامل التقليدي المعتاد بين البلاد المستقلة . وأكد ابن سعود في رده أن هذا هو المتبع بالفعل في بلاده^(٨٩).

اشتملت المعاهدة على ديباجة ، وإحدى عشرة مادة . ويكاد يتطابق النصان العربي والإنجليزي في مضمونها . الديباجة جاءت في شكل إعلانين عن ملكي الحجاز ونجد وبريطانيا العظمى عن رغبتهما في وضع معاهدة تعمل على توطيد العلاقات الودية السائدة بين البلدين.

أما المواد، فالأولى: تنص على اعتراف بريطانيا بالاستقلال التام المطلق لصاحب الجلالة ملك نجد والحجاز. الثانية : عن سيادة السلم والصداقة بين الدولتين ، والتعهد باستخدام الوسائل المتاحة لمنع الأعمال غير المشروعة . الثالثة : عن تسهيل أداء فريضة الحج لجميع الرعايا البريطانيين. الرابعة : تختص بتسليم مخلفات من يتوفى من الحجاج المشمولين بالحماية البريطانيين للمعتمد البريطاني في جدة. الخامسة: تشير إلى اعتراف متبادل بجنسية رعايا كل من الدولتين في بلد الطرف الآخر، على أن تراعى قواعد القانون الدولي السائد بين الحكومات المستقلة. السادس: تعهد ابن سعود بالمحافظة على علاقات الود والسلم مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل العماني الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية . السابعة : تعهد ابن سعود بالتعاون بكل ما لديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية في القضاء على الاتجار بالرقيق . الثامنة: شكلية تختص بوجوب إنهاء كافة الأمور التي تجعل المعاهدة سارية المفعول ، مع بيان أن مدة العمل بها هي سبع سنوات قابلة للتجديد بشكل تلقائي ، مع حق كل طرف في إبداء رغبته في إنهاء العمل بها قبل انتهاء مدتها

بسته أشهر، وتعتبر منتهية في هذه الحالة بعد انقضاء مدتها . التاسعة : تنص على إنهاء العمل بمعاهدة دارين ١٩١٥ . العاشرة : شكلية خاصة بتدوين المعاهدة باللغتين العربية والإنجليزية، مع التنويه أن للنصين قيمة واحدة، وعند وقوع خلاف حول تفسير أى بند أو جزء يرجع إلى النص الإنجليزى . الحادية عشرة : شكلية تتعلق بتاريخ التوقيع فى ٢٠ مايو ١٩٢٧ (٨٢).

بإعلان المعاهدة رسمياً تعرضت لانتقادات وتأييد من كلا الجانبين . فمؤرخون وكتاب عرب رأوا، أن المادة الثانية بمثابة إجهاض لأية دعوة مناهضة للاستعمار فى الحجاز ونجد، وهو أمر غير جائز شرعاً، وأن ابن سعود لا يستطيع الوفاء بهذه المادة. كما قيل أنها بنيت على عدم المساواة لأن بريطانيا لا تستطيع منع خصوم الحكم السعودى للحجاز فى الهند من ممارسة دعايتهم الموجه ضد ابن سعود. بينما أثنى على موقف الأخير من مسألة العقبة ومعان، وقيل أن إصراره على عدم الاعتراف بضم المدينتين لشرقى الأردن نبع من رغبة فى مقاومة النفوذ البريطانى ومنعه من الاقتراب إلى الأراضى الحجازية المقدسة. واضح أن معظم الآراء التى انتقدت المعاهدة أو أثنت عليها تأثرت بطابع قومى عربى أكثر من تأثرها باعتبارات تتعلق بمستقبل الحكم السعودى ذاته (٨٣).

فى المقابل رأى مؤرخون بريطانيون أن المعاهدة كانت أمراً حتمياً فرضته اعتبارات إقليمية وبولية، لكنها لم تضمن الحد الأدنى من المصالح البريطانية. وذكروا أن التنازلات التى وقعت أدت إلى إرباك السياسة البريطانية فى المنطقة. وتمثلت أهم الانتقادات فى عدم وجود نص واضح يلزم ابن سعود بعدم اتخاذ بلاده ساحة للأنشطة المعادية للمصالح البريطانية ، وضعف المادة ٦ المتعلقة بأمن الخليج، وعدم الاحتفاظ بالامتيازات كما كانت قبل ضم الحجاز (٨٤). وأياً كانت الانتقادات التى قد تبدو هامة من وجهة نظر قائلها، فهى أمر طبيعى تتعرض له أغلب المعاهدات التى من هذا النوع.

المعاهدة فى مجال التطبيق :

بيد أن هذه الانتقادات لم تؤثر فى وضع المعاهدة واستمرار العمل بها وتوطيد دعائم العلاقات السعودية البريطانية. وحتى بداية الأربعينات شهدت العلاقات نشاطاً دبلوماسياً يقوم على التفاهم والتعاون، وبدا تأثير المعاهدة قوياً خلال هذه الفترة.

فى أعقاب التوقيع المبدئى عينت بريطانيا ف. ه. استون F.H. Stone قنصلا جديدا لها فى مملكة نجد والحجاز. فى تلك الأثناء تزايدت حوادث توغل الأجانب لا سيما من الأمريكين فى أراضى الحجاز لممارسة النشاط التبشيري، فشارك القنصل الجديد بجهد ملحوظ أثمر عن تدخل المندوب السامى البريطانى فى فلسطين لمنع دخول الأجانب الحجاز دون تصريح . ويرجح ، أن هذا الجهد ساعد فى وضع حد للنشاط التبشيري، إذ لم يرد ذكر شيئا عن مثل هذا النشاط فيما بعد . ولاشك أن موقف القنصل انسجم مع روح المادة الثانية التى تقضى بمنع الأعمال غير المشروعة فى أرض الطرف الآخر^(٨٥).

كما تعاون ابن سعود إيجابيا مع بريطانيا فى اتخاذ إجراءات حازمة ضد النشاط الشيوعى فى الحجاز واليمن، دون أن يعر التفاتا للعلاقات التجارية الهامة مع الاتحاد السوفيتى، وذلك التزاما بروح المادة الثانية أيضا^(٨٦).

خلال تلك الفترة دخلت المعاهدة فى اختبار حقيقى أثبتت خلاله قوتها وفائدتها للحكم السعودى. ففىما بين عامى ١٩٢٨ / ١٩٢٩ دأب هنرى دويس H. Daubs المندوب السامى فى العراق على بناء الحصون على الحدود العراقية السعودية لمنع توغل الإخوان، مما أثار الأخيرين ، الذين تعددت هجماتهم على قبائل عراقية فى مناطق الحدود. فاضطر ابن سعود للتدخل تطبيقا للمادة الثانية أيضا . وتخرج مركزه كثيرا بعد أن رفض قادة الإخوان الانسحاب من مناطق الحدود، ودبروا ثورة ضده وسارعت بريطانيا بتقديم دعما هاما عندما وافقت على صفقة بيع أسلحة لابن سعود بقرض مالى طويل الأجل قيمته ٢٠٩٥٨ جنيها استرلينيا ، كى يحكم قبضته على الداخل^(٨٧). ثم دفعت حكومة العراق إلى إزالة نقطة حراسة شهيرة على الحدود كانت تسمى «بوسيه» حتى توفر له دعما مغنويا فى مواجهاته مع الإخوان، لاسيما بعد تزايد حدة الانتقادات التى وجهت إلى المعاهدة، التى وصفت بأنها جاءت فى صالح بريطانيا وحلفائها على حساب قوة واستقلال نجد والحجاز . كذلك استجابت بريطانيا لطلب ابن سعود بمنع العراق والكويت من إيواء الإخوان المتمردين . لكنها لم تستجب لطلب تقدم به سنة ١٩٣٠ بضم أربعة مناطق تقع شرقى الإحساء باعتبار أنها تابعة لإمارات الخليج الواقعة تحت الحماية^(٨٨). على أى حال، فالمساندة التى قدمت لابن سعود مكنته من وقف ثورة الإخوان وإعادة تثبيت سلطته .

أفضت التطورات السابقة إلى تطوير العلاقات الدبلوماسية فى عام ١٩٣٠، فرفعت بريطانيا قنصليتها إلى سفارة ، وعينت أندروين Androben مفوضا لدى المملكة ، كما عين الشيخ حافظ وهبه وزيرا مفوضا لدى بريطانيا^(٨٩).

كان من المتوقع ، أن تشهد الأربعينات دعماً أكثر للعلاقات السعودية البريطانية. غير أن الواقع سار في غير هذا الاتجاه. إذ سرعان ما تبنى أندروين سياسة تسببت في خلق توتر بين البلدين. فقد دأب على محاولة توطيد نفوذ بلاده بأسلوب اتصف بالصلف والجمود واتخذ في ربيع سنة ١٩٣٢ موقفاً كاد يعصف بالعلاقات بين البلدين، وقيل أن ذلك كان بسبب تخويله كقنصل حق عتق الرقيق الذين يلجئون إلى السفارة. فقد لجأ عبد كان قد أهدى إلى ابن سعود إلى السفارة في جدة، وطلبت الحكومة السعودية إعادته لأنه من عبيد الملك، الذين يجب عدم قبولهم طبقاً للاتفاق الثنائي بين كلايتون وابن سعود، فما كان من أندروين إلا أن رفض ونقل العبد إلى إحدى البوارج البريطانية . وأثر ابن سعود الهدوء وأمر بعدم استعمال القوة في منع ركوب العبد، وتفاذى بذلك أزمة خطيرة . ثم بعثت الخارجية السعودية بمذكرة احتجاج حادة إلى الحكومة البريطانية، لم يكن لها تأثير ثم أقدمت بريطانيا على تضمين شرط في معاهدة روما الموقعة مع إيطاليا ١٩٣٨، يمنع الأخيرة من ممارسة أى نشاط سياسى داخل أراضي ابن سعود. وبطبيعة الحال، لعبت معاهدة جدة دوراً هاماً في تضمين هذا الشرط .

وكانت معاهدة روما تدعو أيضاً إلى تحقيق التوازن بين يحيى وابن سعود، ونصت على منع تدخل الأخير في شئون عسير مقابل منع تدخل إيطاليا في شئون المملكة النجدية الحجازية . فأبدى ابن سعود رسمياً تحفظه إزاء معاهدة روما ، وعدم الاعتداد بأية شروط تحد من حرية بلاده في التصرف ، إذ رأى فيها محاولة استعمارية مكشوفة لتقسيم البلاد المطلة على سواحل البحر الأحمر، ووضع نجد والحجاز ضمن مناطق النفوذ البريطانى (٩٦). الواقع، أن بريطانيا لم تستبعد نشاطاً إيطاليا مكثفاً يدفع الإمام يحيى حاكم اليمن لعداء ابن سعود والاستيلاء على عسير التى كانت موضع تنافس محتدم وخاضعة وقتذاك لنفوذ سعودى قوى. وقد وجب عليها التزاماً بروح معاهدة جدة مساندة ابن سعود، إلا أنها لم تفعل، وأثرت التعامل مع الأزمة في إطار مصالحها الاستعمارية العليا ، وظلت تحرص على تطبيق معاهدة روما ، وتتكرت بذلك للمكاسب الإقليمية التى حققها ابن سعود في عسير، وأبدت اعتراضها على أية تسويات تبرم مع اليمن دون مشاور مسبق (٩٧).

شهدت فترة الأربعينات أيضاً مواقف إيجابية من جانب ابن سعود إزاء قضية فلسطين فقد ساعد في حركة النضال العربى في فلسطين رغم الحظر الوارد بها بشأن منع القيام بأعمال غير مشروعة في مناطق واقعة تحت سيادة الطرف الآخر (٩٨).

أثناء الحرب العالمية الثانية، مارست بريطانيا ضغوطا على ابن سعود حتى لا يسمح بظهور نشاط ألماني في بلاده ووقفت ضد تأسيس مفوضية ألمانية في جدة بزعم عدم وجود مصالح تستوجب وجودها . كما قدمت إليه مساعدة قدرت بنحو ٤٠٠ ألف جنيه استرليني دعما لجهوده في مساندة الحلفاء. ولعب ابن سعود بالفعل دورا بارزا في الحفاظ على الاستقرار في الجزيرة لصالح بريطانيا والحلفاء^(٩٩). لكن ربما كان هذا الدور نابعا من خوف على مستقبل البلاد أكثر من كونه حرصا على تنفيذ بنود معاهدة جدة أو الولاء لبريطانيا.

يذكر ، أن معاهدة جدة جددت رسميا مرتين لمدة سبع سنوات ، مع إدخال تغييرات ثانوية. الأولى سنة ١٩٣٦، في أعقاب اجتماع عقد بوزارة الخارجية السعودية بجدة في ٣ أكتوبر حضره يوسف ياسين وزير الخارجية وريد بولارد R. Bullard الوزير البريطاني المفوض، حيث اتفق على تجديد المعاهدة مع إدخال التعديلات الآتية: تنازل بريطانيا عن حق عتق الأرقاء الذين يلجئون إلى القنصل في جدة ، السماح للحكومة السعودية بشراء أسلحة بريطانية حسب الأنظمة الخاصة بتصدير السلاح المعمول بها في بريطانيا وقت التصدير. قيام الحكومة السعودية ببيع مخلفات الحجاج البريطانيين أو بعضها بناءً على طلب الحكومة البريطانية وتسليم قيمتها للمفوضية البريطانية بجدة . جعل اللغة العربية مساوية للغة الإنجليزية في النص والتفسير. احتفاظ الحكومة السعودية بموقفها بالنسبة للعقبة ومعان^(١٠٠). الثانية سنة ١٩٤٣، حيث أشير إلى تجديدها بشكل تلقائي ما لم يخطر أحد الطرفين الآخر برغبته في إنهاؤها خلال ستة أشهر قبل حلول موعد التجديد^(١٠١).

خاتمة

لاشك ، أن ابن سعود كان حاكما إقليميا واقعيا، سعى لتحقيق هدف أسمى هو إعادة ملك أجداده، وتوطيد دعائم قوية. تعامل مع الأحداث بقدر كبير من التريث والحكمة وفهم تماما أبعاد اللعبة السياسية في المنطقة، فسار على نهج معتدل في التعامل مع بريطانيا كقوة عظمى، لم يستهن بقدراتها وتأثيرها ، ولم يستسلم لأطماعها ولم يضع ثقة كاملة في سياستها تجاهه. أمن بدوره في خدمة قضايا الأمن القومي العربي بالقدر الذي يتفق وحماية وضعه الإقليمي. قدرت بريطانيا حكمته السياسية وتفهمه لكثير من مشكلات المنطقة . امتازت علاقته بالمسؤولين البريطانيين الذين قدر له الالتقاء بهم بقدر من الاحترام المتبادل ، فكان ذلك داعيا لنجاح اتصالاته معهم.

من المؤكد أن ابن سعود لم يرض عن معاهدة دارين ١٩١٥، التي جعلته تابعا لبريطانيا وخاضعا لحمايتها. فقد وقعها في ظروف طارئة نجمت عن الحرب، وظل يتحين الفرصة للتخلص منها. ولما نجح تدريجيا في توسيع رقعة ملكه ، بضم جبل شمر ١٩٢١، والحجاز ١٩٢٥ ، وفرض الحماية على عسير ١٩٢٦ تغير وضعه الإقليمي، وتطلع إلى تغيير علاقة التبعية التي فرضتها تلك المعاهدة. أما بريطانيا فإنها لم تستطع أن تتجاهل طبيعة ومغزى التغير الذي طرأ عليه، ورأت بدورها أن معاهدة دارين لا تكفي وغير مناسبة . وبدت أكثر قلقا على مصالحها في الحجاز ونجد لو استمر العمل بالمعاهدة السابقة، وخشيت من تحول ابن سعود إلى قوة أخرى خارجية تسانده أو من تغلغل النفوذ الأجنبي في بلاده لو تعنتت في مسألة تغيير المعاهدة.

من الثابت ، أن ضم الحجاز جاء سببا مباشرا في السعي إلى تغيير العلاقة القائمة بين الطرفين ، ووضع معاهدة جديدة . فالفكرة نبئت لأول مرة عند زيارة كلايتون الأولى إلى الحجاز أثناء حصار جدة في نوفمبر ١٩٢٥ . ثم سارعت الخارجية بوضع مسودة معاهدة لم تستند إلى دراسة متأنية تحت وطأة معاناة الحجاج البريطانيين أثناء موسم ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م) . لذا فقد طرأ عليها تغييرات قبل أن تقدم لابن سعود بعد استطلاع رأى أولئك الذين لهم صلات وثيقة به ويعرفون اتجاهاته ومواقفه . ثم جرت مفاوضات مكثفة على مرحلتين: الأولى: بين ابن سعود وجوردان فيما بين نوفمبر وديسمبر ١٩٢٦ . الثانية: بين ابن سعود وكلايتون خلال أبريل ومايو ١٩٢٧ . قامت المفاوضات على أساس مسودتين مختلفتين الأولى حملها جوردان والثانية كلايتون، ورفضت الأولى بالكامل، أما الثانية فقد كانت امتدادا

للأولى بعد إدخال تعديلات جوهرية تناسبت ورد فعل ابن سعود وما أبداه من مطالب، وجرى عليها هي الأخرى أثناء التفاوض تعديلات تكاد تكون جوهرية.

خلال مرحلة التفاوض أثبت ابن سعود أنه خصم عنيد ومفاوضا شديدا المراس، استطاع أن يفرض نسبيا كلمته خلال رحلة التفاوض منذ أن بدأها مع جوردان، لاسيما في الأمور التي بدا إصراره عليها قويا مثل: عدم الاعتراف بالانتداب البريطاني على العراق وفلسطين وشرقي الأردن، أو بتبعية العقبة ومعان لشرقي الأردن، وعدم التعهد بأية صورة بالامتناع عن مهاجمة إمارات الخليج. بجانب نجاحه في منع أية إشارة إلى وجود امتيازات أجنبية في بلاده، رغم أنه في هذا الوقت كان لبريطانيا مركزا إقليميا مرموقا وشرعيا في مجال الامتيازات في عدد من البلدان الإسلامية مثل: مصر وإيران.

أظهر ابن سعود حرصا شديدا إزاء التلاعب بالألفاظ التي تتبعها الدول الاستعمارية خاصة بريطانيا. ولعله استفاد من درس الحسين وتعهدات بريطانيا إليه إبان ثورة ١٩١٦، فلم يقبل أية عبارات تحمل تورية أو معنى ضمني يؤثر في مستقبل بلاده. كذلك فإنه أظهر حرصا على الأمن القومي العربي، فلم يقبل أية إشارة تفيد موافقته على نظام الانتداب أو أى وضع متميز لبريطانيا في المنطقة العربية.

خضعت ثلاث مواد فقط (الثانية، السادسة، السابعة) من بين الإحدى عشرة مادة لنقاش وتبادل في الرأي. بينما الأخرى لم يحدث بشأنها جدل، لأنها لم تكن موضع خلاف أو لأنها مواد شكلية سهل الاتفاق عليها. كذلك حوت المفاوضات موضوعات هامة لم يرد بشأنها نصوصا محددة في المعاهدة بينما وردت في ملاحقها، أبرزها: العقبة ومعان، شراء الأسلحة، تحرير الرقيق. ورغم الاتفاق على أن يكون تخويل القنصل حق تحرير الرقيق الذين يلجئون إليه اتفاقيا ثنائيا غير معلن إلا أن كلايتون ضمنه خطابه الذي مثل جوهر الملحق الخاص بتجارة الرقيق، لكن الخطاب ورد ابن سعود تجاهلا منع القنصل من عتق الرقيق الملكي حال توجههم إلى القنصلية، وهو الأمر الثابت في المفاوضات التي سبقت التوقيع. بذلك تكون هذه الجزئية هي الأمر الوحيد الذي لم يبرز رسميا في المعاهدة أو ملاحقها، ويعتبر بمثابة اتفاق سري.

في مجال التطبيق، ساهمت المعاهدة إلى حد بعيد في الاحتفاظ بعلاقات ثنائية وطيدة. وكانت المادة الثانية التي تحدثت سيادة السلم والصداقة بين الدولتين، والتعهد باستخدام الوسائل المتاحة لمنع الأعمال غير المشروعة أكثر المواد تطبيقا.

لقد ظلت العلاقات السعودية البريطانية تتسم في معظم مراحلها منذ توقيع معاهدة جدة بروح الصداقة والتعاون . وظل ابن سعود يعترف لبريطانيا بمركز ممتاز حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية. حيث أخذ النفوذ البريطاني يخبو تدريجيا ، ويقل تأثير المعاهدة، حتى توقف العمل بها مع بداية الستينات ، مع تفاقم النزاع حول واحة البوريمي بين المملكة العربية السعودية ودولتي الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان .

نتائج عامة :

أفرزت دراسة معاهدة جدة ١٩٢٧ نتائج عامة تنطبق على غيرها من المعاهدات . تأتي تلك النتائج بمثابة مسلمات أو قواعد ثابتة أو اعتبارات تؤثر في كل حالة مشابهة ، فهي قواعد عامة مجردة تصلح للتطبيق على الحالات المشابهة . يمكن ذكرها فيما يلي :

* يظهر الاتجاه إلى عقد معاهدة عندما يصبح لدى طرفين أو أكثر مصالح متبادلة كل منهم يسعى إلى تحقيقها أو الحفاظ عليها، أو أن تكون العلاقات في حاجة إلى تنظيم أو إعادة تنظيم بالقدر الذي يحافظ على هذه المصالح المتبادلة.

* يتحكم في المفاوضات التي تسبق بلوغ معاهدة ما اعتبارات هامة : مثل مدى ما يتمتع به الطرف المفاوض من أوراق ضغط تتمثل في اعتبارات استراتيجية أو أمنية أو اقتصادية أو غيرها، قدرته على المناورة والإقناع، الظروف الدولية والإقليمية المحيطة.

* يتوقف نجاح التفاوض على درجة الحرص في نجاحه ، وهي بدورها تتوقف على قوة الاعتبار التي تدفع إلى الاتفاق .

* تتأثر مرحلة التفاوض بالخطوط الفاصلة أو الحمراء . وهي خطوط تفصل بين ما يمكن التنازل بشأنه وما لا يمكن . أو بمعنى آخر تحدد مجال التنازلات المتاحة لكل طرف أن يعمل في إطاره . وتكون المفاوضات أكثر اقترابا من النجاح كلما اتسع مجال التنازلات .

* يصعب أن تأتي معاهدة تتمتع برضاء كافة الأطراف ، فهي بطبيعتها تحمل تنازلات من أطرافها ، تكون بدورها مثار انتقادات شديدة.

* يعتبر إرجاء البت في الأمور الحساسة إحدى وسائل الخروج من مأزق تحديد المواقف، وهو تدبير شائع يتخذ عند عقد المعاهدات، وكثيرا ما يحمل ضررا للطرف الأقل قوة.

* غالبا ما تلجأ الدول الأقوى إلى تفادى الاعتراف بحدود سياسية دقيقة، إذ يفرض عليها التزامات قوية يحد من قدرتها على المناورة . كما أن تجاهل وضع حدود سياسية دقيقة أو الاعتراف بها إن كانت قائمة يترتب عليها نتائج وخيمة بالنسبة للطرف الأقل قوة.

نتائج خاصة :

أفرزت المعاهدة نتائج خاصة مستمدة من موادها، وما أفضت إليه من تأثير على مستقبل الدولة السعودية؛ وعلى مصالح بريطانيا وسياساتها تجاهها . ومن النتائج الخاصة برزت مجموعة لها صلة بالطرفين وتخص المعاهدة ذاتها. بينما أمكن استنباط نتائج أخرى تخص كل طرف على حدة.

نتائج تتعلق بالمعاهدة ذاتها :

* كانت معاهدة جدة أساس ضبط العلاقات السعودية البريطانية بصفة عامة. وفي مرحلة ما قبل الحرب بين عامي ١٩٣٢-١٩٣٨ ، التي شهدت توترا بين البلدين، كانت بمثابة سياج حمى العلاقات من تصدع كان متوقعا ، خاصة مع التزام كل طرف بأسس الصداقة وحسن التفاهم. كما لعبت المعاهدة نفس الدور أثناء سنوات الحرب.

* لم تكن معاهدة جدة معاهدة تحالف صريحة، فهي لم تضمن مادة تشير إلى تحالف أو اتخاذ مواقف موحدة في أحوال الحرب أو توتر العلاقات . ولم يرد بها ما يشير إلى تأسيس قواعد عسكرية أجنبية ، أو ما يجعل الاتجاهات الخارجية لابن سعود مرتبطة بمواقف العداء أو الصداقة التي تكون عليها بريطانيا مع الدول الأخرى.

* المرونة التي اقتصرت بها المعاهدة وغموض بعض النصوص عاملان ساهما في منح قدر من حرية التصرف للطرفين دون أن يكون في ذلك خرقا لبثودها .

* لم تلعب المعاهدة أي دور في مشكلات الحدود، التي تفاقمت خطورتها مع تصاعد عمليات التنقيب عن النفط وظهوره بكميات كبيرة في الحدود الشرقية، لافتقار المعاهدة بشكل متعمد من الجانبين لمادة تتعلق باعتراف صريح بحدود الدولة السعودية.

* لا يرجع عدم توثيق العلاقات السعودية مع إيطاليا وألمانيا لاعتبارات تتعلق بالمعاهدة بقدر ما يرجع إلى تحفظ سببه القلق إزاء الطموحات الإمبريالية الفاشية ومعارضة قوية اجتماعية ودينية للشيوعية.

نتائج تخص الجانب السعودي:

- * إلغاء معاهدة دارين التي كانت تقر بالتبعية لبريطانيا .
- * الاعتراف بالاستقلال التام والكامل لمملكة نجد والحجاز.
- * إلغاء الامتيازات الأجنبية في أرجاء الدولة بشكل فعلى.
- * الاعتراف بالجنسية الحجازية النجدية، ومعاملة الحائزين لها في البلاد البريطانية بمثل المعاملة التي يعمل بها الرعايا البريطانيون في المملكة الحجازية النجدية، مع الأخذ بأحكام القانون الدولي العام.
- * إدارة الشؤون الخارجية في المملكة النجدية الحجازية بحرية كبيرة واتخاذ مواقف سياسية مناوئة للسياسة البريطانية بدرجة مناسبة.
- * لم تتضمن المعاهدة ما يشير إلى تفضيل بريطانيا اقتصاديا ، بذلك كانت الدولة السعودية حرة في اتباع ما تراه ملائما ، خاصة بالنسبة لامتيازات التنقيب عن البترول .
- * رفعت القيود عن عمليات شراء السلاح، بجانب أن الدعوة إلى شرائه من شركات بريطانية كانت مجرد رغبة غير ملزمة.
- * أتاحت المعاهدة فرصة طيبة لابن سعود كي يواصل جهوده في دعم مركزه كحاكم لدولة جديدة، وفي توطيد سلطته والحفاظ على هيئته، وتدعيم مؤسسات الدولة الناشئة بصورة أفضل مما سبق ، وسار في طريق الاعتماد على أفراد أسرته حتى يسد النقص في مجال القيادة ، فجاء ذلك مدعما لظهور أسرة عربية حاكمة.
- * لم تمنع المعاهدة ابن سعود من اتخاذ ما يناسبه من مواقف بحسب رؤيته الذاتية. ليس فقط في إطار الدفاع عن مصالح سعودية محضة إنما أيضا في المحيط العربى .

نتائج تخص الجانب البريطانى :

- * لم ترق مكاسب بريطانيا إلى المستوى الذى كانت تتمناه من وراء المعاهدة. سواء بأن تكون من نوع الاتفاقيات التنازلية (اتفاقية الحماية) ، أم بأن تساهم في الاحتفاظ بالوضع المهيمن في الشرق الأوسط، خاصة إذا ما أدت الظروف في المستقبل إلى تقييد وجودها المادى والمعنوى في المنطقة.

* تعاملت بريطانيا مع المعاهدة بما يتفق ومصالحها الخاصة ، سواء فيما يتصل بالسياسة السعودية ذاتها أو في مواجهة الأخطار الخارجية . فتارة أيدت ابن سعود وتارة أخرى وقفت ضد طموحاته .

* ساهمت المعاهدة بشكل نسبي في احتفاظ بريطانيا بمركز تجاري متفوق في الحجاز، من خلال شركات التجارة والتأمين والشحن والصرافة وما شابه ذلك، والتي كانت أكثر عددا من نظيرتها التي تتبع أية دولة أخرى.

* لم تحقق المعاهدة الضمان الأمثل لبريطانيا بالنسبة لأمن الخليج. فقد طالب ابن سعود بتعديل الحدود، وسار في إطار علاقات طبيعية مع حكام المنطقة، لم تستطع بريطانيا أن تسيطر عليها .

الهوامش

١- ولد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي آل سعود بمدينة الرياض عام ١٨٧٦ في خضم صراع حاد على السلطة بين أفراد أسرته. وتوفر له منذ استيلائه على الرياض كيان سياسي أشبه ما يكون بالمشيخة ، وهي وإن - كانت أقل إلى حد كبير سياسيا وإداريا عن الدولة ، وتفتقر إلى ولاء يقوم على أسس قومية أو وطنية - إلا أنه كان يتمتع برصيد تاريخي ضخم وزعامة روحية في المنطقة قوت مركزه كثيرا . راجع جوزيف كوستنر: العربية السعودية (من القبلية إلى الملكية) ١٩١٦-١٩٣٦ ، ترجمة : شاكر إبراهيم سعيد، مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٩٩٦ ، ص ٨ . حول تاريخ الأسرة السعودية منذ أن استقرت بالكويت إلى تحرير الرياض ١٩٠٢ ، وشخصية وحياة عبد العزيز . راجع : رأفت غنيمي الشيش : تاريخ العرب المعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ١٩٩٥ ، الطبعة الأولى، ص ١٦٥ ، ١٦٩ : صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ١٨٩ ، ١٩٠ . أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة ، مطابع المؤسسة العربية ، جدة، ص ١٣٣-١٣٤ .

٢- Toller , G.: The Birth of Saudi Arabia , R. Hale, London, 1976 , pp. 17-19 .

راجع : J.B. Kelly : Britain and the Persian Gulf 1795- 1880 , London 1968 , p. 113 .

٣- ظلت العلاقات العثمانية - البريطانية حتى صيف ١٩١٤ ودية نوعا ، وقد عقدت بريطانيا في العام السابق معاهدة صداقة مع الدولة العثمانية، وامتنعت عن التدخل في شئونها في حائل والإحساء وما جاورهما . جمال زكريا قاسم: الخليج العربي [دراسة لتاريخ الإمارات العربية (١٩١٤-١٩٤٥)] دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٢١٥ .

٤- حول موقف بريطانيا خلال الحملة على العراق وثور ابن سعود في العرب انظر: نازك زكي إبراهيم: التكوين السياسي والاجتماعي للمملكة العربية السعودية (١٩٠٢-١٩٣٢) ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ٩٧، وما بعدها . وانظر:

Philby, H.St. J.B: Saudi Arabia , R. Hale , New York, 1955 , p. 234-235.

٥- التقى شكسبير بابن سعود في معسكره بمنطقة زلفي التي تبعد عن الرياض ١٥٠ ميلا . ويطلق على هذا الاجتماع «اجتماع العقير الثاني» تمييزا له عن الاجتماع الاول الذي عقد نهاية ١٩١٣ . ويذكر أن شكسبير لعب دورا هاما في مساندة ابن سعود، وقد قابله عدة مرات بعد اجتماع العقير الاول، وتوطدت علاقته به .

انظر: Graves P. H., Life of Sir Percy Cox , F.A. Praeger , London 1941 , p. 104 , 105 .

J. Barker , The Neglected War [Mesopotamia 1914-1918] Hale , London 1967 , p. 221 .

انظر تقرير تفصيلي عن رحلة شكسبير إلى منطقة زلفي في:

I.R.O. [India Record Office], L / P& S / 10 / 387 , Shakespeare to Cox, 4 Jan. 1915 , p. 9/5 / 15 .

٦- I.R.O. L / P&S / 10 / 387 , From Hardinge to India Office , 22 Jan . 1915 , p. 350 / 15 .

٧- حول سير المفاوضات بين ابن سعود وكوكس بشأن المعاهدة، ورد فعل كل طرف ، والعوامل الإقليمية والنوايا التي أثرت على موقف كل منهما . انظر:

F.O. [Foreign Office] 371 / 882 / 9, IS / 18 / 113 , Memorandum on British commitments to Ibn- Saud February 1915 , pp. 2- 4 &

I.R.O.L P&S / 10 / 387 , from Cox to Government of India , 3 Jan. 1919, p. 668 / 16 .

الوثيقة الثانية تحوى رواية كاملة لما وقع أثناء المفاوضات مع ابن سعود حول التوقيع النهائي في دارين .

٨- انظر نص المعاهدة في: حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ، القاهرة ١٩٦٧ ، الطبعة الخامسة ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ووردت أيضا ضمن مجموعة وثائق هامة أخرى في :

J.C. Hurewitz: The Middle East and North Africa in world Politics, A documentary Record II, New Haven , Yale University Press, England 1975 , 2 d . ed . p. 57 .

٩- منذ ظهور الإمارة السعودية والحسين يشعر بقلق حقيقى خشية حدوث توسع سعودى فى بلاده . ثم ازداد التنافس بوضوح مع دخول ابن سعود فى دائرة النفوذ البريطانى، وساهم تبدل ولاء القبائل خاصة فى مناطق الحدود فى زيادة حدة الخلاف . ثم لم تلبث العلاقات أن ازدادت توترا أثناء الحرب، لما أبداه الملك حسين من رغبة فى السيطرة على أمراء الجزيرة العربية لاسيما بعد نجاح الثورة العربية. نازك زكى إبراهيم ، المرجع السابق، ص ١١٩ وما بعدها .

١٠- كان فلبى يشغل منصب سكرتير كوكس فى بغداد، واستطاع أن يلعب الدور الذى لعبه شكسبير من قبل، ونظرا لطول مدة علاقته بابن سعود استطاع أن يحتل مكانة مرموقة لديه ويكون موضع ثقته. راجع: خيرى حماد: أعمدة الاستعمار البريطانى فى الوطن العربى [الحلقة الأولى (عبد الله فلبى)]، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٦٥ ، الطبعة الثانية ، ص ١٣٧ وما بعدها.

١١- استمرت المعونة حتى مارس ١٩٢٤ . وكانت هامة لابن سعود نظرا لأن دخله السنوى أثناء تلك الفترة لم يتجاوز مائة ألف جنيه استرلينى . وقد خصصت فى الأصل لمدة ٦ أشهر ، واستمرارها كان مخالفة مالية واضحة . وجميع الإدارات البريطانية كانت تعلم ذلك، لكنها سكنت تقديرا لمصالح

بريطانية ملحة استدعت استمرار الدفع. حول تاريخ المعونة البريطانية لابن سعود وتطورها وأهم المبالغ الإضافية التي حصل عليها. راجع جوزيف كوستنر، المرجع السابق، ص ٨٧ وما بعدها .

١٢- F.O., 371 / 6442 , Tel . No 96. from Sir George Keystone to Allenby, 32 July 1919 .

١٣- انظر تفاصيل الهجوم على حائل وموقف بريطانيا . جوزيف كوستنر ، المرجع السابق ، ص ٨٢ وما بعدها

Philby H. St. J.B. op. cit., pp. 278-283 .

١٤- بشأن اتفاقية الحمرة وملابساتها. انظر:

موضي بنت منصور بن عبد العزيز : الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت (١٢٤٢هـ / ١٩٢٣-١٩٢٤م) دار الساقى ، بيروت، لبنان ١٩٩٢ ، الطبعة الاولى، ص ١٠٩ وما بعدها .

١٥- بشأن ظروف دعوة ابن سعود والشريف حسين للمؤتمر وموقف كلا منهما، وشروط ابن سعود لحضور المؤتمر : الكتاب الأخضر (مؤتمر الكويت) ، سلطنة نجد، الرياض، بدون تاريخ ، ص ٤ وما بعدها كذلك راجع : موضي بنت منصور بن عبد العزيز، المرجع السابق، ص ١١٢ وما بعدها .

١٦- نفس المصدر ، ص ١٢٤ وما بعدها .

١٧- راجع : حافظ وهبه : خمسون عاما في جزيرة العرب، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦٠، الطبعة الاولى ، ص ٥٦ وما بعدها .

Philby, H. St. J.B . Arabian Jubilee, Hale, London 1952 , p. 62 .

١٨- يطلق لفظ «الإخوان» على أتباع المذهب الوهابي الذي انتشر في نجد. ونظام الإخوان يقوم على الاستقرار في «الهجر» (قرية يتجمع داخلها الوهابيون) يمارسون فيها الزراعة والعمل العسكري بعد أن يتخلوا عن أسلوب حياتهم البدوي التقليدي . وأقيم أول «هجر» في الأوطاوية بنجد عام ١٩١٢ . ويقدر ما استفاد ابن سعود من الإخوان في دعم سلطته وتكوين دولته تعرض لمشكلات من جانبهم أثناء جهوده لإقامة دولة عصرية . راجع " جوزيف كوستنر ، المرجع السابق ، ص ٥٧ ، ١٠٢ .

١٩- Philby , H.St. J.B: Saudi Arabia , op. cit. p. 245 .

٢٠- L/ P&S / 10 / 1144 , From Sir Gilbert Clayton [Head of the British Diplomatic Mission to Ibn Saud in autumn of 1925] to Leopold Emery [Secretary of State for The Colonies] , 25 Nov. 1925 , p. 747 / 25 .

٢١- L/ P&S / 10 / 1144 , From Sir Gilbert Clayton to Leopold Emery , op. cit.,p. 749/ 25 .

٣.٧

حول موضوع زيارة جلبرت كلايتون للحجاز . راجع : بنو اميشان : عبد العزيز آل سعود (سيرة بطل ومولد مملكة) ، ترجمة : عبد الفتاح يس، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٥ ، ص١٨٤-١٨٩ .

Philby, H.St. J.B : Saudi Arabia , op. cit. p. 245 .

٢٢- وزارة الخارجية السعودية : مجموعة المعاهدات [١٣٤١-١٣٥٠هـ / ١٩٢٢-١٩٣١م] [مطبعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٩٣١ ، الطبعة الاولى، ص١٣ .

٢٣- نفس المصدر، ص١٨ .

٢٤- أمين الريحاني : تاريخ نجد وملحقاته ، دار الكاتب العربي، بيروت ١٩٥٤ ، ص٤٥٥ .

٢٥- وقعت هذه الاتفاقية في ١٩ مارس ١٩٢٦ . وزارة الخارجية السعودية ، مجموعة المعاهدات ، المصدر السابق، ص١٩ ، ٢٠ .

٢٦- نفس المصدر، ص٢٣ ، ٢٤ . وكان الإمام يحيى إمام اليمن قد انتهز الحرب الدائرة بين نجد والحجاز وسعى إلى ضم عسير ونجح في انتزاع ميناء الحديدة، وتسبب ذلك في قلق بريطانيا التي اعتبرت الوجود اليمنى في عسير تهديدا خطيرا لمصالحها ، خاصة وأنها تأكدت أن الاستيلاء على الحديدة تم بمساهمات إيطالية هامة ، انظر : مصام ضياء الدين سيد: عسير (في العلاقات السياسية السعودية- اليمنية ١٩١٩: ١٩٢٤)، دار الزهراء للنشر، القاهرة ١٩٨٩ ، الطبعة الاولى، ص١٧١-١٧٢ .

٢٧- أم القرى ، العدد ١١١ ، ٢٤ رجب ١٣٤٥ (٢٨ يناير ١٩٢٧) .

٢٨- راجع : صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٢ ، الطبعة الثانية، الجزء الثاني، ص٢٨٤ .

٢٩- الواضح ، أن مشكلة الإخوان الرئيسة تمثلت في معارضة أسلوب ابن سعود في تحديث الدولة سواء من حيث العلاقات الخارجية مع الدول الأوروبية أو من حيث استخدام التكنولوجيا الحديثة أو فرض هيئة الدولة على مواطنيها . راجع : جوزيف كوستنر، المرجع السابق، ص١٢٢-١٢٨ .

٣٠- بشأن مدى التغير الذي طرأ على وضع ابن سعود على الصعيد الدولي بضم الحجاز ، وشعوره بقوة مركزه وأهميته في نظر المسلمين . راجع : جلال يحيى : العالم العربي الحديث (الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين) ، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠ ، الطبعة الاولى ، ص٦٣ .

٣١- L/ P&S / 10 / 1165 , from Sir Gilbert Clayton to sir John Shuckburgn [The Under Secretary of State Assistant for the Colonies] , 21 April, 1926 , p. 1436 / 26 .

٣٢- ظهر اهتمام غير مسبوق قبيل الحرب العالمية الاولى بإمكانية استخراج النفط من نجد بكميات كبيرة، بدرجة تجعلها منافسا خطيرا لحقول النفط الفارسية العراقية . وتحديث دوائر اقتصادية

، بريطانيا في صيف ١٩١٤ عن منح شركة النفط الإنجليزية الفارسية امتياز التنقيب عن البترول .
انظر:

F.O. 371 / 11065 No. 251 From Sir Jeffry Stanley [Representative of the Anglo - Persian Oil Company] to Foreign Office , 12 March 1914 .

٣٢- كانت الحكومة البريطانية في شهر أبريل ١٩٢٦ قد وجهت إنذارا شديد اللهجة عن طريق الحكومة الإيطالية إلى الإمام يحيى لوقف تدابير عسكرية استهدفت إنهاء الحماية السعودية على عسير .
انظر:

F.O. 371 / 12236 , E 1712 / 180 / 270 , From Sir R. Graham [The British Ambassador in Rome] to Sir Austin Chamberlain [Secretary of State for Foreign Affairs] , 6 April 1926 .

٣٤- F.O 371 / 11437 , E 180 / 180 / 91 , From Lord Irwin (Viceroy of India) to Lord Birkenhead [Secretary of State for India], 5 Jan . 1926 . [انظر الملحق رقم ١]

٣٥- Stephen Page : The USSR and Arabia [The development of Soviet policies : راجع : and attitudes towards the countries of the Arabian Peninsula 1955- 1970] Yale press, London 1971 , pp. 16-18 .

٣٦- جوزيف كوستنر ، المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

٣٧- F.O. 371 / 11437 , p. 111 / 180 / 91 , from Lord Irwin to Lord Birkenhead , 5 Jan , op.cit. 1926

٣٨- انظر الملحق رقم ٢ ، F.O . 371 / 11438 , E 3850 / 180 / 91 , from Irwin to Birkenhead, Aug. 1926. 27

Ibid . -٣٩

٤٠- F.O. 371 / 11438 , E 5347 / 180 / 91 , Memorandum by Victor Mallet [Secretary of Eastern Department of Foreign Office] , 13 Oct. 1926 . [انظر الملحق رقم ٣]

٤١- Toynbe . A.J.: Survey of international affairs [Documents on international affairs] Oxford [U.P.] Publication of R.I.I.A., London 1929 , p. 285 . 1928 - 1925

٤٢- L / P&S 10/ 1155 , Memorandum by Colonial Office (British Interests on Arabia] -٤٢ , 26 Nov. 1926 , p. 2723 / 26 .

٤٣- L/ P&S / 10 / 1166 , Interdepartmental Conference holding on 17 Jan . 1927 , p. 476- / 27 .

Ibid , p. 478 / 27 . -٤٤

٤٥- يذكر أن الدستور العثماني الصادر في عام ١٩٠٨ منع الاتجار في الرقيق في جميع أنحاء الدولة العثمانية، لكن ذلك لم يكن له تأثير في البلدان العربية بما فيها نجد والحجاز . وكانت الأخيرة سوقا رائجا للرقيق وقت بدء مفاوضات جوردان مع ابن سعود . وقد تضمنت جميع معاهدات الحماية الموقعة مع أمراء الخليج نصوها تهدف إلى مقاومة تجارة الرقيق. ومارست البحرية البريطانية هيمنة تامة على سواحل الخليج، وساهمت كثيرا في إضعاف هذه التجارة. حول هذا الموضوع، راجع : Bullard S.R., Britain and The Middle East , Hale Press, London , 1952 , p. 28 .

وحول موقف بريطانيا من مقاومة تجارة الرقيق في نجد والحجاز رسالة شكبيرجن انظر:
L/ S&P / 10 / 1166 , From Shuckburgn, to Wakely [The Under Secretary of State for Foreign Affairs] , 11 , Dec. 1926 , p. 4363 / 26 .

٤٦- F.O. 371/ 11438 , E 5347 / 180 / 91 , Memorandum by Victor Mallet , 13 Oct. 1926 , op.cit.

٤٧- L/ P&S / 10 / 1165 , From Lancelot Oliphant [Head of the Eastern Department of Foreign Office to Jordan, 3 Nov. 1926, p. 4003 / 26 .

٤٨- كان يعاون جوردان في مفاوضاته جورج أنطونيوس ، وهو عربي مسيحي شغل منصبا في حكومة فلسطين بعد إقرار الانتداب . وشارك فيها من الجانب السعودي عبدالله الدملوجي مدير الشؤون الخارجية والشيخ يوسف ياسين مدير المطبوعات. انظر : أم القرى العدد (١٠٦) ، ١٩ ربيع الثاني ١٣٤٥ (٢٤ ديسمبر ١٩٢٦) .

٤٩- عملت بريطانيا على ضم العقبة ومعان إلى شرقي الأردن حتى تبعد أي تهديد سعودي آخر. لكن ظل ابن سعود ينتظر إلى العقبة ومعان على أنها أرضا حجازية تتبع دولته، ورفض بإصرار كل الضغوط التي مورست عليه لانتزاع اعتراف منه بتبعيتهما لشرقي الأردن انظر:

بنو اميشان ، المرجع السابق، ص ١٨٠ ، ١٨١ أمين الريحاني، المرجع السابق ، ص ٢٤١ ؛ صلاح الدين المختار ، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

٥٠- وضع وصف شامل لفحوى المحادثات التي دارت بين ابن سعود وجوردان في رسالة تفصيلية إلى السير أوستن تشمبرلين وزير الخارجية انظر:

L/ P&S / 10 / 1166 , from Jordan to Austin Chamberlain, 26 Dec . 1926 , p. 494 / 26 .

Ibid ., p. 494 / 26 .

-٥١

Ibid., p. 495 / 26 .

-٥٢

٥٣- احتلت أموال وقف الحرمين أهمية في مصادر الدخل السعودي. وهي مخصصات ثابتة ، وضعت في أوقات مختلفة من جانب بعض الدول الإسلامية مثل مصر وإيران. ولما استولى ابن سعود على الحجاز رفضت تلك الدول إحالة أموال الوقف إليه. وقد بلغت في مصر وحدها أواخر حكم الأشراف ما يقرب من ٦٠ ألف جنيه استرليني سنويا ، بينما قدر الإجمالي بمبلغ يزيد عن مليون جنيه استرليني. انظر:

خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٧، الطبعة الثانية، الجزء الثالث، ص ٢٣١ .

٥٤- L/ {&S / 0 / 1166 , From Jordan to Austin Chamberlain, 26 Dec. 1926 , op. cit., p. 496 / 26 .

٥٥- L/ P&S / 10 / 1166, Interdepartmental Conference, 13 Jan . 1927 , p. 476 / 27 .

٥٦- عقدت اجتماعات متتالية في إطار الحكومة البريطانية لبحث موضوع العلاقات مع ابن سعود ، وصعوبات توقيع معاهدة جديدة معه . ويبدو أن الأمر شغل حيزا كبيرا من النشاط السياسي مع أوائل ١٩٢٧ للرجة أن عدد الاجتماعات بلغت ثلاثة في غضون أسابيع (١٢ ، ١٩ يناير، ٤ فبراير):

L/ P&S / 10 / 1166, Interdepartmenta Conference , op. cit, 13 Jan, 19 Jan . 1927 , 4 Feb . 1927 , p.p. 476 to 491 / 27 .

٥٧- [انظر الملحق رقم ٤] F.O. 371 / 12244 , E 13554 / 180 / 91 , from Birkenhead to Jor- dan , 20 Feb. 1927 .

٥٨- L/ {&S / 1166 , Tel. From Lord Plumer [The high commissioner in Palestine] to Shuckburgn 20 Jan . 1927 , p. 831 / 27 .

٥٩- L/ S&P / 10 / 1165 [Transjordan's claim to Akaba and Maan] Memorandum by Victor Mallet, 26 Oct. 1926 , p. 4104 / 26 .

٦٠- جاء ذكر التعديلات التي تضمنها المشروع الجديد في الاجتماع الذي عقد في ٤ فبراير ١٩٢٧ انظر: L/ P&S / 10 / 1166 , Interdepartmental Conference, Op. cit, 4 Feb. 1927 , pp. 487 to 491 / 27 .

٦١- F.O. 371 / 11438 , E 13566 / 180 / 91 , Memorandum by Lancelot Oliphant , 12

Mar. 1927 .

٦٢- انظر الملحق رقم ٥ ، F.O. 371 / 12244, p. 1318 / 165 / 92 , From Irwin to Birkenhead,

22 Mar. 1927 .

٦٣- حدث في أثناء توقف المفاوضات تقارب سعودي فرنسي. ففي لقاء وصف بأنه ودي للغاية التقى الأمير فيصل بن عبد العزيز بالقتصل الفرنسي في جدة، وبحثت العلاقات الثنائية، ومنح الأمير نيشان شرف فرنسي من رتبة «قومنور». انظر: أم القرى، العدد (١١٨)، ١٥ رمضان ١٣٤٥ (١٨ مارس ١٩٢٧) .

٦٤- تعرض ابن سعود لضغوط وقلق شديدة من جانب الإخوان بسبب استمرار سياسة التحديث وتأكيد هيمنة الدولة، وموقفه الودي تجاه بريطانيا وغيرها من القوى الأوروبية. وقد وصفوا مفاوضاته مع جوردان بأنها «مفاوضات مع الكفرة» واتهموه بأنه باع نفسه للإنجليز. ورغم حساسية العلاقة بين ابن سعود والإخوان فإنه نجح خلال فترة توقف المفاوضات في وقف تجاوزاتهم ، والتعامل معهم بقدر من الحكمة والتهديد في آن واحد. راجع : جوزيف كوستتر، المرجع السابق، ص ١٧٤ وما بعدها .

٦٥- L/ P&S / 10 / 1166 , From Chamberlain to Clayton , 14 Apr. 1927 , p. 2156 / 27 .

٦٦- أنكرت إدارة الشؤون الخارجية هذه الأخبار ووصفتها بالكاذبة . مقال بعنوان «مفتريات باطلة». أم القرى (العدد ١١٧)، ١٥ رمضان ١٣٤٥ (١٨ مارس ١٩٢٧) .

٦٧- وصفت مفاوضات كلايتون مع ابن سعود التي تمت في شهر مايو ١٩٢٧ في جدة بدقة شديدة في رسالة بعث بها كلايتون إلى تشمبرلين وزير الخارجية في ٦ يونيو ١٩٢٧ . انظر:

L/ P&S / 10 / 1166, From Gilbert Clayton to Austin Chamberlain , 3 June 1927 , pp. 3269- 3275-27 .

٦٨- L/ P&S / 10 / 1166, From Irwin to Birkenghead, 18 July 1927 , p. 3608 / 27 .

٦٩- الملحق رقم ٦ - F.O. 371 / 12245 , E 13334 / 180 / 92 , Letter from Wakley to Lord Irwin, 22 July 1927 .

Ibid . , p. 3272 / 27 . -٧-

L/ P&S / 10 / 1166, From Gilbert Clayton to Austin Chamberlain , 3 June, 1927 , -٧١
op. cit., p. 3271 / 27 .

Ibid., p. 3272 / 27 . -٧٢-

Ibid., p. 3273 / 27 . -٧٣-

L/ P&S / 10 / 1166 , From Gilbert Clayton to Austin Chamberlain , 3 June 1927 , -٧٤-

op. cit. p. 3275 / 27 .

F.O. 371 / 12245 , E 3334 / 119 / 91 From Gilbert Clayton to Wakely , 22 June 1927 .

جدير بالذكر أن موضوع العقبة ومعان قد تم حله في سنة ١٩٦٥ ، عندما اعترفت المملكة العربية السعودية بالمدينتين كمقاطعتين أردنيتين ، في إطار اتفاقية ترسيم الحدود بين البلدين . انظر: Kirk , J. : The Saudi - Jordanian Treaty of 1965 , Middle East Journal , Middle East Institute, U.S.A. vol . XX, 3, Summer 1968 , pp. 346-348 .

٧٦- كان موضوع السماح لابن سعود بشراء الأسلحة قد اتفق عليه داخل الإدارة البريطانية أثناء الاجتماع الذي عقد ١٧ يناير ١٩٢٧ ، انظر:

L/ P&S / 10 / 1166 , Interdepartmental Conference holding on 17 Jan . 1927 , op.cit , p. 476 / 27 .

F.O. 371 / 12244, E 1467 / 119 / 91 , From Irwin to Birkenhead, 22 Mar. 1927 . -٧٧

L / P&S / 10 / 1166 , From Sir Henry Dobbs [High Commissioner for Iraq] to Leopold Emery , 7 Mar . 1927 , p. 1175 / 27 . -٧٨

L/ P&S / 10 / 1166 "Note on Ibn - Saudi's Proposals Regarding the Hejaz Railways", Report putting by Colonial Office, 26 Jan, 1927 , p. 831 / 27 . -٧٩

٨٠- أم القرى ، العدد (١٢٩) ، ٢٦ ذى القعدة ١٣٤٥ (٢٧ مايو ١٩٢٧) .

٨١- انظر: أم القرى، العدد (١٤٥)، ٢٤ ربيع أول ١٣٤٦ (٢٣ سبتمبر ١٩٢٧)، ص ٢٠٢ .

٨٢- وردت المعاهدة بالكامل باللغة العربية في : وزارة الخارجية السعودية، مجموعة المعاهدات ، المصدر السابق ، ص ٣٣، ٣٤ . ووردت بجريدة أم القرى الناطق الرسمي باسم الحكومة السعودية العدد السابق (٢٣ سبتمبر ١٩٢٧) . كما وردت باللغة الإنجليزية (النص المعتمد من الجانبين) في:

Public Record Office , Treaty Series [1927] , No. 25, Cmd. 2951.

J.C. Hurewitz, op. cit, under number 88, pp. 383 . كما نشر النص الإنجليزي في:

وانظر نص المعاهدة باللغتين العربية والإنجليزية (الملحق رقم ٨٧) .

٨٣- راجع صلاح الدين المختار، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص ٤٥١ .

J.B. Kelly , Eastern Arabia Frontiers, London 1964 , 123-133 . -٨٤

D.C. Watt, The Foreign Policy of Ibn - Saud 1936 - 1939 , Article, Journal of the

Royal Center Asian Society , vol II April 1963, pp. 158-159 .

٨٥- يذكر أن الفترة التي أعقبت توقيع المعاهدة شهدت تزايداً ملحوظاً في محاولات التبشير داخل الحجاز، وتعددت حالات التسلل من ناحية الحدود الأردنية الفلسطينية. وقد ورد ذكر بعض حالات التسلل من جانب أشخاص أمريكيين، مع رد فعل السلطات البريطانية، في رسالة احتجاج أخرى أرسلها مدير إدارة الشؤون الخارجية لملكة الحجاز ونجد إلى الوزير الأمريكي المفوض في مصر في ١٨ ديسمبر ١٩٢٧ . انظر:

Department of State, U.S.A., Tel . No 224 / 1 KH., From the Director of Foreign Affairs of the Kingdom of Higas and Najd to the American Minister in Egypt, Dec. 18, 1927 .

Stephen Page , op. cit . p. 21 . -٨٦

٨٧- تمت الصفقة على مرحلتين الأولى في يناير ١٩٢٨ وبلغت نحو ٣٠٠٠ بندقية متطورة وذخيرة ضخمة، والثانية كانت في صيف ١٩٢٩ وتجاوزت هذا المعدل بقليل . راجع : خير الدين الزركلي، المرجع السابق الجزء الثاني، ص ٢٩٨ & جوزيف كوستنر، المرجع السابق، ص ١٨٨ وما بعدها .

J.B.Kelly , Eastern Arabia Frontiers , op. cit. p 125 . -٨٨

٨٩- أم القرى ، العدد (٢٦٤) ، ٢ شعبان ١٣٤٨ (٣ يناير ١٩٣٠) .

٩٠- انظر : حافظ وهبة ، خمسون عاماً في جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٩٥-٩٩ .

Stephen Longrigg: Oil in the Middle East [Its Discovery and Development] , London 1961 Second ed. pp. 107-108 . -٩١

٩٢- كان ابن سعود قد سعى إبان الأزمة الاقتصادية التي انعكس أثرها على بلاده إلى مساعدة بريطانيا للتغلب على البترول، كما سعى إلى عقد قرض، لكنه فشل . فجرت اتصالات مع رجل أعمال أمريكي يدعى شارلز كراين Charles Crane أسفرت عن اتفاق للتغلب على البترول في المقاطعات الشرقية نهاية مايو ١٩٣٣، كما وافقت الشركة الأمريكية على منح ابن سعود قرضاً كان في أمس الحاجة إليها . انظر: سليم طه التكريتي : صراع البترول في الخليج العربي، دار الحرية، بغداد ١٩٨٩ ، ص ١٠٢، ١٠٣ .

٩٣- للإطلاع على مزيد من التفاصيل حول الخلاف الحدودي مع قطر شرقي نجد ١٩٣٤، ورد فعل السلطات البريطانية ، والأسانيد السعودية بشأن تعيين الحدود . انظر:

وزارة الخارجية السعودية : عرض حكومة السعودية [التحكيم لتسوية النزاع بين مسقط وأبوظبي وبين

المملكة العربية السعودية [الرياض ١٩٥٥ ، الجزء الثاني ، الملحق ١٥ ص ٣٨١ .

Bullard S.R., op.cit., p. 28 .

٩٤-

٩٥- حافظ وهبه ، خمسون عاما في جزير العرب ، مرجع سابق، ص ١٠٦ .

٩٦- أم القرى ، العدد ٧٥٠ ، ٨ ربيع أول ١٣٥٨ (٢٨ أبريل ١٩٣٩) .

٩٧- يذكر أن بريطانيا في غضون الفترة التي واكبت توقيع معاهدة جدة ، اعترفت بمعاهدة مكة ١٩٢٦ بين ابن سعود والإبريسى حاكم عسير ، التي وضعت المنطقة تحت الحماية السعودية ، وأيدت كافة الإجراءات التي اتخذها ابن سعود دعما لمركزه فيها . لكنها عادت فيما بعد وتكررت لمطالبه في عسير تحت ضغط التنافس الاستعماري الدولي. انظر : عصام ضياء الدين السيد : عسير ، المرجع السابق ص ١٩٥ وما بعدها .

٩٨- حول موضوع جهود ابن سعود في الدفاع عن حقوق العرب في فلسطين ووقف سياسة بناء الوطن القومي اليهودي بجناحيها الرئيسيين: الهجرة اليهودية ، تهويد الأرض . راجع :

جان جاك بيربي: جزيرة العرب، ترجمة : نجدة هاجر، أمين العز، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٦٠ ، ص ٦٢ &

John Marlowe, The Persian Gulf in the twentieth century , Yale Press, London , 1962 .
p. 10/8 D.C. Watt, op. cit., p. 159 .

٩٩- حول العلاقات السعودية البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية. راجع :

وليامز سيتون: بريطانيا والدول العربية ١٩٢٠-١٩٤٨ ، ترجمة : أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ١٩٥ & Bullard, op. cit, p. 82

Kirk , J., The Middle East in the war , R.Hale London 1952 , p. 352 and the next pages .

١٠٠- أم القرى، العدد (٦١٧) ، ٢٣ رجب ١٣٥٥ (٩ أكتوبر ١٩٣٦) (بلاغ رسمي رقم ١٢) .

١٠١- نفس المصدر، العدد (٩٨١) ، ٤ شوال ١٩٦٢ (٣ أكتوبر ١٩٤٣) .

مصادر البحث

أولا : وثائق غير منشورة بلغة أجنبية :

British Documents [Public Record Office].

Foreign Office [F.O] , 371 No .: *

(882 / 9, IS/ 18 / 113) , (11065 No. 251), (11437, E 180 / 180 / 91) (11437, p. 111 / 180 / 91) , (11438 , E 3850 / 180 / 91) , (11438, E 5347 / 180 / 91) , (11438 , E 13566 / 180/ 91), (12236 , E 1712 / 180 / 270) , (12244 , E 1467 / 119-91), (12244 , E 13554 / 180/ 91) , (12245 , E 3334 / 119 / 91) , (12245, E 13334 / 180 / 92) .

India Record Office [I.R.O] L/ P&S / 10 No . : *

(387), (1144), (1155) , (1165) , (1166) .

ثانيا : وثائق منشورة

* باللغة العربية :

١- سلطنة نجد :

- الكتاب الأخضر : مؤتمر الكويت، صدر بأمر سلطان نجد، الرياض، بدون تاريخ .
- جريدة أم القرى: الجريدة الرسمية الناطقة باسم حكومة سلطنة نجد والحجاز، أسبوعية.

تصدر كل جمعة الأعداد : ١١١ ، ١٠٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٩ ، ١٤٥ ، ٢٦٤ ، ٦١٧ ، ٧٥٠ ، ٩٨١ .

٢- وزارة الخارجية السعودية :

- مجموعة المعاهدات (١٣٤١-١٣٥٠هـ / ١٩٢٢-١٩٣١م مطبعة أم القرى، مكة المكرمة ١٩٣١، الطبعة الأولى .

- عرض حكومة السعودية : التحكيم لتسوية النزاع بين مسقط وأبو ظبي وبين المملكة العربية السعودية ، الرياض ١٩٥٥ ، ثلاثة أجزاء .

* بلغة أجنبية :

British Documents:

Documentary Record II, By , J.C. Hurewitz, The Middle East and North *

Africa in World Politics, New Haven, Yale University Press, England 1975 , Second Edition.

* Public Record office , treaty Series 1927 , No . 25 , Cnd . 2951 , Asian society , vol . II, April 1963 .

* Survey of International Affairs [documents n Internatinal affairs 1925-1928 , By Toynbee A.J., Oxford (U.P.) Publication of R. I.I.A., London 1929 .

American Documents [Department pf State]

* Foreign Relations of the United States, (1928) Three Volume, Washington, 1943 .

ثالثا : مراجع عربية

- * أحمد عبد الغفور عطار : صقر الجزيرة ، مطابع المؤسسة العربية ، جدة ١٩٦٤ .
- * أمين الريحاني: تاريخ نجد وملحقاته، دار الكاتب العربي، بيروت ١٩٥٤ .
- * جلال يحيى: العالم العربي الحديث (الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين)، ، الطبعة الأولى دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠ .
- * جمال زكريا قاسم : الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٩١٤-١٩٤٥ ، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٣ .
- * حافظ وهبه : جزيرة العرب فى القرن العشرين، الطبعة الخامسة القاهرة ١٩٦٧ .
- حافظ وهبه: خمسون عاما فى جزيرة العرب، مطبعة مصطفى الحلبي ، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٦٦ .
- * خير الدين الزركلى: شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، أربعة أجزاء بيروت ١٩٧٧ .
- * خيرى حماد : أعمدة الاستعمار البريطانى فى الوطن العربى [الحلقة الأولى (عبد الله قلبى)]، دار الفكر العربى ، الطبعة الثانية القاهرة ١٩٦٥ .
- * رأفت غنيمى الشيخ : تاريخ العرب المعاصر ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٩٥ .

- * سليم طه التكريتي: صراع البترول فى الخليج العربى، دار الحرية، بغداد ١٩٨٩ .
- * صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها ، دار مكتبة الحياة بيروت، الطبعة الثانية ، الجزء الثاني ١٩٧٢ .
- * صلاح العقاد: التيارات السياسية فى الخليج العربى، القاهرة ١٩٦٥ .
- * عصام ضياء الدين السيد : عسير (فى العلاقات السياسية السعودية اليمنية ١٩١٩-١٩٣٤) ، دار الزهراء للنشر، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٨٩ .
- *موضى بنت منصور بن عبد العزيز : الملك عبد العزيز، ومؤتمر الكويت ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣-١٩٢٤م دار المساقى، الطبعة الأولى بيروت لبنان ١٩٩٢ .
- * نازك زكى إبراهيم : التكوين السياسى والاجتماعى للملكة العربية السعودية ١٩٠٢-١٩٣٢ مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٦ .
- رابعا : مراجع أجنبية مترجمة:
- *بنو أميشان : عبد العزيز آل سعود (سيرة بطل ومولد مملكة) ، ترجمة عبد الفتاح يس، دار الكتاب العربى، بيروت ١٩٦٥ .
- * جام جاك بيربى : جزيرة العرب، ترجمة نجدة هاجر، أمين العز، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٦٠ .
- * جوزيف كوستنر : العربية السعودية من القبلية إلى الملكية ١٩١٦-١٩٣٦ ، ترجمة : شاكر إبراهيم سعيد، مكتبة مدبولى ، القاهرة ١٩٩٦ .
- * وليامز سيتون: بريطانيا والدول العربية ١٩٢٠-١٩٤٨ ، ترجمة : أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة ١٩٥٢ .

خامسا : مراجع أجنبية :

- * Bullard S.R ., Britain and the Middle East , Hale Press, London 1952 .
- * Graves P.H., Life of Sir Percy Cox, F. A. Praeger , London 1941 .
- * D.C. Watt, the Foreign Policy of Ibn - Saud 1936-1939, Article, Journal of the Royal Center .
- * J.Barker , the Neglected War [Mesopotamia 1914-1918] Hale , London 1967 .

J.B . Kelly , Britain and the Persian Gulf 1795-1880 , London , 1968 . *

J.B. Kelly , Eastern Arabia Frontiers , London 1964 , 123-133 . *

John Marlowe, The Persian Gulf in the twentieth century, Yale Press, London, 1962 .

Kirk, J., The Middle East in the war , R. Hale, London 1952 . *

Philby , H. St. J.B ., Arabian Jubilee, Hale London 1952 . *

Philbu , H. St. J.B , Saudi Arabia R. Hale New York , 1955 . *

*Stephen Longrigg, Oil in the Middle East [its Discovery and Development] London 1961 , Second Ed.

Stephen Page, the USSR and Arabia [the development of Soviet policies * and attitudes towards the countries of the Arabian Peninsula 1955-1970] Yale press, London 1971 .

Toeller, G., The Birth of Saudi Arabia, R. hale , London, 1976 . *

ساسا : دراسات بلغة أجنبية :

Kirk J. , The Saudi - Jordanian Treaty of 1965 , Middle East Journal , Middle East Institute , U.S.A. vol. XX, 33, Summer 1968 .

ملحق

الملحق رقم [١]

FJM/JRL/IA.

(111 groups)

52.

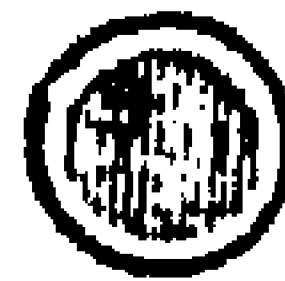
54

10

COPY OF TELEGRAM

(COPIES

CIRCULATED)

From Viceroy, Foreign and Political
Department, to Secretary of
State for India.Dated Viceroy's Camp,
Shillong, 6th January,
1926.Received 6th January, 1926,
7-35 p.m.

XX

E8012

21/C. Jeddah telegram, 171. Presumably

Bin Saud, in his public reference to his relations with Great Britain, spoke deliberately merely as the ruler of Nejd and not as the holder, permanently or temporarily, of the Hedjaz. His possession of the Hedjaz has clearly brought about a completely different situation from that which the 1916 Treaty was designed to cover. What was then appropriate is no longer appropriate when applied to Moslem Holy Land, and Bin Saud's consciousness of the danger to himself of admitting any Christian Power to any sort of exclusive or protectorate position in the Hedjaz, such as is accorded to Great Britain by Articles 2, 3 and 4 of his Treaty, is possibly at the back of his desire for a new Treaty; vide Clayton's letter dated 16th December to London Colonial Office. Point is no doubt clear to His Majesty's Government; question is of importance in India because, though it appears beyond question that the existing Treaty only applies to territories possessed by the Sultan Nejd at the time of signing that Treaty, Ibn Saud's public utterances above referred to, as reported, may give rise in India to the misconception that the terms of the Treaty may be taken to cover territories in the Holy Land now acquired by him. It is most desirable, as far as India is concerned, to avoid any such misconception by the Moslem public.

PUBLIC RECORDS OFFICE	Ref.
1	2
3	4
5	6
7	8
9	10
F.C. 371 / 11437	
COPYRIGHT PHOTOGRAPH—NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY ANY WITHOUT PERMISSION OF THE PUBLIC RECORDS OFFICE, LONDON	

الملحق رقم [٢]

HR/FHM/JHL/MS.

(148 Groups)

16

3556

157

COPY OF TELEGRAM

(COPIES
CIRCULATED)

From Viceroy, Foreign and Political
Department, to Secretary of State for
India.

Dated Simla, 27th August, 1926.

Received 27th August, 1926, 1.0 p.m.



II

14978. Your telegram No. 2245. We are in agreement with you that we should try to get some form of restrictive article included in the new treaty, guaranteeing the integrity of the Gulf Chiefs (including Muscat), with whom we have treaty relations, and, like you, feel that Bin Saud would be unlikely to reject such an article if it did not go beyond the scope of Article 6 of the 1915 Agreement, and that its omission now might encourage aggression. We recognize that it may be difficult and perhaps impossible to make Bin Saud agree to the inclusion in the new treaty of a clause guaranteeing freedom of religious observance for our Moslem pilgrims, and that, even if he does, it may be difficult and perhaps impossible for him to implement his undertaking, but in view of the indignation and distress in India over Wahabi intolerance during the Haj, we wish again to emphasise the importance we attach to the inclusion of such a clause. We are chiefly concerned with the effect on public opinion of the publication of new treaty with this intention without something to balance it. It would indeed be a serious matter for our Moslems if His Majesty's Government, in negotiating a treaty with experience of this year's Haj before them, were to make no attempt to secure freedom of religious observance. Without such freedom, they are beginning to think that they might as well not go on the Haj at all, and they will

1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
F.O. 371 / 11438									
COPYRIGHT PHOTOGRAPHICALLY REPRODUCED BY THE PUBLIC RECORD OFFICE, LONDON									

الملحق رقم [٤]

It is requested that in any further communication on this subject the under-mentioned letter and number may be quoted, and the reply addressed to—

The Under Secretary of State for India,
Political Department,
India Office,
London, S.W. 1.

P.

831.

INDIA OFFICE,

WHITEHALL,

LONDON, S.W. 1.

20th February 1927.

Sir,

I am directed by the Secretary of State for India to acknowledge the receipt of your letter No. 42000/27, dated the 17th February, with reference to the negotiations for a revision of the treaty with Ibn Saud, King of the Hedjaz and Sultan of Nejd.

I am to say in reply that, in view of the difficulties raised by Ibn Saud and of the doubt whether, even with the concessions now proposed to be made to him, it will be possible to conclude a treaty, the Earl of Birkenhead is inclined to the view that a friendly agreement to discontinue the negotiations for the present would be on the whole the best course.

But he does not press this view, and if the negotiations are to be continued, he would desire to reserve a final expression of opinion, especially as regards Articles 3 and 4 of the revised draft treaty, until he has received the views of the Government of India.

Subject to these reservations, Lord Birkenhead agrees generally with the conclusions of the inter-departmental Conference and with the views expressed in your letter under reply. In particular

The Under Secretary of State,

Whitehall, 20th Feb.

PUBLIC RECORDS OFFICE

Reference —

12244

COPIRIGHT PHOTOGRAPH NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION OF THE PUBLIC RECORDS OFFICE, LONDON

الملحق رقم [٥]

RJR/1A.

(165 groups)

1318.

P1394
248COPY OF TELEGRAMFrom Viceroy, Foreign and Political
Department, to Secretary of State
for India.

132

(COPIES
CIRCULATED)

Dated New Delhi, 22nd March, 1927.

Received 22nd March, 1927, 1.30 p.m.

IMPORTANT.650-8. Foreign and Political Department.Your telegram dated 28th February, 637. Treaty
negotiations with Ibn Saud.

We are commenting by telegram on the two
Articles, of which final text is before us, and on the general
questions of renewal of negotiations and Haramain-Waqia, without
waiting for fuller consideration of papers sent by mail of 17th,
on which we may have further observations to offer.

Article 3. We accept the present form in
default of more definite undertaking.

Article 6. We should have liked to secure an
effective protection as possible for our Nationals (see our
telegram dated 12th July, 1926, 1213-8,) but we realise the
difficulties attendant upon attempting to get capitulatory
rights recognised in Treaty, and after all, in practice, such
recognition might have little value. We are, therefore, prepared
to accept this Article.

As to Waqia, we consider that, if proposed under-
taking means anything at all, it would be dangerous, and, if
nothing, would only raise Ibn Saud's hopes to no purpose. We,
therefore, recommend that it should not be given.

We share your doubts of treaty being concluded,
even with concession(s) now proposed, and even from purely Indian
standpoint are inclined to suggest that His Majesty's Government
should resume negotiations. And let breakdown come, if come it
must, from the other side.

PUBLIC RECORD OFFICE	
1	2
3	4
5	6
7	8
9	10
F O 371	
12244	
NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION OF THE PUBLIC RECORD OFFICE, LONDON	

الملحق رقم [٦]

It is requested that in any further communication on this subject the under-mentioned titles and numbers may be quoted, and the reply addressed to—
 The Under Secretary of State for India,
 Political Department,
 India Office,
 London, S.W. 1.
 P. 3608.

29 JUL 1927 INDIA OFFICE.

WHITEHALL.

LONDON, S.W. 1.

22nd July, 1927.

Sir,

With reference to your letter of the 5th July, No. T.8102/2724/381, relative to the Ibn Saud Treaty, I am directed by the Secretary of State for India to forward, for the information of the Secretary of State for Foreign Affairs a copy of a telegram from the Government of India. The Secretary of State agrees with the Government of India that, so far as India is concerned, the Treaty may be ratified by His Majesty the King.

The Earl of Birkenhead shares the Government of India's disappointment that it was not found possible to secure the insertion, in lieu of Article VI of the signed Treaty, of the original or at least of the first alternative draft of the Article. From page 6 of Sir Gilbert Clayton's record of the conversations it would appear that he made the position of His Majesty's Government in relation to the Persian Gulf chiefs sufficiently clear to Ibn Saud, though not perhaps in precisely the manner contemplated by paragraph 8 of his instructions. Lord Birkenhead doubts whether in any case it would be desirable, even if it were considered possible, to raise the question again now by proposing an exchange of notes, but he would be glad to have

Sir

The Under Secretary of State,
 FOREIGN OFFICE.

13/7/27
 18/7/27
 19/7/27
 20/7/27
 21/7/27
 22/7/27
 23/7/27
 24/7/27
 25/7/27
 26/7/27
 27/7/27
 28/7/27
 29/7/27
 30/7/27
 31/7/27
 1/8/27
 2/8/27
 3/8/27
 4/8/27
 5/8/27
 6/8/27
 7/8/27
 8/8/27
 9/8/27
 10/8/27
 11/8/27
 12/8/27
 13/8/27
 14/8/27
 15/8/27
 16/8/27
 17/8/27
 18/8/27
 19/8/27
 20/8/27
 21/8/27
 22/8/27
 23/8/27
 24/8/27
 25/8/27
 26/8/27
 27/8/27
 28/8/27
 29/8/27
 30/8/27
 31/8/27
 1/9/27
 2/9/27
 3/9/27
 4/9/27
 5/9/27
 6/9/27
 7/9/27
 8/9/27
 9/9/27
 10/9/27
 11/9/27
 12/9/27
 13/9/27
 14/9/27
 15/9/27
 16/9/27
 17/9/27
 18/9/27
 19/9/27
 20/9/27
 21/9/27
 22/9/27
 23/9/27
 24/9/27
 25/9/27
 26/9/27
 27/9/27
 28/9/27
 29/9/27
 30/9/27
 1/10/27
 2/10/27
 3/10/27
 4/10/27
 5/10/27
 6/10/27
 7/10/27
 8/10/27
 9/10/27
 10/10/27
 11/10/27
 12/10/27
 13/10/27
 14/10/27
 15/10/27
 16/10/27
 17/10/27
 18/10/27
 19/10/27
 20/10/27
 21/10/27
 22/10/27
 23/10/27
 24/10/27
 25/10/27
 26/10/27
 27/10/27
 28/10/27
 29/10/27
 30/10/27
 31/10/27
 1/11/27
 2/11/27
 3/11/27
 4/11/27
 5/11/27
 6/11/27
 7/11/27
 8/11/27
 9/11/27
 10/11/27
 11/11/27
 12/11/27
 13/11/27
 14/11/27
 15/11/27
 16/11/27
 17/11/27
 18/11/27
 19/11/27
 20/11/27
 21/11/27
 22/11/27
 23/11/27
 24/11/27
 25/11/27
 26/11/27
 27/11/27
 28/11/27
 29/11/27
 30/11/27
 1/12/27
 2/12/27
 3/12/27
 4/12/27
 5/12/27
 6/12/27
 7/12/27
 8/12/27
 9/12/27
 10/12/27
 11/12/27
 12/12/27
 13/12/27
 14/12/27
 15/12/27
 16/12/27
 17/12/27
 18/12/27
 19/12/27
 20/12/27
 21/12/27
 22/12/27
 23/12/27
 24/12/27
 25/12/27
 26/12/27
 27/12/27
 28/12/27
 29/12/27
 30/12/27
 31/12/27

COPYRIGHT PHOTOGRAPH—NOT TO
 BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY
 WITHOUT PERMISSION OF THE
 PUBLIC RECORD OFFICE, LONDON

الملحق رقم [٨٤٧]

وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ كُرَيْشٍ إِذْ يَخْتَصِمُونَ
 يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ
 إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
 فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 الْحَيُّ الْقَيُّومُ
 لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ
 لِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 إِنَّ هُوَ يَجْعَلُ الْوَقْعَ كَيْفَ
 يُشَاءُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ
 الْوَقْعَ كَيْفَ يَشَاءُ إِنَّه
 يَعْلَمُ الْغُيُوبَ
 إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
(وَلَا تُفَرِّقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ)

[illegible]

1444 12 11 18

- 31.000.000 -

1994-1995

معامله جلد

بن جلالة. لائىر بطايار جلالة. لائى الحجاز ونجدو. لائى
(بسم الله الرحمن الرحيم)

[illegible]

(الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)

[illegible]

هذا على ما ذكره في روضة الاطلاع على معتقادات اهل البلاد والوقائع من جهة
مدير الادارة ليعلم ان هذه المراسلة هي التي كانت في يد مدير الادارة
(المراسلة رقم ١٠)

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
الرياض، ١٤٤٠هـ

[illegible][illegible][illegible]

(الفصل الثاني)

من سألني عن كتابي هذا، فقلت له: إن كتابي هذا ليس هو كتابي، بل هو كتاب الله، وأنا فقط أكتب ما سمعت من الله، وما رأيته في قلبه. فقلت له: إن كتابي هذا ليس هو كتابي، بل هو كتاب الله، وأنا فقط أكتب ما سمعت من الله، وما رأيته في قلبه. فقلت له: إن كتابي هذا ليس هو كتابي، بل هو كتاب الله، وأنا فقط أكتب ما سمعت من الله، وما رأيته في قلبه.

(العلماء المسلمون)

(۱۰۰)

دین و دنیا کے لئے جو کام کرنا چاہئے، وہ اس کے لئے ہے۔ اور اس کے لئے جو کام کرنا چاہئے، وہ اس کے لئے ہے۔

[illegible]

(۱۱۱۱)

[illegible]

88. TREATY (JIDDAH): BRITAIN AND KING 'ABD AL-'AZIZ OF
 THE HEJAZ AND OF NEJD AND ITS DEPENDENCIES
 20 May 1927

(Ratifications exchanged, Jiddah, 17 September 1927)
 [Great Britain, *Treaty Series* (1927), no. 25, Cmd. 2791]

• *Saudi Arabia.*

ART. 1. His Britannic Majesty recognises the complete and absolute independence of the dominions of His Majesty the King of the Hejaz and of Nejd and its Dependencies.

ART. 2. There shall be peace and friendship between His Britannic Majesty and His Majesty the King of the Hejaz and of Nejd and its Dependencies. Each of the high contracting parties undertakes to maintain good relations with the other and to endeavour by all the means at its disposal to prevent his territories being used as a base for unlawful activities directed against peace and tranquillity in the territories of the other party.

ART. 3. His Majesty the King of the Hejaz and of Nejd and its Dependencies undertakes that the performance of the pilgrimage will be facilitated to British subjects and British-protected persons of the Moslem faith to the same extent as to other pilgrims, and announces that they will be safe as regards their property and their persons during their stay in the Hejaz.

ART. 4. His Majesty the King of the Hejaz and of Nejd and its Dependencies undertakes that the property of the aforesaid pilgrims who may die within the territories of His Majesty and who have no lawful trustee in those territories shall be

handed over to the British Agent in Jeddah or to such authority as he may appoint for the purpose, to be forwarded by him to the rightful heirs of the deceased pilgrims; provided that the property shall not be handed over to the British representative until the formalities of the competent tribunals have been complied with and the dues prescribed under Hejazi or Nejdli laws have been duly collected.

ART. 5. His Britannic Majesty recognises the national (Hejazi or Nejdli) status of all subjects of His Majesty the King of the Hejaz and of Nejd and its Dependencies who may at any time be within the territories of His Britannic Majesty or territories under the protection of His Britannic Majesty.

Similarly His Majesty the King of the Hejaz and of Nejd and its Dependencies recognises the national (British) status of all subjects of His Britannic Majesty and of all persons enjoying the protection of His Britannic Majesty who may at any time be within the territories of His Majesty the King of the Hejaz and of Nejd and its Dependencies; it being understood that the principles of international law in force between independent Governments shall be respected.

ART. 6. His Majesty the King of the

Hejaz and of Nejd and its Dependencies undertakes to maintain friendly and peaceful relations with the territories of Kuwait and Bahrein, and with the Shirkas of Qatar and the Qatari Coast, who are in special treaty relations with His Britannic Majesty's Government.

ART. 7. His Majesty the King of the Hejaz and of Nejd and its Dependencies undertakes to co-operate by all the means at his disposal with His Britannic Majesty in the suppression of the slave trade.

ART. 8. The present treaty shall be ratified by each of the high contracting parties and the ratifications exchanged as soon as possible. It shall come into force on the day of the exchange of ratifications and shall be binding during seven years from that date. In case neither of the high contracting parties shall have given notice to the other six months before the expiration of

the said period of seven years of his intention to terminate the treaty it shall remain in force and shall not be held to have terminated until the expiration of six months from the date on which either of the parties shall have given notice of the termination to the other party.

ART. 9. The treaty concluded between His Britannic Majesty and His Majesty the King of the Hejaz and of Nejd and its Dependencies (then Ruler of Nejd and its Dependencies) on the 26th December, 1915, shall cease to have effect as from the date on which the present treaty is ratified.

ART. 10. The present treaty has been drawn up in English and Arabic. Both texts shall be of equal validity; but in case of divergence in the interpretation of any part of the treaty the English text shall prevail.

ART. 11. The present treaty shall be known as the Treaty of Jeddah.

